



جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر -  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



2

ISSN 2507-7473

# مجلة التغير الاجتماعي

دورية دولية علمية محكمة

يصدرها مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر -  
جامعة بسكرة

- العدد الثاني -

فيفري 2017



جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر

# مجلة التغيير الاجتماعي

دورية دولية علمية محكمة

يصدرها مخبر التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر -  
جامعة بسكرة

- العدد الثاني -

فيفري 2017 الموافق لـ جادى الأولى 1438هـ

ISSN 2507-7473

مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة

# مجلة التغير الاجتماعي

دورية دولية علمية محكمة

يصدرها مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر - جامعة بسكرة

الهيئة العلمية

- أ.د بلقاسم سلاطينة - جامعة بسكرة الجزائر  
أ.د عبد الرحمان برقوق - جامعة بسكرة الجزائر  
أ.د نادية عيشور - جامعة سطيف الجزائر  
أ.د علي غربي - جامعة قسنطينة الجزائر  
أ.د ميلود سفاري - جامعة سطيف الجزائر  
أ.د عبد العالي دبله - جامعة بسكرة الجزائر  
أ.د سمير عبد الرحمان الشميري - جامعة عدن اليمن  
أ.د كمال بوقرة - جامعة باتنة الجزائر  
أ.د اسماعيل قيرة - جامعة سكيكدة الجزائر  
أ.د حميد خروف - جامعة قسنطينة الجزائر  
أ.د نور الدين بومجرة - جامعة قالمة الجزائر  
أ.د سيف الإسلام شوية - جامعة عنابة الجزائر  
د. أحمد موسى بدوي - جامعة بنها مصر  
د. ميمونة مناصرية - جامعة بسكرة الجزائر  
د. زرفة بولقواس - جامعة بسكرة الجزائر  
د. نورة قنيقة - جامعة أم البواقي الجزائر  
د. خالد عبد الفتاح - جامعة حلوان مصر  
د. محمود سعيد خضر - جامعة جنوب الوادي مصر  
د. هاشم أحمد نغمش الحامي - جامعة عمان الأردن  
د. سلطان ناصر سعود العريفي - جامعة الشقراء السعودية  
د. عبدة صيطي - جامعة بسكرة الجزائر  
د. كلثوم بيبيمون - جامعة باتنة الجزائر  
د. وهيبة زلاقي - جامعة مسيلة الجزائر  
د. نبيل عمران موسى الخالدي - جامعة القادسية العراق  
د. صباح غربي - جامعة بسكرة الجزائر  
د. سلمية حفيظي - جامعة بسكرة الجزائر  
د. أساء بن تركي - جامعة بسكرة الجزائر

المدير الشرفي للمجلة

أ.د بلقاسم سلاطينة

مدير المجلة ورئيس التحرير

د. ميمونة مناصرية

هيئة التحرير

د. فتيحة طویل

د. سامية بن عمر

د. شوقي قاسمي

د. صباح سليمان

د. سليم درنوني

د. مليكة عرعور

د. صونيا العيدي

د. الطيب العماري

أمانة التحرير

د. فضيلة صدراي

أ. سعاد غياية

## قواعد النشر في المجلة

مجلة "التغير الاجتماعي" مجلة علمية تعنى بنشر الدراسات والأبحاث العلمية والفكرية المتعلقة بالعلوم الإنسانية الاجتماعية باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية ، وحيث تتوفر الشروط الآتية :

- يجب أن يكون المقال المقدم بحثاً أصيلاً لم يسبق نشره بأي شكل من الأشكال .
- تقدم المقالات مطبوعة على الورق في نسختين وفي حدود 10 صفحات إلى 20 صفحة ، مصحوبة بقرص مضغوط وفق برنامج "Microsoft word" بالنسقين العادي و RTF.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال ، وكذا اسم الباحث ورتبته العلمية ، والمؤسسة التابع لها (قسم ، كلية وجامعة ) ، الهاتف والفاكس ، مع ملخص للموضوع أحدها بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين الأخريين ، على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية .
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر ، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14 Gras ، بينما العناوين الفرعية Simplified Arabic 12 Gras ، أما الفرنسية أو الإنجليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12 .
- يرقم التمهيد والإحالات بطريقة آلية "Note de fin" على أن تعرض في نهاية المقال بالترتيب الآتي :
- المؤلف ، عنوان الكتاب أو المقال ، عنوان المجلة أو الملتقى ، الناشر ، البلد ، السنة ، الطبعة والصفحة .
- المقالات المرسله إلى المجلة لا ترجع إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
- المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها .
- يحق لهيئة تحرير المجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع .
- كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا يُنشر مهما كانت قيمته العلمية .

**المراسلات :** رئيس تحرير مجلة "التغير الاجتماعي" ، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .قطب شتمة . جامعة بسكرة . ص .ب ق ر 145 بسكرة 07000

البريد الإلكتروني : [revue.chs@univ-biskra.dz](mailto:revue.chs@univ-biskra.dz) و [revue\\_chs@yahoo.fr](mailto:revue_chs@yahoo.fr)

الهاتف : 033501280 الفاكس : 033501282



## الفهرس

- 5 \* كلمة مدير الجامعة .....
- 7 \* تغير الأدوار الوظيفية للأسرة الجزائرية .....
- \* تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة  
- البحث عن الأسباب والدوافع في دراسة ميدانية بالأغواط -  
د. بودالي بن عون - جامعة الأغواط - الجزائر - .....
- 19 \* الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية وعلاقتها بالسلوك الإنجابي  
- دراسة استطلاعية ببعض المراكز الصحية في مدينة سطيف -  
أ.د. نادية سعيد عيشور - جامعة سطيف 2 - .....
- 41 \* أثر تغير وظائف الأسرة الحضرية على نمط الزواج عند الفتاة الجزائرية  
- دراسة وصفية لنمط الزواج الحديث في المجتمع الحضري -  
أ.د. دلاسي أحمد - جامعة الاغواط - الجزائر - .....
- 73 \* التغير في قيم الزواج لدى الشباب الجزائري  
د. زهية دباب - جامعة بسكرة - الجزائر .....
- 95 \* الزواج غير الموثق في الجزائر - المحاذير و الحلول -  
د.كريمة محروق - جامعة الإخوة منتوري قسنطينة - الجزائر .....
- 111 \* التظاهرات النفسية الإكلينيكية المترتبة عن الصراع بين أنماط التنشئة الأسرية  
- دراسة ميدانية بمدينة بسكرة -  
د.عائشة عبد العزيز نحوي - جامعة بسكرة - الجزائر .....
- 133

\* البيت الصامت وإفرازاته الإنحرافية الأثوية..العلاقات العاطفية لدى الفتاة  
المراهقة نموذجاً- دراسة ميدانية -

143 ..... د. نورة قنيفة- جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي

\* تأثير الأجهزة الذكية على التنشئة الأسرية

159 ..... د.صباح جعفر - جامعة بسكرة - الجزائر

\* الإدمان على الانترنت وأثره على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة  
- (الفايسبوك نموذجاً)-

177 ..... د.فطيمة دهراسو - جامعة بسكرة - الجزائر

\* التفاعل الاجتماعي الأسري والتوافق النفسي-الاجتماعي للأفراد-التحديات والآثار-

201 ..... د. أم الخير بدوي - جامعة بسكرة - الجزائر

\* أزمة الهوية الجنسية لدى الشباب الجزائري وانعكاساتها على التتمص السوي  
للأدوار الأبوي

221 ..... أ. الباحثة فضيلة لمر - جامعة بسكرة - الجزائر

\* إعالة المرأة الجزائرية لأسرتها - بائن الظاهرة و خفيها -

237 ..... د.حكيمة أوشنان- جامعة سكيكدة - الجزائر

\* المسنن في الأسرة الجزائرية - حاجات متجددة ومشكلات متعددة -

251 ..... د. جمال تالي - جامعة جيجل - الجزائر

\* ملامح التغير في علاقات الأبناء والآباء في الأسرة الجزائرية المعاصرة

- رؤية سوسيولوجية -

265 ..... د. نوال حمادوش - جامعة سطيف 2 - الجزائر

\* العلاقات القرابية لأفراد الأسرة الحضرية في ظل التغير

281 ..... د. تبيجة جياوي - جامعة بسكرة - الجزائر

\* التنظيم الاجتماعي للأسرة الجزائرية - بين الوظائف المتغيرة وملامح التغير -

303 ..... د. أحمد عبد الحكيم بن بعلوش - جامعة باتنة 1 - الجزائر

\* الفردانية والتماسك الذاتي داخل الأسرة الجزائرية - دراسة نقدية -

325 ..... د. بوجمعة كوسة - جامعة سطيف 2 - الجزائر

\* بناء القوة في الأسرة العربية المعاصرة وأثره على توزيع الأدوار والمكانة داخلها

343 ..... د. سهي حمزاوي - جامعة خنشلة - الجزائر

\* أثر الفضاء السكني على التغير الاجتماعي للعلاقات الأسرية داخل المجتمع الجزائري

(دراسة تحليلية وفق نظرية إدوارد هول Edward T. Hall المعاصرة)

359 ..... أ. صبة دلولة - جامعة بسكرة - الجزائر

*\* Les enfants face à la migration de leur mère et le double rôle du père*

381 ..... Dr: Massika LANANE - Université de Béjaia, Algérie



## كلمة مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين  
أما بعد:

### السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يكشف النظر في أحوال الناس، وفي مسيرة الأمم والشعوب عن تحول عميق في أشكال الاجتماع البشري، والبنى الاجتماعية، مما يعدد من صور الظهور والمواقف والاتجاهات التي تتعاطى مع هذا التحول ، كفاعل أو مفعول به أو... وفي ظل سهولة المواصلات وقصر المسافات واتساع دائرة الحركة وضمور الحدود الإقليمية والوطنية، وانطلاقا من النشاطات اليومية التي تحظى عادة بالأهمية، اقتفى الباحثون الأكاديميون أثر هذا التحول على مستوى أصغر بناء اجتماعي "الأسرة"، فسجلوا تغيرا عميقا في الآداءات اليومية التي آلت إلى ظواهر اجتماعية باتت مألوفة، رغم استهجانها من قبل الضمير الجمعي وسلم المعايير الاجتماعية، فقد ظهر الزواج العرفي وزواج المسيار، وبات اختيار الأبناء لشركائهم بالحياة مبنيا على تصوراتهم وأهدافهم الضيقة بعيدا عن مشورة العائلة ورأي الكبار فيما يخص شؤون المصاهرة وتشكيل النسب المستقبلي.

ويأتي هذا العدد ليميط اللثام عن وظائف الأسرة الجزائرية وآداءاتها الحالية، حيث تلتقي الأقلام الجادة لتحريك هذه السطور بتناغم وتناسق ينم عن رؤية منهجية دقيقة، إذ ألم هذا العدد بالوظائف التي أبقاها المجتمع للأسرة، في قراءة جادة لمختلف الجوانب التي من شأنها أن تغير بنية ووظيفة الأسرة ، فعلى سبيل المثال تطرح نماذج حديثة متعددة تتناول آليات تشكيل الأسرة، وما يتضمنه هذا التشكيل من مخاطر تحدد بمنظومة القيم عندنا، كإنشاء الأسر بأطفال الأنايب، أو إنشاء الأسر دون مراعاة الأهل ومشاورتهم بخصوص الرباط المقدس الذي من شأنه أن يربط عائلتين على الأقل ، إن لم نقل قبيلتين أو حتى دولتين، هذا ناهيك عن الممارسات المصاحبة لهذا التشكيل، والتي أصبح يطغى عليها

الإفراط في استهلاك الكماليات، وما هو إلا مباهاة للناس أمام بعضهم على حساب القيم والأخلاق النبيلة، أو بالأحرى على حساب تكوين أسرة مستقيمة صالحة مصلحة.

كما مس التغيير الاجتماعي الأسرة من ناحية أساليب التنشئة الاجتماعية، التي تراجع مردودها نتيجة تراجع اهتمام الآباء والأمهات عن أداء أدوارهم في التربية والتعليم والمتابعة والمراقبة والمحاسبة والنصح والإرشاد، وحتى أساليب التأديب والتعزيز قد تغيرت، ليُدرّ ذلك على المجتمع مزيداً من المشكلات النفسية والمرضى النفسانيين، هذا في وجود تيارات متعددة متنوعة من المذاهب والمشارب الفكرية والاتجاهات الإيديولوجية، المبتوثة في وسائل التنشئة ووسائظها بشكل مغرٍ وجميل، والتي تؤثر بشكل أو بآخر في نوعية القيم التي ينشأ عليها أفراد الأسرة.

كما أن الخروج المفرط للمرأة للعمل خارج المسكن قد أثر بشكل كبير جداً في تغيير موازين القوى داخل الأسرة وعلى تبادل الأدوار بين مختلف الأفراد، وتغيير الأولويات للأبوين، حتى وإن كان ذلك على حساب الأولاد.

إن الأسرة الجزائرية تجد نفسها اليوم أمام تحديات كبيرة، على المستويين الداخلي والخارجي، مما يستدعي البحث والنظر بروية وإمعان في سبيل تدارك ما قد يلحق المجتمع من أضرار جراء التجاوب مع هذه التحديات.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أثنى على الباحثين ذوي الأقلام البارة في الوصف والتحليل، وأن أتمنى لهم التوفيق فيما يصبون إليه، فالمستقبل للبحث العلمي، والآفاق لن

تسع مستقبلاً إلا الأبحاث العلمية المنهجة والجادة، "وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله  
والصلاة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس جامعة محمد خيضر. بسكرة - الجزائر

أ. و بلقاسم سلطانية

## تغير الأدوار الوظيفية للأسرة الجزائرية

تختصر الحياة اليومية للأسرة الجزائرية بكل صورها وأشكال الممارسات في رحابها أشواطاً من التغير والتطور في القيم والمفاهيم والأهداف، حيث تبدو أدوار أفرادها في كثير من الأحيان ككومة من الآداءات غير المبررة وغير العقلانية، ما جعلها تتأرجح على كل الحبال وفي الآن ذاته، فمن حبال الأصالة الجزائرية إلى حبال التدين فحبال الفرنكوفونية ثم حزمة من الحبال التي لا لون لها ولا رائحة إلى القفز على حبال مجهولة الهوية.

وإذا كانت الكتابة علامة على وجود وعي ما بالواقع، وإدراكاً ما لطبيعة العلاقات التي تحكم مختلف المفردات المشكلة للمواقف الاجتماعية، فإن البحث في الأسرة ربما هو من أولى المسائل التي يجب الخوض فيها، للتعبير عن مختلف الوقائع بشكل علمي أكاديمي، فإكتساح مساحات الصمت التي لفت الأسرة والعلاقات القرابية في الجزائر بات موضوعاً يفرض نفسه في كل المناسبات، نظراً لتشعب الأبعاد وتعدد الرؤى والاتجاهات حيال هذا النوع من المواضيع.

فبالأسرة تشتق اسمها من الأسر، أي إحكام قيد الأسير، لكن برأفة ورحمة ولطف، فهي تأسر أفرادها بالاسم الذي تمنحهم إياه عند الولادة والسمعة التي يلحقونها به من خلال سلوكياتهم، والجينات الوراثية التي يحملونها، والعرق الذي يتلون ويتشكل بلون البشرة وطول القامة، ولون الشعر و.... مما يمنحها شرف تسميتهم ووصمهم والإبقاء عليهم في حظيرة الاسم العائلي محمياً تقطعت بهم السبل وتعرجت بهم المسالك في الغربية أو الأرض النائية أو.....

فهذا الأسر، وإن بدا لطيفاً تكتنفه الرحمة والمودة والسكينة فهو ميثاق رباني غليظ متوافق بشدة مع فطرة الإنسان، تصوغ تفاصيله معايير الحلال والحرام والجائز والمباح

والمنهبي عنه و... لدى كل الأمم على اختلاف شرائعها ومذاهبها واتجاهاتها وسلم معاييرها على مدى التاريخ والجغرافيا.

فيما تشتق العائلة اسمها من الإعالة، أي الكفالة وتأمين المعاش، الأمر الذي يتعدى حدود الشعور بالأسر إلى تنفيذ موجبات هذا الأسر من رعاية وحماية مادية ونفسية، حيث لا حدود ولا موازين يمكن أن تقيس أو تصف مدى ارتباط العائل بالمعيل.... إنها صورة وشعور فطري قل نظيره، يحتوي أفراد العائلة، ونمو بتقدير الفرد منهم لمكانة الأفراد الآخرين ويقوى بالشعور بالانتماء والأحقية في موجبات هذا الانتماء.

فبالعائلة تكونت المجتمعات الإنسانية ووجدت واستمرت وتميزت، بل وتسمت بخصائصها الفيزيولوجية والسلوكية والإبداعية والفنية، واستمدت ذلك توافقا مع ظروف التطور الاجتماعي والتغير البنائي الوظيفي الدائم والمستمر، حيث شهدت البشرية تسميات من قبيل: النظام الأمومي والنظام الأبوي. والواضح أن مفهومي الأسرة والعائلة مشتقان من مختلف الوظائف المنوطة بهذين البنائين.

وقد تشكل هذا العدد من مختلف السجلات الفكرية التي تضمنها الملتقى الوطني "تغير الأدوار الوظيفية في الأسرة الجزائرية" والذي ترأسته ونسجت خطوطه العريضة د. سلمية حفيظي رفقة ثلة من الأساتذة المحكمين والمنظمين، حيث تلقي تداعيات خروج المرأة للعمل بثقلها على هذا العدد، فيما تسجل التجاوزات اللصيقة بآليات تأسيس الأسرة حضورا مميذا، يدعو أحيانا للغرابة وأحيانا أخرى للاستنكار والاستهجان، بينما تشكل العلاقات الاجتماعية داخل الفضاء الأسري المحطة الأخيرة التي تؤول إليها جل المقالات،

وقد أمكن تقسيمها على المحاور الآتية •:

## 1 - التغيير على مستوى "تنظيم الزواج والاعتراف الاجتماعي به

كثيرا ما أحدث التغيير على مستوى تنظيم الزواج مشكلات اجتماعية تخللتها تجاوزات قيمة خلقية تكاد تأتي على أركان المجتمع ، سواء كان هذا التغيير على مستوى تأسيس الأسرة أو على مستوى الممارسات التي تصاحب ذلك كتنقيب الآباء و كبار العائلة ، ليس في اختيار الشريك فحسب ، بل حتى على مستوى الحضور والمشورة وإبداء الرأي ، ناهيك عن الإفراط في الاستهلاك على الكليات ، هذا إلى جانب الممارسات التي لا ترقى عن مستوى الشبهات إن لم نقل الحرام.

والمقصود بتنظيم الزواج هو بأنه حق للزوجين بأن يعيشا في منزل واحد بموجب رباط اجتماعي ، أي تنظيم الناحية الجنسية حسب معتقدات وقيم ومعايير المجتمع ، والواقع أن المجتمعات ومنذ الأزل دأبت على احترام وتقدير الزواج الذي تباركه وتوافقه العائلة ، وفيما يعترف المجتمع بذلك تظهر صور متعددة لأشكال السلوك الذي يخرق هذه المعايير ، ولا يعطي قيمة لمباركة العائلة ، وفي هذا المقام يتحدث د. **بودالي بن عون** عن التغيير الذي لحق الوظيفة البيولوجية في المجتمع الجزائري والأغواطي على وجه الخصوص ، حيث ينزع الناس بما توصل إليه التقدم العلمي التكنولوجي إلى إشباع الرغبة في الإنجاب ، حتى وإن كان بطريقة محظورة كأطفال الأنابيب دون مراعاة لقيم ومعايير المجتمع ودون مراعاة ما قد

• تمت الاستعانة في رسم هذه المحاور بما ورد في :

محمد صفوح الأخرس. الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات المحلية. منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية

العربية السورية. 2001. دمشق. سوريا ص103.

يترتب على ذلك من مساس بأصل تكوين الأسر، إذ يخلص في نهاية بحثه إلى أن الانجاب عن طريق الأنايب يقع تحت طائلة مسببات نفسية اجتماعية واقتصادية، فيما تظل عواقبه خطيرة على المجتمع وسلم المعايير التي يحتكم إليها المجتمع، وتحت عنوان "الزواج غير الموثق في الجزائر - المحاذير والحلول -" تطرح د. كريمة محروق من كلية الحقوق بجامعة قسنطينة موضوعا دخيلا على المجتمع الجزائري والذي استفحل في ظل تعدد مصادر الثقافات الوافدة عبر مختلف الوسائل الوسائط الاجتماعية، والزواج غير الموثق له تسميات متعددة فقد يكون مكتمل الأركان والشروط ويسمى بالزواج العرفي، وقد يكون بدون شهود ويسمى بزواج السر وقد يقصد منه التمتع ويسمى بزواج المتعة وقد يكون القصد منه التحليل دون قصد الدوام والاستقرار فيسمى نكاح التحليل، وقد يكون الزواج غير الموثق دون صداق ويسمى نكاح الشغار، هذا النوع من الزواج أثار العديد من النقاشات والسجلات على مستوى فقهاء الأمة، وكذا على مستوى قانون الأحوال الشخصية لما يلحقه من أضرار للمرأة والطفل على حد سواء، وهنا أيضا تستدرك الأستاذة فضيلة لحر جانبا آخر يطرح نفسه على طاولات النقاش، وإلحاح، ويتعلق الأمر "أزمة الهوية الجنسية لدى الشباب الجزائري وانعكاساتها على التقمص السوي للأدوار الأبوية" حيث ترى الباحثة أنه ومنذ سنوات خلت لم يكن موضوع أزمة الهوية الجنسية واضحاً في مجتمعاتنا المحافظة والتي تساهم بفعل الجوانب الروحانية والإيمانية في خلق تقمص سوي للأدوار الجنسية، ولكن للأسف مع الانفتاح التكنولوجي الكبير وعصر العولمة، أصبحنا نلاحظ مظاهر جديدة لنمط علاقات بين الجنسين مختلفة نوعاً ما، لقد شرعت بعض الأنظمة الدولية الشذوذ الجنسي وأعطت المثليين نفس الحقوق والوظائف، كما أعطتهم الحق في الزواج وتكوين أسر مشوهة غير سوية، إن انعكاس مثل هاته التطورات على البيئة المحلية قد يكون خطيراً جداً، على الهوية الجنسية، قبل مرحلة الرشد المبكر وعلى أهم مظاهرها داخل مجتمعاتنا وعلى مدى تأثير شبابنا بالمفاهيم والأدوار الجنسية العالمية الجديدة - وكيفية انعكاس ذلك

على مستقبل اختياراتهم الزوجية وتقمصهم للأدوار الأبوية، وفي هذا المقام أيضا تتعرض د. زهية دباب إلى التغير في قيم الزواج لدى الشباب الجزائري، وتصف التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية التي أدت إلى إحداث تغيرات في الذهنيات خاصة لدى الشباب الذين تغيرت لديهم قيمة الزواج وتكوين الأسر، حيث تستهل مقالها بمفهوم التغير الاجتماعي، ثم تقرأ بالأرقام وضعيات الزواج في المجتمع الجزائري لتنتهي إلى أن دور الأسرة قد تقلص كثيرا في اختيار الشريك للأبناء، الأمر الذي نزع مباركة الكبار ونظرتهم وفكرتهم وخبراتهم الحياتية من مختلف مشاريع الارتباط، ليشهد المجتمع نسب طلاق تكاد تعادل نسب.

## 2 - التغير على مستوى استمرار الجنس البشري وتكاثره عن طريق إنجاب الأطفال

وحيث تقرأ أ.د. نادية عيشور ملامح المجتمع الجزائري الذي بات يزعج إلى الاستقلال الأسري، ويجذب التعاون الاقتصادي بين الزوجين، وما يستتبعهما، من تأكيد إجراءات الشراكة في إدارة وتدير شؤون الأسرة الجديدة، تستطلع الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية في علاقتها بالسلوك الانجابي عبر بعض المراكز الصحية بمدينة سطيف، فتنتهي إلى أن السلوك الانجابي للأسرة يتأثر بسياسة تنظيم النسل، والتأخر في الزواج لدى الذكور والإناث خاصة، بفعل انتشار ومتابعة التعليم والاندماج في الحياة المهنية بالنسبة للعنصر النسوي، وكذا البطالة وتدهور الحياة الاقتصادية للمجتمع، هذا إلى جانب سوء التكفل الصحي.

ومن جامعة الأغواط أيضا يقرأ د. محمد دلاسي أثر تغير وظائف الأسرة الحضرية على نمط الزواج عند الفتاة الجزائرية منوها بذلك بدور التكنولوجيا الحديثة في تطوع المجتمع الجزائري نحو غيره من المجتمعات والاستقاء من مختلف الثقافات التي أغرقت الأسرة

الجزائرية في دوامة الاستهلاك غير المبرر والإسراف على الكماليات، إلى جانب إبداء المرونة في التعامل مع المرأة بوجه عام .

### 3 - التغير على مستوى التنشئة الاجتماعية وتأهيل الأفراد لتبوء مكاتهم بالمجتمع

وتحت عنوان "التظاهرات النفسية الإكلينيكية المترتبة عن الصراع بين أنماط التنشئة الأسرية - دراسة ميدانية بمدينة بسكرة - " تأتي د. عائشة نحوي فتتحدث من وحي خبرتها الطويلة في العلاج النفسي للمراهقين وبمقالة عن الصراع في التنشئة الاجتماعية بين القديم والحديث وبين المحلي والوافد وبين العربي والأجنبي و.. صراعات الأجيال مما ينبئ بصعوبات التنشئة، وللمراهق الجزائري اليوم وكسائر مراهقي العالم، مشكلاته واحتياجاته، تمرده واحلامه،... ما يصعب عليه الحياة بسهولة ويسر في ظل هذه المعطيات ، وما يفرز من مثالب ومآزق تنخر في الطاقات الاجتماعية الشابة المقبلة على الحياة، ومع صعوبة تجسيد ما يلزمه من حماية وتوجيه، فلا شيء أصعب من تنشئة الإنسان في ظل معايير لا يمكن أن نحتكم ونتحكم فيها، لأن التنشئة ليست مبنية على قواعد رياضية (أو علوم دقيقة) نظرا للفروق الفردية والتغير الاجتماعي المتسارع والعمولة.

وفي نفس السياق تتحدث د. أم الخير بدوي عن صور تغير أساليب التنشئة الاجتماعية ، وما انجر على ذلك من مثالب في مقالة معنونة بـ " التفاعل الاجتماعي الأسري والتوافق النفسي-الاجتماعي للأفراد -التحديات والآثار -" حيث تستطلع في ضوء ممارساتها السابقة للتدريس في المرحلة الابتدائية أشكال التغير في أنماط التنشئة الاجتماعية ، حيث ترى أنه في كثير من الأوقات انقلبت الموازين الأساسية لمعادلة التفاعل الاجتماعي البناء، وحل محلها التفاعل الاجتماعي الأسري الذي يركز أساسا على عمليات التنشئة الاجتماعية القاصرة والمتناقضة كأن لا تعتمد على مبادئ العقاب والثواب السوي،

ولا توازن بين أساليب اللين والشدّة في المعاملة والتفاعل مع الفرد، ولا تقتني صيغ الرعاية الاجتماعية المكثفة ولا تهيم الظروف والمستلزمات الأساسية التي تتطلبها التنشئة، وهنا تستطرد الباحثة في رصد أهم مظاهر التغير الاجتماعي في التنشئة الاجتماعية وكيف أثر ذلك على التوافق الاجتماعي داخل أركان الأسرة.

ومن قلب الأسرة تصرخ د. نورة قنيفة وتكسر واحدا من أعتى الطابوهات الاجتماعية معلنة أوان فتح أسوار الحياة الأسرية بالحوار والنقاش والاستماع والتفهم، فتكتب بذلك مقالها الموسومة بـ "البيت الصامت وإفرازاته الانحرافية الأثوية..العلاقات العاطفية لدى الفتاة المراهقة نموذجاً- دراسة ميدانية - " حيث لقيت هذه المقالة صداها خلال أشغال الملتقى وتجابوب معها الحضور ، إذ حين يغيب الاتصال الأسري أو بالأحرى يُغيب نتيجة عمل الأم وتنازل أو استبعاد أو عدم التزام الأب بواجباته.. أصبحت العلاقات العاطفية عند البنات نمطا من الانحراف الذي يهدد أسر الجزائريين بمزيد من الاجرام والحياد عن المعايير الدينية والاجتماعية، ونفس الفكرة تسوقها د.مسيكة لعنان من جامعة بجاية منوهة بالضرر النفسي الذي يلحق الأبناء جراء غياب الأم وتكفل الأب بمهمة تنشئة الأبناء بمفرده .

وتحت عنوان "تأثير الأجهزة الذكية على التنشئة الأسرية" تغوص د.صباح جعفر في تفاصيل التنشئة الاجتماعية وتعرض لتأثيرها بالألواح الذكية التي أصبحت تأخذ حيزا معتبرا من وقت الأبناء ومن جمود الآباء، حيث يسرت هذه الأجهزة عملية التواصل بين الأفراد عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وإجراء المكالمات المرئية بالصوت والصورة، وتصفح البريد الإلكتروني، وأتاحت إمكانية التصوير ومشاهدة الفيديوهات المختلفة. إضافة إلى خدمات مختلفة في المجال العلمي والترفيهي والخدمات، وكل هذا يحدث في غياب أو تجاهل أو تساهل الآباء، وهنا ترصد الدكتور إيجابيات وسلبيات هذه الاستخدامات، ومدى اضطلاعها بمهام التنشئة الاجتماعية للأبناء.

#### 4 - التغير على مستوى تأمين الاستقرار النفسي

هنا نتحدث د. فطيمة دبراسو -ومن خبرتها الطويلة في مجال العلاج النفسي للمراهقين- وتتوغل أكثر فأكثر في تفاصيل التأثير الذي يحدثه الإدمان على الأنترنت في سوء التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة إذ ولعقود طويلة ظلت الأسرة تلعب دورا مهما في تكوين مدارك الإنسان وثقافته، وتكوين شخصيته وتزويده بالمعلومات والمعارف الضرورية لمواجهة الحياة، أما اليوم فقد انتقل هذا الدور إلى الوسائل التكنولوجية الحديثة ومن أهمها شبكات الانترنت (الفايسبوك) الأمر الذي أتاح أطمأنا جديدة من التواصل الافتراضي الذي أصبح بديلا عن الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، وهذه الثورة التكنولوجية أحدثت تغيرا في العلاقات داخل الأسرة وأبرزت تفاعلات جديدة بينها مما أدى إلى توسيع الفجوة بين جيلي الآباء والأبناء، وإلى خلق العزلة والتنافر بين أفرادها، مما يؤدي إلى التدني في التفاعل الأسري وعدم امتلاك الأبناء لمهارات التواصل الإيجابي مع الذات ومع الآخرين، الأمر الذي حدا بها إلى البحث عن علاج كفي لتدارك مواكبة العصر وبأقل الأضرار.

#### 5 - التغير على مستوى الإعاقة المادية ( الاقتصادية )

لا تقل إعالة الأفراد أهمية عن الوظائف الأسرية الأخرى، والأهمية في الموضوع لا تظهر حين يكون الرجل (الأب) معيلا، فالأمر لا يتجاوز كونه يؤدي إحدى وظائفه الأساسية، لكن الإشكال يطرح حين تصبح المرأة معيلا للأسرة، هل ستنال حظا من القوامه كما يناله الرجل أم لا؟، فما يبدو من سلوك الأمهات هو الرغبة الجامحة في الخروج والعمل والتخلص من أعباء الأسرة، التي كثيرا ما فرضتها الطبيعة الفيزيولوجية للمرأة أو فرضها الرجل بموجب عقد اجتماعي قوامه القوة البدنية والقدرة على الإعالة، وفي هذا الباب تنفرد د. حكيمة أوشنان من جامعة سكيكدة بالبحث في ظاهر هذه المسألة وخفيها، حيث

تنوه بما ينطوي عليه عمل المرأة من خفايا متعلقة بالمشكلات الاجتماعية كرفض المجتمع للمرأة الاستقلالية في المسكن، ومتعلقة بمشكلات اقتصادية كالتقصير في تدبير الأمر أمام الضائقة المالية التي قد تعصف بالأسرة، وخفايا المشكلات النفسية كالشعور بالارتباك حيال العديد من القضايا التي قد تهدد الأسرة في غياب المعيل، واستكمالاً لذلك كتبت د. **سهى حمزاوي** من جامعة خنشلة حول بناء القوة داخل النسق الأسري، ويفضي بها الحديث إلى أن المرأة الجزائرية المعاصرة بتعليمها وخروجها للعمل، وإعانتها لأسرتها قد حققت نوعاً من الاستقلالية في اتخاذ القرار بعيداً عن سلطة الرجل، سواء تعلق القرار بنفسها أو أفراد أسرتها، وأن الأدوار داخل الأسرة آلت إلى التوازن والاعتراف بقيمة إنجازات المرأة بخلاف ما كان سابقاً، ويبدو أن د. **سهى حمزاوي** تضيئي نكهة من التفاؤل بمصير المرأة على ما تبدو عليه د. **حكيمية أوشنان**.... وهذه طبيعة العلوم الإنسانية، إذ الحقيقة تتجلى دائماً من وجهة نظر ما.

وبلمسة إنسانية حانية وحس مرهف ينبري د. **جمال تالي** للحديث عن المسنين في المجتمع الجزائري، فيصف التغير الذي طرأ على الأسرة، وكيف انعكس ذلك على كبار السن، وبانت عيوبهم التي كانت تخفيها المكانة الاجتماعية التي كانوا يحظون بها في أسرهم وقبيلتهم، فالمؤسسات الموازية المتكفلة بهم، وإن كانت تلبّي حاجاتهم الأساسية، فهي في النهاية لن تعوض دفء العائلة.

## ● **مآلات التغير الاجتماعي في الأسرة الجزائرية**

كل مظاهر التغير الاجتماعي آفة الذكر انجر عنها نتائج نوجز بعضها فيما يلي :

في ظل تقلص وظائف وأدوار الأسرة أصبحت العلاقة بين الآباء والأبناء تكاد تكون اقتصادية فقط، وهو ما ذهب إليه د. **نوال حمادوش** من جامعة سطيف في مقالها المعنونة بـ " ملامح التغير في علاقات الأبناء والآباء في الأسرة الجزائرية المعاصرة - رؤية

**سوسيولوجية-** ، إذ من خلال التراث المعرفي السوسيولوجي عمدت إلى تحليل العديد من الكتابات العربية والأجنبية وخلصت إلى التغير العميق الذي مس الرابط الاجتماعي بين أفراد الأسرة الجزائرية ، وكذا ظهور ازدواجية القرار ثم فقدان الأمن العائلي الذي كان الفرد يحظى به في كنف الأسرة الممتدة، ونفس الرابط القرابي جاءت على ذكره **د. نتيجة جهاوي** ، لكنها خصصت مجالها الميداني في الوسط الحضري، لتخلص في النهاية إلى أن انخراط الناس في الحياة الحضرية بما تحمل من قيم ومن مظاهر من شأنه تغيير نمط العلاقات القرابية ليس على المستوى العائلي الموسع فحسب ، بل على مستوى الأسرة الصغيرة أيضا.

**"التنظيم الاجتماعي للأسرة الجزائرية - بين الوظائف المتغيرة وملامح التغير-**" هي مقالة للدكتور أحمد عبد الحكيم بن بعطوش من جامعة باتنة، يقرأ من خلالها الباحث ملامح التنظيم الاجتماعي للأسرة الجزائرية ويقف على أشكال تغير الوظائف والأدوار ، وكذا مآلات إلى أن الأدوار والمكانة داخل الاسرة الجزائرية تتشكل من خلال مجموعة من العناصر من بينها: القيم الناتجة عن ضغط الثقافة وما تحويه من تعريفات للجنس والسن والدين والطبقة ودرجة التعليم، كما تتحدد تلك القيم بطريقة تنشئة كل من الزوجين وإيصال تلك القيمة أو المحتوى الثقافي إليه ، ويفرد **د. بوجمعة كوسة** من جامعة سطيف مقالته للحديث عن سيادة الفردانية داخل الأسرة من خلال العنوان: **"الفردانية والتماسك الذاتي داخل الأسرة الجزائرية - دراسة نقدية-**" ، وينتهي إلى أن الفردانية التي أفرزتها التقنية الحديثة في المجتمع الغربي ، سرعان ما انتقلت إلى المجتمعات النامية لتفعل فعلتها في الوشائج الأسرية الكفيلة بحفظ المجتمع ، ويدعو من خلال ذلك إلى ضرورة الأخذ بالتقنية الحديثة ولكن بحذر، ومع مراعاة الوقوف على التربية الصحيحة للأبناء لمقاومة رياح التأثير.

وحيث لا تقف المعرفة عند تخصص دون غيره، ولا تقف الحقيقة عند وجهة معينة، تبعد الأستاذة صبة دلولة من قسم الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة عند تغير العلاقات

الأسرية بفعل الفضاء السكني، سواء كان ذلك في هندسة المجال أو وظيفته من خلال مقالة عنوانها: " أثر الفضاء السكني على التغير الاجتماعي للعلاقات الأسرية داخل المجتمع الجزائري(دراسة تحليلية وفق نظرية إدوارد هول Edward T. Hall المعاصرة) "، لتصل في النهاية إلى أن الأسرة تحاول جاهدة التكيف مع المجال الذي تسكنه ، حتى وإن أدى ذلك إلى تشويه صورة المعمار والتجمع العمراني بشكل عام، وهذا رغبة منها في الحفاظ على قوة العلاقات بين الأفراد.

لقد حاول القائمون على هذا العدد اكتساح مساحات الصمت التي تلف الأسرة الجزائرية، وما بدا خلال السجلات الفكرية التي سجلت في الملتقى هو امتعاض الكثيرين من مختلف المظاهر المغيرة لوظائف الأسرة ، والتي تدخل -مع الأسف - في أدق تفاصيل حياتنا اليومية، حيث أتعب الوافد الجديد بكثرته وقوته وإغرائه الهياكل القديمة للأسرة والعائلة فلم تعد تقو على التحمل فظهرت الرضوض والشقوق التي باتت تستدعي البحث والعلاج والإصلاح ، وما وفود الباحثين وإقبالهم على هذا الموضوع إلا دليل على استشعار قيمة الأسرة وأهميتها . فشكرا لمن ساهم وشكرا لمن فكر في المساهمة.

مديرة الخبر ورئيسة التحرير

د. ميمونة مناصرية



## تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة

### - البحث عن الأسباب والدوافع في دراسة ميدانية بالأغواط -

د.بودالي بن عون - جامعة الأغواط - الجزائر

#### **Abstract :**

*Algerian society has been known in recent years, a significant change in the biological features of the composition of the Algerian family nucleus, and has become a phenomenon of infertility in both sexes obsessed with biological impact directly on the psychological and social status to create a nuclear family, and became to think of quick solutions resulting from scientific and technological progress in the field of modern medicine carefree only to get rid of infertility without taking into account the prejudice to religious values and family and socializations stemming from the values of our religion, and even aversion consulting religion people saying suchacts. Private search for the boys in anyway, whatever the sacrifice, either through biological or moral side of Obstetrics and became through IVF technology of modern medicine are to have children and all without thinking about the consequences of the change in the basic configuration of the Algerian family, or even the effects of this phenomenon in the future .*

#### **المخلص :**

لقد عرف المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة تغيرا كبيرا في الملامح البيولوجية لتكوين نواة الأسرة الجزائرية، وأصبحت ظاهرة العقم عند الجنسين هاجسا بيولوجيا أثر بشكل مباشر على الحالة النفسية والاجتماعية لتكوين الأسرة النواة، وصار التفكير في الحلول السريعة الناتجة عن التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال الطب الحديث المهم الوحيد للتخلص من العقم دون مراعاة المساس بالقيم الدينية والتنشئة الأسرية والاجتماعية النابعة من قيم ديننا الحنيف، وحتى العزوف عن استشارات أهل الدين قولهم في مثل هذه الأفعال الخاصة بالبحث عن الأولاد بأي طريقة مما كانت التضحية سواء عن طريق الجانب البيولوجي أو القيمي وأصبح التوليد عن طريق أطفال الأنابيب بالتكنولوجيا للطب الحديث هم من اجل إنجاب الأطفال فقط دون التفكير في عاقبة التغيير في التكوين الأساسي للأسرة الجزائرية، أو حتى الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة مستقبلاً .

## مقدمة:

لقد عرف المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة تغيرا كبيرا في الملامح البيولوجية لتكوين نواة الأسرة الجزائرية، وأصبحت ظاهرة العقم عند الجنسين هاجسا بيولوجيا أثر بشكل مباشر على الحالة النفسية والاجتماعية لتكوين الأسرة النواة، وتعتبر ظاهرة التغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة من خلال البحث عن الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب مشكلة اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية تتأثر بعدة أسباب ودوافع منها الانتشار المتزايد للأسرة للنواة والتطور التكنولوجي وتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال، والعوامل الوراثية للتركيبية الأسرية، وكذا نوعية الغذاء المتناول والتغير في العادات والتقاليد والعامل الاقتصادي المادي الخالي من الجانب الروحي والبعد السياسي وسيطرة الثقافة الأوروبية المعاصرة وتغير في دور الرجل ووظيفة المرأة وغيرها من الأسباب الظاهرة والخفية، كلها تعبر عن المتغير المستقل بمؤثراته، كلها كانت أسباب ودوافع قوية وراء التغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة من خلال الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب في المجتمع الاغواطي خاصة والمجتمع الجزائري عامة. والتي يمكنها ان تسبب مستقبلا عن البناء الأساسي للأسرة مشكلة في ذلك أنواع من الإجماع الجديد عن المجتمع وتغلب البعد المادي عن الروحي وانقطاع الموروث الثقافي للأسرة من خلال الانتقال للقيم والأخلاق والأدوار الأبوية لكل من الرجل والمرأة، وغيرها من المظاهر غير المتوقعة مستقبلا من التفكك الأسري والاتجاه إلى الوحدانية في الأسرة بدلا من التضامن والتكاتف.

## 1. الإشكالية:

شاهدنا في الآونة الأخيرة تحولات ألفت بظلالها على أدوار ووظائف الأسرة الجزائرية، وخاصة الوظيفة البيولوجية وبأشكال وأنواع مختلفة، مجسدة في بناء أسرة نواة عن طريق إنجاب أطفال الأنابيب، ولقد كان أول تغير لبناء الأسرة عن طريق أطفال الأنابيب في سنة 1978 عندما ولدت الطفلة لويس براونوهي أول طفلة أنابيب في العالم. وقد أمكن بهذه الطريقة التغلب على بعض العوائق التي تمنع حدوث الحمل عند المرأة مثل انسدادقناة فالوب، أو ضعف الحيوانات المنوية عند الرجل. ويتم اللجوء إلى طفل أنبوب الاختبار أو

البوتقة في الحالات التي يتعذر فيها التلقيح الطبيعي للبويضة داخل الرحم بسبب ضعف النطاف أو مشاكل في الرحم<sup>1</sup>. "وانجاب أطفال الأنابيب يتم فيها تزواج والتقاء الحيوانات المنوية الذكرية بالبويضات الأنثوية بالمخبر في وسط غير رحيم، ويكون النمو الخلوي لكل خلايا البيضة، حتى تصبح خلية جنين على شكل بيضة في وسط مادي جاف من أصل اصطناعي وكيميائي. و "إنَّ ما يجري في عملية طفل الأنبوب هو أنَّ عملية الإخصاب تحدث خارج جسم المرأة، حيث يتم تنشيط أو تجهيز المبيضين للزوجة بأدوية مساعدة لإنتاج عدد أكبر من البويضات، ثم يتم سحب هذه البويضات جراحياً في وقت محدد تكون فيه كاملة النضج لشخصب في المختبر باستخدام الحيوانات المنوية التي أُخِذت من عيّنة للسائل المنوي للزوج"<sup>2</sup>. " وتبدأ مرحلة انقسام الخلية فيقوم الطيب بزرع الجنين في رحم الأم حيث ينمو طبيعياً حتى الولادة. ويتم زرع الجنين أو البويضة المخصبة في رحم الأم بعد 5 أيام من تخصيبها". ويختلف جذرياً عن الوسط الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لهم ، وهو وسط خلقي رباني وروحي يستمد منه الجنين كل احتياجاته من بناء وتكاثر خلوي وحركي، وغذاء واستقلاب ومناعة وإحساس، وعطف وحنان وفرح وغضب، في رحم الأم ميبأ له بإذن من الله عز وجل في اتصال مباشر مع الوالدة، وهذا بمثابة تغير وتحول في أصل التركيبة الإنسانية والخلقية لأصل إنشاء الأسرة منذ الأزل ومنذ خلق الله آدم وحواء في بناء الخلية الأساسية للمجمعات من الأسرة، عن طريقها تتكون التنشئة الاجتماعية وتتكون منها أشكال من الأدوار والوظائف الأساسية للأسرة الممتدة، ولكن هذا التحول في البناء الأساسي للأسرة النواة انطلاقاً من التحول في الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب، يؤدي إلى تغير وتحول في أصل بناء الأسرة من نظام خلقي أنساني يضبط العلاقة بين الوالدين والأبناء من حيث الدور والوظيفة لكل من الأب والأم والأطفال، إلى اختلاط وتحريف لأدوار ووظائف الأسرة كلياً انطلاقاً من التحول الروحي الرباني، إلى التحول المادي الجاف الذي يقطع أصل الرحم بين الأطفال والوالدين، وتنتشر جراء هذا التحول أنواع وأشكال من الإجمام الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية داخل الأسرة النواة جراء الابتعاد عن القيم الخلقية ، وبالتالي ترقب مستقبلاً مجتمعاً لا يمكن أن تتصور حجم الاختلاف في البناء، من الجانب الفكري من شر وخير وغيرها من كل الأنساق

الجزئية المكونة للمجتمع ككل، كل هذا الجزء المتجزأ من ما لا نعرفه من تحول للأسرة والمجتمع يجعل أي باحث في حيرة أبستمولوجيا وخوف باطني تجاه ما يتصوره مستقبلا من تحولات في أصل البناء الأساسي للأسرة النواة والتغير في مجتمع كان يتميز بالقيم الخلقية المستمدة من الدين الإسلامي ، يحافظ به عن قيم الأسرة التي بقيت الوحيدة في العالم متضامنة ومتأسكة ومتخلقة ومشبعة بالقيم الربانية، على غرار ما ألت إليه بعض الأسر النواة الذين لم يمن الله عليهم بالذرية أن تتنافسوا ويفعلوا ما بوسعهم بأموالهم الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب مثل ما هو الحال عن تجربة ولادة أول طفل أنابيب بالمركز الوطني للتلقيح المدعم في الجزائر " حيث شهدت مصلحة أمراض النساء والتوليد بالمستشفى الجامعي نفيسة حمود بارنيسابا، يوم 14-07-2014 أول حالة ولادة لتوأم في الجزائر بواسطة التلقيح الطبي المدعم في المركز العمومي للإنجاب المدعم ، وحسباً أكده والد التوأم ل النهار، فإنه وزوجته كانا يعانين من العقم منذ 7سنوات، حيث حاولا العلاج في العيادات الخاصة التي استنزفت نحو 27مليون سنتيم من ماله من دون نتيجة إيجابية، ليتخذنا قرار التوجه إلى المركز، من أجل الخضوع للعلاج ضد العقم، حيث تمت أول محاولة تلقيح . وقال والد التوأم الذي كان في قمة الفرح، بعد أن حقق الله له نعمة الأبوة لم أكن أنتظر أن تكون زوجتي حاملا، فبعد أن قامت بالتلقيح قمنا بالتحليل التي كانت إيجابية، ولكننا لم نكن نعرف النتائج، إلى أن قمنا بالاتصال بالقائمين على المركز، الذين أكدوا لنا أن زوجتي حامل<sup>3</sup>". من خلال هذه الحيرة الابستمولوجية، وما تم طرحه سنحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة والمشكلة من عدة مؤشرات للتوقع المستقبلي لبناء الأسرة النواة عن طريق أطفال الأنابيب في المجتمع الجزائري.

ما هي أسباب ودوافع تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب بمدينة الاغواط؟

يمكن أن نستخلص مجموعة من الأسئلة الجزئية وهي:

- هل انتشار الأسرة النواة دافع قوي في تغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب؟

- هل العامل الوراثي سبب في تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل التطور التكنولوجي بمختلف فروعها في تغير نمط الأسرة دافع لتغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل نوعية الغذاء المتناول يومياً سبباً خفياً وراء تغير في الدور والوظيفة البيولوجية للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل التغير في العادات والتقاليد لأدوار ووظائف الأسرة دافع قوي لتغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل العامل الاقتصادي المادي سبب في تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل للبعد السياسي أثر في تغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب للأسرة؟
  - هل سيطرة الثقافة الأوروبية المعاصرة أثر في تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل تنامي استخدام وسائل وتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال أثر في تغير الدور البيولوجي للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب؟
  - هل تغير دور الزوج ووظيفة الزوجة في المنزل سبب في تغير الدور البيولوجي للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب؟
- أما أسباب نواتج تغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب هي:
- هل التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى تشكيل أنواع جديدة من الإجماع داخل الأسرة؟
  - هل التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى تقوية البعد المادي عن البعد الروحي داخل الأسرة؟
  - هل التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى تفكيك الروابط الأساسية للأسرة؟
  - هل التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى بناء اجتماعي ينافي التركيبة الأسرية؟

• هل التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى انقطاع الموروث الثقافي من خصائص وخبرات أسرية للآباء والأمهات؟

## 2. الفرضيات :

هناك عشرة أسباب ودوافع لتغير الوظيفة البيولوجية للأسرة، وخمسة نواتج للتغير في الدور البيولوجي للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب بمدينة الاغواط. وهي:

- انتشار الأسرة النوواة، دافع قوي في تغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - العامل الوراثي، سبب في تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - التطور التكنولوجي بمختلف فروع في تغير نمط الأسرة، دافع لتغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - نوعية الغذاء المتناول يومياً، سبباً خفياً وراء تغير في الدور والوظيفة البيولوجية للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب.
  - التغير في العادات والتقاليد لأدوار ووظائف الأسرة، دافع قوي لتغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - العامل الاقتصادي المادي، سبب في تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - للبعد السياسي، أثر في تغير الوظيفة البيولوجية لإنجاب أطفال الأنابيب للأسرة.
  - سيطرة الثقافة الأوروبية المعاصرة، أثر في تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - تنامي استخدام وسائل وتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال، أثر في تغير الدور البيولوجي للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب.
  - تغير دور الزوج ووظيفة الزوجة في المنزل، سبب في تغير الدور البيولوجي للأسرة لإنجاب أطفال الأنابيب.
- أما نواتج تغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب هي :

- التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى تشكيل أنواع جديدة من الإجمام داخل الأسرة.
- التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى تقوية البعد المادي عن البعد الروحي داخل الأسرة.
- التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى تفكيك الروابط الأساسية للأسرة.
- التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى بناء اجتماعي ينافي التركيبة الأسرية.
- التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة، يؤدي إلى انقطاع الموروث الثقافي من خصائص وخبرات أسرية للآباء والأمهات.

### 3. الهدف من الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة موضوع ظاهرة التغير في الدور والوظيفة البيولوجية في بناء الأسرة الجزائرية، ومدى تأثيرها على البناء الأساسي لتشكيل الأسرة بالاستعانة ببعض مفاهيم ونظريات علم الاجتماع التي تدرس دور ووظيفة العائلة والأسرة في المجتمع، حتى نقف على مدى تمثل التغير الذي يتركه التحول في طريقة الإنجاب العادية، إلى البحث عن إنجاب عن طريق أطفال الأنابيب ومدى تأثيره على التركيبة الأساسية للأسرية ونواة تكوين المجتمع، ومدى تأثير هذه الظاهرة على تحطيم بنیان الأسرة الجزائرية. كما تهدف الدراسة إلى الكشف عن واقع نسبة الأسر التي تبحث عن طرق إنجاب، عن طريق أطفال الأنابيب في ولاية الاغواط، وكيف يتعامل المجتمع الجزائري بكل أنساقه الاجتماعية لمعالجة أثر إنجاب أطفال الأنابيب على المجتمع مستقبلا، ومعرفة الأسباب والدوافع المتنوعة منها البيولوجية، والاجتماعية، والتكنولوجية والاقتصادية، والثقافية من تغير لعادات وتقاليد المجتمع، والسياسية، التي تؤثر في ظاهرة انتشار نسبة الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب في المجتمع الجزائري.

## 4. تحديد المفاهيم :

## 1-4. الأسرة لغة :

معنى أسر في تاج العروس " الأُسْرُ : الشَّدُّ بالإسار : والعَصْبُ كالإِسار وقد أُسْرْتُهُ أُسْرًا وإِسارًا. والأُسْرُ في كلامِ العربِ : شِدَّةُ الخَلْقِ يقالُ : فلانٌ شَدِيدُ أُسْرِ الخَلْقِ إذا كان مَعْصُوبَ الخَلْقِ غيرَ مُسْتَرخٍ وفي التَّنْزِيلِ " : نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ وَشَدَدْنَا أُسْرَهُمْ " أي خَلَقَهُمْ وقال الفَرَّاءُ : أُسْرَهُ اللهُ أَحْسَنَ الأُسْرِ وأَطْرَهُ أَحْسَنَ الأَطْرِ <sup>4</sup> .

## 2-4. مفهوم الأسرة:

يعرف كولي الأسرة : "الأسر هي الجماعات التي تؤثر على نمو الأفراد وأخلاقهم منذ المراحل الأولى من العمر وحتى يستقل الإنسان بشخصيته ويصبح مسؤولاً عن نفسه وعضواً فعالاً في المجتمع. ويعرف بل وفوجل: الأسرة هي وحدة بنائية، تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة اجتماعية مع أطفالهم ارتباطاً بيولوجياً أو بالتبني"<sup>5</sup>

## 3-4. مفهوم الوظيفة البيولوجية اصطلاحاً :

هي كلمة يونانية مركبة وتعني علم الحياة، وبيو: هي حياة، ولوجوس: تعني علمولقد استخدم هذا المصطلح الطبيب الألماني (تريفيرانوس) سنة 1804. وهناك عدة تعريفات لمفهوم الوظيفة البيولوجية، منها أن " اسم البيولوجيا مؤنث منسوب إلى بيولوجيا، علمُ الأحياء، يَبْحَثُ شَكْلَ وَوَضِيقَةَ إِنتاجِيَّةِ مُجْمَلِ الكائِناتِ الحَيَّةِ، وما تُقِيمُهُ مِنْ عِلاقاتٍ فيما بَيْنَها وَبَيْنَ بَيْنَها <sup>6</sup> ". ويعرف كذلك على انه، " علمُ الأحياءِ، يَبْحَثُ شَكْلَ وَوَضِيقَةَ إِنتاجِيَّةِ مُجْمَلِ الكائِناتِ الحَيَّةِ ، وما تُقِيمُهُ مِنْ عِلاقاتٍ فيما بَيْنَها وَبَيْنَ بَيْنَها <sup>7</sup> ".

## 4-4. مفهوم الوظيفة البيولوجية إجرائياً :

مفهوم الوظيفة البيولوجية في الأسرة، هي الدور الخلقى الذي منحه الله سبحانه وتعالى لأنواع الخلايا الإنسانية جسمية أو جنسية من ذكر وأنثى.

#### 4-5. مفهوم أطفال الأنابيب :

يستند هذا المفهوم على معطيات علمية دقيقة، " وهو إخصاب البويضة بالحيوان المنوي في أنابيب الاختبار بعد أخذ البويضات الناضجة من المبيض لتوضع مع الحيوانات المنوية الجيدة فقط بعد غسلها حتى يحصل الإخصاب. ثم تعاد البويضة المخصبة إلى الأم. تستغرق هذه العملية من يومين - خمسة أيام وهذه الطريقة تُعطي الخيار الأفضل لاختيار أفضل الأجنة لنقلها إلى الأم بعد إخصابها خارج الرحم. وتعطى كذلك مجالاً أكبر لاحتمال الحمل في الدورة الواحدة لأنه يمكن نقل أكثر من جنين واحد إلى داخل الرحم<sup>8</sup>."

#### 5. عينة البحث:

بعض الباحثون يلجئون إلى أصدقائهم وجيرانهم وأقاربهم وزملائهم ويعتبرونهم كأفراد ضمن العينة<sup>9</sup>. " وأسلوب أخذ حجم عينة البحث اعتمدنا فيه الأسلوب الإحصائي في أخذ العينة التمثيلية، حيث " يلجأ الباحثون إلى تحديد حجم العينة باستخدام الأساليب الإحصائية تفادياً لتحديده بطريقة تعسفية تثير الانتقادات. ويواجه الباحث احتمالين عندما يسعى إلى تحديد حجم العينة إحصائياً، هو أن يكون أو ألا يكون على علم بعدد مفردات المجتمع الإحصائي. يميل الباحث إلى تحديد نسبة الخطأ في هذه العينة ليتأكد من أهمية البيانات التي سيحصل عليها ومدى تمثيل تلك العينة للمجتمع الذي سحبت منه<sup>10</sup>. وبما أن المجتمع الإحصائي لبحثنا معلوم واستطعنا أن نحدده انطلاقاً من إحصاءات رسمية من مصادر إدارية الخاصة بمديرية الصحة بالأغواط. فإن المجتمع الأصلي الكلي هو 5 ولادات مصرح بهم حسب الملف الطبي تمت ولادتهم عن طريق الولادة القيصرية لان أطفال الأنابيب يجب ان تكون ولادتهم قيصرية، واغلب الامهات تكون متقدمة في السن. وحجم المجتمع الإحصائي ن2 هو 5انجاب عن طريق أطفال الأنابيب والولادة قيصرية بالأغواط. " نتبع الخطوات التالية للعينة<sup>11</sup> " ونحسب حجم العينة (ن1) على أساس حجم غير معلوم من المعادلة التالية:

$$\text{حجم العينة (ن1)} = \frac{2z}{\chi} \times \text{ف (1 - ف)}$$

$$n_1 = \frac{Z^2}{E_a} \times d(1 - d)$$

$$384 = (0.5 - 1) 0.5 * \frac{(1.96)(1.96)}{(0.05)(0.05)} = \text{حجم العينة (ن)}$$

ثم نقوم بعد ذلك بتصحيح حجم العينة، وذلك باستخدام معادلة تصحيح العينة كالآتي :

$$n = \frac{n_1}{\frac{n_1 - 1}{n_2}}$$

$$05 = 4.89 = \frac{384}{\frac{1 - 384}{5} + 1} = \text{حجم العينة (ن)}$$

حيث أن: ن<sub>1</sub> (n<sub>1</sub>): حجم العينة من مجتمع غير معلوم وهو 384 والذي تم حسابه في المعادلة السابقة. و ن<sub>2</sub> (n<sub>2</sub>): حجم المجتمع الإحصائي والذي تم تحديده بـ : 5. وحجم العينة ن<sub>1</sub> هو 4.89 ومنه العينة n = 5 عائلات أو أسر استعملت الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب وتمت ولادتهم بالعملية القيصرية بالاغواط.

تحديد نسبة الخطأ في حجم عينة البحث :

وتتحدد نسبة الخطأ في العينة وفق المعادلة الآتية:<sup>12</sup>

$$E_d = Z \times \sqrt{d(1 - d)/n}$$

$$\% 43 = 30.4 = \frac{(0.5 - 1) 0.5}{5} \sqrt{\frac{f(1 - f)}{n}} \times 1.96 = \frac{f(1 - f)}{n} \times Z = E_d \text{ خطأ العينة}$$

إن نسبة الخطأ في تحديد حجم عينة الدراسة هي 43% وهي كبيرة في الأخطاء لان العدد صغير جدا والعدد غير المصرح به غير معروف لدى المصالح المعنية.

## 6. المقاربة السوسولوجية :

- نظرية الفعل الاجتماعي :

تنظر هذه النظرية الى الفعل الاجتماعي بوصفه الوحدة الرئيسية للبحث، ويكتسب الفعل صفة الاجتماعية حينما يتوافر القصد في توجيه سلوك الفاعل أو مجموعة الفاعلين منها أفراد الأسرة والفاعلين فيها من أبناء ومن أهم الأعمال التي أثرت في نظرية الفعل الاجتماعي، أبحاث ماكس فيبر، تالكوتبارسونز، كارل مانهايم روبرت ماكيفر وفلوريان زناينكي<sup>13</sup>. وعند ماكس فيبر يعد الفعل الاجتماعي الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع فعلم الاجتماع يهتم بدراسة الفعل الاجتماعي ويطلق الفعل على أي اتجاه أو نشاط إنساني يخضع عليه الفاعلون أو مجموعة الفاعلين معنى ذاتيا.<sup>14</sup>

## 7. منهج البحث الميداني :

لقد استعملنا في دراستنا الميدانية منهج النمذجة بالمعادلة البنائية قصد إعطاء نموذج خاص بالتحويلات التي طرأت على الأسرة الجزائرية من الأدوار والوظائف البيولوجية عبر لجوء بعض الأسرة من مدينة الاغواط إلى الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب، واعتمدنا في الجانب النظري منهج دراسة حالة، لان العائلات التي تم استهدافهم هم فقط ثلاثة أسر نظرا لخصوصية الموضوع وأصل الأسر التي قامت بالإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب ليست بالكثيرة في مدينتنا، ولان من أصل خمسة عائلات تمكنا فقط من التوصل إلى ثلاث عائلات فقط، والباقي لم نتمكن التعرف عليهم، وهي حالات فقط لذا تم استعمال دراسة حالة لكل أسرة كمنهج أساسي في دراسة هذا البحث. كما استعملنا المنهج الوصفي التحليلي كداعم في البحث وذلك قصد وصف وتحليل مضامينها لان طبيعة الظاهرة اجتماعية وهي ظاهرة التغير في الدور والوظيفة البيولوجية للأسرة الجزائرية، ومدى تأثيرها على البناء الاجتماعي ككل.

## 8. تقنيات البحث الميداني :

## • المقابلات الشخصية :

بعد القيام بالملاحظات المباشرة وغير المباشرة للظاهرة في بعض الأسر بالالتجاء إلى الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب ، رأينا أننا بحاجة إلى بعض المقابلات الخاصة ببعض الأفراد الأسر الذين عرفهم شخصياً وتم الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب *intraconjugale insémination artificielle*، والبحث عن الأسباب الكامنة وراء لجوء هذه العائلات إلى الإنجاب عبر أطفال الأنابيب ، وذلك قصد استقصاء الظاهرة وهي خام للتوصل إلى استفسارات عن الأبعاد الخفية للظاهرة وضبط مؤشراتها.

## • الاستبيان :

تم استعمال تقنية الاستبيان للحصول على بيانات من مؤشرات الفرضيات، والتي يمكن أن تعطي حقائق لا يمكن أن نستخلصها من المقابلات نظراً لخصوصية الموضوع، لان الأسرة التي تنجب عن طريق أطفال الأنابيب معظمهم لا يصرحون بهذا، نظراً لخصوصية الظاهرة بحد ذاتها. وقبل أن نستجوب العائلات التي لها خبرة في الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب، نمر أولاً إلى مدى صدق هذا الاستبيان لعرضه على مجموعة من المحكمين قصد ضبط مؤشرات الفرضية من حيث صدق المحتوى والصدق الظاهري للاستبيان. حيث ثم تصحيح صدق وثباتها وتحكيمها لمعرفة ثباتها حتى تصبح عن طريق مجموعة من الأساليب الإحصائية كعامل ألفا كرونباخ لمؤشرات أسئلة الاستبيان، وبعد ما أصبحت أداة معبرة عن الفرضية وثابتة وصادقة وصالحة للتطبيق في الميدان وجاهزة للتوزيع على أفراد العينة المبحوثة .

## صدق الاستبيان:

اختبار سلوك الأسرة تجاه الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب، والذي يصل في قياسه إلى مستوى 0.8 أصدق من أي اختبار آخر لنفس الظاهرة لا يصل إلى هذا المستوى أصدق من الاختبار الذي يصل في قياسه لهذه الظاهرة إلى مستوى 0.5

وبالمناسبة أثناء الدراسة الاستطلاعية قمنا بتحكيم الاستبيان وتم الاعتماد في حساب صدق الاستبيان على صدق المحكمين. وكانت النتائج موضحة كالآتي :

نتائج صدق الاستبيان عن طريق معامل ألفا كرونباخ :

جدول 01: يوضح صدق الاستبيان قبل التعديل في بنود الاستمارة<sup>15</sup>

عدد البنود (المحاور المحكمة من الاستبيان)	Cronbach's Alpha قيمة معامل ألفا كرونباخ
14	0.601

المصدر : من مخرجات برنامج SPSS

جدول 02: يوضح صدق الاستبيان كرونباخ بعد التعديل في بنود الاستمارة<sup>16</sup>

عدد البنود (المحاور المحكمة من الاستبيان)	Cronbach's Alpha قيمة معامل ألفا كرونباخ
14	0.742

المصدر : من مخرجات برنامج SPSS

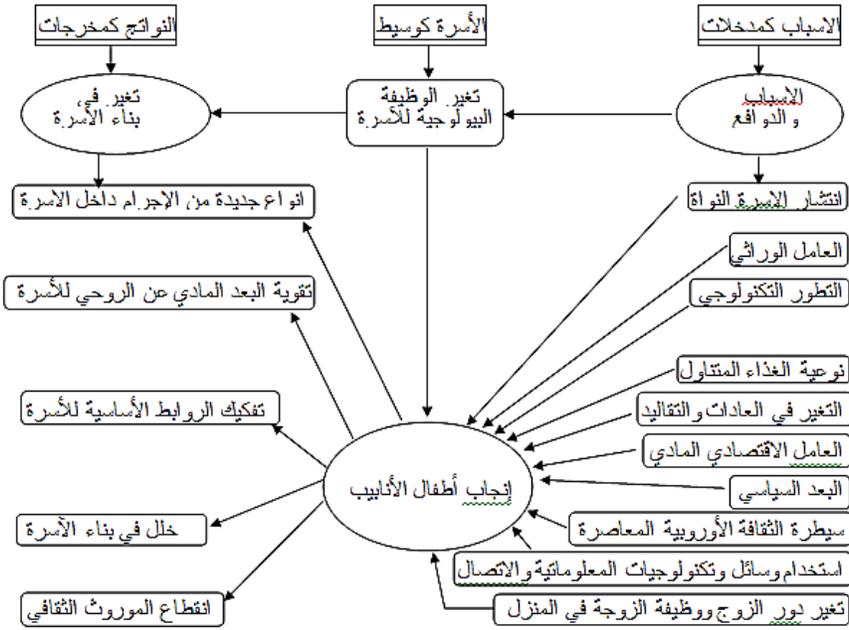
تحليل نتائج صدق الاستبيان:

نلاحظ من خلال النتائج أن قيمة كرونباخ التي تعبر عن مدى صدق الاستبيان تساوي 0.601 قبل حذف وتصحيح العبارات غير المناسبة في الاستبيان التي أوصى بها المحكمون، وتم مرة أخرى حساب كرونباخ وكانت النتائج أن القيمة ارتفعت إلى 0.742 وهي قيمة تعبر عن صدق الاستبيان لأنها تقترب من الواحد وليست أقل من 0.5 وبالتالي نستطيع القول بأن الاستبيان أصبح صالح كتقنية للتطبيق .

## 9. تطبيق منهجية النمذجة بالمعادلة البنائية :

نحن بصدد دراسة علاقة التغير في الدور والوظيفة البيولوجية للأسرة عن طريق لجوء بعض العائلات الجزائرية إلى الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب بمدينة الاغواط، من خلال معالجة مشكلة محددات ونواتج تغير في الدور والوظيفة البيولوجية للأسرة من خلال إنجاب أطفال الأنابيب. والهدف هنا هو دراسة العوامل المؤثرة على تحول دور ووظيفة الأسرة البيولوجية في الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب وتأثيرها على المجتمع بالاغواط نموذجاً، لذا فإننا نبدأ بتقديم لإطار النظري الذي نراجع فيه أدبيات البحث العلمي ونتائج الدراسات الميدانية السابقة فيه ، وبناءً على ذلك نضع نموذجاً نظرياً يوضح فيه محددات ونواتج تغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة لمدينة الاغواط ، مع وصف دقيق لنوع وطبيعة العلاقة بين متغيرات مدخلات الوظيفة البيولوجية ومخرجاته كنتائج بين المتغيرات قصد توضيح مسار العلاقات بينها بالرسم مستخدمين في ذلك الأسهم والإشكال الخاصة بنموذج المعادلة البنائية المتبينة في بحثنا. وبعد المراجعة النظرية الشاملة توصلنا إلى أن ما يجب أن يكون من محددات وعوامل لدور ووظائف البيولوجية للأسرة بالاغواط قصد الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب بالاغواط. ومن خلال هذا يمكن إيضاح أن هناك نماذج قياس أساسية، وهي قياس تغير الوظيفة البيولوجية للأسرة بالاغواط، وعشرة عوامل كمدخلات للأسباب والدوافع التي أدت بعض الأسر إلى الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب بالاغواط، وخمسة نواتج من التغير في بناء الاسرة كمخرجات لنتائج أطفال الأنابيب والميمنة في الشكل رقم (01) :

واضح من الشكل رقم 01 أن هذا النموذج يتضمن ستة عشرة متغيراً كامنة أو غير مقاسة كل منها يتطلب تفكيك لإبعاده ومكوناته ومؤشراته قصد قياسه من خلال بناء أدوات دقيقة تتضمن مؤشرات القياس. وبعد تحديد ورسم هذا النموذج النظري نقوم باشتقاق الفرضيات التي نسعى لتحقيقها بمنهجية النمذجة بالمعادلة البنائية في الميدان. وعليه نحاول على سبيل المثال أن نتصور بعض الفرضيات من المصنوفة في الشكل أعلاه على النحو الآتي:



المصدر من إعداد الباحث

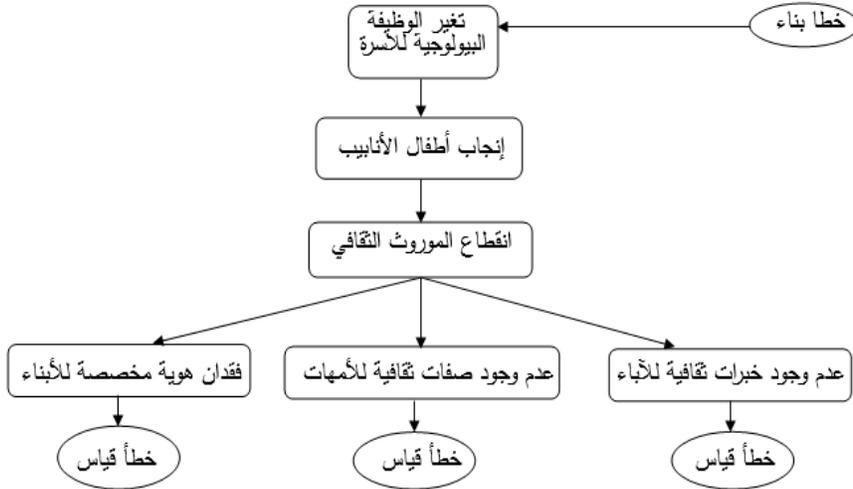
شكل رقم 01 : يبين نموذج البناء النظري للبحث

- يوجد أنواع جديدة من الإجمام داخل الأسرة، نتيجة استخدام وسائل وتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال.
- تقوية البعد المادي عن الروحي للأسرة، نتيجة العامل الاقتصادي المادي.
- تفكيك الروابط الأساسية للأسرة، نتيجة انتشار الأسرة النواة عن الأسرة الممتدة.
- خلل في بناء الأسرة، نتيجة تغير دور الزوج ووظيفة الزوجة في المنزل.
- انقطاع الموروث الثقافي، نتيجة التغير في العادات والتقاليد.

10. التحقق من صدق أحد النماذج : (انقطاع الموروث الثقافي للأسرة جراء إنجاب أطفال الأنابيب)

بناءً على الإطار النظري لكل نموذج، نقوم ببناء أدوات قياس تضم مجموعة من المؤشرات المعبرة عن كل متغير كامن قصد تطبيقها على العينة المناسبة، ثم بعد ذلك

نستخدم التحليل العاملي الاستكشافي للبيانات في بداية البحث تم بعد ذلك نستخدم التحليل العاملي التوكيدي للتحقق من صدق مؤشرات قياس كل نموذج من نماذج القياس. ثم نقوم بحذف المؤشرات التي يثبت ضعف ثباتها أو عدم ارتباطها أو تشبعها على نموذج القياس الذي تنتمي إليه. بحيث يبين الشكل رقم (02) أحد نماذج القياس في هذا البحث الميداني وهو نموذج قياس انقطاع الموروث الثقافي للأسرة جراء إنجاب أطفال الأنابيب كخصوصية من خصوصيات نتائج تحول وتغير الدور والوظيفة البيولوجية للأسرة الجزائرية:

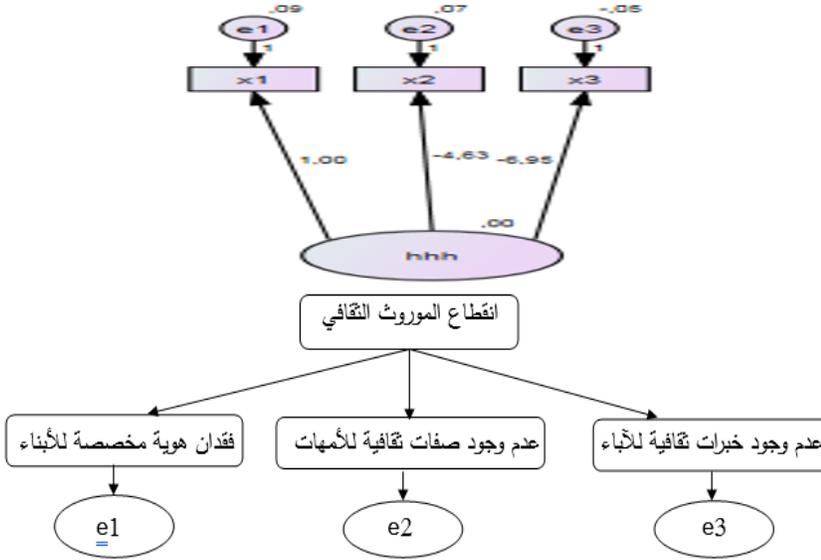


المصدر من إعداد الباحث

### شكل رقم 02 : يبين نموذج قياس انقطاع الموروث الثقافي للأسرة بالاغواط

نلاحظ من خلال الشكل أعلاه أن المتغير الكامن انقطاع الموروث الثقافي في نموذج القياس له ثلاثة مؤشرات مشاهدة وهي عدم وجود خبرات ثقافية للأباء، وعدم وجود صفات ثقافية للأمهات، وفقدان هوية مخصصة للأبناء، وان لكل من المؤشرات المشاهدة خطأ قياس مفترض يقدره البرنامج LISREL عن طريق spss، كما أن هناك خطأ بناء للمتغير الكامن يقدره كذلك البرنامج. في هذه الحالة يفترض علينا أن نقوم بإجراء التحليل العاملي التوكيدي على المؤشرات الثلاثة، وبعد تقدير مدى صدق النموذج من

خلال برنامج الليزرل (LISREL) ، فإننا نقوم بتوضيح نتائج هذا لتقدير كما هو موضح في الشكل رقم 03 الاتي :



المصدر من إعداد الباحث

شكل رقم 03 : يبين نموذج قياس انقطاع الموروث الثقافي للأسرة بعد الاختبار

نلاحظ من خلال الشكل أعلاه أن النموذج الخاص بقياس المتغير الكامن الذي هو انقطاع الموروث الثقافي للأسرة، يتضمن ثلاث مؤشرات، ولكل مؤشر خطأ قياس (e1, e2 , e3) والمتغير الكامن لخطأ البناء دلتا. حيث نبين نتائج التحليل العملي انقطاع الموروث الثقافي للأسرة حسب الجدول الاتي :

جدول رقم 03 يبين نتائج التحليل العاملي لانتقاطع الموروث الثقافي للأسرة جراء إنجاب أطفال الأنابيب :

مؤشرات انتقاطع الموروث الثقافي للأسرة	القيم العاملية المعيارية	خطأ التباين
عدم وجود خبرات ثقافية للآباء	1	0.09
عدم وجود صفات ثقافية للأهملات	-4.63	0.07
فقدان هوية مخصصة للآباء	-6.96	-0.05

جدول رقم 04 : يبين نتائج إحصاءات المطابقة لهذا النموذج :

الاختبار	مربع كاي Chi-Square	الجذر التربيعي لمؤوسط خطأ الانكسار RMSEA	مؤشر حسن المطابقة GFI	مؤشر حسن المطابقة المعدل AGFI	جذر مؤوسط مربعات البواقي RMR	مؤشر المطابقة المقارن CFI
الإحصاءات	$\frac{781.27}{153} = 5.11$	0.20	0.65	0.50	0.04	0.27

## 11. التحليل الإحصائي لنتائج إحصاءات المطابقة :

حسب خصوصية الموضوع نستطيع تحليل وتفسير فرضيات الدراسة والتي كانت مطابقة نسبيا عن نموذج ينطبق على بيانات الميدان عن طريق توليد النموذج باللجوء إلى برنامج النمذجة بالمعادلة البنائية (LISREL) الليزرل وذلك بإدخال النموذج النظري المقترض وإدخال البيانات الميدانية التي تعبر عن كل نموذج قياس للبرنامج وإعطاء الأمر للبرنامج بتقدير المطابقة بين النموذج النظري والبيانات الميدانية الخاصة بالبحث وذلك قصد استشارة البرنامج في مؤشرات التعديل التي يقترحها لتحقيق مطابقة النموذج، ثم بدأنا في فحص تدريجي لكل مؤشر يقترحه برنامج الليزرل لتعديل مسار العلاقات بين المؤشرات، فقمنا باختيار المؤشرات التي تتفق مع إطارنا النظري المقترح لتحقيق المطابقة .

## 12. التحقق من خطأ فرضيات البحث :

بعد إتمام خطوات جمع، وتنظيم وتفرغ وتبويب البيانات وتكميم المعطيات من تقنين للمقابلات والاستبيان من الكيف إلى الكم في الجداول الإحصائية، وبعد تحليل الإحصائي والسوسولوجي للجداول ننقل " لاختبار الفرضيات<sup>17</sup> " للتحقق أكثر عن طريق استعمال مقاييس إحصائية تثبت أو تنفي مدى صحة أو خطأ الفرضية.

### اختبار فرضيات البحث :

إن التحليل الرياضي للظاهرة السوسولوجية من شأنه أن يعطي تفسيراً كميًا ورقمياً للواقعة الميدانية للتحويلات في البني التحتية للأدوار والوظائف البيولوجية للإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب في الأسرة الجزائرية عن طريق الانتقال من البيانات الكيفية إلى المعطيات الكمية للإجابات المؤقتة والنسبية للإشكالية والتي تتضمن في بحثنا هذا بناء نموذجي للنسق المفاهيمي لمتغيرين أساسيين إحداهما مؤثر مستقل والثاني متأثر تابع، الذي يجب على أسئلة الإشكالية. وهي أن هناك عشرة أسباب ودوافع لتغير الوظيفة البيولوجية للأسرة، وخمسة نواتج للتغير في الدور البيولوجي للأسرة قصد إنجاب أطفال الأنابيب بمدينة الاغواط. منها الانتشار المتزايد للأسرة النواة والتطور التكنولوجي وتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال ، والعوامل الوراثية للتركيبية الأسرية، وكذا نوعية الغذاء المتناول والتغير في العادات والتقاليد والعامل الاقتصادي المادي الخالي من الجانب الروحي والبعد السياسي وسيطرة الثقافة الأوروبية المعاصرة وتغير في دور الرجل ووظيفة المرأة وغيرها من الأسباب الظاهرة والخفية ، كلها تعبر عن المتغير المستقل بمؤثراته، ومفهوم التخلي عن دور ووظيفة الأسرة البيولوجية من خلال البحث عن الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب بالمجتمع الاغواطى وتأثيرها على التغير مستقبلا عن البناء الأساسي للأسرة والمجتمع ككل من انقطاع الموروث الثقافي وتشكيل جرائم جديدة بالمجتمع وتفكيك الروابط الأساسية للأسرة وتقوية البعد المادي عن الروحي للأسرة كلها ، يعبر عن المتغير التابع الذي هو الظاهرة المدروسة. وبالتالي نستطيع عن طريق هذا التحديد البسيط للمتغيرين " منهجياً أن نوضح التناظر والترتيب السببي لبناء هذا السؤال إلى تكوين جبري رياضي للعلاقة

السببية بينهما:  $y = f(X1, X2, \dots, Xn)$  أو  $E = f(S1, S2, \dots, Sn)$  حيث تفسر هذه القاعدة الرياضية الدالة تا (س) = ع أن ع أو (y) تمثل الظاهرة المدروسة والتي هي في بحثنا هذا ظاهرة التحول في الوظيفة البيولوجية للأسرة عن طريق الإنجاب بأطفال الأنابيب وهو المتغير التابع في الفرضية، والدالة تا (س) هي تا (س1, س2, ... سن) وهي سبب حدوث هذه الظاهرة والذي يمثل المتغير المستقل (س) من أسباب الظاهرة والخفية التي تم انفا ذكرها بمؤشرات المتعددة (س1, س2, ... سن) والتي في حالة ما إذا كانت العلاقة السببية طردية موجبة المحددة بالمتغير المستقل بالصفة المذكورة سابقاً تا (س) = ع وإذا كانت العلاقة السببية عكسية سالبة تكون بهذا الشكل : تا (س) =  $\frac{1}{E}$ ، ومنه فإن العلاقة السببية بين المتغيرين المستقل والتابع تعطي الربط بين معطيات (ع) بدلالة (س). ولذلك فإننا وبعد ضبط مؤشرات الفرضية لسؤال الإشكال ومعرفة القيم الكمية عن طريق برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية spss بالإعلام الآلي والتبويب التقليدي بتفريغ كل الأسئلة على ورقة واحدة، وضبط كل الجداول التي تخدم قوة الفرضية البسيطة منها والمركبة ننتقل إلى التحقق من خطأ الفرضية المصاغة، ودراسة العلاقة بين متغيراتها والإشارة إلى المؤشر الأكثر قوة مع تحديد مدى تبعثر وتشدت هذه المؤشرات التي يتصف بها أفراد هذه العينة كخصائص ضابطة للظاهرة.

إذاً انطلاقاً من هذه النقطة نلاحظ أن هناك " علاقة بين ظاهرة التخلي عن الوظيفة البيولوجية للأسرة في الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب والأسباب الظاهرة والخفية لها في ولاية الاعواط. ونستطيع الحصول على القاعدة التالية التي تبين العلاقة بين المتغير التابع والمستقل عن طريق ظهور معاملات المؤشرات الضابطة المستقلة متغيرة باستقرار وغير المستقرة على الظاهرة:  $y = a1x1 + a2x2 + \dots + anxn$  " 1" بحيث (x1, x2, ..., x11) هي مؤشرات المتغير المستقل الذي هو في بحثنا مؤشرات لأسباب

♣ spss. هذه الكلمة مختصرة من كلمات (Statistical Package for Social Sciences) والتي تعني الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، وهو برنامج إحصائي عن طريق الإعلام الآلي يقوم بإعطاء النتائج بعد جمع معطيات لبيانات الاستمارات أو غيرها، ويقوم بحساب كل العمليات الإحصائية.

1. Raymond Boudon, Ibid, p.374

والدوافع لظاهرة الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب لدور الوظيفة البيولوجيا ، ونحن قد ضبطنا مجموع هذه المؤشرات ، أما  $(a_1, a_2, \dots, a_{11})$  فهي معاملات المؤشرات وهي كذلك متغيرة حسب أفراد العينة المبحوثة من الأسر ، والذي يعطي مجموعها معامل الارتباط بين المتغيرين المستقل والتابع.

### 13. نتائج البحث :

تعتبر ظاهرة التغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة من خلال البحث عن الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب مشكلة اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية تتأثر بعدة أسباب ودوافع منها الانتشار المتزايد للأسرة النواة والتطور التكنولوجي وتكنولوجيات المعلوماتية والاتصال ، والعوامل الوراثية للتركيبية الأسرية ، وكذا نوعية الغذاء المتناول والتغير في العادات والتقاليد والعامل الاقتصادي المادي الخالي من الجانب الروحي والبعد السياسي وسيطرة الثقافة الأوروبية المعاصرة وتغير في دور الرجل ووظيفة المرأة وغيرها من الأسباب الظاهرة والخفية ، كلها تعبر عن المتغير المستقل بمؤشراته ، كلها كانت أسباب ودوافع قوية وراء التغير في الوظيفة البيولوجية للأسرة من خلال الإنجاب عن طريق أطفال الأنابيب في المجتمع الاغواطي خاصة والمجتمع الجزائري عامة . والتي يمكنها ان تسبب مستقبلا عن البناء الأساسي للأسرة مشكلة في ذلك أنواع من الإجماع الجديد عن المجتمع وتغلب البعد المادي عن الروحي وانقطاع الموروث الثقافي للأسرة من خلال الانتقال للقيم والأخلاق والأدوار الأبوية لكل من الرجل والمرأة، وغيرها من المظاهر غير المتوقعة مستقبلا من التفكك الأسري والاتجاه إلى الوحدانية في الأسرة بدلا من التضامن والتكاتف داخل الأسرة .

### 14. خلاصة :

إن أسباب التحول والتغير في النمط الوظيفي للدور البيولوجي للأسرة عن طريق الإنجاب بأطفال الأنابيب متعددة منها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية وخاصة بكل زوج وزوجة وانتشارها في مجتمعنا، أدى لا محالة إلى بروز مجموعة من المظاهر

الأخرى السلبية في المجتمع منها ارتفاع في نسبة الإجرام في الأسر وعند الأبناء وفي المدرسة وغيرها .

## المراجع والهوامش:

- 1: أطفال الأنابيب ، الموقع الإلكتروني ، <https://ar.wikipedia.org/wik>
- 2: إسكندر بنعلية، الإخصاب الصناعي: عمليات طفل الأنبوب والحقن المجهري - موقع واب الإلكتروني، <http://www.gynecologue-tunis.com>
- 3: جريدة النهار ، 26 أكتوبر 2016 ، الموقع الإلكتروني ، [http://www.ennaharonline.com/ar/algeria\\_news/](http://www.ennaharonline.com/ar/algeria_news/)
- 4: معاجم ، عربي - عربي ، الموقع الإلكتروني، <http://www.almaany.com/ar/dict/ar->
- 5: موقع قوقل ، الموقع الإلكتروني ، <https://www.google.dz/>
- 6: معجم المعاني ، مرجع سابق.
- 7: معجم الغني ، الموقع الإلكتروني <http://www.almaany.com/ar/dict/ar->
- 8: نجيب ليوس، اطفالالانابيب ، الموقع الإلكتروني ، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 9: حسن محمد حسن ، أساسيات الإحصاء وتطبيقاته، دار المعرفة الجامعية ، 1992، ص 29 .
- 10: نفس المرجع ، ص 29 .
- 11: نفس المرجع ، ص. 44 . بتصرف .
- 12: المرجع السابق ، ص. 45 .
- 13: إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة، د.محمد حسين غلوم ط. عالم المعرفة، 1978، ص 62.
- 14: علي ليلة ، النظرية الاجتماعية المعاصرة ، دار المعارف ، ط3 ، 1999، ص408.
- 15: نتائج مخرجات البرامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية spss لجدول صدق الاستمارة قبل التعديل .
- 16: نتائج مخرجات البرامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية spss لجدول صدق الاستمارة بعد التعديل .
- 17: ماجد محمد الحياط، أساسيات البحوث الكمية والنوعية، دار الراجعية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2010، ص.55.
- 18 vol. :Raymond Boudon, L'analyse mathématique des faits sociaux, Revue Française de sociologie, n°4 ;centre national de la recherche scientifique ; France ; octobre-décembre,1967.p.373.

## الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية وعلاقتها بالسلوك الإنجابي - دراسة استطلاعية ببعض المراكز الصحية في مدينة سطيف -

أ.د. نادية سعيد عيشور - جامعة سطيف 2 - الجزائر

### Résumé :

On trouve est notre société s'est penchée vers moderne à l'indépendance sociale, est devenue une réalité, de même que la favorisation de la coopération économique entre les époux et ce que suit de confirmer les procédures de partenariat dans la gestion des affaires de la nouvelle famille. Cependant, ce qui étonnant, c'est la réluctance des époux au comportement reproductif, ce qui peut paraitre naturel dans le système des circonstances économiques et sociales, mais ce qui nous étonne, ce sont les faibles taux de natalité imposés.

### الملخص :

ما لم يعد ماثارا للجدل؛ نجد نزوع مجتمعتنا الحديث إلى الاستقلال الأسري، ومثله تماما، تحييد التعاون الاقتصادي بين الزوجين، وما يستتبعهما، من تأكيد إجراءات الشراكة في إدارة وتدير شؤون الأسرة الجديدة، غير أنه وبالمقابل، أضحي ما يثير دهشتنا حقا؛ ليس هو إجمام الزوجين عن السلوك الإنجابي، وإنما ذاك؛ قد يشكل أمرا طبيعيا في سياق منظومة الظروف الاقتصادية والاجتماعية، بل إن منبع دهشتنا هذه، هو انخفاض معدلات الإنجاب قسرا.

## مقدمة:

لقد غدت مراكز الامومة والطفولة وعيادات الطب النسوي؛ المزدهمة بأعداد هائلة من المقبلات على العلاج، رغبة لا رهبة في الإنجاب، ومن مختلف الأعمار، لاسيا مرحلة العشرينات والثلاثينات، تؤشر بصمت رهيب بل ومطبق، على وجود علل، على درجة عالية من التشبيك والتعقيد والإبهام، تستوجب البحث والتنقيب بعمق، عن ممكن الخلل، جسديا، نفسيا واجتماعيا، وما يرافقه إلزاميا من ضرورة اعتماد وتوظيف مداخل علمية متكاملة: بيولوجيا، سيكولوجيا وسوسولوجيا، لفهم المشكلة واقتراح الحلول العملية المناسبة، وعليه ستسعى الدراسة الميدانية الحالية، على غرار الكثير من العوامل، إلى تشخيص الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية، في علاقتها بمعدلات الخصوبة في المجتمع الجزائري.

لطالما أعتبرت الصحة؛ مفهوما فضفاضاً، أُشير به إلى أكثر من حالة، ووُصفت به أكثر من وضعية، ونُظر إليه من نواحي عديدة؛ فقد عنى التوازن والسواء البيولوجي للإنسان، من حيث قدرته الجسدية على ممارسة الحركة والنشاط بكل يسر، كما قد عكس، على الصعيد الفكري والسيكولوجي؛ السواء والاتزان والمنطقية والرشد، وكلها مؤشرات سلامته العقلية والنفسية، وبقي التكيف والتوافق والاندماج؛ مظاهر تروم للتعبير عن توازنه وإيجابيتهم الناحية الاجتماعية.

فهى، أي الصّحة، حسب منظمة الصحة العالمية، تعنى: "التكامل الجسادي والعقلي والتوازن الاجتماعي وليس مجرد الخلو من المرض والعاثات"<sup>1</sup>، كما تعنى الصحة العامة: "جزء لا يتجزأ من العملية الاجتماعية"<sup>2</sup> بينما يشير المرض إلى: "كل ما خرج بالكائن الحي عن حد الصحة والاعتدال، والمريض في اللغة العربية هو من فسدت صحته، فضعف، أو من به نقص وانحراف"<sup>3</sup>.

وبهذا تكون الصحة العامة؛ مقياسا تقاس به درجة تقدم المجتمعات، ومظهرها من مظاهر اهتمامها بالعنصر الإنساني، في إطار ما يعرف بالتنمية المستدامة، ليس فحسب لكونها جزءا لا يتجزأ من العملية الاجتماعية، بل لأنها، كذلك، هدفا يسعى إلى غاية، وهي

سعادة البشرية ورفاهيتها. غير أنها، من حيث مستوياتها، تتأثر بشدة في أي مجتمع، بعدد عوامل واعتبارات؛ ذات طبيعة متنوعة: بيولوجية، بيولوجية، اجتماعية، دينية، تاريخية، وثقافية وغيرها، قد تمارس عليها ضغوط متلاحقة ومتباينة، بفعل تدخلها كرها في تمييط أساليب الحياة، وفيما هو آت سنعرض لبعض من تأثيرات هذه العوامل.

## 1. مكانة الوظيفة البيولوجية للنظام الأسري في الإسلام:

مما لا ريب فيه، هو ثبوت العلاقة بين متغير الثقافة الأسرية وبين متغير الصحة العامة، ومما لا ريب فيه أيضا، صعوبة الفصل بين الصحة الأسرية والسلوك الإنجابي داخل أي مجتمع ومنه الأسرة في مجتمعنا الجزائري. وعليه فالثقافة: هي "البيئة التي يحيا فيها الإنسان، والتي تنتقل من جيل إلى جيل، وتتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة من السلوك المكتسب عن طريق الرموز، وتتكون ثقافة أي مجتمع، من أفكاره ومعتقداته ولغته وفنونه وقيمه وعاداته وتقاليده وقوانينه، وغير ذلك من وسائل حياته ومناشط أفكاره"<sup>4</sup>.

هذه الثقافة؛ تكتنز حمولات ثقيلة ومتنوعة جدا؛ تؤول منابعها إلى مصادر متعددة وشبه ثابتة، تستلهم منها موجهاتها التصورية وسلوكياتها الإجرائية، إذ تشكل المعتقدات الدينية والأعراف الاجتماعية، وما يتصل بها من قيم وعادات وتقاليدها، أهم روافدها على الإطلاق. فالدين؛ إنما هو غذاء الروح والعقل على السواء، وهو اسمنت التماسك في بنية الروابط الاجتماعية، والمسلك نحو السلام والاستقرار، وهو عبر إضافته لمشاعر القداسة على بعض (الأشخاص، الأشياء، الأماكن، الأزمان والسلوكيات)، يروم التنظيم وانتظام المجتمع، من خلال توحيد الشعور الاجتماعي، سواء باسم "الضمير الجمعي"، أو "الأنا الأعلى"، أيا كانت التسمية والصفة. فإذا ما تدخل العرف الاجتماعي؛ لمؤازرة الأحكام الشرعية وتعويضها، تولد عنه قوة عظيمة؛ تنتهي بتشكيل آليات التماسك الأسري وتفضي إلى تعزيز بنية الروابط فيها، هذا دون أن نغفل تلك المحاولات المضنية على صعيد الاجتهاد الوضعي، بالإضافة الى القوانين المتضمنة في المواثيق الدولية، عملا بمبدأ الاندماج والتكيف مع التأثيرات الدولية وتحقيق السلام العالمي.

من هنا اعتبر "الإسلام"؛ نظام عالمي رسالي، واعتبر المسلم؛ القائم على هكذا مهمة رسالية "الاستحلاف"؛ المشرف والمنظم لشؤون الحياة فيه، واعتبرت "الأسرة المسلمة"؛ الجسم البشري-الدّري لنموذج المجتمع الإسلامي، ففيه، يتم غرس البذور الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة، وتشكيل النشء وفق المواصفات النموذجية المطلوبة، فهو، أي الوسط الأسري، مركز التدريب الأول لإرساء منظومة المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد، التي تنشد تحقيق غاية الخلق / باعتماد أساليب سليمة، وتوفير وسائل ضرورية، تقتضيها ممارسة الفعل الاستخلافي.

فالتّاس في الإسلام، إنّما يتزوجون؛ ليستكملوا دينهم، ويعبدوا ربهم حق عبادته، ويشكلوا السّلك التربوي، التّاقل لخصائص التنشئة الاجتماعية على وجه اقتضاء الدين، عبر المجالية والأزمنة تواليها، الأمر الذي يستدعي بدوره، بذل جهود متكاتف ومساعي حثيثة، يخففها ويهون من صعوباتها، التّساند الوظيفي بين أعضاء الأسرة الواحدة، كتعاونهم وتكافلهم وتآزرهم وتضامنهم عند الضرورة...بوصفها؛ العمليات الدّاعمة للبناء الاجتماعي، والمحمية الفطرية لبنية روابطه الاجتماعية والإنسانية، والمحافظة على استقراره وتماسكه.فالتشريع اصطلاحاً هو: "كل ما سنّه الله تعالى لعباده، من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وسائر نظم الحياة، في شعبها المختلفة لتنظيم علاقة الناس برّبهم، وعلاقتهم بعضهم ببعض وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، يقول القرطبي: الشريعة والشريعة: الطريقة الطاهرة التي يتوصل بها إلى النّجاة"<sup>5</sup>.

فالعلاقة الزوجية في الإسلام، قوامها الأساس التّعبدية، وعليه؛ فالتفاعل الأسري بموجّهات الإسلام؛ إنّما هو الجسر، الذي سينتهي بأصحابه عند مدخل الجنان، ويبقى علمالنّسل الرشيد؛ تعييد الطريق نحو التمكين لدين الله على وجه البسيطة، حتى يورث الوارث أرضه وهو على كلمة التوحيد، فهذه جوهر رسالة الإسلام في ممارسة الاستحلاف.

إن غاية كهذه؛ اقتضت شروطاً وظروفاً واجراءات، ينبغي استباق حضورها على وجود الأسرة، يترتب عليها مراعاة وتحقيق مبدأ المصلحة العامة، أهما: إدراك الغاية من

الزواج، وأسس الاختيار الزوجي، وأصول التربية والرعاية للأبناء، وتحديد الحقوق والواجبات بما يسمح بتنظيم الأدوار الاجتماعية المناسبة لكل الأعضاء، كل من موقعه، بناء على مبدأ التكامل والتراحم لا المساواة والمنافسة، وانسحاب مسؤوليات الأفراد باتساع الدوائر الاجتماعية ضمن النطاق الاجتماعي الذي يعيشون فيه، وامتداد ما جُبلوا عليه، من معارف ومؤهلات وقدرات وامكانيات شخصية، فكل يُسّر لما أهل له. ووضع قواعد الضبط الأسري أخيراً، مع تعيين وتحديد أفضل الكيفيات لمعالجة الخلافات والقضاء على أسباب التفكك.

إذن؛ فالمصلحة هي: "المشعل الذي أثار السبيل للفقهاء المسلمين فيما جد في عصورهم، لان الخير في الإسلام مطلوب ولو لم يرد به نص، فساروا على ذلك في اجتهاداتهم، ولدوام السير الصحيح للاجتهد؛ جعل العلماء من شروط المجتهد عند بحثه عن الحكم الشرعي، علمه بما يحقق مصالح الناس ويدراً المفسد عنهم، لأن من لا يعرف المصالح والمفاسد، وكيفية دفع التعارض بينهما، لا يكون في فقهه مرونة وقابلية لكل ما يجد من شؤون الحياة، ولا يدرك ذلك إلا مزاول للشرع؛ واقف على مراميه، قادر على تفهم مقاصد الشرع والتعرف على علل الأحكام".<sup>6</sup>

وبما أن النظام الأسري هو النظام الرسمي والشرعي الذي ينظم العلاقة بين الجنسين عبر مشروع "الزواج"، ويكفل لكليهما الاستمرارية، في ضوء جملة من الضوابط المعيارية التي تحدد الحقوق والواجبات؛ فإن هذا معناه، أنه يمثل النظام الاجتماعي الأمثل، للقيام بالأدوار المنوطة بكل جنس، وفقاً لما ترتضيه فطرته وخصائصه النوعية المميزة له.<sup>7</sup> إذ من مقاصد الزواج في الإسلام، نجد:<sup>8</sup>

- التناسل وطلب الولد لحفظ النوع البشري.
- حفظ نسب الأولاد وعدم ضياعهم، لان النسب دعامة متينة تقوم عليها الأسرة،
- تحصين النفس لبشرية من الشيطان ودفع غوائل الشهوة،
- بناء العائلة وتوسيع مفهوم المسؤولية بحيث تبنى على البر والإحسان والتعاون والتكافل الاجتماعي والمسؤولية التضامنية.

وبهذا تمثل الأسرة واقعيًا، المصنع الذي يُكوّن والورشة التي تُدرب، ليلتقى التكوين والتدريب على تحقيق هدف مشترك هو تشكيل المواصفات النموذجية المطلوبة في شخصية المسلم، فإلى "جانب تنظيم الفطرة واشباع حاجة الإنسان إلى البقاء من خلال النسل؛ فإن نظام الزواج يهيئ للإنسان جو الشعور بالمسؤولية. ويكون للإنسان تدريبًا عمليًا على تحمل المسؤولية والقيام بأعبائها. فالإنسان؛ ذلك الكائن السامي الذي استحق تكريم الله سبحانه- لم يخلق للاستمتاع بالأكل والشرب واللذات الحسية فحسب، ثم يموت كما تموت الأنعام، وإنما خلق ليعبد الله وليفكر ويقدر ويعمر الكون، ويدير المصالح وينفع غيره وينتفع...فهو كائن مسؤول مكلف. ولا بد من بيئة تحضيرية يكون للإنسان فيها هيمته له عليها قوامه، وله بها رباط لا يستطيع بمقتضى الشعور بهذا الرباط أن يتحلل منه، وأن يلقي به عن عاتقه. هذه البيئة هي التدريب العملي على تحمل المسؤولية هو رباط الزواج.<sup>9</sup>

ما أنا لعرف الاجتماعي، وهو " ما يتعارف الناس على فعله والعمل به، بدون ضجر، ولمدة زمنية طويلة نسبيًا، والقاعدة تقول: العرف كالقانون، يجب الالتزام به، و(المعروف عرفا كالمشروط شرطاً)<sup>10</sup>" ما يعني، أنه يتعين على الأفراد والجماعات، الانسحاق له انسياقاً مؤسساً على ثقة عمياء، ضماناً لتفعيل القواعد الصارمة لضبط السلوك الاجتماعي وفق مبدأ: الاستحسان والاستهجان الاجتماعيين، وما يعني من جهة أخرى، اقتضاء التوافق بينه وبين مقتضيات الدين، حتى يتسنى تحقق درجة عالية من التكامل والانسجام، والقبول والانصياع والالتزام في جميع مناسط الحياة.

## 2. الثقافة الصحية في الأسرة العربية؛ نقاط الالتحام ومقادير التشتت:

وفي ضوء هذا المعطى، لم يبق لنا إلا أن ننظر في أحوال "الأسرة العربية المسلمة"، من حدود المشرق إلى حدود المغرب، وعلى طول الخطوط التاريخية، منذ نزول القرآن الكريم إلى غاية اليوم، ومن جميع الجوانب والزوايا. فلا غرابة أن أغلب الدول العربية، تستند في تقنين وتنظيم أحوالها الأسرية إلى التشريع الإسلامي، هذا الذي يحتكم إلى مبدأ المصلحة العامة، ويرتكز عليها في مسألة الاجتهادات فيما يتعلق بالمسائل المستجدة، كما ويعتمد

خاصية الوسطية والموازنة بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، إذ لا نكاد نرى اختلافا بين المذاهب الفقهية المعتمدة رسميا فيما يتعلق بالمسائل الأسرية إلا في حدود ضيقة جدا.

دون أن نغفل تدخل الأعراف الاجتماعية، الواردة من الزمن العتيق، واستحكام سلطانها في تقنين العلاقات الأسرية وتوجيهها، عبر آليات الاستحسان والاستهجان، ناهيك عن بقية العادات والتقاليد المتوارثة في المجتمعات العربية؛ وإن اختلفت نسبيا، باختلاف هذه البلاد، جغرافيا وتاريخيا واقتصاديا وسياسيا وحتى عرقيا، غير أن سماتها تبقى عامة ومشاركة، تمارس جبروتها بوقع شديد على نسق التفاعل الأسري في المجتمع، لتمنحه طابعه المتفرد والخاص.

إن انصهار العالم العربي والإسلامي دوليا، وانخراطه في مسار الدوران ضمن مدارات السياسة الاقتصادية والاجتماعية ذاتها، باسم العولمة واستجابة لشروطها؛ جعل زوغانه عن منظومته الذاتية والانقلابات منها تدريجيا، وإلى حد ما، أمرا لا مفر منه. حيث أفرز التطور الصناعي والاجتماعي في العصر الحديث، تصورات جديدة حول مستقبل البشرية، استهدفتها فلسفة الحياة الجديدة "حياة الرفاهية المنشودة"، اقتضت وضع سياسات لتنظيم الحياة ككل، ما أدى إلى تمييط الحياة الأسرية، حيث من جهة أولى، نجد مطلب الموازنة بين النمو الاقتصادي والنمو السكاني، ومنه ضرورة التحكم في نسبة المواليد ووجوب تناسبها مع نسبة الوفيات، كما اقتضت القوانين الدولية، من جهة ثانية، مطلب إدخال بعض وجوه التغيير على طبيعة الأدوار الاجتماعية؛ فتم سن قوانين تحظر تشغيل الأطفال واستغلال أسرهم لهم، تولدت عنها الحاجة إلى سن إجراءات تتعلق بتقليص النسل، انتهت إلى تطوير وانتشار وسائل منع الحمل في العالم. وتأكيدا لهذا يقول أحد الباحثين: "مع التطور الصناعي؛ فقد أصبح الأطفال عالة اقتصادية... عندما أخذت الثورة (الصناعية) تتقدم أعفت الإنتاجية الصناعية المتزايدة العمال، من الاعتماد على الأطفال لدعم بقاء الأسرة، ومع ارتفاع الأجور استحدثت قوانين جديدة تمنع الآباء من استغلال أبنائهم، وهذه القوانين غيرت وضع هؤلاء الأبناء من أفراد ناعين إلى عالة على أهلهم"<sup>11</sup>.

إن شكل الممارسة وجوهرها، في الواقع الاجتماعي العربي؛ يميّط اللثام عن عدد لا متناهي من التناقضات، بين ما يجب أن يكون عليه النظام الأسري في الإسلام، وبين ما هو عليه بالفعل في واقع ممارسة المجتمعات الإسلامية؛ ولسان حالها يقول: أن ما نتمناه ونسعى إليه صعب المنال، فالحال على غير مايرام. فالهوة بين الصورة التّمّوزجية للأسرة المسلمة وبين إسقاطات النموذج في حيز ممارستها، هي كبيرة جدا وتزداد في الاتساع يوما من بعد يوم، حيث التّشريع الإسلاميّ تراجع مستمر، أممداهمة غير مسبوقة واجتياح كاسم للتشريع الوضعي، بفعل قهر الضّغوطات السياسية والاقتصادية والمعرفية على الصعيد الدّولي تواليا، وعن مفرزات مصّخة الغزو الثقافي عبر الوسائل المعلوماتية، وعن ارتفاع تغريدات الحقوقيين، هنا وهناك.

كما أنالعرف الاجتماعي المحلي؛ قد صار هو الآخر في عين العاصفة، حيث سيطرة الأعراف الدولية واستحكامها في أنماط التفكير والسلوك، وحيث صلبه أوقوامه، أضحي على وشك الهشاشة فالاضمحلال والنوبان، لابتعاد أحكامهفي كثير من المسائل الاجتماعية والأسرية، عن جادة المنطق السليم والفكر الصائب، ومقاطعتوتناقضه لمصدر قوته "الإسلام"، ومخالفته لمنطق الشرع الصحيح، ناهيك عن اصطدامه بفلسفة حقوق الإنسانالدولية، فبات الوضع، في كافة الدول العربية وان اختلف من حيث الدّرجات، وضعا متأزما، يئنّ بالمشكلات ويرزح تحت عبء الضّغوطات، ويحتاج إلى رؤى متكاملة ومنسجمة للتصحيح، ومبادرات مكثفة ومتناسكة لتفعيل حركية التغيير المنشود.

وبالتّمعن في حال الأسرة العربية، وتوصيفا عاجلا لسماها المشتركة، بناء على معطيات الدليل الإحصائي للعالم الإسلامي<sup>12</sup> وفي محالة لاستنطاقها؛ فإنه يمكننا أن نرصد بعض المؤشراتفيها هو آت:

- انتفاء الأمن الغذائي والتأمين الصحي على الصعيد الاقتصادي؛ حيث أغلبها يواجه صعوبات تتعلق بنقص المواد الاستهلاكية الأساسية على وجه التحديد، وعلى رأسها الغذاء والدواء، مع شبه استحالة لنجاح محاولات رفع معدل الصادرات وتقليص حجم للواردات؛

- وكصعوبات ديمغرافية؛ نلمس مشكلتين، تشكلاان أبرز الصعوبات السكانية التي تدهام التنمية وتعرقل جهودها:
- ارتفاع معدل المواليد، واتساع الهوة بينه وبين معدل الوفيات وعدم تناسبها؛ حيث تشهد اغلب هذه البلاد ارتفاعا كبيرا، ويتوقع أن تتواصل وتيرة الارتفاع رغم زيادة معدل انتشار وسائل منع الحمل، في مقابل انخفاض معدلات الوفيات بسبب التلقيحات والتكفل الطبى للمواليد؛
- فشل سياسة تنظيم النسل في تحقيق مرادها من تقليص حجم الولادات، بفعل عوامل سوسيو- ثقافية، يأتي في مقدمتها المعتقد الدينى، الذى يجرم ظاهرة تحديد النسل لكونه يعتبرها جريمة قتل، مصداقا لقوله تعالى: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسْبَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ } سورة الإسراء، الآية 31.
- ويتدخل في مدة التنظيم، ليربطها بأجال عملية الرضاع، زيادة على تعدد الزوجات، وتزويج البنات في سن غير قانونية في بعض البلدان العربية، وغيرها من الأمور.
- إن زيادة معتبرة في حجم الأمهات والأطفال، ممن هم بحاجة إلى رعاية طبية متخصصة؛ يتطلب توفير حجما مناسبا من الخدمات كالهياكل الصحية والموارد البشرية المؤهلة، للتمكين من تحقيق أهداف سياسة التكفل الصحى وأبعاده المختلفة، غير أن المفارقة الصارخة بين كم المحتاج إلى الخدمات وبين كم القائم على تقديمها، يمثل أكثر الصعوبات الصحية التي تواجهها الدول العربية؛
- الصعوبات التربوية والاجتماعية، منطقيا يترتب عن ما سبق من صعوبات، حرمان الكثير من الأطفال حقهم في التمدرس، وانخفاض مستويات الصحة بدلا من انخفاض معدل الخصوبة، ناهيك عن المشاكل الصحية؛ ذات المسببات الاجتماعية والدوافع النفسية كارتفاع الضغط الدموي، وداء السكري، والربو والسرطان.. الخ. وكذلك انتشار أزمة البطالة وأزمة السكن، ومظاهر العنف، والإدمان على المخدرات، والانتحار، والهجرة غير الشرعية، والسطو والسرقعة، والتسول، والجنون، وغيرها.

وكمؤدج؛ نعرض تواليا بعض المؤشرات الإحصائية، لعقد مقارنة خاطفة، بين الدولة الأولى الأكثر تقدما في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وبين واحدة من دول العالم الثالث وهي الجزائر:

### الجدول رقم (1) يوضح درجة الاهتمام بصحة الأم والطفل:

مؤشرات إحصائية تتعلق بموضوع الصحة			
السنة	المؤشرات	الولايات المتحدة أ	الجزائر
2002	الإفناق الصحيقي القطاع العام	6.6% من الناتج المحلي الإجمالي	3.2% من الناتج المحلي الإجمالي
2003-1995	معدل انتشار وسائل منع الحمل	76%	64%
2003-1995	عملية الولادة التي تتم تحت إشراف عاملين صحيين ماهرة	99%	92%
2004-1990	الأطباء لكل مائة الشخص	549%	85%

### المصدر: الدليل الإحصائي للعالم الإسلامي<sup>13</sup>

إذن؛ فالمجتمع الجزائري ونظامه الأسري؛ لا يمكن أن تخرج عن هذا المأزق، "فحسب تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف"، الذي نشر في سبتمبر 2014، في نيويورك بعنوان: "المحجوب عن الأنظار على مرأى من الجميع"، والذي اعتمد على بيانات 190 دولة: أن دولة الجزائر دولة من بين سبع دول عربية؛ تحتل الصدارة في العنف الأسري على المستوى العالمي<sup>14</sup>". هذا وان بدا بالنسبة للبعض أمرا مبالغا فيه بعض الشيء، ونتأجه غير دقيقة بفعل نوايا ربما قد تكون مغرضة، لا تنصف تماما مجرى الأحداث في الواقع المعيش؛ غير أننا لا نجد بدا من تصديق الحقيقة، حتى وان لم تكن كلها كاملة، فما الذي يمكن أن يقال، أو أن يحاك؛ حيال تقارير ودراسات وأحداث معاشات؛ منعمة بقناطير الشكاوى والشهادات والاعترافات، هنا وهناك، في الشارع، وفي الفضاءات العمومية، وفي المحاكم، والمدارس، وفي مختلف المراكز والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، إن لم يكن لها أساس من الصحة ترتكز عليه.

لئن فندنا هكذا مصادر؛ أيكفنا الاسترسال في سد مسامعنا عن صرخات تعالت، وشكاوى رفعت، وغض أعيننا عن ظواهر تكلمت، وأقوال وثقت، وتصريحات مسؤولين أذيعت. لئن تمسكنا بأفكارنا المسبقة، وبرضانا عن واقعنا الضيق، ولئن قمنا بتعميم ما نعتقد ويرتسم في أذهاننا صوابا، ننسخه ونسحبه على الوقائع ونقول بأنها الحقيقة، نكون بهذا، وبحق، كومة عراقيل، في سبيل إحلال السلام والأمان والتنعم بمطايبة الحياة.

## أولا- مشكلة الدراسة:

فالجزائر؛ ككل بلد عربي ينتهي إلى مجموعة 88، وخرج من الحرب مكسور الجوانح، خار القوى، منتفضامن ويلات ما عاناه، مذعورا مما ينتظره من أعباء ومسؤوليات في إدارة الشأن العام، مفتقرا إلى كافة الكفاءات العلمية والمهارات الفنية والتقنية، ولا يملك من المؤهلات إلا قواه العضلية في العمل، وكأنه مولود "حرية" بكر؛ يروم، برغم ضعفه الفكري وهشاشته القيادية، إلى رعاية من هم مثله من المواليدين، وكأنه قائد أعمى؛ يمتطى طائرته في الظلام، فلا قمره قيادة تستوضح له مسالك الطريق، ولا إمام عافية؛ يؤمه ويستهديه الرشاد، ولا دراية معرفية وعلمية؛ تعضد رؤاه، وخبرة سابقة؛ تساند خطاه.

ذاك هو حال المجتمع الجزائري غداة الاستقلال؛ إذ تمخض عن استعادة "الحرية" بعد مضي قرنا من الزمن، حالة تذبذبية على مستوى الشعور، ورؤية ضبابية لوضع هلامي؛ يصعب حياله التصرف، يبدو وكأن الأمر أشبهما يكون بالاعتراب؛ إذ ثمة تحولات كثيرة وعميقة شهدتها العالم في الخارج، في مقابل تقهقر ماثل على مستوى المجتمع الجزائري في الداخل، يفترض استلزامها للتطبيع مع ثقافة التعايش، والتعامل وإياها بحنكة وحكمة بالغتين، لضمان السيادة، وكلاهما صفتان مفقودتان أصلا لدى من يقع عليه واجب التغيير.

من هذا المنطلق، أصبح من شيم الممارسة السياسية في الدولة الجزائرية حديثة الاستقلال، على غرار كل البلاد العربية، انتهاج سياسات عشوائية، والتخبط في البحث عن مرجعيات أجنبية، واستعارة تجارب دولية دون دراستها حتى ولا تمحيصها ومراجعتها مراجعة نقدية، سبيلا لإدارة شؤون الدولة وتسيير جميع قطاعاتها، ففرغت عن الفروق

في أصول المرجعيات وطرائق التطبيقات، إفراز جبال راسيات من المشاكل العائيات، تفرعت روافدها، وترامت أطراف سلبياتها، وتفاقت همومها.

ومثل بقية القطاعات والقضايا الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغيرها في الجزائر؛ نجد إستراتيجية التعامل مع قطاع الصحة العمومية، من خلال السياسات الصحية المعتمدة عبر المخططات التنموية من الأولى إلى الحماسية، أفضى تدخل عدد غير محدود من الظروف والعوامل، زيادة على سوء تسيير القطاع، إلى مجموعة من المشاكل والتعقيدات، كما عانى من التذبذب والتدهور، كان له انعكاسا مباشرا وغير مباشر على واقع النظام الأسري فيما يمكن أن نسميه بالخصوبة.

ومنه اعتبار تذبذب معدلات المواليد بين ارتفاع وانخفاض مؤشرا عن عدم الاستقرار وضعف التحكم في السياسة الصحية في علاقتها بتنظيم الأسرة، وفشل في ضبط معدل الخصوبة على ما يجب أن يكون عليه، عملا بمراعاة مبدأ التوازن بين الولادات والوفيات، وبين النمو الديمغرافي والنمو الاقتصادي، وهذا بالتأكيد لا يكون بمعزل عن عدة عوامل وظروف، منها المقصود ومنها المفروض ومنها غير المتوقع.

فإذا كان من الطبيعي، أن نشهد ارتفاعا محسوسا في معدل المواليد خلال فترة الاستقلال مباشرة، بسبب التخلص من عذابات الاستعمار وما قرره للجزائريين قهرا من إبقاء عيش تحت مظلة الفقر والحرمان؛ فإنها كان المنطقي أيضا، وكنتيجة لضرورة التحكم في استراتيجيات التنمية الوطنية، وما تقتضيه من موازنة بين النمو الاقتصادي والنمو الديمغرافي بعد مرحلة الاستقلال، التعتيل بسياسة صحية، اشتقت من السياسة العامة؛ استهدفت خفض نسبة المواليد، وسعت إليها عبر تعبئة جاهير الأسر الجزائرية، ودفعها نحو انتهاج تنظيم النسل وتباعد الولادات<sup>15</sup>، كللت جهودها بانخفاض محسوس في معدل الخصوبة خلال فترة الثمانينات تقريبا، ابتداء من سنة 1986 إلى غاية سنة 2000، ثم ما لبثت بعد هذه السنة إلى غاية 2012؛ أن عرفت صعودا نسبيا تباعا لارتفاع معدل الزواج، وكذا تحسن مستويات المعيشة والرعاية الصحية.

لقد "بلغت نسبة حجم الفئة النسوية في سن الإنجاب (15-49)، 10.7 مليون امرأة...كما شهدت سنة 2014 ارتفاعا في الخصوبة الكلي، الذي بلغ 03.03 طفل لكل امرأة. أما متوسط العمر عند الإنجاب، فهو يواصل في الانخفاض بالوتيرة المعهودة والتي بلغت 0.1 سنة في كل عام، ليلبغ 31.3 سنة...شهد معدل الزواج الختام؛ انخفاضا بين عامي 2013-2014، من 10.13% إلى 9.99%، مع تطور حالات الطلاق ما بين 2005-2013 ارتفاعا بحجم 26440 حالة أي ما يعادل 85.02%<sup>16</sup>.

وهنا يمكننا استشفاف ما هو آت:

- أن النمو الديمغرافي في صعود، مقابل؛
- هبوط في معدل النمو الاقتصادي،
- اتساع في دائرة نشر وسائل منع الحمل، مقابل؛
- ارتفاع لمستويات الخصوبة؛
- محدودية الفريق الطبي المخصص لرعاية الأمومة والطفولة؛ في مقابل؛
- تزايد حجم من يحتاجون للرعاية والتكفل الصحي، من الأمهات والأطفال؛
- انخفاض مستوى التكفل الطبي في المصحات العمومية، مقابل؛
- زيادة تدهور الوضع الصحي للأمهات وللأطفال.

ما يدفعنا في الأخير إلى واستشراف مستقبل غير مرغوب فيه، يسوده الفقر، والحرمان، والمرض، وما قد يؤول إليه كنتيجة.

وإذا شكلت لغة الكم سندا لإصدار أحكام منطقية وعقلانية، وإذا ما اعتبرت كذلك، مقياسا لقياس درجة التقدم من التخلف؛ فإن الحقيقة الكاملة لا يمكن إدراكها؛ إلا بدراسة عديد أوضاع باعتبار لغة الكيف سواء بسواء. فهذه الإحصاءات تفضح حالة التذبذب، والفشل الذريع في التحكم في السياسة الإنجابية، ومنه انتفاء صفة التوازن بين التنمية الاقتصادية في علاقتها بالنمو الديمغرافي، غير أنه وبالطبع؛ وبوصفنا سوسيولوجيين، لا يمكننا الاعتماد على لغة الإحصاء ككامل فذ، فثمة عديد عوامل وظروف ووقائع واعتبارات، لا يمكننا إغفالها بأي حال، من المؤكد أنها مارست مفعولا قويا وأثرا داعما غير

محسوب على السياسات الصحية المنتهجة من مرحلة الاستقلال إلى غاية اليوم، من أهمها نذكر:

- **الظروف الاقتصادية**، كارتفاع معدل البطالة في أوساط الشباب، أزمة السكن، ارتفاع القدرة الشرائية، غلاء المعيشة، صعوبة متطلبات الحياة، قلة المرافق العامة، وما تمخض عن كل ذلك من ولوج أزمة اقتصادية وطنية بلغت ذروتها في منتصف الثمانينات، ترتب عليها انتشار الكثير من الآفات الاجتماعية كالعنف والانتحار والسرقية المنظمة، والهجرة غير المشروعة لكثير من الشباب عبر زوارق الموت "الحرق" والمتاجرة بالأعضاء واختطاف الأطفال وغيرها.
- **الظروف السياسية**، نجد الفساد السياسي، وسيطرة الاعتبارات الجهوية والأيدولوجية والثانية والمحسوبة على القطاع الرسمي واجتياحها لكافة المؤسسات الحيوية، ما أدى إلى تنمية مشاعر الاستياء والتذمر وانتشار لثقافة الجماهير المقهورة "العنف المضاد"، تمخض عنها أزمة سياسية حادة، وعدم استقرار أمني واجتماعي، تسبب في حرب أهلية خلال العشرية السوداء، وما استتبعها من هجر لعديد المناطق النائية والجبلية في ولايات معينة، إضافة إلى الانقطاع عن الدراسة وهجر مقاعدها، وموت الشباب المنخرطين في صفوف الجيش الوطني، وغير ذلك.
- **الظروف الاجتماعية**، ومنه تعليم المرأة، وخروجها للعمل، إضافة إلى الاجتهاد الديني والفتاوى المتعلقة بالترخيص لتباعد الولادات، ناهيك عن مشكلات بارزة، كالعنف ضد المرأة والعنف الاسري، والتفكك الأسري وانتهاك حقوق الأطفال، وتزايد معدلات الطلاق. الخ.
- **الظروف العالمية**، نذكر انتشار العولمة الاتصالية الرقمية؛ التي أفضت إلى تسريب حملات ثقافية، ثقيلة جدا من القيم والتقاليد والعادات السلوكية للثقافة الغربية، ومنه تحديد النسل بدلا من تنظيمه، والتفكك في بنية الروابط الأسرية وما صاحبها من التحول إلى الأسرة النووية الفندقية بدلا من العائلة الممتدة، والاهتمام بمستوى الرفاهية المادية

على حساب الرفاهية الأخلاقية، كنتيجة لانتصار مبدئى للقيم الفردانية والفلسفة المادية في المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات العربية.

- **الظروف الصحية:** انتشار الكثير من الأوبئة والأمراض، بسبب عديد مشكلات، ومنه مشكلة تلوث البيئة والمحيط (تلوث الهواء، تلوث الماء الشروب، فوضى معالجة القمامات العمومية)، مشكلة النظام الغذائي السريع، مشكلة الصرف الصحي، مشكلة قلة الدواء ونوعية الدواء المستورد، مشكلة تزايد انتشار الأمراض المزمنة وعدم التحكم في محاصرتها (داء الروماتيزم والروماتويد، داء السكري، داء السرطان، أمراض القلب والشرايين ومنه ارتفاع الضغط الدموي، الأمراض المرتبطة بالحساسية، الأمراض المعدية والمعوية)، ناهيك عن فشل السياسات الصحية في تحقيق أهدافها المسطرة عبر المخططات التنموية الثلاثية والرابعة والخامسة، المتعلقة بتحسين مستوى التكفل الصحي في المصحات العمومية والطب الجوارى والمشفى العامة والعيادات الخاصة، وزيادة الهياكل الصحية وتجهيزها بالمعدات الطبية الحديثة، إضافة إلى التحسيس والتوعية والتثقيف الصحي وغيرها، ورغم هذا الاتساع النسبي في سيادتها وتجهيزها؛ فإن هذه الجهود كلها؛ تبقى أقل بكثير مما يجب أن يكون عليه التحدي الحقيقي لمواجهة حجم الأمراض والأوبئة ومسبباتها، دون أن ننسى مشكلة فساد وتعفن القطاع الصحي سواء العمومي أو القطاع الخاص.

أثرت هذه العوامل والظروف مجتمعة كلها، بصورة مباشرة وغير مباشرة، على مجرى الحياة الأسرية للمجتمع الجزائري، وساهمت في بلورة اتجاه معين نحو نمط حياة جديد، قد يكون السلوك الإنجابي، واحدا من مؤشرات، يستدعى الاهتمام والبحث والتنقيب. من هذا المنطلق؛ ستسعى الدراسة الحالية حول موضوع "العلاقة بين الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية وبين السلوك الإنجابي"، إلى تبين بعضا من المؤشرات، التي بإمكانها المساعدة في توضيح الرؤية ورصد الحقائق المتعلقة بمعرفة كيف أثرت على الوظيفة البيولوجية، باعتبارها أكثر أهداف ظاهرة الزواج، المتصلة باستمرار النوع البشري، هذا الأثر؛ الذي يمكن أن نستشفه، من خلال بحث الإشكالية الآتية:

ما هي طبيعة العلاقة بين الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية وبين السلوك الإنجابي لديها؟

وتجيبنا عنه تساؤلات فرعية ثلاث، هي:

1. كيف تؤثر سياسة تنظيم النسل في السلوك الإنجابي للأسرة الجزائرية؟
2. كيف يؤثر متغير السن عند الزواج في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية؟
3. كيف تؤثر الوضعية الصحية للوالدين في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية؟

ما هو أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية؟

### ثانيا- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لعل أهم ما يجعل من موضوع الإنجاب، الموضوع الأكثر أهمية، بوصفه ظاهرة إنسانية بحتة، إنما هو المحافظة على استمرار النوع من حيث الكيف وليس الكم، وهنا فحسب تكون المفارقة بين مختلف أجناس الكائنات الحية، فالسلوك الإنجابي؛ تزداد أهميته القصوى بارتباطه بمحكات تصويرية وموجهات سلوكية، تضمن إنتاج سلالة بشرية، ذات امتيازات عالية من الجودة، بالتعبير الدارج، إذ أن الهدف من الإنجاب، كما تحث عليه جميع الثقافات في الدنيا، إنما هو النسل الصالح، والنافع، والبار لمن أوجدوه (أنجبوه) في هذه الدنيا، ولعل هذه؛ تشكل المحور المشترك والإرث العالمي الأزلي، الذي ينطوي وسيستمر، على أهمية الظاهرة على النطاق الميكرو - سوسيلوجي. أما على النطاق الماكرو- سوسيلوجي؛ فإن أهميته، ومما لا نقاش فيه ولا جدل حوله، تزداد بتمدد مقاس وحجم الاهتمام بتكوين وتأطير المورد البشري، واعتباره الغاية من التنمية وليس مجرد الوسيلة لتحقيقها. من هنا وقع اختيارنا لهكذا موضوع للبحث، لاسيما في ضوء ظروف، تمخض عنها، ليس فحسب، تراجعاً في معدلات الإنجاب، بفعل سياسات التنظيم، وإنما تفهقراً في نوعية مردود السلوك الإنجابي.

## ثالثا- أهداف الدراسة:

### 1. الهدف العام:

- يمثل الهدف الرئيسي للدراسة فيكشف العلاقة (الأثر) بين متغيري الوضعية الصحية والسلوك الإنجابي في الأسرة الجزائرية.
- معرفة أثر الظروف (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية) على الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية في علاقتها بالسلوك الإنجابي.

### 2. الأهداف الفرعية: أما الأهداف الفرعية فتشمل ما يأتي:

- رصد أهم العوامل المؤثرة على السلوك الإنجابي في الأسرة الجزائرية.
- التعرف على مستوى الثقافة الصحية والتربية الصحية في الأسرة الجزائرية وعلاقتها بالسلوك الإنجابي.
- تشخيص الوضعية الصحية وخاصة المتابعة العلاجية (المتابعة الطبية) لعينة من مراكز العلاج والولادة (الأم والطفل) وعيادات الطب النسوي، ومنه تقصى بعض الأمراض المستعصية، التي قد تصيب الأمهات وتؤثر قسرا على السلوك الإنجابي لديهن، مثل (الإصابة بداء السرطان، داء السكري، الربو، والضغط الدموي).
- التعرف على نوعية ومستوى الخدمات الصحية والتكفل الصحي ونوعية ومستوى الرعاية الصحية التي توفرها مراكز الأمومة والطفولة لمجتمع الدراسة.
- اقتراح الحلول العملية وتوفير مختلف الطرق والأساليب الأكثر عملية لنشر الوعي الصحي في الوسط الأسري بالمجتمع المحلي.

## رابعا- المفاهيم الإجرائية:

- **الصحة العامة:** تعبر عن حالة شاملة من التوازن على الصعيد البدني (البيولوجي) والصعيد السيكولوجي (النفس)، والصعيد الاجتماعي (التكيف والاندماج)، توحى بانتفاء الخلل والنقص كالمرض والضعف، وتعين على تحقيق وبلورة مفهوم جيد عن الذات داخل البيئة التي تنتمي إليها وتعيش فيها، كما وتكشف على درجة كبيرة من التكامل والاستقرار والمردود.

- **المجتمع المحلي:** جماعة من الأفراد يشكلون بناء اجتماعيا متميزا بعدة مواصفات وخصائص (قد تكون مورفولوجية وايكولوجية أو عرقية وثقافية ودينية)، وتركيبا علائقيا متكاملًا، يتقاسمون فضاء جغرافيا، وكما هائلا من المصالح المشتركة والاهتمامات الثابتة والمتجددة، والأهداف المستقبلية الخاصة تحدد وترسم معالم مصيرهم المشترك.
- **الثقافة الصحية:** عبارة عن العملية، التي من خلالها، يقوم المجتمع بتنمية أفرادها بالاتجاهات المهمة؛ لإعدادهم لحياة صحية أفضل على الصعيد البيولوجي والنفسي والاجتماعي، والعمل على تزويدهم وشحنهم برصيد كاف من المعلومات والخبرات في مجال الممارسات الصحية، وتعليمهم آليات الوقاية، وأساليب وطرق التعامل مع مختلف المشكلات الصحية، وهذا بالاستناد إلى مصادر الثقافة (الدين والعرف الاجتماعي) والمعرفة العلمية (الطبية والصحية).
- **السلوك الإنجابي:** يعكس اتجاه وتصرف الأسرة (الزوجان) حيال مجموعة من المتغيرات، من حيث الغاية من الإنجاب، وعدد ونوع الأطفال المرغوب في إنجابهم، وهذا يتحدد في ضوء مجموعة من العوامل والظروف والاعتبارات، التي قد تتدخل قسرا أحيانا، لتتحكم في السلوك الإنجابي ودرجة الإقبال عليه، كالوضعية الصحية للوالدين، خروج الأم للعمل، المقدرة الاقتصادية، ودرجة الالتزام بتعاليم الدين وغيرها.
- **الأسرة الجزائرية:** عبارة عن منشأة اجتماعية نووية، تضم رجل وامرأة، تربطها علاقة كاملة، مؤطرة رسميا من الناحية الشرعية والقانونية والأخلاقية والاجتماعية، يعيشان في مسكن واحد، ويتقاسمان ويمارسان مجموعة من الأدوار والوظائف المتعددة، أهمها الوظيفة البيولوجية، والإنجابية، والنفسية، والتربوية، والاقتصادية والدينية، والاجتماعية والثقافية، والوطنية.

## خامسا – الإجراءات المنهجية للدراسة:

### 1. فرضيات ونموذج الدراسة:

- تؤدي سياسة تنظيم النسل إلى تخفيض معدل الإنجاب في الأسرة الجزائرية.
- يؤدي التأخر في السن عند الزواج إلى تخفيض معدل الإنجاب في الأسرة الجزائرية.

- يؤدي سوء التكفل الصحي إلى تخفيض معدل الإنجاب في الأسرة الجزائرية.
- تؤدي الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى تخفيض معدل الإنجاب في الأسرة الجزائرية.

## 2. مجتمع الدراسة:

- المجال الجغرافي للدراسة: اعتمدنا مجالين من مجتمع الدراسة هما:

قطاع عمومي: اخترنا مستشفى الأم والطفل 'الباز' بمدينة سطيف عن قصد، لكونه أكبر المراكز على مستوى الولاية، إذ يضم 1058 سرير، ويستوعب أحيانا في الحالات الاضطرارية أكثر من هذا العدد، بمعدل إمرتان في سرير واحد، ووليدتين في سرير واحد. قطاع خاص، تم سحب عينة عشوائية منتظمة؛ قدرت ب 05 من مجموع 20 عيادة متخصصة في معالجة الامراض النسوية، كائنة بمدينة سطيف، ما يعني نسبة 25 بالمائة.

- المجال البشري للدراسة: الأسرة الجزائرية في المجتمع المحلي بمدينة سطيف.
- المجال الزمني للدراسة: من (يوم الخميس 2016/10/06) إلى (2016/10/25).

## 3. العينة: ثمة مستويين:

- المستوي الأول: عينة عشوائية عرضية من النساء الحوامل؛ المتابعات للحمل ولل علاج بالعيادات الطبية للطب النسوي بالقطاع الخاص، والكائنة بمدينة سطيف، وقدر حجم العينة فيها ب(30) حالة.

- المستوي الثاني: عينة عرضية من النساء الحوامل، المتابعات للعلاج وايضا المقيمت لسبب وضع مولودهن في المستشفى العمومي "الأم والطفل"، الكائن بالباز بمدينة سطيف، وحجمها (30) حالة.

## 4. نوع الدراسة والمنهج: تنتظم الدراسة الحالية ضمن نطاق الدراسات

الاستطلاعية، وتتبنى المنهج الوصفي، اشتملت على مرحلتين:

- المرحلة الأولى، إجراء دراسة استطلاعية أولية، غير رسمية خلال الفترة (13 - 14 سبتمبر 2016)،
- المرحلة الثانية، إجراء دراسة استطلاعية أساسية رسمية، ابتداء من (6 أكتوبر 2016).

## 5. الأدوات المنهجية المعتمدة:

- المقابلة المباشرة، تمت مع كل من: السيدة رئيس مصلحة الطب النسوي (قاعة العلاج) (Gynéco) يوم 15 سبتمبر 2016. السيد مدير مديرية الصحة العامة بولاية سطيف، يوم الاثنين الموافق ل 10 أكتوبر 2016 على الساعة الثانية والنصف زوالا. عينة من أعضاء الفريق الطبي (طبيبات وقابلات وممرضات)، تمت خلال زيارتنا غير الرسمية وغير المنتظمة.
- الملاحظة العلمية البسيطة، عينة من الأمهات، الوافدات على العيادة والمركز لغرض المتابعة.
- استمارة استبيان:

## 6. الوسائل والوسائط المعتمدة:

- الوسائل: الميزانية المالية الخاصة طبع وسحب الاستمارات، إضافة إلى البريد الإلكتروني والهاتف ووسيلة النقل الشخصية.
- الوسائط البشرية: مساعدون مدربون لتطبيق استمارة الاستبيان.

## سادسا- المعالجة السوسولوجية للنتائج العامة:

1. مناقشة النتائج الجزئية في ضوء أهداف البحوث التراث النظري والدراسات السابقة:
- المحور الأول: أثر سياسة تنظيم النسل في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية بمدينة سطيف:

بناء على المعطيات النظرية والميدانية؛ أتصور أن فلسفة الإنجاب في العالم العربي، ومثله الجزائر، تهض على عديد ركائز، في صورة اعتبارات سوسيو- ثقافية، تحفز على الزواج وعلى الإنجاب في الأسرة وهي لا تخرج عما يلي:

الإنجاب لغرض التفاخر الاجتماعي: يقول تعالى: ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا))<sup>17</sup> سورة الكهف، الآية. هذا يتجلى واقعا في حب المرأة الولود، وتفضيلها على المرأة العقيم أو قليلة الإنجاب، وأيضا تفضيل الأبناء الذكور على الأبناء الإناث، ومنه تقليد وأدهن قديما في المجتمع العربي.

الإنجاب لغرض التسلية: "الأولاد ونس في الدنيا" "ينحيو ضيقة الروح"  
"يديولوجيا مومونس في الدار".

الإنجاب لتوفير الحماية: عند اشتداد الخطب، وعند تأزم الوضع الأسري، وعند انتفاء الأمان؛ يشكل الأولاد، لاسيما الذكور منهم، صمام الأمان، إنهم، بحق، ذخيرة بشرية على قدر كبير من الأهمية، بتوفيرهم الحماية والدفاع ومقاومة الظروف والأزمات التي تعصف بأسرهم، مثلهم في ذلك، كمثل الجنود الذين يستبسلون ويقدمون أرواحهم فداء للوطن.

الإنجاب لغرض التكفل والرعاية: عند تقدم العمر، والضعف يحتاج الإنسان إلى من يتكفل به ويرعاه، ويوفر له إمدادات ضرورية للبقاء والإبقاء على كرامته وصيته ومكانته في الوسط القرابي والاجتماعي. "ففي مجتمعات الصيد ولادة الصبي زيادة مستقبلية في عدد الصيادين بينما تعنى ولادة البنت زيادة من هم من غير الصيادين، وإذا ما ازداد الضغط السكاني على مصادر الغذاء لدرجة حرجة، فإن القبيلة تعتمد عندها إلى وأد البنات، وعلى الرغم من كون الإبادة المقصودة للمواليد البنات عملية وحشية في حد ذاتها؛ فإن البديل الوحيد لذلك هو تجويع المجتمع بأكمله"<sup>18</sup>.

وهذا يتوافق إلى حد كبير مع نتائج إحدى الدراسات حول الموضوع، حيث كشفت دراسة مسحية حديثة<sup>19</sup> قام بها عدد من الأكاديميين الجزائريين عن تنامي ظاهرة عمالة الأطفال في الجزائر، حيث بلغ عددهم حسب هذه الدراسة 1.8 مليون طفل مقحم في سوق الشغل، موزعين حسب بعض المتغيرات الديمغرافية كما يلي:

العدد	العمر 13-6 سنة	الإناث	السن لا يتعدى 15 سنة	أيتام الأب والأم	مناطق ريفية
1.8 مليون	1.3 مليون	56%	28%	15.4%	52.1%

كما أشار المسح الأول لهذه الدراسة أن عددا معتبرا من الأسر المستجوبين اقروا بعلمهم بانخراط أطفالهم في مختلف الأعمال الشاقة للمساعدة المنزلية". وفي هذا الصدد أجمع كثير من الكتاب في المجتمع العربي أمثال هشام شرابي، على زعبور، محمد جواد رضا، مصطفى صفوان، محمد حجازي. إن الأسرة وحدة اجتماعية تنتمي إلى طبقة اجتماعية ليست

ذات طبيعة واحدة وتتوجه بنسق ثقافي يتقارب مع الثقافة العامة، ولكي لا يفقد خاصيته، ومما يغلب على الثقافة الأسرية أن الطفل يلعب به ولا يلاعب، فهو أداة للتسلية، وكثيرا من الأمهات اللواتي ينجبن في سن متأخرة ينجبن بدعوى أن الطفل يسلمين<sup>20</sup>.

### • المحور الثاني: أثر متغير السن في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية بمدينة سطيف:

معلوم أن التأخر في معدل الزواج في الجزائر يعزى إلى ارتفاع نسبة الإقبال على التعليم لاسيما في أوساط البنات، ورغبتهم في استكمال دراستهن الجامعية والدراسات العليا، إلى جانب البحث عن العمل، ضائنا للاستقلال الاقتصادي، ومنه لا نستغرب أن يكون متوسط العمر عند الزواج لدى النساء هو 31 سنة حسب إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء.

غير أن معدل الخصوبة لدى النساء خلال هذه المرحلة العمرية، يأخذ في الانخفاض تدريجيا، وبالنظر إلى الصعوبات المادية والاجتماعية، وضعف الثقافة الصحية في الوسط الأسري؛ فإنه يلاحظ أن الإنجاب لأول مرة تعترض سبيله جملة صعوبات صحية، ما يستعدي متابعة طبية، ليتسنى الحمل. وهذا وإن كان في تقديري أمرا مريبا يدعو إلى الدهشة ويدفع إلى ضرورة التدبر؛ فإن ما يدعو إلى الخوف حقا هو تعرض نسبة معتبرة من النساء خلال تجربتهن الأولى في الحمل إلى عملية الإجهاض، أو الولادة القيصرية. ولنا هنا أن نتساءل ما إذا كانت ثمة استراتيجية معينة تستهدف خفض نسبة الخصوبة كرها، وأخذ بقرار تقليص حجم الولادات كي تناسب طردا وحجم الوفيات حسب القواعد والقوانين الاقتصادية. في ظل استشراق وتوقعات بعض الدراسات العالمية، إذ "تنبأت دراسة لدراسة الشؤون الاقتصادية للأمم المتحدة ببلوغ سكان العالم الـ 10ملياري نسمة سنة 2015.. وتعد الجزائر، من الدول التي تلجا إلى نساؤها إلى خفض الخصوبة عند الإنجاب، بالرغم من أنها تسجل تزايدا مضاعفا في نمو السكان كل 50 سنة.. لكن الدراسة تتحفظ بشأن النمو الديمغرافي في الجزائر، بالنظر إلى الظروف التي تعيشها والمتغيرات الجارية على الصعيد الاجتماعي، والمتضمنة للقدرة الشرائية والتقاليد الأسرية وميادين أخرى"<sup>21</sup>.

كما أفادت دراسة ميدانية حديثة<sup>22</sup> حول الظروف السوسو-اجتماعية للمصابين بداء السرطان، أن أغلب المصابين بهذا الداء من أفراد العينة هن من فئة النساء، وأغلبهن أمهات لأطفال، يزيد عددهم عن ثلاثة أطفال لكل امرأة كحد متوسط، وأنهن أصبن بهذا المرض خلال مرحلة الأربعينيات، كما أصيبت نسبة معتبرة منهن بداء السكري وارتفاع الضغط الدموي استباقا، وصرحن باستهلاكهن لحبوب منع الحمل، ويعتقدن أنها السبب الرئيس في إصابتهن بمرض السرطان.

### • المحور الثالث: أثر سوء التكفل الصحي في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية بمدينة سطيف:

رغم أن جهود الدولة الجزائرية فيما يتعلق بالإنفاق على الصحة والخدمات الصحية، كإنشاء الهياكل الصحية واستيراد المعدات والتجهيزات الضرورية للعلاج والعناية والجراحة، زيادة على مساعيها بتوفير وسائل منع الحمل؛ متواصلة غير أن سياساتها بدت متذبذبة، وخارج نطاق السيطرة والتحكم، كما أن أهدافها المسطرة ضمن المخططات التنموية، لم تحظى بالقدر الوافي من الانجاز، وهذا مما لاشك فيه، يعود لأسباب عديدة، منها سوء التسيير، نقص فادح في عدد التجهيزات والمعدات، الخاصة بعملية التوليد وايضا لإجراء العمليات الجراحية في حالات الولادة القيصرية، وكذلك ندرة مرافقة في حجم الموارد البشرية المتخصصة، من أطباء أكفاء، وجراحين متمرسين، وقابلات ذوات تكوين علمي وتدريب وكفاءة عالية، الى جانب مرضات؛ ذات تأهيل في المعاملة الحسنة وحسن الاستقبال، هذا كله مقابل عدد كبير جدا جدا يفوق الخيال، من المقبلين على طلب خدمات الامومة والطفولة، بالمراكز الصحية العمومية بالمدينة.

حيث بلغ عدد الولادات بمستشفى الباز بمدينة سطيف خلال سنة 2015 ما تم تسجيله بـ 48211 طفل على قيد الحياة فقط، بينما يتسع هذا المستشفى لـ 1058 سرير.

قد علمنا من مجمل المقابلات التي قمنا بإجرائها، ان اغلب الحوامل اللواتي يقصدن المستشفى يكون غرضهن انما هو الولادة وليس للعلاج أو الجراحة، حيث تفضلن العيادات الخاصة. وهذا مرده الى تلك المعاناة العصبية التي تعانيها النساء في القطاع العام،

حيث لاحظنا وجود امرأتين في سرير واحد وطفلين في سرير واحد، ما يزيد عن وجود ستة امهات نوافس، و6 اطفال في غرفة واحدة، مع عدم النظافة، وقلة التهوية، تسرب المياه بسبب قلة الصيانة، الروائح الكريهة، ناهيك عن الوجبات غير الشهيية، ولا المعاملة غير الانسانية الا في حدود ضيقة.

وعلى الرغم مما يحظى به المجتمع حاليا من اهتمام دولي بالعناية بالصحة وقضاياها، والسعي لتوفير افضل مستوى للعيش، الى جانب محاصرة الامراض الفتاكة بحياة البشر، غير ان واقع الصحة العمومية في تدهور مستمر، والامراض في انتشار وتطور مستمر، وهذا قد يؤول تفسيره الى عديد اسباب وعوامل تتضافر لتفرز وضع غير متوقع وغير مرغوب فيه.

فالنظام الغذائى قد يكون هو المتهم الاول في تفهقر الوضع الصحى العام فى المجتمع، فسوء التغذية ونقص التغذية، والتغذية غير الصحية، والثقافة غير الصحية، واللاوعى صحى، كلها مترادفات تعمل بوافق تام، لإضعاف نوعية السلالة البشرية من حيث امكاناتها البيولوجية، ومقدراتها العقلية، وقد قيل قديما العقل السليم فى الجسم السليم، والام السليمة قوية البنية هى ام مثالية من المؤكد انها مصنع لإنتاج نسل قوي البنية الجسدية والمقدرة العقلية.

فرغم تطور رفاهية الحياة وسهولة العيش، وتنوع مصادر البهجة فيها، فان مصادر الالم أيضا تعددت وتنوعت، اذ غدت الأغذية الجاهزة الشهية والسريعة، مصدرا لإثارة المخاوف والقلق، ليس هذا فحسب، بل ايضا امتداد المشكلة الى طرق زراعتها وتعهدها بالسقى والرعاية الكيمايية، ثم كيفيات وظروف تصنيعها ومواد حفظها ثم شروط تسويقها وتخزينها. الامر الذي ليس فى وسعى أحد من المستهلكين تجنبه والاستغناء عنه. فاذا ما اضفنا الاشارة الى تجار الفساد المستهدفين للكسب السريع بطرق غير اخلاقية، صار لدينا تصورا شموليا عن مأساوية الوضع الصحى ومالاته الخطيرة فى مستقبل الجزائريين.

فهناك لحوم فاسدة، وأجبان متعفنة، وخل مغشوش، ومشروبات مُتفريسة، وحلويات ومثلجات مسممة، ومواد غذائية منتهية الصلاحية يتم تزييف تواريخها، ولحوم

حمير وقططة يتم فرمها وتزوير بطاقتها، ومنتجات مقلدة سيقت الى المستهلكين على أنها أصلية، فأصبح الامر كله عادي حتى في تقليد الدواء الكيميائي والبدائل الطبيعية المستخدمة في العلاج.

ان جوهر المشكلة تكمن الى جانب ضعف اليات الرقابة في استثناء ظاهرة الفساد واستقواء منابه، واستحكامه في الاقتصاد الوطني عبر عمليات الترويج والتسويق والتوزيع، وهي عمليات واليات لا يستطيعها إلا أصحاب رؤوس الأموال وأرباب المعامل والمؤسسات، بالتساند والتعاون واصحاب القرار في البلاد. فحسب تصريح السيد مصطفى زبدي، رئيس جمعية حماية وارشاد المستهلك في الجزائر<sup>23</sup>، فانالمواطن الجزائري غير محمي في مصالحه الصحية، حيث يتم الاعتماد في ضمان سلامة المواد الغذائية المستوردة عند خروجها من مؤسسات تصنيعها، على الوثائق التي يأتي بها المصنعون الاجانب وهم ليسوا بالملائكة، وتعتمد على مخبر اجنبية هناك، لسبيين، هما:

1. نقص المخبر الخاصة بإجراء التحاليل الفيزيو-كيميائية للمواد الغذائية، حيث يبلغ عددها وطنيا 200 مخبر منها 24 مخبر عمومي فقط.
2. نقص الرقابة وفساد جهازها على مستوى وزارة التجارة.

وفي مقابل ذلك نجد ان حصيلة الرقابة حسب تصريح السيد كمال بوخداش المدير الفرعي لمديرية التحقيقات التابع لوزارة التجارة، أن حصيلة الرقابة لتقليص الخطر الغذائي قدرت بـ 14394، كما ان عدد المحاضر بلغ 2226 محضر للمخالفات القانونية والمحددة بمقتضى القانون رقم 0.03 المتعلق بحماية المستهلك الجزائري.

ولا يفلت الدواء المستهلك بكل أشكاله عن إدائه؛ بتقهقر الصحة لعدم فعاليته في العلاج. فأغلب الاطباء المتخصصين، الذين تقابلنا معهم، صرحوا بكونأغلب الأدوية انماتعالج الاعراض فقط ولا تقضى على مصدر العلل، ما يعني أن استدامة استهلاكه بالنسبة للمرضى الذين يعانون من امراض مزمنة؛ تخلق لديهم مشاكل صحية جديدة واضافية، بسبب اعراضهاالجانبية وتأثيراتها غير مرغوبة، فهذا يعني من جهة ثانية، ان المرضى

سينتحولون الى حقائق بيولوجية، مملوءة بالأمراض وتداعياتها، وان حياتهم كلها ستتحول الى حжим..

واذا تساءلنا عن السبب وحق لنا السؤال، فان الجواب الذي قد لا يعجب المسؤولين، هو ان المشكلة تكمن في نوعية الدواء نفسه، ومصادر تصنيعه وطرق استجلابه، دون أن ننسى ما يسمى بالأدوية الجنيسة المصنعة محليا، حيث أضحي شائعا أن "شرب الدواء كمشرب الماء"، غير ان الماء يتيقك على قيد الحياة، بينما الدواء يجعل لحياتك قيودا.

#### • المحور الرابع: اثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية بمدينة سطيف:

لم يعد أمرا ممكنا اعتبار العامل اقتصادي من حيث الدخل الأسري والمقدرة الشرائية من العوامل الأكثر أثرا في السلوك الإنجابي من الوضعية الصحية للأسرة الجزائرية، حيث سجلنا تدهور عام للوضع الصحي للجيل الجديد من الأمهات، كما أن تعرض أغلبهن للولادة القيصرية في أول تجربة حمل لديهن، تدخل في خفض معدل الانجاب تواليا، كما أن التوسع في دائرة انتشار الأمراض الوراثية لاسيما داء السكري وسرطان الثدي، باعتبار ان ولاية سطيف تحتل المرتبة الاولى وطنيا، حيث تعرف 4000 حالة تقريبا سنويا، أثر في السلوك الإنجابي لدى مختلف الاسر وتسبب في انخفاض معدلات الانجاب، ناهيك عن الوفيات في أوساط النساء والمواليد عند الولادة، حيث تم تسجيل 26 حالة وفاة لسنة 2016 لدى الاطفال ونسبة

كما أن نزوع الأسرة الجزائرية على وجه العموم نحو التدين وادراكها لموقف الاسلام من تحديد النسل، وانزاله حكم التحريم واعتبار الاجهاض العمدي أو التحديد جريمة قتل، عُد عاملا لا يقل أهمية عما سبق، من حيث أثره كدافع محفز، في الاقبال على الانجاب ومن ثم المساهمة في رفع معدل الخصوبة، ما ترتب عنه عرقلة جهود الدولة فيما يخص سياسة تنظيم النسل. كما لا تزال التعاليم العرفية تفرض سلطانها في اتجاه الأسرة نحو كثرة الانجاب، حيث يشكل النسل صمام الامان بالنسبة للكثير من الأمهات، اللواتي يرفضن فكرة

الانفصال أو الطلاق، ويرغب في استمرار العلاقة الزوجية والحفاظ عليها، كما أن فائدة النسل المتمثلة في رعاية الآباء عند كبرهم وحمايتهم والتكفل بهم، يعد مطلباً ضرورياً لضمان الأمان والاستقرار وتحقيق شيخوخة كريمة.

وتبقى العوامل الاقتصادية والاجتماعية؛ كعامل يؤثر بشكل غير مباشر في تدهور الوضعية الصحية أكثر من أثره في السلوك الإنجابي نفسه.

### النتائج العامة: توصلت الدراسة الحالية الى رصد النتائج العامة الآتية:

- تحقق الفرضية الأولى بدرجة فوق المتوسط؛ حيث ثبت أن سياسة تنظيم النسل تؤثر بدرجة فوق المتوسط في السلوك الإنجابي للأسرة الجزائرية، بفعل تدخل العوامل السوسيو- ثقافية والاعتبارات العرفية، لاسيما الموقف الديني من سياسة تحديد وتنظيم النسل.
- تحقق الفرضية الثانية بدرجة معتبرة؛ من حيث ثبوت أثر متغير السن في السلوك الإنجابي في الأسرة الجزائرية بمدينة سطيف، من حيث التأخر في الزواج لدى الذكور والإناث خاصة، بفعل انتشار ومتابعة التعليم والاندماج في الحياة المهنية بالنسبة للعنصر النسوي، ناهيك عن البطالة وتدهور الحياة الاقتصادية للمجتمع.
- تحقق الفرضية الثالثة بدرجة كبيرة جداً؛ انطلاقاً من تأكيد الأثر السلبي لسوء التكفل الصحي في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية، نتيجة لقلة الفريق الطبي وانخفاض مستويات الخدمات الصحية، مقابل الحجم الكبير والمتزايد للأمهات والأطفال ممن هن في حاجة إلى رعاية ومتابعة وعلاج طبي.
- كما توصلت الدراسة إلى رصد أكثر الظروف والعوامل أثراً في السلوك الإنجابي لدى الأسرة الجزائرية بمدينة سطيف وفق الترتيب الآتي: الظروف والعوامل الصحية تحتل المرتبة الأولى، ثم تليها الظروف والعوامل الدينية والاعتبارات الاجتماعية، ثم الظروف والعوامل الاقتصادية والاجتماعية..

## خاتمة وتوصيات:

الزواج مسؤولية دينية وأخلاقية واجتماعية وانسانية وحضارية؛ يجب أن نعطيها قدرها من الاحترام الكامل، وليس مجرد مرحلة نعبها أو خطوة نخطوها في حياتنا، أو هي تقليد أعمى لأسلافنا أو موضحة في حاضرنا واجب اقتفاء أثرها، وفي ختام هذه الدراسة تم رصد بعض المؤشرات التي يجب أخذها بعين الاعتبار بوصفها مؤشرات تميظ اللثام عن حقائق وعن تداعيات، إن لم يتم تداركها عبر رؤية إستراتيجية محكمة، سيتمخض عنها عديد آثار سلبية تضر بمستقبل الجزائريين دولة وشعبا، أهمها:

### • على الصعيد الصحي والسياسي:

1. الاهتمام بتحسين مستويات الصحة من خلال سياسة صحية تأخذ بعين الاعتبار الموازنة بين حجم احتياجات المجتمع وحجم الطاقم والرفيق الطبي والخدمات الصحية سواء في القطاع العمومي أو القطاع الخاص.
2. نشر الوعي الصحي، وتدعيم عمليات التحسيس الطبي، وتفعيل الزيارات الميدانية والصحة الجوارية، عبر جميع التجمعات السكنية والأحياء دون استثناء. والاعتناء أكثر بالصحة المدرسية في جميع المستويات.
3. الاهتمام بالأمن الغذائي، وتوفير كافة شروط الأمان وضمان الاستهلاك الصحي للمواطن الجزائري، من حيث الماء الشروب، ونتاج المواد الغذائية الموسمية الطازجة محليا ومراعاة الظروف الطبيعية في فلاحتها ونتاجها، ومصادرة أسباب التلوث البيئي من حيث مكافحة تلوث الهواء، وتصريف النفايات بطريقة صحية، وقنوات الصرف الصحي، وغيرها.
4. تشييد مخبر لمراقبة المواد الغذائية المستوردة وأيضا المنتوجات الوطنية المحلية، من حيث مدة الصلاحية والآثار الجانبية للمواد الحافظة والأصبغ الكيميائية ومكافحة الغش الغذائي، وغيرها.
5. سياسة التنظيم يجب أن تهض على أسس اختيار صحية لوسائل منع الحمل؛ خالية من الأضرار الجانبية ولا يجب أن تتسبب في الإصابة بأمراض للأمهات كالقلق والسرطان، ولا الأولاد كالضعف الصحي ومنه هشاشة الجهاز المناعي.

• على الصعيد التربوي والاجتماعي:

1. التنشئة الأسرية الجيدة وفق نموذج الشرع والقانون على حد سواء، وإدراك المعاني السامية من عملية الإنجاب والنسل، وتحسينها بالثقافة في مجال التربية الإسلامية، حيث الأساليب والطرق العلمية والشرعية الصحيحة وفق الهدي النبوي.
2. الإرشاد الأسري في مرحلة ما قبل الزواج، يعد ضرورة لتسوية الخلافات والمشاكل الزوجية وتوفير أفضل بيئة اجتماعية لتنمية وتربية الأبناء.
3. اقتضاء شمول التعليم الرسمي على ما يمكن أن ينتفع به في الحياة الشخصية للمتعلمين وليس فحسب الإعداد للحياة المهنية المحضة.

## المراجع والهوامش:

- 11 احمد فايز العباس: الخدمة الاجتماعية الطبية، الطبعة الأولى، دار النهضة، بيروت، 2000، ص 49.
- 12 ولبلر شراف: **أزمة الإعلام والتنمية الوطنية**، ترجمة: محمد فتحي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص 157.
- 13 أميرة منصور يوسف علي: **الدخل الاجتماعي للمجالات الصحية الطبية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص 26.
- 14 إسمايل عبد الفتاح عبد الكافي: **الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية (عربي- إنجليزي)**، www.kotobarabia.com، المرجع السابق ص، 164
- 15 ماجد رمضان خاجة: "خصائص التشريع الأسري في الإسلام"، مجلة الإحياء، جامعة الحاج لخضر - باتنة، العدد 15، ص 325-326.
- 16 حورية تاغلايت: **المنهج الأسلم في الفتوى في العصر الحاضر**، مجلة الأحياء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، العدد الخامس عشر، 2012، ص 184.
- 17 نادية عيشور: "النظام الأسري بين أسس الاستقرار ومؤشرات الصراع"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 27، 2006، ص 95.
- 18 ماجد رمضان خاجة: مرجع سابق، ص 334.
- 19 نبيل محمد توفيق السالوطني: **المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع**، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، الطبعة الثانية، جدة، دار الشروق، 1985، ص: 74.
- 10 المرجع نفسه، ص 338.
- 11 موسى محمود أبو حوسة: مرجع سابق، ص 239.
- 12 المعهد العالمي للفكر الإسلامي: **الدليل الإحصائي للعالم الإسلامي، مؤشرات مقارنة**، إشراف: رفعت السيد العوضي، الإصدار الثاني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007.
- 13 المعهد العالمي للفكر الإسلامي: مرجع سابق، ص ص: 225-228.
- 14 ديباجة مؤتمر دولي حول: **الطفولة المعنفة، نحو فهم، رعاية ووقاية**، تنظم جامعة البليدة 2، سيعقد يومي: 7-8-2017، نشر في موقع شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، انظر: شبكة ضياء | سبتمبر 25، 2016 الساعة 11:24 ص | الرابط- http://wp.me/pXq4o-89i، تاريخ التصفح: 30 سبتمبر 2016، الساعة: 10.42 د.
- 15 انظر إلى إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء حول **تطور معدلات الخصوبة في الجزائر**: Papfam(\*\*)،RGPH(\*) : source http://www.ons.dz/Démographie-hml الموقع 98
- 16 **ديموغرافيا الجزائر 2014** / مديرية الصحة العمومية بولاية سطيف : وثائق إحصائية، 2015-2016.
- 17 تفسير الآية: يقول القاسمي رحمه الله في تفسيرها: (( الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وذلك لإعانتها فيها، ووجود الشرف بها. ثم أشار إلى أنها ليسا من أسباب الشرف الأخرى، إذ لا يحتاج فيها إليها، بقوله: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً أي والأعمال التي تبقى ثمراتها الأخرى، من الاعتقادات والأخلاق والعبادات الكاملات، خير عند ربك من المال والبنين، في الجزء

والفائدة وخير مما يتعلق بها من الأمل. فإن ما ينال بها من الآمال الدنيوية، أمرها إلى الزوال. وما ينال بالباقيات الصالحات من منازل القرب الرباني والنعم الأبدية، لا يزول ولا يحول. انظر:

<http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=140701>

18 موسى محمود أبو حوسة: **دراسات في علم الاجتماع الأسري**، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2001، ص 238.

19 نقلا عن: جابر نصر الدين وتاوريت نور الدين: **"الطفولة في الجزائر، نظرة استشرافية"**، دفاتر المخبر، الطفولة في الجزائر. نظرة استشرافية، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، العدد الثالث، (أكتوبر 2008)، ص 140.

20 لطيفة طبال: **"نماذج من التنشئة الأسرية في الأسرة الجزائرية"**، دفاتر المخبر، الطفولة في الجزائر. نظرة استشرافية، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، العدد الثامن، (أفريل 2011)، ص 120.

21 عبد النور محنين: **"معدل الخصوبة لدى النساء يتحكم في النمو السكاني بالجزائر"**، نشر في 25.9. 2010، الموقع: <http://www.djazairss.com/alfadjr/161721>، تاريخ التصفح: 1 أكتوبر 2016 الساعة الثالثة مساء.

22 نادية سعيد عيشور: **الظروف السوسيو اجتماعية وعلاقتها بالوضعية الصحية للمصابين بداء السرطان**، دراسة ميدانية بمدينة سطيف، قيد الطبع، تمت بمركز مكافحة السرطان -الباز - سطيف خلال الفترة (2015-2016)، وطبقت على عينة عرضية، قدرت ب 400 حالة من مجموع 40000 (أي بنسبة 0.10%).

23 قناة دزاير نيوز، برنامج **النقاش الاقتصادي**، يوم الاثنين 10 أكتوبر 2016 على الساعة التاسعة مساء.



## أثر تغير وظائف الأسرة الحضرية على نمط الزواج عند الفتاة الجزائرية

- دراسة وصفية لنمط الزواج الحديث في المجتمع الحضري -

أ.د. دلاسي أحمد جامعة الاغواط- الجزائر

### Résumé :

*Ces développements modernes ont touché un ensemble de relations et de fonctions propres à la famille et ses membres, et surtout la famille urbaine qui est contrôlée par un ensemble de techniques modernes (technologie et communications numériques), qui contribuent à la diffusion du flux culturel technologique importé de sorte qu'il a imposé une nouvelle mode pendant les saisons de mariage représentée dans la consommation moderne, les frais, la salles des fêtes et tous les cérémonials inclus en général.*

### الملخص:

لقد مست هذه التطورات الحديثة جملة العلاقات والوظائف الخاصة بالأسرة وأفرادها، خاصة منها الأسرة الحضرية والتي تتحكم فيها جملة التقنيات الحديثة من تكنولوجيا واتصالات رقمية جديدة، تساهم في انتشار المد الثقافي التكنولوجي المستورد بحيث فرض موضة جديدة خلال مواسم الزواج تتمثل في الاستهلاك الاقتصادي الحديث والتكاليف المادية وقاعة الحفلات والمراسيم الداخلة في مجملها.

## مقدمة:

لقد شكلت الأسرة منذ القدم وحتى الآن نواة المجتمع وركيزتها الأساسية حيث تعد من أهم الجماعات الإنسانية تأثيرا في حياة الأفراد، ذلك من خلال قيامها بجملة من الوظائف التي تتداخل وتتفاعل مع أبنية المجتمع الأخرى، حيث عملت هذه الوظائف على بقائها واستمرارها .

وقد أجمعت مجمل الدراسات والإسهامات العلمية لمختلف علماء الاجتماع على أهمية هذه الوظائف ودورها في تغير بعض العلاقات الاجتماعية والأدوار وأشكال الترابط الاجتماعي الذي يحيط بالأسرة عامة. ويعتبر الزواج أهم علاقة اجتماعية يستطيع كل من الرجل و المرأة تكوين مؤسسة اجتماعية أسرية تشمل الأبناء. ومع التطورات الحديثة والتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية التي صاحبت السياق العالمي الحديث و ما شمله من سلوكات تتماشى مع العصرية بوسائلها الفنية والأيدولوجية كثقافة جديدة طبعت شكل العلاقات الأسرية في الوسط الحضاري بطابع جديد يختلف عن الموروث الوطني و بالتالي أصبح نموذج الأسرة متغيرا، ومعه شكل الزواج متغيرا أيضا، لذلك شاء في المجتمع الحضري النمط النواتي الحديث الذي يتواجد في معظم المجتمعات الحضرية.

وبحكم الظروف والعوامل الحضرية والتي في مقدمتها وسائل الاتصال بشتى أنواعها أصبح الزواج له أشكال و أنماط مختلفة، ولذلك نود تناول موضوع التغيرات الوظيفية في الأسرة لفهم طبيعة العلاقات و أنماط التفاعل الاجتماعي التي تشكل منظومة القيم والروابط و الممارسات التي تصدر عن الأسرة النواتية الحالية و خاصة بعض المواضيع الهامة المرتبطة بالأبناء مثل نظام الزواج الحديث .

### 1. تحديد الإشكالية:

إن المجتمع الجزائري مجتمع فتى و متغير لدرجة كبيرة حيث نجد ان نمط الأسرة السائد هو الأسرة الممتدة، الذي تحول فيما بعد لنمط الأسرة النووية وذلك تبعاً لعوامل مختلفة، أهمها العامل الاقتصادي الذي يتمثل في تحول النشاط الاقتصادي من الزراعة (التي تعتمد على الأسرة كوحدة إنتاجية إلى النشاط المتعدد الأوجه) مثل ذلك حرفي، مهني، صناعي،

وهذا الذي يعتمد بالمقابل على الفرد كوحدة إنتاجية وليس على الأسرة، وكذلك نجد أن زيادة أفراد المجتمع وضيق المجال السكني أدى إلى تفتت الأسرة، وخروج بعض أفرادها للسكن خارج نطاقها وبالتالي ظهرت الأسرة النووية-أو الأسرة الحديثة أو الزوجية على حد قول دوركايم-بجانب الأسرة الممتدة وحدثت تغيرات عديدة سواء على المستوي البناء الأسري أو على مستوى وضائق الأسرة و التي لم تعد نفسها في الأسرة الممتدة، بالإضافة إلى تغير وسائل الاتصال و تطورها.

وقد ترتب على ذلك تغير في المفاهيم المرتبطة بالأسرة الجزائرية مثل مفهوم الزواج المفضل وحق اختيار الزوج، وكذلك طرأ تغير على وضع كل من المرأة والأسرة في المجتمع ككل، إلا أن هنالك مؤشرات تدل على أن هذا الأخير يتجه نحو أنماط مختلفة للزواج وخاصة عند الفتاة، وذلك نتيجة ارتفاع نسبة الوعي والتعليم بين أفراد المجتمع وتفضيلهم للزواج من خارج الأسرة للبعد عن الأمراض الوراثية مثلا، (أين كان الزواج الداخلي في المجتمع الجزائري من الأنماط المشاعة في وقت ما) كما أن مسألة الاختيار الزوجي أصبحت أمراً شخصياً يخص الفرد أكثر مما يخص الأسرة وذلك لإحساس الفرد بالاستقلالية ونوعاً من الفردانية كما أن اتساع دائرة علاقاته من خارج الأسرة يدفعه للبعد عنها وعن اختياراتها.

كما أن المجتمع الجزائري أضحي أكثر مرونة في تعامله مع المرأة من حيث حصولها على حقها في التعليم والعمل والزواج وقضاء حاجاتها الشخصية والتعبير عما يجول في خاطرها بكل حرية، وكذلك أصبح لها دور أساسي في الأسرة من حيث المشاركة الاقتصادية والاجتماعية ككل. كما أن وسائل الاتصال تلعب دوراً بارزاً من وجهة فهي كوسيلة اتصال أصبحت وسيلة بديلة للعلاقات الأولية التي يتميز بها مجتمعنا قديماً حيث أضعفت تلك العلاقات وأفسحت مجالاً للعلاقات الثانوية، أي أصبحت بالإمكان القول انه مجتمع حضري بنسبة كبيرة وتسود فيه الأسرة الحضرية أو النووية، ومن جهة أخرى كوسيلة لإدخال أفكار وثقافات ومفاهيم تكنولوجية جديدة لم يعمل المجتمع على احتساب أبعادها ومؤثراتها.

وبالحديث عن نمط الزواج في وقتنا الحاضر فان الشباب الذي يستهلك الثقافة الغربية و الأجنبية خاصة كل ما يتعلق بمجال الإعلام و الاتصال والتقنيات الحديثة، فنجد

أن نمط الزواج أيضا تأثر بكل هذا فحيث نجد من الشباب من يتزوج بطريقة حديثة وعصرية وذلك عبر احد المواقع الالكترونية الخاصة بإعلانات الزواج أو ما يسمى "الخاطبة الالكترونية"، حيث توفر هذه المواقع خدمات سريعة وجاهزة تجلب إليها العديد من الشبان و الشابات، بالإضافة إلى تجهيزات العرس والعروس التي أصبحت غالية ومتطلبة وتكتسي الطابع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة.

وقد مست هذه التطورات الحديثة جملة العلاقات والوظائف الخاصة بالأسرة وأفرادها، خاصة منها الأسرة الحضرية والتي تتحكم فيها جملة التقنيات الحديثة من تكنولوجيا واتصالات رقمية جديدة، تساهم في انتشار المد الثقافي التكنولوجي المستورد بحيث فرض موضة جديدة تتمثل في الاستهلاك الاقتصادي الحديث والتكاليف المادية وقاعة الحفلات والمراسيم الداخلة في مجملها.

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية :

- ما مدي تأثير تغير وظائف الأسرة الحضرية على نمط الزواج الحديث عند الفتاة الجزائرية؟
- أين تكمن قوة التأثير و الإقناع الإعلامي على طبيعة الأسرة الحديثة ؟
- ما هي الوسائل و الآليات التي بواسطتها يمكن التحكم في نظام الأسرة الجزائرية ؟

## 2. مفهوم الأسرة الجزائرية الحديثة، خصائصها:

### 1.2. مفهوم الأسرة الجزائرية النواة.

وتعرف الأسرة النواة بأنها " جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجة وأبناء غير بالغين وتقوم كوحدة مستقلة عن باقي المجتمع المحلي"، ويعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من أهم خصائص المجتمع الصناعي الحديث، لأنه يعبر عن الفردية التي تنعكس في حقوق الملكية والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردي<sup>1</sup>.

أما عن الأسرة الجزائرية فيقول الدكتور مصطفى بوتفوشنت: " إن الأسرة الجزائرية تختلف كثيرا عما كانت عليه قبل 30 سنة(في الستينات)، أين كان النمط السائد هو

العائلات الكبيرة التي تضم عدة أجيال من واحد إلى ثلاثة ما فوق، وهذا تبعاً لحدود السكن. لكن بعد 1977 تغير نمط الأسر بالجزائر نتيجة للتحويلات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية، إضافة إلى حركة التصنيع والعمران اللتان تبعتا النمو الحضري بالجزائر، وأصبح النمط السائد هو النمط الحديث أو النمط النووي<sup>2</sup>.

إذن الأسرة النووية هي ظاهرة شاملة لكونها متضمنة في جميع النظم الأسرية. وتحتوي في طبيعتها على الأب والأم والأبناء وبالإضافة إلى أم الزوج أو الزوجة، وهي من الأصناف المتمركزة في المدن الحضرية بشكل كبير سواء كان هذا في المجتمعات الغربية أو العربية أو بالجزائر، وخاصة لو تحدثنا عن بعض المجتمعات السكنية الحضرية بالعاصمة أو بوهران أو بقسنطينة.

## 2.2. خصائص الأسرة الجزائرية الزوجية المستحدثة أو النواة:

خضعت الأسرة الجزائرية إلى عدة دراسات حاولت إلقاء الضوء على بعض من خصائص بنيتها فهي تبقى غير كافية مقارنة مع أهمية الأسرة الجزائرية والمكانة القيادية التي تحتلها قديماً وحديثاً، ولقد أظهرت الدراسات التحولات العميقة التي مستها قبل وأثناء وبعد الثورة التحريرية، وفي السنوات الأولى من الاستقلال، وخاصة في السنوات الأخيرة التي تعرضت إليها هذه الأسرة للإبادة الإيديولوجية الثقافية والبنوية على يد ما يسمى الإرهاب، إن خصائص الأسرة المعاصرة لا يختلف بشكل كبير عن الأسرة التقليدية، بل هذه الخصائص الاجتماعية التي نجدها متقاربة فيما بين هذين الشكلين للأسرة الجزائرية المعاصرة، أو الزوجية الحالية هي نتيجة التغيرات الاجتماعية التي عرفتها الأسرة الجزائرية التقليدية منذ فترات طويلة ناتجة للتطورات والتغيرات الحضرية المختلفة التي مست بنائها وتركيباتها، سنحاول في هذه الصفحة أن نسلط الضوء على بعض الخصائص التي تمس بشكل أو بآخر الأسرة النواة أو الحديثة أو الأسرة الحضرية وجملة العلاقات ذات أهمية معتبرة داخل هذا النموذج، ومن بين أهم خصائص الأسرة الجزائرية المستحدثة نجد:

- تركز معظم الأسر الجزائرية المستحدثة في المناطق الحضرية من المدن الكبرى للوطن، ويرجع ذلك إلى موجة الهجرة الداخلية التي حصلت من الريف إلى المدينة

سعيًا وراء كسب القوت في أولا لأمر ثم سرعان ما انسجمت هذه الأسر النازحة بأشكال متفاوتة بحسب الظروف الاجتماعية التي غيرت من بعض أو من أغلب خصائصها التقليدية.

وأولها تقلص حجم الأسرة من الممتد إلى النووي، أضف إلى ذلك تغير النشاط الاقتصادي من الزراعة إلى الاعتماد على الدخل الشهري، لكن ورغم هذه التغيرات، بقيت الأسرة الجزائرية المستحدثة إلى حد بعيد متمسكة بقيمتها وبعض وظائفها التقليدية، بحيث نلاحظ بأن " هذا الشكل الجديد الذي بدأت تسميه المراكز الحضرية ... تتميز بكثرة الإنجاب إذ يتراوح معدل أفراد الأسرة الزوجية بين 5 و 7 أفراد، وبقائها محتفظة في كثير من الأحيان بوظائف الأسرة الممتدة، ومن ثم يمكن القول أنه بعد الاستقلال بدأت تتشكل بوضوح أسرة جزائرية تجمع بين خصائص الأسرة الحضرية، ووظائف الأسرة الريفية، وهذا على مستوى الجيل الأول والثاني من النازحين، أما الجيل الثالث ففي الغالب ينتجه نحو الأسرة الحديثة الزوجية"<sup>3</sup>.

وعلى صلة الأجيال الثلاثة المذكورة أعلاه قدمت الباحثة "سعاد خوجة" هذه الأجيال على شكل ثلاثة نماذج:

- النموذج الأول يعبر عن الجيل الأول والذي يتمثل في الأسرة الأبوية الحديثة والممتدة، والتي انتقلت حديثا إلى المدينة حيث انتقل الآباء مع أبنائهم وزوجاتهم من أجل العمل والعيش، بحيث تحتفظ هذه الأسر بقيمتها وتقاليدها.
- أما النموذج الثاني والذي يعبر عن الجيل الثاني فيتمثل في الأسرة الزوجية والتي هي نتيجة لانفجار الأسرة الأبوية أمام التمدن والتدريس، فهذه الأسرة تتميز بنمط حياة مختلف عن النمط التقليدي، سواء السكن أو الأجر أو المستوي التعليمي للزوجين وخروج المرأة للعمل.
- أما النموذج الثالث فإنه يمثل الجيل الثالث، حيث يعبر هذا النموذج عن الأسرة الجزائرية المعاصرة وهي نمط الأسرة التي واكبت التحضر سواء في المستوي المعيشي أو الاختيار للزواج ونقص سلطة الأبوين<sup>4</sup>.

لقد ترتب عن هذه التغيرات في نمط الأسرة الجزائرية، وفي نظامها الاقتصادي والاجتماعي أنماط وسلوكيات فردية مختلفة، فوجد الأب العامل في المصنع أو في الشركة قد اكتسب أنماط وسلوكيات فردية مختلفة عن خبراته في الزراعة، وكذلك فإنه يكون قد كون علاقات اجتماعية مع فئات اجتماعية ومهنية مختلفة، غيرت من ذهنيته ورؤيته التي كانت منحصرة في حياته التقليدية الريفية المسيطرة، وأصبح هذا التغير شاملا لأعضاء الأسرة الآخرين، فوجد مع ديمقراطية التعليم أن الأبناء قد تحصلوا على مقاعد الدراسة وذلك لكلا الجنسين.

أما بالنسبة لدور المرأة الجزائرية ومكانتها داخل الأسرة الجزائرية المستحدثة والمعاصرة، فقد مرت هي أيضا بمراحل من التغير أين تخلصت ولو جزئيا من القيود والسيطرة التقليدية، فوجدتها في الوسط الحضري تحظى ببعض المكانة داخل الأسرة لكون شكل الأسرة المعاصرة قد أصبح مختلفا عن الشكل التقليدي، فلم تعد تخضع لسيطرة كبار العائلة التقليدية، وكما أصبح لديها مسكن خاص وربما عمل خاص بها وانشغالها الخاصة.

وتبقى هذه الخصائص للأسرة الجزائرية الزوجية المعاصرة، محدودة إذ ما تزال هناك نماذج تقليدية في كل مناطق الوطن، وحتى في لب الوسط الحضري، ونجد أن التغير قد مس الريف أيضا، ولأن الوسط الجغرافي والاجتماعي قد يحدد ان نمط وخاصة الأسرة، فإننا نجد أيضا أن عامل التعليم كان له الأثر الواضح في التغير والتحديث، وعليه فإن ما يميز الأسرة الجزائرية التقليدية عن الأسرة الجزائرية الزوجية هو نوع التنشئة ونوع التعليم ونوع القيم التي يقدمها كل من النمطين الأسريين لأفرادهما.

### 3. أهم التغيرات الحاصلة في الأسرة الجزائرية.

لقد حدث هناك تغير كامل في كل النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع الجزائري، ولكن نحن في دراستنا هذه سوف نتطرق إلى جملة التغيرات الحاصلة علما للمستوى الاقتصادي والسوسيوالثقافي وهذا تماشيا مع دراستنا ونذكر:

### 1.3. التغير في المجال الاجتماعي:

في السنوات الأولى من الاستقلال، كانت الجزائر تعتمد على الزراعة في اقتصادها الوطني، وهذا الاتجاه كان له تأثير من الناحية الاجتماعية خاصة بما يتعلق بالأسرة الموسعة، فالشباب تابع لأسرته و أبيه و ذلك لأن هذا الأخير لا يملك وسائل الإنتاج رغم بساطتها، والأرض المصدر الرئيسي للربح، ومع التطورات التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال تحرّر الشاب الجزائري وخرج للعمل بعيدا عن العائلة ليكون أسرة نووية فيما بعد، ورغم هذه التطورات والتغيرات إلا أنه وقفت أمامه عدة عوائق سببت في بطنه وتشبيطه أحيانا، ولا يكون التغير في ليلة وضحاها بل يتطلب عدة سنوات، وخصوصا إذا اعترضه عوائق وعقليات تقليدية لها آليات للحفاظ على ثقافتها الخاصة، وليست منفتحة على الثقافات الأخرى، إلا أنه " تشير العديد من الدراسات على أن الحفاظ على تماسك الأسرة في الماضي تتحكم فيه عوامل خارجية مثل القانون، والرأي العام، وسلطة الأب، أما اليوم فإن وحدة الأسرة تعتمد بالدرجة الأولى على العفو المتبادل والرقّة، والحقيقة إن الفرق بين النموذجين يعكس طبيعة التغيرات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية"<sup>5</sup>.

وهذا تغيرت أساليب الحفاظ على العائلة التقليدية بعدما تحرّرت المجتمعات إلى حد ما من التعصّب، وفرض القوانين التي تعيق التغير، مما أدى إلى تعدّد الأدوار بالنسبة لأعضاء الأسرة الواحدة وجعل سلطة الأب تتراجع إلى الرمزية، و"العائلة الجزائرية المعاصرة تحمل تناقضا من جهة قيم العائلة التقليدية مازالت نشطة في الذاكرة الجماعية وأغلبها مثالي، ومن جهة أخرى التحوّلات السوسيوولوجية تقدم ولادة لأشكال معايشة جديدة التي لم تتبلور بثبات، مما يفسّر أن الأسرة تدخل في مجال الأخذ والرد في ميدان التغير فعندما تتاح الفرصة والظروف تمارس التغير، وعندما تتأزم الأمور تعود إلى شكلها الأول التقليدي لأنها بقيت كمرجعية في الذاكرة ونظام اجتماعي نموذجي.

وبتحسن الظروف في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال وارتفاع سعر البترول أصبحت "العائلات التي كانت بالضرورة تقليدية وممتدة، وميزة للمجتمع الريفي أصبحت بنسبة 2/3 عائلات نووية"<sup>6</sup>، وحدثت عدة تغيرات اجتماعية التي ضربت في عمق المجتمع الجزائري،

وأثرت بصفة جلية على شكل ووظائف الأسرة و أعطت صورة عامة بنمط مغاير لما عهدته الخلية الأساسية في المجتمع، والعامل الأساسي والمؤثر في الأسرة الجزائرية هو خروج المرأة للعمل كنتيجة منطقية للفرصة المتاحة للتعليم المتساوية بين الجنسين، واشتداد وضيق الأسرة من الناحية المادية مما جعل المرأة والزوجة تعمل وتكسب مورد مالي ما يسمح بتخطيط ميزانية الأسرة واتخاذ القرارات. ويظهر التغيير في الكم الهائل من وسائل الاتصال وانتشار المميزات الحضريّة، فظاهرة التحضر أدت إلى نقص في عدد أفراد الأسرة، وكذا تغير في دور الزوجة وتقترن مسؤولية ورعاية الأسرة والتخطيط لمستقبلها، بالإضافة الزيادة في التحضر أي الزيادة في المطالب، والدخول إلى عالم الاستهلاك والكماليات مما يتطلب إمكانيات مالية كبيرة ووظائف أخرى فتضطر المرأة للخروج من البيت لقضاء بعض الحاجيات بدلا من خروج الزوج لأنه لا يملك الوقت لانشغاله بالوقت المكثف، زيادة على " نمو التنظيم البيروقراطي الرسمي خاصة الدولة ومؤسساتها المختلفة وتركيز هذا التنظيم على الكفاءة الإنتاجية من خلال التخصص قد أخذ العديد من وظائف الأسرة التقليدية خاصة الوظيفة الإنتاجية والحماية، والوظيفة التربوية وجعلها محور عمل مؤسسات رسمية متخصصة وبالتالي كان البناء الاجتماعي للأسرة أن يُعدّل للتكيف مع مثل هذه التغيرات<sup>7</sup>." ولهذا فقدت العائلة عدة وظائف كانت تحتكرها ومع تطور المؤسسات الرسمية وتعددها، تعددت الأدوار بالنسبة للرجل والمرأة، وكسبت مكانة اجتماعية وأصبحت سلطته وتسييره للأسرة في تراجع.

### 2.3. تغير حجم الأسرة :

إن نسبة كبيرة من الأسر الجزائرية كانت تأخذ طابع العائلة الممتدة، وفي الوقت الحالي أصبحت تميل أكثر إلى صغر حجمها، وتحديد عدد أطفالها بالميل إلى الأسرة الزوجية أو النوواة، حيث زاد الإقبال على استعمال وسائل منع الحمل، وهذا يدل على مدى التغيير الثقافي الذي لحق بالأسرة الجزائرية. غير أنه يبدو أن نظرة الأسرة لهذه الوسائل بدأت تصلح لعائلات الفلاحين، حيث نجد أن بعضها لا يمانع في استخدام هذه الوسائل، وذلك راجع إلى ضعف الدخل في الزراعة وارتفاع الأسعار، ورغبة بعض الأسر في المحافظة على مستواها المعيشي. بالإضافة إلى انتشار الوسائل التعليمية والتكنولوجية ووسائل الاتصال

المتطورة. وان الانخفاض التدريجي الذي طرأ على حجم العائلة الجزائرية خاصة من 1966 إلى يومنا هذا بحسب الدراسات السوسولوجية راجع إلى التغير الإرادي واللاإرادي أحيانا للعائلة الجزائرية من الممتدة إلى النووية دفع هذه الأخيرة إلى عدم إعطاء المجال إلى الأقارب بالسكن معها في بيت واحد، مما يعني أن الأسرة النووية استقلت عن أقاربها في سكن خاص بها. بالإضافة إلى رغبة الجزائريين في تطبيق طرق تحديد النسل وتنظيمه بسبب الظروف الاقتصادية والاجتماعية، وقلة نسبة تعدد الزوجات في المجتمع الجزائري وشيوع نظام أحادي الزوجات، مما أدى إلى التغيير في تركيب الأسرة الجزائرية وبنيتها<sup>8</sup>.

### 3.3. التغيرات في مجال الإعلام والاتصال وأثرها على الأسرة الجزائرية:

"يتميز العصر الذي نعيش فيه بتغير متسع في مجال المعلومات والأفكار نتيجة التطور الهائل لوسائل الإعلام والاتصال والتكنولوجيات الحديثة، وقد تأثر المجتمع الجزائري بكل هذا منذ القرن العشرين، وخاصة ثقافة الحضارة الغربية سواء التي جاءت عن طريق الاستعمار أو وسائل الإعلام المختلفة مثل المرئية والمسموعة والمكتوبة أو الرقمية، وبالأخص الفضائيات التي تعتبر أهم وسيلة الاتصال الحديث والتي أثرت كثيراً في المجتمع الجزائري<sup>9</sup>." بالإضافة إلى الانترنت الذي يحوي جملة من مواقع التواصل الاجتماعي المستخدمة من طرف شريحة كبيرة جدا من المجتمع الجزائري ألا وهو الشباب.

وتعتبر الفضائيات التلفزيونية من أهم وسائل الاتصال الحديثة، التي أثرت في بنية المجتمع الجزائري وبالأخص الجيل الجديد الذي تأثر كثيراً بالثقافة الوافدة إليه عن طريق قنوات الاتصال العديدة الذي يهدد أمن الأسرة الجزائرية وذلك نتيجة ضعف الرقابة الأسرية على الأطفال، بسبب انشغال الوالدين بأمور الحياة. ضف إلى ذلك أن وسائل الإعلام والاتصال أصبحت الطريقة السهلة لنقل عادات وقيم وتقاليد الشعوب المختلفة.

ويعد التلفزيون الجهاز المفضل لدي كل عائلة جزائرية وجزء أساسي من أثاث البيت، وحتى أصبح يشغل مكان وحيز كبير في الأسرة في التوجيه في التربية في الشراء وفي كل شيء، لان البث أصبح من قنوات مختلفة فلذي نجد الأبناء في معظم الأوقات يقضون وقتهم أمام التلفزيون متنقلين بين قناة وأخرى. وقد تأثرت الفتاة الجزائرية بمعظم القنوات

والفضائيات التلفزيونية، وذلك من خلال البرامج الثقافية والاجتماعية وخاصة في الآونة الأخيرة انتهى جيل المسلسلات المكسيكية، حتى جاء جيل المسلسلات التركية، فأصبحت الفتاة تقلد التريكات في لبسهن وفي ثقافتهن وفي احتفالاتهن في المناسبات ... وهذا ما أثر كثيرا في تغير الأسرة الجزائرية، وأنتج أنماط ثقافية استهلاكية أثرت كثيرا في نمط تفكيرها وهذا باختلاف المناطق المتنوعة بالجزائر.

وأما في الوقت الحاضر أين أصبحنا نتحدث عن الشبكة الرقمية وخدمات الجيل الثالث والرابع للهاتف النقال، فأصبح الأمر جد مختلف، فالشبكة العنكبوتية تحوي جملة المواقع الحديثة والجديدة يوما بعد يوم، والتي تحمل ثقافة وقيم دخيلة عن مجتمعنا، تحوي مجمل المواضيع الاجتماعية والاقتصادية كالاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة وبذلك دخلت على الأسرة الجزائرية عدة تطورات وتغيرات وخاصة في تغيير السلطة الأبوية، تغيير الأدوار وارتفاع حالات الطلاق وجملة من المشكلات الحضرية.

### 4.3. تغير في وظائف الأسرة الجزائرية.

- الوظيفة الاقتصادية: حيث كانت الأسرة قديما تنتج احتياجاتها، فيشارك جميع أعضائها في الأنشطة الإنتاجية، لكن وظيفة الإنتاج انتقلت تدريجيا من المنزل إلى مؤسسات أخرى خارجية كالمصانع والشركات المتنوعة فأصبحت هذه الأخيرة تستخدم تقنيات حديثة لتحديث هيكلها الإنتاجية أو الخدماتية وحتى تنمية الموارد البشرية أصبحت عنصر أساسي وهام جدا لنجاح مستقبل أي دولة، لان الاستثمار في الرأسمال البشري يساهم في تنمية اقتصاد البلاد.
- وظيفة الحماية: حيث كانت الأسرة في المجتمعات التقليدية توفر الأمن والحماية الجسمية والمعنوية لأفرادها، وكذلك يفعل الأبناء لأبائهم عندما يتقدمون في السن، مع تطور الزمن وحدوث أشياء جديدة أصبحت الدولة تقوم بهذه الوظيفة من خلال جملة من الأجهزة مثل الشرطة والمحكمة ومراكز متخصصة لحماية الطفولة ومنشآت ثانوية لصالح المجتمع العام.

- الوظيفة الدينية: وتتركز هذه الوظيفة أساسا في الأسر التقليدية على تلقين أفراد الأسرة التعاليم الدينية والقيم الروحية وتجبرهم على الامتثال لتعاليمها، من طرف الكبار والشيوخ في الكتاتيب والمساجد، أما في الوقت الحاضر أصبحت هذه الوظيفة تجسدها مدارس قرآنية ومعاهد وجامعات متخصصة في تكوين جملة من المختصين في هذه الوظيفة.
- الوظيفة الترفيهية: وتتنحصر فيما تقدمه العائلة من فرص التسلية سواء في المناسبات الاجتماعية من حفلات ترتبط بأنشطة معينة كالزواج وفي المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف، أما الآن فلترفيه أشكال و أنواع فمن الغناء إلى الحدائق المختلفة وإلى أماكن الترفيه المقاهي والمطاعم وحتى بالنسبة للشباب كل النشاطات المختلفة.
- الوظيفة التربوية: لم يكن التعليم الرسمي بصورته التي هو عليه الآن وبدرجاته المختلفة وتخصصاته الدقيقة معروفا في الماضي، حيث كان تعلم القراءة والكتابة والحساب من واجبات الأسرة، في الوقت الحاضر تغير أصبحت عدة مؤسسات للتربية مثل دور الروضة ورياض الأطفال والمدارس الخاصة والمدارس القرآنية.
- وظيفة منح المكانة الاجتماعية: إن عضوية الفرد في الأسرة تمنحه مكانة داخل الأسرة ومن ثم وتبعاً لتنشئته مكانة اجتماعية، ففي الآونة الأخيرة نتيجة انتشار التعليم وتقوية فرص العمل كل فرد أضحي يبرز دوره ومكانته الاجتماعية سواء في مجال العمل أو الاجتماعي.

#### 4. الزواج في المجتمع الجزائري:

##### 1.4. مفهوم الزواج:

سوف نتطرق في هذا العنصر على مفهوم الزواج قانونيا واجتماعيا.

- الزواج في القانون الجزائري: بحسب تعريف المادة الرابعة من قانون الأسرة: "عقد يتم بين الرجل والمرأة على الوجه الشرعي ومن أهدافه تكوين أسرة أساسها المودة والرحمة والتعاون وإحصان الزوجين والمحافظة على الأنساب"<sup>10</sup>.

- اجتماعيا: "الزواج علاقة إنسانية واجتماعية معقدة ومتشابكة تستمد خصائصها من العادات وتقاليد المجتمعات ومن ثم كان هناك تنوع كبير في أشكال وأنماط الزواج ومؤشراته."<sup>11</sup>

فالزواج نظام اجتماعي يتصف بالاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية حيث يعيش الزوجان في حياة واحدة يقرها، ويقبلها أفراد المجتمع وتترتب عنه حقوق وواجبات على الزوجين، بالإضافة إلى إنجاب الأولاد وتربيتهم.

### 2.4. أهداف الزواج:

الزواج ضرورة شرعية واجتماعية لأنها الطريقة المثلى التي يتم بها إشباع الرغبات، وإقامة العلاقات الاجتماعية، وذلك لاستمرار التواصل بين الأسر، وقد كان الهدف من الزواج هو تحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي، وطلب المودة والرحمة بين الزوجين وتقاسم أعباء الحياة ومسؤولياتها، لذلك كان لزواج أهداف كثيرة ومن بينها نذكر<sup>12</sup>:

- المحافظة على النوع الإنساني والأنساب.
- سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي.
- وقاية المجتمع من الأمراض الجنسية المختلفة.

### 3.4. معوقات الزواج:

لكي يتزوج الابن أو البنت يجب أن تتوفر عدة شروط، فذا لم تكن وجدت فإنها تعد بمثابة معوقات أو عوارض للزواج، فقد شاعت هناك مجموعة من المعوقات التي تحول دون إيجاد شريك أو شريكة الحياة و ذلك لمدة معينة أو العزوف عن الزواج إطلاقا ومن بينها نذكر:

- أسباب اقتصادية: وترجع إلى:
  - البطالة التي تحول دون حصول الشباب على فرصة عمل تدر عليهم دخلا لتوفير مسكن مناسب ودفع مصاريف الزواج.
  - ارتفاع المستوى المعيشي وغلاء الأسعار وظهور الطبقة في المجتمع الجزائري.

• الحالة الاقتصادية للبلاد وانخفاض الدخل الفردي والقومي.

#### - أسباب متعلقة بالأسرة:

- المتطلبات المادية المبالغ فيها من طرف الفتيات.
- غلاء المهور والتفكير المادي الذي يسود الأسرة.
- صعوبة إيجاد الشباب للطرف الآخر، وارضاء الوالدين في الوقت ذاته.

#### - أسباب اجتماعية:

- تأثر المجتمع العربي وخاصة الجزائري بالمجتمع الغربي في إطار العلاقات الشخصية بين الشباب.
- السلوكات الغير الأخلاقية للشباب في المجتمع.
- أزمة السكن التي يعاني منها معظم الشباب سواء المتزوجين أو المقبلين على الزواج.

#### - أسباب شخصية:

- هناك بعض العوامل النفسية التي يمكن أن تسبب في زيادة معدلات العزوف عن الزواج.
- إنشاء محاكم الآسر ومحاكم الأحوال الشخصية وظهور تشريعات وقوانين العلاقات الزوجية لأتفه الأسباب<sup>13</sup>.

### 5.4 أشكال وأنماط الزواج المشاعة بالجزائر:

عرفت المجتمعات البشرية أنواعاً مختلفة من نظم الزواج في العالم إذ تتباين صورها وأنواعها عبر تاريخ الزواج الإنساني ابتداء من (الشيوعية الجنسية، والزواج الجمعي، ونظام تعدد الأزواج، ونظام تعدد الزوجات، ونظام وحدانية الزوج والزوجة) ونحن في دراستنا هذه نشير إلى أهم الأنواع المنتشرة بالجزائر باختصار شديد:

**نظام تعدد الزوجات:** وهو النظام الذي بمقتضاه يتزوج رجل واحد بعددٍ من النساء، حيث أطلقت المجتمعات القديمة هذا العدد على نطاق واسع، بينما حددت المجتمعات الإسلامية بعددٍ معين لا يتجاوز أربعة نساء وفق شروط معينة، تراعى فيها العدل الذي جعله الله تعالى شرطاً لإباحة تعدد الزوجات، وهو العدل الذي يكون فيه قدرة الإنسان

واستطاعته. وبالجزائر هو نظام معمول به في معظم أقطار الوطن ولكن بنسب متفاوتة وقد نجده منتشر بكثير في المناطق الداخلية والمناطق الشرقية والصحراوية.

**نظام وحدانية الزوج والزوجة:** وهو الشكل العائلي الذي يسود معظم المجتمعات الإنسانية ويرتبط فيه زوج واحد وامرأة واحدة بقيد شرعي وقانوني، مدى الحياة وهو أكثر العلاقات الاجتماعية قبولا وأكثرها سهولة وانتشارا وتواجد عبر العالم بأسره، ويمثل الأساس المستقر للعناية بالأطفال وتربيتهم. وهو نظام معمول به بالجزائر وفي كل الولايات والشكل المنتشر بكثرة.

**الزواج العرفي:** وهو نوعان: \* باطل: "وهو أن يكتب الرجل بينه وبين المرأة ورقة يُقر فيها أنها زوجته، ويقوم اثنان بالشهادة عليها، وتكون من نسختين، واحدة للرجل وواحدة للمرأة ويعطيها شيئا من المال وهذا النوع باطل، لأنه يفتقد للولى، ولقيامه على السرية وعدم الإعلان<sup>14</sup>". وبالجزائر هذا النوع محتشم لكن نجده في بعض المناطق الحضرية مثلا العاصمة، وهران، عنابة، قسنطينة ومنتشر بكثرة في الوسط الطلابي، وذلك لإحساسهم بالحرية بعيدا عن ذويهم. \* شرعي: "وهو أن يكون كالزواج العادي، لكنه لا يُقيد رسميا عند الجهات المختصة فقط يعقد بواسطة الفاتحة أي شرعي من الناحية الدينية، وبعض العلماء يجرمه بسبب عدم تقييده عند الجهات المختصة، لما يترتب عليه من مشاكل لا تخفى بسبب ذلك<sup>15</sup>" منتشر بالجزائر إلى حد ما لكن مع تعديل قانون الأسرة أصبح الإمام نوعا ما لا يقوم بهذا الزواج إلى بعد عقد القران المدني.

**زواج المتعة:** "هو أن يتزوج الرجل المرأة بشيء من المال مدة معينة، ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق، وليس فيه وجوب نفقة ولا سكنى ولا توارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل انتهاء مدة النكاح<sup>16</sup>".

**زواج المسيار:** "هو أن يعقد الرجل زواجه على امرأة عقداً شرعياً مستوف الأركان، لكن المرأة تنازل عن السكن والنفقة وكل حقوقها، وهو منتشر كثيرا في بلاد الخليج<sup>17</sup>"، أما بالجزائر أيضا منتشر بطريقة محتشمة نتيجة الاحتكاك مع رجال الأعمال الخليجيين والجالية العربية من تلك المنطقة.

#### 6.4. الزواج بين الماضي والحاضر في الجزائر :

كان الزواج يمثل أحد ميكانزمات الجماعة المنزلية، والذي عن طريقه يتم إعادة الإنتاج البيولوجي والاجتماعي وهو يعكس الصورة السوسيوثقافية لأي مجتمع، ويرتكز على الدين والتقاليد والأعراف التي تحدد صورته وأشكاله، ورغم التغيرات التي حدثت في المجتمع الجزائري إلا أن الزواج مازال يحتفظ بقيمته الاجتماعية والثقافية والتي تظهر كصورة إستراتيجية في بعض مظاهر الزواج والحفلات الخاصة بهذه المناسبة. فقد كان الزواج قديما مجرد تقليد عائلي يهدف إلى التماسك الأسري والحفاظ على ميزة الامتداد والنسل العائلي. حيث يعد "الزواج الداخلي" النوع الأكثر انتشارا بالبلاد نتيجة أن المجتمع الجزائري يمتاز بصيغة القبلية و خاصة بعد الاستقلال مباشرة، كما يعد هذا النوع ذو قيمة اجتماعية واقتصادية، ويعتبر كتنظيم لإنتاج اقتصادي والحفاظ على الميراث من الضياع وعلى تماسك العائلة الكبيرة، داخل، "حيث أن المجتمع الجزائري يميل إلى الزواج الأندوغمي أي الزواج الداخلي أو ما يسمى بالزواج اللحمي ، وهذا لكونه يلي الحاجة الأساسية للفرد والدافع البيولوجي من جهة ويحافظ عما يصاحبه من شروط الحسب والنسب من جهة أخرى<sup>18</sup> "، فبالإضافة إلى الزواج المبكر الذي يتميز به الشعب الجزائري قديما نتيجة الاستعمار والحفاظ على شرف العائلات. أما الزواج حديثا ومع المعطيات الجديدة والتغير الاجتماعي الذي مس شريحة كبيرة من المجتمع الجزائري والمتمثلة في التعليم وعمل المرأة وشيوع العلاقات الثانوية وبروز التحضر السريع، ظهر شكل زواحي جديد وهو "الزواج الخارجي" الذي تعدى نطاق العائلة ويساهم في تكثيف العلاقات الاجتماعية، وكذلك تأخر سن الزواج وهذا نتيجة اتجاه الشباب نحو التعليم وتحقيق استقلاليتهم الاقتصادية والاجتماعي.

أما عن أسلوب الاختيار يختلف الأسلوب المفضل في الاختيار من مجتمع إلى آخر، وأن أهم أسلوبين للاختيار في المجتمع الجزائري هو الأسلوب الوالدي والأسلوب الذاتي والتلقائي أو الشخصي في الاختيار للزواج. فالأسلوب الأول كان سائدا في المجتمع الجزائري قديما والأسلوب الثاني ظهر جليا في المجتمع الجزائري حديثا وذلك نتيجة لعدة عوامل واعتبارات في مقدمتها التغير الاجتماعي، والذي غير في طرق اختيار شريك الحياة ، بل

وتعداه بظهور طرق أخرى جديدة وحديثة لم تكن في القديم ومن أهمها: " الاختيار عن طريق مكاتب الزواج، والاختيار عن طرق إعلانات الجرائد وكذلك التلفزيون، والاختيار عن طريق الانترنت للزواج من أجنب سواء في الدول العربية أو الأجنبية، أو هناك الآن ما يروج له أو ما يسمى الخاطبة الالكترونية، وهذا كله نتيجة العديد من المتغيرات الثقافية والاجتماعية في قلب الشعب الجزائري"<sup>19</sup>.

## 5. أثر تغير وظائف الأسرة على نمط زواج الفتاة الجزائرية.

يعد الزواج في العصر الحالي أهم نموذج يمثل العلاقات الاجتماعية المتطورة بسرعة، ومن جميع أبحاثه ومجالاته، حيث أن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي مست الجزائر عامة والأسرة عامة، خاصة التحضر السريع الذي أدى إلى تطورات مذهلة في مختلف الأجزاء الأساسية للأسرة، أين أصبح الشباب الذي هو الركيزة الأساسية للبلاد يتبع الأنماط الحياتية الغربية أو الأوروبية في لباسه وأكله وثقافته وكل ما يتعلق بنماذج العيش والمجالات الشخصية والعائلية الخاصة به. فظهور الانترنت وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي، أصبح التواصل والاتصال بين مختلف فئات الشباب شيء لا مفر منه، وذلك سواء كان ذلك في الميدان المعرفي أو مجال العلاقات الشخصية بين الأفراد مثل ذلك الصداقة والتعارف والزواج.

فالزواج بحسب السوسيوولوجيين هو الحفاظ على النسل والتناسل الإنساني، حيث أن البشر يقومون بهذه العملية بهدف التكاثر والاستجابة لغريزة الإنسان والتي تعني التعايش مع الآخر. فالزواج في المجتمع الجزائري ككل المجتمعات العربية يتميز بنوع من الطقوس والمراسيم سواء تقليدية أو حديثة، حيث يرى المتابعين لهذه الظاهرة أنها تتغير وتتحرك بسرعة استجابة للتطورات التكنولوجية والاتصالية، حيث أضحي الشباب في الوقت الراهن منتبعا للأحداث والمستجدات الجديدة ويؤقلمها لحسابه سواء كان هذا الفرد في المدينة أو في الضواحي وفي معظم المجالات والظواهر التي بالإمكان إدماج وسائل اتصال جديدة.

والملفت للنظر في المجتمع الجزائري عامة وبعض المناطق خاصة المبالغة في الاحتفال بالزواج وخاصة عند الفتاة، أضف إلى ذلك تغير كبير في نمط الزواج المتبع من طرفها

وطريقة الاختيار أيضا هناك اختلاف، فهناك الطرق التقليدية والحديثة إن شئنا التفريق بينها، لأننا في هذا الموضوع سوف نتطرق للشق الثاني وهي الطرق الحديثة، فالزواج عند الجزائريين هو عبارة عن حدث مهم لجميع الأفراد وخاصة للوالدين عند تزويج البنت الوحيدة أو البكر، حيث هناك خصوصيات جد مهمة يستخدمها الآباء والأمهات والفتاة بكل دقة والتزام. فالحديث عن فترة الثمانينات والسبعينيات أين كانت الفتاة تقوم بالزواج من شخص لا تعرفه ولم تراه، وباحترافات محتشمة بمعنى تأقلا مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الموجودة آنذاك، لكن في الوقت الحالى لو تحدثنا فقط عن عملية الاختيار الزواجى فنجد أن الفتاة الجزائرية قطعت شوطا كبيرا في هذا المجال وهذا راجع ربما للارتفاع في المستوى التعليمي أيضا خروجها للعمل والتقنيات الاتصالية المتوفرة كل يوم، فالفتاة أصبحت تستخدم احدث الطرق عبر الويب للحصول على الزوج المزعوم، فالشبكة العنكبوتية تقدم احدث المواقع الالكترونية التي تهتم بمواضيع الزواج والحب والغرام والتي من خلالها يمكن للفتاة التعرف على شباب مختلف في أي بلد كان، في أوروبا، أمريكا، استراليا... إلى غير ذلك، فباستخدام شبكات التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتير والسكايب...، يمكن لها أن تقوم بصدقات و معارف تؤدي بها إلى الزواج وتأسيس أسرة ناجحة، فلا يمكن لنا أن نقول أن هذه الطريقة غير ناجحة، فهناك دلائل و شهود تقرر أن مثل هذه الطرق ناجحة إلى حد كبير في اختيار شريك الحياة و خاصة في المدن الحضرية، فبحسب استطلاعات للرأي بالولايات المتحدة هناك دراسة أجريت بهذا الخصوص، تقرر أن الزواج عبر المواقع الالكترونية تقدر درجة نجاحه بنسبة 45%، أيضا هناك الفلم الجزائري باللغة الأمازيغية "الزواج عبر الجريدة" هو تجسيد لحقيقة واقعة في احد القرى القبائلية لنجاح مثل هذه العمليات لاختيار شريك الحياة المناسب.

لكن لا ننسى، بان الأسرة الجزائرية الحضرية مهما بلغت درجة تحضرها فإنها لازلت تتمسك بعاداتها وتقاليدها وأعرافها وليس من السهل تقبل هذه الأمور، فيفضل البعض الزواج عن طريق القرية والصدقة وطرق تقليدية أخرى، هذا راجع أن الأسرة الحضرية لازالت تعيش بعض مخلفات للأسرة التقليدية والتي لا يمكن التخلي عنها بالنسبة لها، فحتى لو أن الأسرة الحضرية أو النواة حاولت التأقلم مع التغيرات والتطورات الحديثة لا يمكن لها

إلا إذا أقلتتها بالنسبة لها، لكن المشاع الآن الفتاة تستخدم أحدث الطرق للالتقاء بشريك الحياة.

هذا إذن نوعا ما بعض الخصائص الجديدة لاختيار شريك الحياة، أما عن القيام بالاحتفال أو مراسيم الزواج سواء كان ذلك في مناسبة الخطوبة أو الزفاف فالأحوال والأوضاع أصبحت جد متغيرة عما كانت عليه من قبل، فالفتاة أصبحت متطلبة ومتشرطة فبات الأولياء ينفقون أموال طائلة وباهظة في هذه الأمور، وذلك لأجل إبراز مستواهم الاجتماعي والمالي أمام الآخرين، حيث أن ابسط حفلات الخطوبة والزواج حاليا أصبحت تقام في قاعات للحفلات المرموقة خاصة بفنادق ضخمة أو ذات سمعة ممتازة نسبة للخدمة والوسائل المستخدمة ويحيها مغنيين معروفين وبالإضافة إلى أشياء أخرى تزيد من قيمة الاحتفال، خاصة لو تحدثنا عن بعض المناطق الحضرية أو المجمعات السكنية التي تحوي ارقى وأفخم العائلات الحضرية مثل العاصمة، وهران، قسنطينة، وتلمسان... أين تسمح العائلات لنفسها بأن تتماذي في تكاليف الاحتفال، فبحسب المستجدات عن أمور الزواج بمنطقة تلمسان فإن مهر العروس محدد ب 300000 دج، وهذا مبلغ كبير مقارنة بالماضي أين كان المهر لا يتعدى بضعة دنانير، حيث أصبحت التكاليف باهظة والمهر يفوق قدرات العامل البسيط مما أدى إلى ارتفاع درجة العنوسة بالنسبة للمرأة، وتأخر سن الزواج عند الرجل.

فعند الاحتفال أصبح الناس يطبخون أشهى المأكولات وأطيب الحلويات وأفخم المشروبات، وحتى لوازم العرس يجب أن تكون فخمة ومن نوعية جيدة وعلى مستوي عال من الجودة، هذه ربما أشياء بسيطة لكن هي واقع المستوي المعيشي للمواطن الجزائري "القادر" كما نقول بالعامية. أما عن تجهيزات العروس فحدث ولا حرج، فهناك من تشتري كل جهازها من أعلى وارقي المحلات بباريس وانجلترا ودوبي، فالسفر الآن عبر وكالات السفر أصبح غير مكلف ودون قيد أو شرط، وبالإضافة إلى التطورات والتغيرات والتي ساهمت بكثرة في وسيلة البيع عبر الانترنت، مما سهل مهمة الفتاة الجزائرية التي تطمح إلى عرس مهيب ولباس عصري وفاخر، حيث أضحت تشتري كل ما تريده بنقرة واحدة، أضف إلى ذلك بطاقات الاعتماد المالي الرقمية التي سهلت الأمر كثيراً، فالفتاة تشتري كل

الأثواب والإكسسوارات من محلات مرموقة في بلدان أجنبية و ذلك لإرضاء نفسها وارضاء الناس، حيث أصبحت العائلات تكلف كثيرا من اجل المظاهر المادية والاجتماعية ككل.

وإذا أردنا التحدث والغوص في بعض أنماط وأشكال الزواج بالجزائر وتغيرها عبر التاريخ، والمنتشرة حاليا والتي كانت منتشرة فيما مضى، فبعد الاستقلال يمكن القول أن الزواج الداخلي كان مشاع جدا، خاصة بين القبائل الصغيرة والأعراش و نادرا ما نجد الزواج الخارجي، وراجع ذلك ربما إلى قلة السكان بالجزائر آنذاك وانتشار الأمية والجهل، ونقص إمكانيات الاتصال والتواصل، لذي كانت الأسرة تعتمد في زواج ابنتها من الشخص القريب وحبذا لو كان من العرش والعائلة.. إلى ما شابه ذلك. الآن الأنماط تغيرت وتبدلت نتيجة تغير المجتمع والأفراد برمته متأثرين بالتكنولوجيات المختلفة والتغيرات في المجال السوسيوثقافي، فأصبح الزواج له أشكال وأنماط مختلفة فمن الزواج الأحادي، إلى تعدد الزوجات، إلى الزواج العرفي، وزواج المسير الذي بدأ ينتشر بسرعة، خاصة مع الاحتكاك برجال الأعمال الخليجيين، حيث أصبحت الفتاة الجزائرية تسير العصر حتى في نمط الزواج، وقد تلاش أو آلى الزوال الزواج الداخلي أو زواج الأقارب ما عدا بعض الأعراش المتعصبة كبنى مزاب والتوارق، فان النمط هنا لا يزال مثلما هو لا يوجد تغيير، وحتى قانون الأسرة المعدل مؤخرا، كان سببا في تغيير نمط الزواج عند الفتاة، حيث أن هناك من تزوج دون إعلام الأهل، ذلك لان شرط الولي عدل فأصبحت الفتاة تتصرف من تلقاء نفسها عندما تعجب بشخص ما و تعزم على الزواج به، ففي الآونة الأخيرة أصبح الآباء متفرجين فقط كأنهم لا تعنيهم مسألة زواج أبنائهم، فالأبناء هم الذين يختارون الشكل ونمط الزواج والاحتفال بأنفسهم، وأصبح الزواج في المجتمع الجزائري مؤسسة ضعيفة تهتم أكثر بالمظاهر منه بالاستقرار العائلي وعيش المتزوجين بخير وسلام، إذن يمكن القول أن التحضر افرز مجموعة من السلوكيات والتي أثرت بشكل أو بآخر على الشباب خاصة وكذي جملة العلاقات الإنسانية والاجتماعية التي تساهم في استمرار المجتمع واستقرار الأسرة خاصة، وذلك عن طريق الثقافة الدخيلة بواسطة وسائل اتصال شتى كالأنترنت والتلفزيون وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة والهاتف النقال بكل أجياله، وهذا كل اثر بشكل أو بآخر على الأسرة الحضرية وبالأخص علي وظائفها اتجاه أبنائها.

## الخاتمة:

في الأخير يمكن القول أن الناس يتزوجون لأن الزواج هو النمط الاجتماعي الذي يجد قبولا واسعا ومشروعية تامة لإقامة علاقة بين الجنسين، فافتصار ممارسة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء، والتعاون من أجل الإبقاء على الحياة العائلية والحياة المنزلية والقيم المتشابهة، كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج، ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذي يلائمه ويرضيه كما يفشل الكثيرون في الحصول على الزواج الذي يستطيعون الاستمرار في احتماله، ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشخاص يحصلون على نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أي بديل حتى وان لم يصل إلى النموذج المثالي، فالثورة التكنولوجية والتقنية في الاتصال والمعلومات ساهمت بدرجة ما من التحرر للشباب وذلك للاختيار أو الاحتفال بالزواج الذي هم يطمحون إليه.

## المراجع والهوامش:

- 1: مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع العائلي، مصر، د. ط. 2008، ص 21.
- 2: مصطفى بوتفوشنت، العائلة الجزائرية (التطور والخصائص الحديثة)، ت. أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1984، ص 34.
- 3: حمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري (تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري بالمعاصر)، د. م. ج، الجزائر، 1990، صص، 89-88.
- 4 : Khodja Souad. A. **Comme Algerienne**, ENAL, Alger, 1991, pp, 47-53.
- 5: محمد السويدي، مرجع سابق، ص 99.
- 6: دحينا خديجة، وضعية الأطفال الغير الشرعيين في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير منشورة، جامعة باتنة، قسم علم الاجتماع، 2012، ص 145.
- 7: نفس المرجع، ص 146.
- 8: مجلة العلوم الإنسانية، ع 17، جوان 2002، تغير بناء الأسرة الجزائرية، محسن عقون، جامعة منتوري قسنطينة، ص 129.
- 9: مجلة العلوم الاجتماعية، الأسرة الجزائرية... إلى أين؟ السعيد عواش، ع 12، جوان 2005، ص 126.
- 10: وزارة العدل، قانون الأسرة - المادة الرابعة - الديوان الوطني للأشغال التربوية، الجزائر، ط 2، 2002، ص 5.
- 11: مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985، ص 1.
- 12: فادية عم الجولاني، الأسرة العربية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1998، ص 25.
- 13: فادية عمر الجولاني، الأسرة العربية، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، 2003، ص 42.
- 14: سلوي عزازي، الزواج العرفي، محاضرة، مصر، 2008، ص 2.
- 15: نفس المرجع، ص 2.
- 16: نفس المرجع، ص 2.
- 17: نفس المرجع، ص 2.
- 18: مجلة العلوم الإنسانية، الزواج الداخلي (الأندوغي) من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية، وسيلة بروقي، العدد 36، الجزائر، 2008، ص 25.
- 19: محمد حسن غانم، الشباب المعاصر وأزماته، القاهرة، مكتبة البار العربية للكتاب، ط 1، ب س، ص 196.

## التغير في قيم الزواج لدى الشباب الجزائري

د. زهية دباب - جامعة بسكرة - الجزائر

### Résumé :

Malgré l'importance du mariage pour l'individu de même que pour la société, les changements culturels, sociaux et économiques et même politiques ont conduit à des changements de plusieurs mentalités surtout chez les jeunes ce qui a changé la vision de la valeur du mariage avec l'apparition de la tendance de l'individualité en commençant par la manière du choix, les cérémonials du mariage, l'indépendance à la maison après le mariage, ainsi que l'âge du mariage et le changement du mode des relations sociales et l'apparition de nouvelles formes de mariage basées sur les rapports avant le mariage.

### الملخص :

بالرغم من أهمية الزواج للفرد والمجتمع على حد سواء إلا أن التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية أدت إلى إحداث تغيرات في الكثير من الذهنيات خاصة لدى الشباب وتغيرت معه الرؤية القيمة للزواج بظهور النزعة الفردانية بدء بأسلوب الاختيار ومراسيم الزواج والاستقلالية بالمنزل بعد الزواج وكذا سن الزواج وتغير نمط العلاقات الاجتماعية وظهر أشكال جديدة من الزواج القائم على الارتباط قبل القران.

## أولا- مفاهيم أساسية:

### • مفهوم التغير:

لغة: تدل كلمة التغير في اللغة العربية على معنى التحول والتبدل، فتغير الشيء هو تحوله وتبدله كما نعى الأشياء واختلافها، وتدل في اللغة الإنجليزية (change) على معنى الإختلاف في أي شيء يمكن ملاحظته خلال فترة زمنية محددة.<sup>1</sup>

إصطلاحا: ويعنى التحول أو التعديل الذي يحدث في طبيعة الجماعات والنظم والقيم والمعايير والعادات الإجتماعية الثابتة نسبيا، المكونة للبناء الإجتماعي ومضمونها وتركيبها.

والتغير طابع مميز لجميع المجتمعات، ولكن سرعته تختلف وفقا لطبيعة المجتمع نفسه من حيث البساطة والتعقيد. فقد تكون سرعة التغير بطيئة أو تدريجية، أو يكون ثوريا عنيفا.

كما يعرف أيضا التغير بـ: "التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل الشيء أو ظاهرة."<sup>2</sup>

والتغير ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون وشؤون الحياة المختلفة". "أو هو ذلك التبدل والتحول الذي يحدث على مستوى التغير الوظيفي للنسق القيمي".

ركز التعريف على التغير على المستوى الوظيفي بينما أهمل المستويات الأخرى التي قد يمسه التغير في ذلك الشيء.

ويعرف التغير عموما بالاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محددة من الزمن أي إستحداث أمر لم يلاحظ من قبل، ويضيف بأن التغير الذي يتعلق بالمجتمع هو صفة أساسية ملازمة منذالقدم للمجتمعات على اختلافها. فهو يأخذ من الجيل السابق جوانب ثقافية ويضيف عليها تماشيا مع واقعه الإجتماعي، ومتطلباته المستجدة.<sup>3</sup>

## • التغيير الاجتماعي:

هو كل ما يطرأ على البناء الاجتماعي من تغيرات في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية ويمثل نظام الزواج في المجتمع الجزائري احد الأنظمة المتأثرة بعوامل التغيير الاجتماعي، كما أن السن الزواج تأثر به فبعد أن كان يعرف في العائلة التقليدية تبكيرا أصبح اليوم يعرف تأخرا وهذا التأخر الذي لم يسبق وأن عرفه المجتمع الجزائري قديما بالشكل الذي يظهر فيه حاليا حيث يبتعد الشاب عن العادات والتقاليد التي يراها مقيدة لسلوكه، وأهم جوانب التغيير في الزواج تغيير مكانة المرأة تأخر سن الزواج و بروز الفردانية.<sup>4</sup>

وعموما يمكن تحديد نوعين من التغيير تغير داخلياً حدوث التغيير من داخل المجتمع. وتغير خارجي وأبرز مثال على ذلك التغيرات التي حدثت في البلدان النامية خلال الفترات السابقة ولا تزال فمعظمها تغيرات خارجية (التكنولوجيا، الغزو الثقافي، الاستعمار...)<sup>5</sup>.

## • تعريف القيم:

لغة: مادة (ق.و.م) تحيل إلى معنيين ثمن الشيء أو سعره من جهة والاستقامة والعدل والحق ... من جهة أخرى والمعنيان مرتبطان أحدهما بالآخر، لأن ثمن الشيء هو ما يساويه وهو معادله وحقه.<sup>6</sup>

وتدل كلمة valeur في أصل استعمالها اللاتيني على معنى شجاع في القتال، ثم تطور معناها ليبدل على ما يساويه الشيء أو الشخص، ثم على ثمن الشيء، ثم على التقدير المعنوي.<sup>7</sup>

- اصطلاحاً: إن لفظة قيمة استخدمت باتساع كبير في مختلف المقاربات كما يلي:

- الاتجاه الاقتصادي يرى أن القيمة تطلق على كل ما هو جدير باهتمام الفرد لاعتبارات مادية أو معنوية أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية أو جالية.<sup>8</sup> وعليه حسب هذا التعريف قيمة الشيء مستمدة من اهتمام الفرد، لكونه يتمتع بأحد الميزات.

- أما الاتجاه السلوكيفيرى بأنها تفضيلات تكمن في اللذة والألم الذي يشعر به الإنسان. فهذا التعريف يربط قيمة الشيء بالأثر الذي يتركه من لذة أو ألم.

- في حين يعرفها الاتجاه الإجتماعى بأنها تصورات توضيحية لتوجيه السلوك في الموقف، تحدد أحكام القبول أو الرفض وتنبع من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية وهي عنصر مشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية.<sup>9</sup>

فهو يشير إلى أنها عبارة عن موجّهات للسلوك، وبأنها ليست نابعة من الفرد بل من أحكام المجتمع، بأنها عامل من عوامل تماسكه.

وهناك أنواع عدة للقيم يصعب حصرها، اختلف العلماء حول تصنيفها، ووضعوا عدة منظورات ومعايير للتصنيف. واستنادا لتصنيف ريتشر وحسب منظور موضوع القيمة، تقسم القيم إلى: قيم أخلاقية، قيم اقتصادية، قيم جالية، قيم سياسية، قيم دينية، قيم عقلية، قيم عاطفية، قيم بدنية، قيم مهنية، قيم اجتماعية.

وعليه يمكننا تعريف القيم بأنها عبارة عن مجموعة من المبادئ والأسس والمعايير التي يتخذها الفرد كمرجع ويستند إليها في التفريق بين ما هو صواب وما هو خلاف ذلك في كافة سلوكياته وتصرفاته.

### • مفهوم الشباب:

الشباب لغة من شب، الشباب، الفتاة والحداثة والشباب والشبان جماعة الشباب والشباب: جمع شاب وكذلك شبان الشاب لغة كما جاء في لسان العرب المحيط لابن منظور وغيره من المعاجم العربية تعنى الفتوة، والفتاء بمعنى الحيوية والقوى الدينامية، وكلمة شب من شبيب وأن الشاب هو الفتاة والحداثة، وشاب الشيء أوله، وتجمع على شباب وشبان وشواب.<sup>10</sup>

- اصطلاحا: إن لفظة الشباب قدمت لها عدة تعريفات ومن مقاربات واتجاهات مختلفة:

- فالاتجاه البيولوجي يعتبرها مرحلة عمرية أو طور من أطوار نمو الانسان، الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي، وكذلك نضجه العقلي والنفسي والذي يبدأ من سن 15 - 25، وهناك من يحددها من 13 - 30.<sup>11</sup>

فأصحاب الاتجاه البيولوجي يؤكدون على أن نقطة البداية في فترة الشباب هي تلك التي تحدث فيها تحولات واسعة وعميقة وسريعة في ملامح جسم الشباب إذ تتلاشى عندهم الرهافة ودقة القسّات المميزة للطفولة، وتحل محلها الفظاظة النسبية الناتجة من اختلاف نسب أعضاء الجسم وأطرافه. وكل هذا يكون له تأثير على جوانب فيزيولوجية عديدة في جسم الشباب.<sup>12</sup>

أما أنصار الاتجاه السيكولوجي فيعرفون الشباب بـ: حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي، من جهة ولثقافة المجتمع من جهة أخرى، بدأ من سن البلوغ وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار، حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الاجتماعي، فهذا التعريف يحاول الدمج بين الاشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع الثابت والمتغير.<sup>13</sup>

إضافة يوضح الاتجاه السيكولوجي أن مرحلة الشباب تبدأ من بناء المجتمع وتأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دورا في بنائه.

فالشباب من المنظور السيكولوجي وفق المعيار الزمني عادة يبدأ من المراهقة، وتنحصر ما بين السادسة عشرة وخمسة والعشرون عاما، وهي الفترة التي يكتمل فيها النمو الجسدي، العقلي. بمعنى يصبح المرء قادرا على أداء وظائفه.<sup>14</sup>

في حين ينظرالاتجاه السوسولوجي للشباب باعتباره حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط، بمعنى أن هناك مجموعة من السمات والخصائص إذا توافرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شبابا.<sup>15</sup>

كما يعتبرونها آخرون مرحلة الإعداد لتحمل المسؤوليات الاجتماعية، كالزواج، وتكوين الأسرة، وعضوية المنظمات السياسية، الاجتماعية، الشبابية، وتحمل التبعات، المسؤوليات، والتكاليف الشرعية والقانونية.

## • مفهوم الزواج:

تختلف التحديدات التعريفية للزواج باختلاف المقاربة المعرف من خلالها فالتعريف الاجتماعي يختلف عن القانوني وعن الديني وهكذا، ففي التعريف القانوني مثلا نجد يعرف على أنه كما يعرف أيضا باقتران الرجل بالمرأة وارتباط بها والإئتناس والاستمتاع والتناسل<sup>16</sup>، فهذا التعريف حاول التركيز على الغرض من الزواج ودوره في تكوين المجتمع واستمراره من خلال الانجاب.

من خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نعرف الزواج بأنه عبارة عن نظام اجتماعي يقوم أساسا على علاقة بين رجل وامرأة، بحيث تقوم هذه العلاقة لدوافع عدة أهمها العلاقة الجنسية التي تنظم عن طريق هذا الزواج والانجاب، تقام له احتفالية خاصة تجسيدا للبعد الديني والاجتماعي له وذلك وفق نمط ثقافي يعترف به المجتمع.

## ثانيا- إحصائيات حول واقع الزواج في المجتمع الجزائري:

يتواجد في الجزائر أزيد من 18 مليون شاب أعزب من الجنسين، منهم 11 مليون امرأة وسبعة ملايين رجل تجاوزوا سن الزواج ولم يتمكنوا من تكوين أسرة مما يتسبب حسب المختصين في عدم استقرار اجتماعي تنجر عنه انحرافات أخلاقية بات الشارع الجزائري مسرحا لها.

كما كشفت دراسة أعلن عنها مركز إعلام وتوثيق حقوق الطفل والمرأة في إطار التحقيق الجزائري حول صحة الأسرة، أن 50 بالمائة من الشباب الجزائري صرفوا تفكيرهم عن الزواج بسبب مشاكل اجتماعية واقتصادية تعرضوا لها حالت دون تمكينهم من تحقيق حلم بناء الأسرة وانجاب الأطفال، منهم 55 بالمائة من الوسط الحضري و45 بالمائة من الريف. وأضافت الدراسة أن 43 بالمائة من هؤلاء الشباب يفكرون جديا في الهجرة بشتى الطرق القانونية والسرية، 36 بالمائة منهم بسبب البحث عن عمل، و42 بالمائة بهدف تحسين ظروف الحياة، بينما أكد 4 بالمائة أنهم يريدون الهجرة من أجل الزواج بأجنبية توفر لهم فرصة العيش الكريم<sup>17</sup>.

فالجزائر تحتل صدارة العزوية بعد لبنان عربيا، الأرقام التي أشرنا إليها سالفًا تؤكد أن قرابة 75 بالمائة من الشباب الجزائري من الجنسين دخل سن الزواج وهو في حالة عزوية، وهو ما يجعل الجزائر من أكثر البلدان العربية عزوية بعد لبنان التي مست نسبة العزوية فيها 95 بالمائة من الذكور، و83 بالمائة من الإناث ما بين 25 و30 سنة.

أما المركز الوطني للإحصائيات فكشف نهاية شهر مارس 2015، تراجع ملحوظا في عدد الزيجات، فبعد تسجيل أكثر من 387 ألف زيجة في سنة 2013، انخفضت إلى أكثر من 386 ألف في 2014، وبالمقابل ارتفعت حالات الطلاق من أكثر من 39 ألف حالة سنة 2000 إلى أكثر من 54 ألف في 2012 وقاربت رقم 58 ألفا في 2013. هي أرقام تستدعي الوقوف عندها، لأنها تؤكد شائعات ارتفاع عنوسة الجزائريات وعزوف الشباب عن الزواج، والإحصائيات جعلت رجال الدين والاقتصاديين يطالبون بالتعجيل في إنشاء صندوق الزواج، فيما عارضت برلمانيات وسياسيات الفكرة مُعتبرات أن العزوف عن الزواج سببه أخلاقي بحت.

وتشير إحصائيات لوزارة العدل الى أنه تم تسجيل 22 ألف حالة طلاق عن طريق "الخلع"، طيلة سنة 2013 والسادس الأولى من السنة الجارية، ووفق ذات المصدر، فالأسباب الرئيسية تتمثل في الخيانة الزوجية والتهرب من المسؤولية الزوجية، حيث أكدت أيضا ذات الجهة، أن الطلاق عرف ارتفاعا يعادل 12 ألف حالة سنويا بعد صدور قانون يسمح للمرأة بالتطليق عن طريق "الخلع"<sup>18</sup>.

وتعد هذه الأرقام مؤشرا صغيرا عن حجم ظاهرة الخلع ولجوء المرأة إلى التخلي عن زوجها واختيار العزف المنفرد، فأحيانا تكون على حق وهي أدريظروفها، لكن حجم تداعيات فك العلاقة الزوجية، سيكون كارثيا على المدى البعيد، لكون الابناء هم دائما من يدفع فاتورة الطلاق، فيما يختار الزوجان الاستمتاع بحياتهم ولو على مشارف الخمسينيات. وحاليا، ظاهرة الخلع مرشحة للارتفاع أكثر، لكون استحداث الحكومة الجزائرية لصندوق دعم المطلقات، سيشجع حتما استعمال ورقة "الخلع" لـ "التمرد" والعيش في حرية مطلقة، مادامت السلطات العمومية وفرت أجرة محترمة لكل مطلقة، ولو لم تكن

ضحية. والخلم، اختلفت الآراء حوله، ولم يعد ذلك الطابو الذي تهابه المرأة والأسر، ولم تعد نظرة المجتمع تهم كثيرا، لان التغيرات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري انتجت تمردا، لان القيم المجتمعية لم تكن دائما رحيمة. ولكن في المقابل، فيعتقد الكثير، ان ما يحدث باسم الحرية وحقوق المرأة، أنتج تفككا قيميا وضحايا من كل الفئات والأعمار، فإذا كانت التقاليد المجتمعية قد فرضت قيودا وحواجز حافظت على تماسك الاسرة الجزائرية، إلا أن الحداثة وتقنين الحقوق والواجبات الاسرية، وتحت شعار الحرية بلا حدود، اضحى للمرأة خيارات تجعلها تعيش وفق تصورها وقناعتها.

فالمادة 84 من القانون القديم كانت تعتبر موافقة الزوج شرطا أساسيا في إجراءات الخلم، كما كانت تطالب المرأة بذكر أسباب الخلم أمام القاضي، وهذا ما اعتبرته المحامية بن براهيم مخالفا للشريعة الإسلامية والمنطق وإجحافا كبيرا في حق المرأة<sup>19</sup>.

### ثالثا-التغير في قيم الزواج لدى الشباب:

إن الزواج في المجتمع الجزائري ينطوي على نظامين أحدهما داخلي والآخر خارجي، فالأول يكون عند الأسرة الريفية التي تتكون من رب الأسرة، الأبناء والبنات المتزوجين وغبر المتزوجين والأحفاد يسكنون في منزل واحد والتي تتميز بكثرة أفرادها.

أما الزواج الخارجي فيكون عند الأسرة الحضرية، فيكون فيها نوع من استقلالية الزوج والزوجة عن أوليائهم، فالزواج في هذه الحالة قائم على الصراع بين الوالدين والأبناء.<sup>20</sup>

لكن ممارسات وطقوس الزواج تتشابه في معظم الأسر الجزائرية، فهي تستند أساسا إلى البناء الشرعي للزواج بداية من الخطبة عقد القران (الفاتحة) والعقد القانوني (الدفتري العائلي).

أما الإختلاف فيكون في طريقة إحياء حفلات الزواج التي تخضع أساسا لجملة من العادات والتقاليد تختلف من أسرة لأخرى.

## 1. التغير في قيم الاختيار الزوجي:

كان الزواج في المجتمع التقليدي يمارس بشكل طبيعي من قبل الرجل والمرأة على السواء عند بلوغها السن المطلوب، أي المحدد له اجتماعيا، حيث كانت مسؤولياته بما فيها المعنوية كالبحث عن الشريك والمادية كتوفير المهر والسكن ومصاريف العرس الشكلية. ملقاة كلها على عاتق الأسرة، لم يكن الشباب يعاني من قضايا الزواج كذلك المتمثلة في ظاهرة تأخر سن الزواج أو العزوف عنه لأجل غير محدود، ولم يكن سوق الزواج هو الآخر يعرف ما يسمى بأزمة الزواج، فالفتاة لم تواجه مشكلة ممن تتزوج؟ ومتى تتزوج؟ وكذلك الرجل إذ لم يكن هناك أي عائق يعوق السير الطبيعي للزواج لكن الوضع لم يستمر على حال في هذا المجال وهذا نظرا للتغيرات العميقة التي شهدتها مجتمعاتنا نتيجة عمليتي التحضر والتصنيع والتي انعكست أثارها على بنية الأسرة ونظام زواجها.<sup>21</sup>

حيث نلاحظ تغير في عملية الاختيار الزوجي التي كما رأينا أنها كانت عملية والدية محضة، لتري الآن العكس من ذلك فقد ظهرت الآن وسائل حديثة للزواج، حيث تغير الفاعلين في عملية الاختيار من الوالدين الى أصحاب الشأن أنفسهم، الأمر الذي جعل نظام الزواج يعتمد على مبدأ المثالية الرومانتيكية، فالشريكين أصبحا هما اللذين يختاران أنفسهما بحيث أصبح أهم معيار للاختيار هو الميل العاطفي للطرف الآخر "الحب الرومنسي"، كما أصبح الأفراد يجدون فضاءات بديلة للتعرف عن الوسط العائلي كالانتماء الزوجي عن طريق مواقع الأنترنت فهناك مواقع عديدة للتعرف قصد الزواج حيث يتم تواصل الطرفين عن طريق ذلك الموقع ومن هذه المواقع يمكن أن نعرض النماذج التالية: موقع البنت الحلال للزواج، موقع قران للزواج...

حتى أنه عند دخول هذه المواقع تجد العديد من التسجيلات الجزائرية، بحيث يتم فيها عرض مواصفات الطالب والمواصفات التي يطلبها في الشريك وعلى كل من تعجبه مواصفات شخص ما ترك رسالة تعارف له توحى بالتجاوب، ومن ما لاحظته أن هذه المواقع لا تعبر عن هويتها صراحة (بلدها، تفاصيل مشروع الموقع، أهداف جدية للموقع...) بل تصف نفسها أن غرضها التوفيق الحلال ومساعدة الطرفين على التواصل لغرض الزواج

وتعرض مواصفات الأفراد مكتوبة مزودة بصورة أو عن طريق فيديو يضعه الطالب أيضا. وكألية أخرى للاختيار الزواجي أصبح الآن ما يعرف بالاختيار الزواجي عن طرق الجرائد ففي دراسة قامت بها مليكة لبديري، حول زواج الشباب الجزائري عن طريق الإعلانات، توصلت إلى نتائج مفادها أن الأسرة الجزائرية المعاصرة تخلت عن وظيفتها الترويجية وتدخلها أصبح قائما فقط على أساس النصح والتوجيه فقط أي التدخل الشكلي بدلا من المساعدة الفعلية. وكذا تساهم الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والمادية للأفراد في لجوئهم الى الاعلانات عن طريق الجرائد حيث المقبولون عليها هم من وضعهم متوسط أو ضعيف الأمر الذي يتعذر عليهم إيجاد شريك بالشكل المباشر فيستعين بهذه الوسيلة<sup>22</sup>.

وبغض النظر عن الوسيطين السابقين نجد أن الانترنت ذاتها تدخلت في العملية الترويجية والاختيارية تحديدا عن طريق الدردشة والمنتديات والمجموعات الافتراضية Facebook. Twitter، وغيرها فهي فضاءات أتاحت التقاء الجنسين وتفاعلها افتراضيا.

وهذا ما يؤكد عليه نور الدين بن الشيخ في دراسته حول البرابول ومظاهر تغير قيمتي الزواج والإنجاب لدى الأسر، حيث لاقت تأييدا عاما من طرف أفراد عينة البحث حيث بلغت نسبة الاتجاه 46,4% موافق بشدة ونسبة 25% موافق، غير أننا نلاحظ أن الشدة عند الآباء والأمهات كانت متوسطة وليست للدرجة التي وجدت عند الأبناء والبنات حيث بلغت عند الآباء 15.58%، أما الأمهات 2.59%، وهذا ما يوضح أن هذا الاتجاه العام الايجابي نحو هذه القيمة لايعني أنها تغيرت تماما بل مازالت محل صراع بين الجيلين. والوالدين والأبناء- لكن في مقابل هذ وجدنا أن الاتجاه كان إيجابيا بمعارضة الاختيار الشخصي للبنات عند الزواج خاصة عند الآباء والأمهات والأبناء أين بلغت نسبة اتجاهاتهم :

على التوالي 74% و77%، رغم معارضة البنات المبحوثات لهذه العبارة حيث بلغت نسبة الاتجاه العام 85%، وهذا مايعني أن هذه القيمة لم تتغير عن الماضي حيث مازال الاختيار في يد كبار السن<sup>23</sup>.

## 2. التغير في طرق وأمكنة إقامة حفلات الزواج:

كما نلاحظ تغييرا كبيرا في طرق إحياء الحفلات و الزواج عند الكثير من الفئات الاجتماعية، مقارنة بما كان سائدا في الأسر التقليدية، حيث كانت الحفلات تقام في بيت الزوج وفقا لما يوافق عليه الأهل لأنها هما من يخططا لكافة مراسيم الحفل، ويتم وفقا للعادات والطقوس المتعارف عليها داخل الأسرة، القبيلة، المجتمع المصغر...ولا يكلف العرس كثيرا.

أما في الأسر الحديثة فأصبحت الحفلات تقام في قاعات خاصة بالحفلات، أي تم الانتقال من الفضاء الداخلي الخاص "البيوت العائلية" إلى فضاء خارجي عام "قاعات الاحتفالات" والتي تتسم بأنها باهظة الثمن تفوق 10 آلاف دينار جزائري.

كما أصبح العرس آلية من آليات التباهي، والتعبير عن المكانة الاجتماعية «حفلة الزفاف يؤدي وظائف اجتماعية عديدة ترتبط غالبا بالهبة والاعتبار، ذلك أن ثوب الزفاف والنسيج الذي يصنع منه والحائك الذي قام بصنعه، كلها أمور تتصل بالمكانة والهبة الاجتماعية لأسرة العروسين...وأصبحت مظهرا من مظاهر التفاخر والتباهي، التي تحرص عليها بعض الطبقات الجديدة التي ظهرت مؤخرا. والتي تحرص على إقامة حفلات الزواج في قاعات الفنادق الكبرى مع ما يصاحب هذا من ثياب فاخرة وفرق موسيقية ومطربين مشهورين وموائد الطعام...وقد يلجأ البعض لتحقيق ذلك الى اتفاق كل ما معهم من نقود أو ربما الاستدانة. على اعتبار أن حفل الزواج هو ليلة العمر كما أن نوع الأغاني الموضوع للعرس تختلف بدورها، وقد لحقها أثر التغير الاجتماعي بحيث كانت كما ذكرنا أنفا أنها أغاني نسوية شعبية. أما الآن فنجد أغاني الراي هي سيدة الموقف في أغلب الأعراس، من خلال الآلات الموسيقية الضخمة (DJ)، مع بقاء بعض العائلات المحافظة على الأغاني الشعبية المحلية أو أغاني الفرقة الدينية، وقد بيدوا الشمال الجزائري أكثر تأثرا بعامل التغير (خاصة في جهته الغربية)، هذا فيما تبقى مناطق الجنوب لا زالت محافظة نسبيا اذا ما قورنت بالشمال الجزائري.

وبطبيعة الحال الحفل لا يخلوا من المأكولات فبعد أن كان الكسكس واللحم والحليب هو مائدة غداء وعشاء المدعويين أصبح الآن يتجه الأفراد الى الأطباق أو كما تسمى بالطاجين وترفق معه المشروبات والفواكه وأنواع السلطات كما أصبح يهتم بطريقة تقديم المائدة وألونها وديكور الصحن المقدم للمدعويين، هذا دون أن ننكر محافظة الكسكس على مكانته في بعض مناطق الجزائر.

هذا بالإضافة إلى ظهور أنماط لباس غريبة وقصات للشعر أغرب، والموسيقى الغربية (Rap- Hip Hop). إن هذه المؤشرات تنبأ بوجود حالة من التغير وتظهر كذلك إن القيم التقليدية لم تعد تؤثر بشكل كبير في طرق تفكير وأنماط سلوك الكثير من الفئات الاجتماعية. والحراك في المنظومة القيمية للأسرة الجزائرية.<sup>24</sup>

### 3. التغير في قيم ومعايير سن الزواج لدى الشباب:

ويرجع التأخر في سن الزواج لعدة عوامل كتأثير عامل التعليم على تأخر سن الزواج فانتشار التعليم لاسيما التعليم العالي، له أثر واضح في رسم مستقبل الشباب حيث " أن الشاب أو الفتاة لا يستطيعان الإقدام على الزواج إلا بعد إتمام فترة الدراسة. والحصول على عمل ملائم واجر مناسب يمكنهما من تكوين أسرة.

وقد عرف التعليم في المجتمع تطورا ملحوظا في عدد المقبلين عليه منذ الاستقلال، خاصة التعليم العالي الذي له أثر واضح في تأخر سن الزواج لدى الشباب. حيث أن الشاب بعد تخرجه يجد إمامه إلزامية الخدمة الوطنية وبعدها رحلة البحث عن العمل، ليفكر في الأخير بالزواج أما المرأة فتجد معاناة في البحث عن العمل.

وكذا بروز قيم ومعايير جديدة قللت من أهمية الزواج المبكر، فأصبح الزواج مرحلة يفكر الأفراد فيها خلال مرحلة شبابهم إلا أنهم يقضون هذه المرحلة في حياتهم أساسا في الاستعداد للزواج وهذه العملية تأخذ وقتا طويلا في الحاضر، كما أن النظرة الفردية للزواج تستدعي التريث في اتخاذ القرار، لأنه لا يحتمل مسؤولية الأسرة الجديدة سوى الزوجين الجديدين، على عكس ما كان عليه في الماضي حيث كانت النظرة للزواج جماعية وحيث تتولى العائلة كل أمور الزواج من اتخاذ القرارات إلى إعالة الأبناء والأسرة الجديدة.

كما أن أزمة السكن ساهمت في تأخر الشباب عن الزواج، فأصبح الشاب يطمح إلى العيش في بيت يوفر له أكثر راحة نفسية وجسمية بعيدا عن ضيق المسكن العائلي.<sup>25</sup>

#### 4. ارتفاع تكاليف الزواج (المهور):

حيث سجلت البيانات الميدانية تغيرًا كبيرًا وملموسا في قضية المهور التي تعد قضية حساسة حيث كانت اتجاهات أفراد العينة ذكورا واناثا، كبارا وصغارا إيجابيا تجاه مسألة رفع المهور حيث كان الاتجاه العام إيجابيا، حيث رفض معظم أفراد العينة، أن تكون المهور بسيطة وبلغت نسبة الاتجاه % 94.4، وهذا ما يجعلنا نقول أن الحياة المادية بدأت تسيطر على الريفيين، فبعد أن كانت المهور معقولة في الزيجات الريفية أصبحت اليوم تكاد لا تختلف عن المهور في المجتمع الحضري.

وهذا ما أكد عليه نور الدين بن الشيخ في دراسته حول البرابول وتغير قيمتي الزواج والإنجاب لدى الأسر الريفية % 38,3 للذين أجابوا موافق بالنسبة لزواج الأبناء من بنات الأقارب، و % 44,48 للذين أجابوا موافق بشدة بالنسبة للزواج القرابي، وهو ما يعني أن الزواج لم يبق داخليا أو لن يصبح كذلك مستقبلا، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة الاتجاه للأبناء والبنات حيث بلغت عند الأبناء % 81 وعند البنات % 92,2 بالنسبة لزواج الأبناء من بنات الأقارب، وبلغت نسبة الاتجاه للأبناء والبنات % 75,3 و % 80,5 بالنسبة لزواج البنات من أبناء الأقارب.

كما أن الزواج بالفاتحة قدبرز كظاهرة تفشت بشكل كبير في الجزائر، دون أن يكلف الرجل غير الإشهاد والإعلان، ويستوفي أركان الزواج طبقا لتعاليم الدين الإسلامي.. هذا الزواج كان مقبولا في زمن الأعراف، فلماذا انتشر اليوم في زمن كل شيء فيه بأوراق ثبوتية؟

ورغم كثرة المحاذير التي تطلقها المنظمات الحقوقية والاجتماعية، تقبل كثيرات على الزواج العرفي بسبب انتشار ظاهرة العنوسة في المجتمع وأزمة السكن، وأشار إلى أن اغلب تلك القضايا تخص الأزواج الذين سبق لهم الزواج من قبل، ثم تزوجوا مرة ثانية، وتعدّر عليهم تسجيل زواجهم الثاني في الحالة المدنية، وبالتالي تعذر عليهم التقدم أمام المصالح الرسمية

للتصريح بولاداتهم، وقال إن العديد من الأزواج يلجؤون إلى الأئمة لإبرام القران الشرعي مستعينين بشهود مزيفين، في حين لا تزال العائلات الجزائرية تبرم العقد الشرعي بقراءة الفاتحة وتؤجل العقد المدني لمدة عدة أشهر، وأحيانا سنة، وذلك حسب موعد الزفاف، حتى لا تقع فتياتها في سمة "مطلقة" إذا ما فشلت العلاقة قبل الدخول<sup>26</sup>.

ويتفاقم الزواج العرفي لأسباب أخرى غير تشديد قانون الارتباط بأكثر من زوجة، على رأسها ارتفاع المهور وارتفاع تكاليف الزواج والى عوامل اجتماعية وتغير معطيات الحياة الراهنة، والضغط.

كما برزت ظاهرة الزواج الإغترابي في أوساط الشباب الجزائري، من غير المواطنين وزواج المواطنين من غير المواطنين. فلم يعد للزواج القرابي نفس المكانة التي كان يحظى بها في المجتمع التقليدي، ولم يعد الالتزام بالزواج القرابي موجوداً إلا في حالات نادرة، وقد ساعد هذا الأبناء من الذكور والإناث على حرية الاختيار.

وتنامت أيضا في الآونة الأخيرة ظاهرة الزواج الافتراضي عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، البعيد عن ارض الواقع الا انه مبدئيا لا يختلف عن الحياة الزوجية الحقيقية، حيث يتم افتراض كل شيء بما في ذلك الأطفال، ويبدو أن هذه الحياة المفترضة قد أرضت رغبات الكثير من شباب اليوم بعد أن عجزوا عن تحقيق رغباتهم بكل أنواعها على ارض الواقع.

### خاتمة :

وفي الأخير يمكننا القول أن الزواج ارتبط في مجتمعا بمجموعة من القيم، لكن أخذت هذه الأخيرة تشهد تحولات مختلفة نتيجة الحراك الاجتماعي الذي يشهده المجتمع الجزائري مما نجم عنه تحول وتغير في المنظومة القيمية للزواج لدى الشباب الجزائري، حيث اتجه الشباب شيئا فشيئا نحو الاختيار الذاتي فبعدما كان الاختيار مرتبا من طرف الوالدين، أصبح الزواج مبنيا على الإرادة الحرة للزوجين أي الرجل والمرأة المعنيين به. وبذلك نلاحظ تقلصا كبيرا لدور الأسرة الجزائرية في أهم حدث يعرفه أبناؤها وبناتها.

## الهوامش:

- 1 طاهر محمد شلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على التميم في المجتمع الجزائري (1967-1999)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، دار بن مرابط، الجزائر، 2008، ص 44.
- 2 محمد عمر الطنوبي، التغيير الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية، جامعة الإسكندرية، مصر، 1996، ص 52.
- 3 محمد الدقس، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 1996، ص 15.
- 4 <http://writingskillsblog.blogspot.com/2015/06/1.html>, le 21/09/2016a 8h45.
- 5 السيد رشاد غنيم، دراسات في علم الاجتماع العربي، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 27.
- 6 أي فضل جبال الدين محمد أي مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد، 12، ط 1، دار صادر بيروت، ص 500، 1997.
- 7 محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 55.
- 8 خليل عبد الرحمن المعاينة، علم النفس الاجتماعي، ط 2، دار الفكر العربي، عمان، 2000، ص 185.
- 9 خليل عبد الرحمن المعاينة، المرجع نفسه، ص 186.
- 10 ابن منظور، مرجع سابق، ص 257.
- 11 محمد علي محمد: الشباب العربي والتغيير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 26.
12. السعيد بومعينة: أثر وسائل الإعلام على التميم والسلوكيات لدى الشباب، جامعة الجزائر، 2005، ص 177.
- 13 محمد علاء الدين عبد القادر: 1998، ص 26.
- 14 عبد المحي محمود حسن صالح: الخدمة الاجتماعية ومجالات الممارسة المهنية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2002، ص 105.
- 15 [www.Bahrainyouth.org](http://www.Bahrainyouth.org), le 25/10/2010, a 12h15
- 16 معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، الأردن، 2000، ص 55.
- 17 <http://www.echoroukonline.com/ara/?news=5248>, le 21/10/2016a 9h32
- 18 الموقع نفسه.

19 [http://yagool.dz/Ar/article\\_919.html](http://yagool.dz/Ar/article_919.html), 13/10/2016a 10h17

20 عبد العزيز سعد، الزواج والطلاق في قانون الأسرة الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر، 1996، ص 11.

21 مليكة ليديري، الزواج والشباب الجزائري إلى أين، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص 60.

22 أسماء باشيخ، مؤثرات التغير الاجتماعي والواقع الزواجي بالجزائر: سير نحو الفردانية، <http://jilrc.com>

23 نور الدين بن الشيخ، البرابول ومظاهر تغير قيمتي الزواج والإنجاب لدى الأسر الريفية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 39، جامعة سطيف، جوان 2013، ص 326.

24 <https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/altghyr-alqymy-fy-almdynte-aljzayryte>

25 (عوامل تأخر سن الزواج: <http://fashion.azyya.com>)

26 <https://socioalger.wordpress.com>

## الزواج غير الموثق في الجزائر - المحاذير و الحلول -

د.كريمة محروق - جامعة الإخوة منتوري قسنطينة - الجزائر

### Résumé :

*Le contrat de mariage non notarié en Algérie, est devenu l'un des objets les plus graves de la famille et du mariage, aujourd'hui et il suscite un grand débat sur le plan jurisprudentiel, juridique, psychologique et social.*

*Pour ces raisons, il faut mettre le point sur ces thèmes sociaux et les problèmes liés au mariage non notarié et il faut renforcer la prise de conscience de ses risques pour la femme, la famille et la société entière.*

### الملخص :

عقد الزواج غير الموثق في الجزائر، بات من أخطر موضوعات الأسرة والزواج على الإطلاق في أيامنا هذه وأصبح محل جدل واسع على المستوى الفقهي والقانوني والنفسي والاجتماعي.

لذلك يلزم التركيز على هذه القضايا الاجتماعية والمشكلات المرتبطة بموضوع الزواج غير الموثق والتوعية بمخاطرها على المرأة والأسرة والمجتمع بأسره.

### مقدمة:

عقد الزواج غير الموثق في الجزائر، بات من أخطر موضوعات الأسرة والزواج على الإطلاق في أيامنا هذه وأصبح محل جدل واسع على المستوى الفقهي والقانوني والنفسي والاجتماعي.

وبات مرتبطا ببعض القضايا الاجتماعية، التي تتحول إلى مشكلات اجتماعية منشؤها محاولة البعض التحايل على أحكام الشرع أو القانون للوصول إلى تحقيق ما يعتبرونه نفعاً،

وهو في حقيقته يلحق ضرراً بالغاً بحقوق المرأة والطفل والمجتمع، والذي يكون الضحية الأولى لهذا الاستغلال السيء لأحكام الدين، ولا يحقق مقاصد الزواج من ألفة ورحمة ومودة ويكون فيه التهرب من الالتزامات والواجبات الزوجية وفيه انتشار للقطاء والآفات الاجتماعية.

لذلك يلزم التركيز على هذه القضايا الاجتماعية والمشكلات المرتبطة بموضوع الزواج والتوعية بمخاطرها على المرأة والأسرة والمجتمع بأسره.

ومن أهم صور الزواج غير الموثق والمنتشرة في المجتمع الجزائري الزواج العرفي والزواج السري والمسيار مما يطرح الاشكال التالي:

- ما هو أثر كل عقد الزواج غير الموثق على الزوجين والأبناء والمجتمع؟
- ما هو عقد الزواج غير الموثق؟ وما هي صورته؟
- ما هو واقع الزواج غير الموثق في الجزائر وما هي أسبابه؟ وما هي انعكاساته على الاسرة و المجتمع الجزائري؟ وما هي الحلول الكفيلة للحد منه؟

وقد قسمت هذه الورقة البحثية الى:

المبحث الاول: تعريف عقد الزواج غير الموثق وحكمه

المبحث الثاني: واقع الزواج غير الموثق في الجزائر وأسبابه وانعكاساته على الاسرة الجزائرية

المبحث الثالث: الحلول الكفيلة للحد من الزواج غير الموثق.

## المبحث الأول: ماهية الزواج غير الموثق

لاشك أن موضوع الزواج غير الموثق يعدّ من أخطر الموضوعات المعاصرة في باب الزواج، خاصة وأنه قد انتشر وتفشى في الآونة الأخيرة، الأمر الذي أثار جدلا واسعا بين الفقهاء المعاصرين لاسيما في بيان حقيقته وحكمه وصوره.

وسوف نحاول بيان ماهية الزواج غير الموثق من خلال:

- المطلب الأول: تعريف الزواج غير الموثق

• المطلب الثاني : حكم الزواج غير الموثق

المطلب الأول: تعريف الزواج غير الموثق

عرفه الفقهاء بأنه زواج غير المسجل سواء على يد مأذون شرعي في محكمة الأحوال الشخصية أو في الشهر العقاري<sup>1</sup>. أو هو « الزواج ... غير مسجل بوثيقة رسمية، كعدم تسجيله في المحكمة الشرعية »<sup>2</sup>. أو زواج لم يسجل في المحكمة الشرعية ولم يجري على يد مأذون، ولم تصدر فيه وثيقة زواج<sup>3</sup>.

يفهم من هذه التعاريف أن عقد الزواج غير الموثق، هو عقد يتم بين رجل وامرأة دون أن يتم توثيقه وتسجيله لدى الموظف المؤهل قانونا لذلك.

وتجدر الإشارة أن الزواج غير الموثق له تسميات متعددة فقد يكون مكتمل الأركان والشروط ويسمى بالزواج العرفي، وقد يكون بدون شهود ويسمى بزواج السر وقد يقصد منه التمتع ويسمى بزواج المتعة وقد يكون القصد منه التحليل دون قصد الدوام والاستقرار فيسمى نكاح التحليل، وقد يكون الزواج غير الموثق دون صداق ويسمى نكاح الشغار.

المطلب الثاني: حكم الزواج غير الموثق

ذهب جمهور الفقهاء إلى صحة ومشروعية عقد الزواج المكتمل الأركان وشروط الصحة وبطلان عقود الزواج التي تتم في سرية بدون ولي ولا شهود، إذ يكفي فيها الطرفان بالإيجاب والقبول أو تتم بحضور الشهود دون الولي، مع التواصي بالكتان، ووصفوا هذين النوعين من الزواج بالزنا المقتنع بل والأكثر من ذلك ذهب بعض الفقهاء إلى اعتبار عقد الزواج غير الموثق والمكتمل الأركان ممنوع شرعا مع صحة التعاقد، إذا لم يوثق رسميا أمام جهات رسمية وكل هذا حفظا على العرض والنسب.<sup>4</sup>

المبحث الثاني: واقع الزواج غير الموثق في الجزائر وعوامله وانعكاساته:

إن الزواج غير الموثق قد عرف تزايد ملحوظا، في الآونة الأخيرة و أصبحت طلبات إثبات الزواج و النسب تعج بها رفوف المحاكم من شرائح مختلفة داخل المجتمع سواء كانت

طبقة مثقفة واعية أو دونها الأمر الذي جعلنا نطرح السؤال الآتي : ما هي أسباب وعوامل عدم التوثيق عقد الزواج ؟ وما هي المفاصد المترتبة عليه ؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة يتطلب منها تقسيمها إلى ثلاثة مطالبتنا في المطلب الأول صور وواقع الزواج غير الموثق في الجزائر، أسباب عدم توثيق عقد الزواج في المطلب الثاني إنعكاسات عدم توثيق الزواج على الأسرة والمجتمع الجزائري المطلب الثالث.

## المطلب الأول: صور وواقع الزواج غير الموثق في الجزائر

نتناول هذا المطلب من خلال عرض الزواج العرفي الفرع الأول وزواج المسير في الفرع الثاني.

### الفرع الأول: الزواج العرفي

ان أكثر الصور التي باتت منتشرة في الجزائر هي الزواج العرفي، سنتناول تعريف الزواج العرفي وحكمه في الفقرة الأولى، واقع الزواج العرفي في الجزائر الفقرة الثانية، واقع الزواج العرفي في الجزائر الفقرة الثالثة الجامعات بوابة للزواج العرفي.

### الفقرة الأولى: تعريف الزواج العرفي وحكمه:

عرفها بدوي علي «هو عقد بين رجل وامرأة أبرم وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وتم فيه الدخول بالزوجة، إلى بيت الزوجية، ولم يسجل في سجلات الحالة المدنية خلال المهلة المحددة قانونا لذلك».<sup>5</sup>

من خلال التعاريف السابقة للزواج العرفي، نصل إلى أنه زواج متوافر على جميع الأركان الشرعية من رضا الزوجين، وولي الزوجة، وشهود، والإعلان، وكل ما في الأمر أنه لم يوثق لدى الجهات المكلفة بتسجيله، وقد اصطلح عليه الفقهاء الزواج العرفي، لأنه يتم وفق ما تعارف عليه الناس منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يطلق عليه اسم الزواج المغفل لإغفاله بعدم تسجيله، ويصطلح عليه عقد زواج شرعي، لأنه مكتمل الأركان الشرعية كما يطلق عليه اسم الزواج بالفاتحة لاقتارانه بها. وتجدر الإشارة هنا، أن مصطلح الزواج العرفي، مصطلح حديث، وهو في مقابل عقد الزواج الرسمي أو الموثق.<sup>6</sup>

والأصل أن الزواج العرفي متى كان مستوفيا لكل شروطه الشرعية، فإنه زواج صحيح يترتب عليه كل الآثار الشرعية للزواج سواء لزوج والزوجة وأبناء.

ولكن لأسباب سيأتي بيانها، فإنه شبه إجماع من الفقهاء المعاصرين بأن الزواج العرفي، المستكمل لأركانه الشرعية، وغير الموثق، لدى الجهات المكلفة بذلك يوشك أن يكون زواجا مكروها، كراهة قانونية واجتماعية ترتب الكراهة الشرعية.

### الفقرة الثانية: واقع الزواج العرفي في الجزائر

عرف الزواج العرفي في الجزائرسيا السنوات الأخيرة استفحالا وانتشر بين كل الفئات وتمركز أكثر بين الرجال المتزوجين وطلبة الجامعات والأجانب ممن لا يستطيعون البقاء، في حين أن بطلاته هن من الطالبات أو المطلقات والأرامل اللواتي لا يفرق معهن العرفي من دونه طالما أنها وثيقة أمام الله.

والجديد في الأمر اليوم أن أكثر المتورّطين في هذه القضايا هم الأجانب المسلمين وغير المسلمين الذين يدخلون الجزائر بغرض العمل أو الاستقرار، إلى جانب الجزائريين ميسوري الحال الراغبين في الزواج للمرة الثانية بعيدا عن أعين الزوجة الأولى. وعن مشاكل الإشهار التي تجر وراءها هموم كبيرة هم في غنى عنها، خاصة وأن المجتمع الجزائري لا يستسيغ الزواج الثاني ولا يعترف به.

وقد سجلت مصادر قضائية أكثر من 4500 قضية لهذا النوع من الزيجات غير الموثقة، وما خفي كان أعظم لأن السواد الأعظم من هذه الزيجات ينتهي دون مشاكل بعد انقضاء المصلحة المشتركة والزيجات المعلن عنها هي فقط تلك التي طرقت أبواب المحاكم في قضايا إثبات النسب وغيرها.

### الفقرة الثالثة: الجامعات بوابة للزواج العرفي

يلجأ الكثير من شباب الجامعات اليوم إلى الإيقاع بالفرائس السهلة في شباك الزواج العرفي ، خاصة منهن البعيدات عن أهاليهن ، فتبدأ الرحلة بادعاء الحب والغرام والهيام وتنتهي بإبرام عقد دون ولي ولا إعلان شرعي وإتاما زواج سري محرم في ظل غياب الضمير

الإنساني وتغلب الشهوة وعدم وجود الوازع الديني الذي يحرك العواطف البشرية ويهذبها ليرتقي بها إلى أعلى درجات ممكنة من سمو، فالشرع لا يجارب العواطف ولا الشهوات، ولكنّه يروضها ويهذبها لتكون في خدمة الإنسانية جمعاء لتكوين البيت المسلم وتوفير السكينة والطمأنينة، لكن ما يحدث في جامعاتنا اليوم لا يعدو كونه عبثاً، لكن من تقعن في شراكه لا تدركن ذلك إلا بعد أن تقع الفأس في الرأس.<sup>7</sup>

### الفرع الثاني: زواج المسيار والمتعة في الجزائر

اصبحت الجزائر محطة لزواج المسيار، الذي وجد مناخ مناسب حتى ينتشر كلهيب بفعل عوامل اقتصادية واجتماعية وسوف نتناول تعريف زواج المسيار في الفقرة الاولى، الفقرة الثانية الرؤية النفسية والاجتماعية لزواج المسيار الفقرة الثالثة، زواج المسيار من الناحية القانونية الفقرة الرابعة زواج المسيار ومواقع الأترنت.

#### الفقرة الأولى: التعريف بزواج المسيار

سمي هذا النوع من الزواج مسياراً تميزاً لما تعارف عليه الناس في الزواج العادي، لان الرجل في هذا الزواج يسير إلى الزوجة في أوقات متفرقة ولا يستقر عندها، وهو مستوفي الشروط والأركان ما عدا أن الزوجة تتنازل عن بعض حقوقها الشرعية برضاها مثل النفقة وعدم إلزام الزوج بواجباته نحوها كما انه قد يكون في السر. عرف زواج المسيار منذ عدة سنوات، والفقهاء في خلاف وجدل حول مشروعيته بين مؤيد ومعارض، فالمؤيدين يرونه مستكملاً لشروط الزواج الشرعي، وحل لمشكلات اجتماعية خطيرة، أبرزها مشكلة العنوسة، أما المعارضين فيرونه ناقصاً من الناحية الشرعية ومدعاة لتفجر مشكلات أخلاقية واجتماعية في المجتمعات المسلمة، وبعد الجدل في العالم العربي حول جواز "زواج المسيار" تم مؤخراً إجازته من طرف مجمع الفقه الإسلامي في دورته 18 المنعقدة بمكة ودار الإفتاء المصرية والعديد من العلماء. وزارة الشؤون الدينية صنفته في خانة العلاقات الجنسية الممنوعة.<sup>8</sup>

## واقع زواج المسيار في الجزائر

عرف هذا النوع من الزواج انتشارا كبيرا بين أوساط الشباب لتبرير العلاقات المشبوهة، وتكشف أرقام غير رسمية أن نحو 30 بالمائة من الجزائريين يعيشون في ظروف زواج المسيار، ويختارونه طريقة للعيش مع امرأة لسبب أو آخر ويأتي على رأس هؤلاء شخصيات سياسية وثقافية، فنية ورجال أعمال، يأتي هذا في الوقت الذي حرمت فيه وزارة الشؤون الدينية هذا النوع من الزواج.

زواج المسيار موجود في المجتمع الجزائري منذ آلاف السنين والجديد فيه هو التسمية فقط، بحيث تلجا إليه العديد من النساء ميسورات الحال للفوز بزواج والخروج من دوامة العنوسة التي تطارد 11 مليون بنت في الجزائر<sup>9</sup>.

### الفقرة الثانية: الرؤية النفسية والاجتماعية لزواج المسيار

أكدت الأخصائية النفسانية "سهام طالحي" أن الآثار النفسية لمثل هذا الزواج ابعدها كثيرا مما يعتقدونه المقبولون عليه وأن أكثر من يدفع الثمن هي الزوجة والأطفال بالدرجة الأولى، ان الترابط العضوي للأسرة أمر أساسي في عملية التشبع العاطفي بين الزوجين وإلا فان القضية ستصبح محطة عابرة أو متكررة يميزها اللقاء الجنسي فقط بما أن الحقوق الأخرى يسقطها الزواج عن المرأة كحق النفقة والسكن والمبيت وبذلك يضع معنى المودة والتزام كما يضع مفهوم العدل بين الزوجات والذي جعله الإسلام شرطا أساسيا لتعدد الزوجات. لكن تضيف "سهام طالحي" قبول المرأة لهذا النوع من الذل تبريره العنوسة والتزلزل والطلاق والظروف الاجتماعية الصعبة.

رغم إباحة هذا الزواج من طرف العديد من العلماء والمجامع الفقهية العربية، إلا أنه محل جدل ورفض وسط غالبية الجزائريين الذين يعتبرونه زواجا شاذا وإهانة للمرأة وعائلتها على حد سواء.

وقد أكد الدكتور يوسف حنطالبي، مختص في علم الاجتماع وأستاذ بجامعة البليدة، أن الزواج من المنظور السوسولوجي هو عقد اجتماعي مرتبط بالقيم العائلية التي تعطي له

الشرعية حسب تقاليد كل منطقة بما يتوافق مع الدين، فكل علاقة بين رجل وامرأة خارج نطاق العائلة تعتبر علاقة غير شرعية، لأن العادات والتقاليد التي تتحكم في العائلة هي التي تعطي قيمة وشرعية للزواج، ومع تراجع تأثير ودور العائلة التقليدية في المجتمع الجزائري الحديث، يضيف المتحدث، ومع تغير النمط العمراني واستقلالية المرأة اقتصاديا وتأخر سن الزواج وتزايد معدلات العنوسة والطلاق، تدخلت في المجتمع قيم جديدة سمحت بظهور أنماط جديدة من الزواج التي باتت تتحكم فيه أكثر الظروف الاجتماعية للرجل والمرأة بعيدا عن الشرعية العائلية التي فقدت قيمتها.

وفي هذا الإطار يقول الدكتور خنطابلي إن زواج المسيار في الجزائر بات أمرا مفروضا على المرأة التي باتت تضغط على رجل الدين والعائلة للتوافق مع متطلباتها في تأسيس علاقة زوجية كانت مرفوضة في السابق، خاصة في ظل خروج المرأة للعمل واستقلاليتها الاقتصادية عن العائلة، حيث تحولت الى منقفة ماليا، بمقدورها أن تؤثر في العائلة بدل أن تتأثر بها.

ومن المنظور الاجتماعي الحديث، فإن زواج المسيار بات ظاهرة فرضت نفسها اجتماعيا للتخفيف من الضغط الذي تعانيه الكثير من النساء اللواتي يفضلن هذا النوع من الزواج بدل الانضمام الى طابور العنوسة في مجتمع تتحكم فيه الألقاب الاجتماعية.

### الفقرة الثالثة: زواج المسيار من الناحية القانونية

أما من الناحية القانونية فان مثل هذه العلاقات لا يحميها القانون لأنها غير شرعية في نظره، لان هذا الأخير يبني بنوده من الشريعة الإسلامية، فالزواج القانوني واضح ومثل هذه الزيجات تكون في السر ومشجعها يحاولون تحليل الحرام لكن تنتشر بكثرة في أوساط الجامعات ويتخذونها كمبرر لعلاقاتهم الغير شرعية، فقانون الأسرة جاء واضحا لبنائها لكن هذا النوع من الزواج يخل بهذا النظام وان هذا الزواج ليس باطلا بل هو ليس بزواج لا في القانون الوضعي ولا في الشريعة الإسلامية.

## الفقرة الرابعة: زواج المسيار ومواقع الأترنت

يعرف أكبر موقع عربي إلكتروني لزواج المسيار تواجد عدد معتبر من الجزائريين الباحثين عن زوجات دون توفير النفقة والمسكن، معظمهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 35 سنة و45 سنة، والذين ينحدرون من ولايات مختلفة أهمها الجزائر العاصمة، ميلة، سيدي بلعباس، واد سوف...

وفي التدقيق في معلومات المهتمين الجزائريين بهذا الزواج عبر الأترنت، فإن معظمهم من التجار ورجال الأعمال الذين يكثرون من السفر للبلدان العربية أهمها لبنان وتونس والإمارات العربية ومصر، حيث يفضلون إقامة علاقات شرعية مع فتيات دون توفير السكن حيث يجتمعون بهن في الفنادق، ومع تزايد معدلات العنوسة وأزمة السكن في الوطن العربي، فإن الموقع الإلكتروني لزواج المسيار يحتوي على أزيد من 10 آلاف امرأة تطلب هذا النوع من الزواج من بلدان عربية متنوعة، في حين فاق عدد الرجال 50 ألف رجل من بينهم جزائريون، وهذا ما يدل على انتشار.

## الفرع الثالث: إحصائيات الزواج غير الموثق في الجزائر

كشفت إحصاءات تقديرية من مصادر في سلك العدالة، أن مجموع قضايا الزواج العرفي والزواج المزيّف المطروحة على المحاكم الجزائرية يتراوح بين 4000 و5600 نزاع قضائي في الأحوال الشخصية كلها تتعلق بقضايا إثبات عقد الزواج أو إثبات وقوع الفاتحة وإثبات النسب ومطالبة الاعتراف بالأبناء بسبب عدم التزام الأئمة بتطبيق تعليمية وزارة الشؤون الدينية القاضية بعدم إبرام الزواج الشرعي إلا بعد تسجيل الزواج في سجل الحالة المدنية<sup>10</sup>.

كما كشفت أرقام رسمية لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف أن المساجد الجزائرية تبرم مليونين و300 ألف «زواج فاتحة» سنويا، شرط أن يتم توثيقها في سجل الحالة المدنية بالبلدية المعنية<sup>11</sup>.

ورافق تنامي الظاهرة بروز حوالي 4 آلاف قضية "زواج مزيف" على مستوى المحاكم، يتعلق معظمها بشكاوى رفعتها نساء تضررن من حالات حمل غير معترف بها، نتجت من علاقات زوجية "عرفية".

وتشير الإحصائيات المقدمة من المحاكم المحلية، إلى أنّ عدد القضايا المتعلقة بإثبات الزيجات العرفية التي تم الفصل فيها خلال السداسي الأول من السنة الجارية بلغت 451 قضية من ضمن 2339 قضية كاملة، وعادة ما يفصل القاضي في "الزيجات العرفية" بتثبيت العلاقة بوساطة وثيقة يتم استخراجها من سجل الحالة المدنية، وفي حالة عدم تسجيل هذا الزواج يثبت بحكم قضائي ويتم تثبيت الزواج في سجلات الحالة المدنية بأمر من الإدعاء العام طبقا للمادة 22 من قانون الأسرة للحد من تصرفات غير لائقة وحماية المجتمع من المحتملين.

كما أفادت مصادر قضائية تسجيل أكثر من 4500 قضية لزواج المسيار وزواج المتعة منذ سنة 2006، كشفت إحصاءات تقديرية من مصادر في سلك العدالة الجزائرية<sup>12</sup>.

### المطلب الثاني: عوامل التهرب من توثيق عقد الزواج

تتنوع أسباب عدم توثيق عقد الزواج إذ منها القانونية والاجتماعية والنفسية وكذا الأسرية والإعلامية والأخلاقية وأخرى دينية وبيئية وستناولها بالتفصيل على النحو الآتي:

#### الفرع الأول: التهرب من القيود القانونية

تعد القيود القانونية أحد أهم العوامل التي تدفع الأفراد نحو التهرب من توثيق عقود زواجهم.

ويقصد بها، القيود القانونية والأحكام التي يفرض القانون على الأفراد احترامها والتزامها عند إجراء عقود زواجهم وقد برزت بعد تعديل قانون الأسرة الجديد، حيث استحدث المشرع الجزائري مواد جديدة وتعديلا لمواد قديمة، تضم قيود يتعذر على بعض الأفراد الالتزام بها لعدم توافرهم على الشروط اللازمة الأمر الذي أدى إلى تزايد ملحوظ لظاهرة

الزواج غير الموثق وتمثل هذه القيود في رخصة تعدد الزوجات، فالمشرع الجزائري بعد أن أباح تعدد الزوجات أورد قيودا على ذلك اعتبرها بعض الأفراد ثقيلة بالنسبة لهم، ولم يجدوا طريقا سهلا سوى اللجوء إلى الزواج غير الموثق إذ يجب على الراغب في التعدد أن يلتزم بالقيود المحددة في المادة 08 ق.أ.ج السابق ذكرها .

وأمام هذه القيود فيما يخص التعدد فإن الكثير من الأزواج يلجأ إلى الاحتيال على القانون عن طريق الزواج غير الموثق والذي يصبح فيه القاضي مجبرا على تثبيت الزواج خاصة في حالة إنجاب الأطفال<sup>13</sup>.

كما يجد الرجل نفسه مدفوعا للزواج بأخرى زواجا غير موثق خشية أن يصل إلى علم زوجته الأولى خبر زواجه بثانية فتطالبه بالطلاق، وهو ما يهدد كيان أسرته بالانهيار.

كما يفرض القانون على كل مقبل على الزواج إحضار الوثائق الإدارية من أجل توثيق عقد زواجه فإذا تخلفت وثيقة واحدة امتنع ضابط الحالة المدنية أو الموثق من توثيق عقد الزواج.

هذه الشروط والوثائق تعد قيود يصعب على بعض الأفراد تحصيلها خاصة أن منهم من لم يقيدوا في الحالة المدنية وبالتالي لا يملكون أي وثيقة تثبت هويتهم الأمر الذي يدفعهم للزواج دون توثيق.

كما يلزم القانون كل مطلق أو مطلقة إحضار إلى جانب الوثائق السابق ذكرها شهادة الطلاق بالنسبة للرجل وشهادة تثبت أن الطلاق تم منذ أكثر من ثلاثة أشهر بالنسبة للمرأة.

ويحدث أن يمتنع ضابط الحالة المدنية تسليم شهادة تثبت وقوع الطلاق، وذلك لعدم تبليغه بحكم الطلاق من طرف رئيس كتابة الضبط الجهة القضائية التي أصدرت حكم الطلاق زد على ذلك أن رئيس كتابة الضبط في أغلب المحاكم والمجالس القضائية لا يقوم بهذا الإجراء من تلقاء نفسه، بل بناء على طلب ممن يرغب من أحد الزوجين في الإسراع بتسجيل الطلاق على هامش سجلات الحالة المدنية.

كما أن الشهادة التي تثبت الطلاق غالبا لا تسلم إلا بإحضار -نسخة من حكم الطلاق- نسخة من محضر تبليغ الحكومأمام صعوبة استخراج مثل هذه الشهادة يضطر الأفراد ...، للزواج دون توثيق<sup>14</sup>.

كما يشترط القانون لزواج موظفي الأمن والمتمين إلى الجيش الشعبي الوطني وأفراد الدرك الوطني زيادة على الشروط الواجب توافرها لتوثيق عقود زواجهم أمام المصالح الرسمية أن يقدموا رخصة تسلم لهم من الإدارة المستخدمة بعد إجراء بحث اجتماعي حول العائلة المراد مصاهرتها.

ومعلوم أن تسليم الرخصة من قبل الإدارة في أكثر الأحيان يأخذ وقتا طويلا ينجم عنه رفض منح الرخصة لأسباب موضوعية قد تتعلق بسلوك الزوجة أو السيرة السيئة للأسرة الأمر الذي ويدفع الأفراد للزواج دون توثيق أمام الجهات المكلفة رسميا بذلك.

كذلك يحدث أن ترغب امرأة جزائرية مسلمة في الزواج بأجنبي غير مسلم، والأجنبي في مفهوم القانون هو كل شخص لا يحمل الجنسية الجزائرية، ولكون زواج المسلمة بغير المسلم محذور شرعا وقانونا.

فإنه يتعين على الأجنبي غير المسلم أن يدين بالإسلام وأن يحضر شهادة من نظارة الشؤون الدينية تثبت تدينه بالدين الإسلامي، كما يتعين عليه وعلى المرغوب الزواج بها إحضار ترخيص بالزواج من الأجنبي يستخرج من مديريةية التنظيم بالولاية.

كما يحدث أن ترغب المرأة الجزائرية المقيمة في الخارج التزوج بجزائري، غير أن زواجها هذا قد يجرهما من الامتيازات التي تمنحها لها الدول الأجنبية، كعاش زوجها المتوفى، أو تعويضات تقدم لها لأسباب ما، فإتها لا تجد أمامها سوى الزواج دون توثيق.

كما وضع المشرع الجزائري قيودا على سن الزواج حيث حدده بـ 19 سنة كاملة بالنسبة للزوجين وهذا يتضح من نص المادة 07 ق.أ.

وعليه فإن تحديد سن الزواج والإجراءات المتبعة للحصول على رخصة تسمح بالزواج دون السن القانوني له تعتبر قيودا في نظر المواطن الذي تعوزه الضرورة والحاجة

لأنّ يزوج ابنه أو ابنته دون سن الزواج ولا يجد الأولياء من مخرج إلا الزواج غير الموثق<sup>15</sup>.

كما يحدث أن تلجأ الزوجة إلى الزواج دون توثيقه أمام الموظف المؤهل لذلك رسمياً رغبة منها في الاحتفاظ بمعاش زوجها المتوفى<sup>16</sup>.

الأصل أن الحضانة حق للأُم وقد ترغب الحضانة في الزواج وفي الوقت ذاته الاحتفاظ بمسكن الحضانة المقرر لها قانوناً بمناسبة ممارسة الحضانة هذا مانصت عليها المادة 72 ق.أ.ج ومعلوم أنه بمجرد زواج الحضانة رسمياً تفقد مسكن الحضانة والمحضون معاً، وتسقط هذه الحقوق ولا تجد منفذا سوى اللجوء للزواج غير الموثق.

### الفرع الثاني: العوامل الأسرية التربوية والاجتماعية

ان فقدان التكامل والتكافل الاجتماعي داخل الأسرة أدى إلى انحراف سلوك الأبناء حيث يجدون أنفسهم في حرية مطلقة دون رقيب ولا حسيب على تصرفاتهم، الأمر الذي يجعلهم ضحايا رفاق السوء ووسائل الإعلام التي يتعلمون منها ما يضرهم، ويكونون ثقافتهم الجنسية والزوجية.

كذلك كثرة عدد الأبناء داخل الأسرة الواحدة، وكثرة الخلافات الزوجية والأسرية التي يؤثر على سلوك الأبناء خاصة في المراحل العمرية مثل المراهقة، التي تعد أصعب المراحل السنية التي لا يستطيع الأبناء اجتيازها بمفردهم دون توعية ورعاية من والديهم.

كبت الحريات داخل الأسرة، إذ من الأسر من يقيد أبنائه بلجام من حديد مما يدعوهم للتمرد على سلطة الأهل محاولين إثبات ذاتهم وشخصيتهم ولو كان ذلك من خلال زواج غير موثق.

فهذه المتناقضات داخل الأسرة تكون سبباً رئيساً في لجوء الأفراد للزواج غير الموثق بمختلف صورته لاسيما الزواج السري.

وعن مسؤولية الأسرة في انتشار الزواج الموثق يقول الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب السابق «أن مشكلة الزواج العرفي ..... ترجع أساسا للتنشئة داخل الأسرة ولا أعتقد أن هناك أسرة سوية يلجأ أبناؤها لمثل هذا النوع من الزواج»<sup>17</sup>.

كما مهدت المؤسسات التربوية سواء المدرسة أو الإعدادية أو الثانوية أو الجامعة في نشر الزواج غير الموثق، ويتضح ذلك من خلال البرنامج المعتمد حيث تمّ تهميش مادة الدين واعتبارها من نوافل المناهج الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمية الدينية وتدني الثقافة الإسلامية، لدى الطلبة والطالبات وبتالي جهلهم بأحكام الدين وبحكم الزواج غير الموثق بصوره المختلفة ويصدقون ما يقال هنا وهناك وما يذاع في وسائل الإعلام المختلفة من صحة هذه الأنواع.

وعليه فابتعاد الأسرة والمدرسة عن الدور المنوط بها في توجيه النشء وتربيته من بين أسباب انتشار الزواج غير الموثق. يقول أمين حمودة في كتابه الزواج العرفي بين الطلبة: «إن رجال الفكر وعلماء الشرع وأساتذة الاجتماع يتفقون على أن أسباب هذه الظاهرة هي أسباب تربوية في المقام الأول... أهمها «تهميش مادة الدين... أدى إلى عدم اهتمام الطلاب بها... أكبر الأثر في انتشار هذه الظاهرة بين الطلاب»<sup>18</sup>

كما تعد الفوارق الاجتماعية أحد العوامل التي تساهم في انتشار الزواج غير الموثق، إذ يحدث أن يرغب الرجل أو المرأة في الزواج بمن دونه مستوى ونتيجة لرفض المجتمع لمثل هذا الزواج غير المتكافئ وعدم تقبله له وأمام رغبة الزوج أو الزوجة في المحافظة على سمعتها ومكنتها الاجتماعية يلجأ إلى الزواج غير الموثق. تأخر سن الزواج أكدت العديد من الدراسات والإحصائيات في الكثير من الدول ارتفاع نسبة النساء على عدد الرجال في المجتمع، الأمر الذي أدى إلى انتشار ظاهرة العنوسة، بالإضافة إلى تدخل عوامل اقتصادية ونفسية، كـرغبة بعض النساء في إتمام الدراسة ورفض الزواج قبل ذلك.

وعليه بات تأخر سن الزواج مشكلة طفحت على السطح وهي السبب وراء انتشار الزواج غير الموثق وانتشار الانحرافات الجنسية<sup>19</sup>.

وتعتبر الصعوبات المادية التي تحيط بكثير من الشباب في الآونة الأخيرة، من أكبر معوقات الزواج الأمر الذي يدفعهم للزواج غير الموثق.

### الفرع الثاني: العوامل الدينية والاعلامية

تعد من أسباب ظهور الزواج غير الموثق الأسباب الدينية، وينظر إليها من وجهين، من جهة تأثر الأفراد بأحكام الشريعة الإسلامية ومن جهة الجهل بأحكام الدين وضعف الوازع الديني والاضطراب في الفتوى.

إن المواطنين بقوا متشبثين بما ألفوا عليه آباءهم من عقد زواج شرعي على يد الإمام، رغم ما يترتب عليه من آثار سلبية تظهر عند النزاع أمام القضاء سواء حول حقيقة وجود هذا العقد أو صحته أو إثبات نسب الأطفال الناجمين عنه، والتي يطول الفصل فيها. وكانت بذلك أحكام الشريعة الإسلامية وما تعارف عليه الناس تأثير كبير في لجوء الأفراد للزواج دون توثيق.<sup>20</sup>

إذ بسبب ضعف الوازع الدين أصبحنا نسمع عن حالات النكران والمجروح للعلاقة الزوجية من جهة الزوج خاصة، إذ من السهل عليه أن يوقع بالمرأة فريسة له بعدما يقنعها بالزواج به دون توثيق على أن يوثقا زواجهما لاحقا، بعد تسوية وضعيته المادية أو الزوجية إذا كان متزوجا بأخرى.

وسرعان ما يتخلى عنها وينكر علاقته بها، ويتركها تتجرع الآلام حيث تتهم في عرضها وشرفها هي وعائلتها، وما كان لمن تشبع بالقيم والدين أن يفعل مثل هذا.

هذا وإن من الأسباب القوية وراء الإقدام على الزواج غير الموثق، حمل الكثيرين بالحكم الشرعي الصحيح لصور الزواج غير الموثق لاسيما زواج المتعة والزواج السري حيث عمت الأمية الدينية وحل الفراغ الديني في نفوس الكثيرين.

كما يعد اضطراب الفتوى وتضاربها بين العلماء واختلافهم بشأن الحكم الشرعي للزواج غير الموثق سبب آخر من أسباب انتشاره فلقد قال الدكتور عبد المحسن أستاذ الطب

النفسي بجامعة القاهرة: «إن إنشاق رجال الدين وعلماء الإسلام حول أحكام الحل والحرمة في الزواج العرفي، يزيد من تعقيد الأمور، ويزيد من هذه العلاقة المشبوهة...»<sup>21</sup>

كما لعبت وسائل الإعلام بمختلف أنواعها دورا مهما وخطيرا في انتشار الزواج غير الموثق وذلك خلال ما يتم إذاعته ونشره سواء في الإعلام المقروء أو المسموع أو المرئي.

### المطلب الثاني: انعكاسات الزواج غير الموثق

إن عقد الزواج غير الموثق يترتب عليه مفسد تمس الطفل الفرع الاوول والمرأة الفرع الثاني والمجتمع الفرع الثالث والقضاء الفرع الرابع.

#### الفرع الأول: ضياع حق الطفل في النسب

من أخطب المفسد التي يخلفها الزواج غير الموثق، ضياع الأنساب، ذلك أن الزوج بعد أن يقنع المرأة بالزواج به دون توثيق، يتركها خاصة إذا اكتشف حملها، تهربا من المسؤولية وهنا تجد الزوجة نفسها أمام العدالة ساعية لإثبات زواجها، وإثبات نسب الولد لأبيه وفي المقابل تجد دعوى نفي النسب مرفوعة من الزوج، وقد ينتهي الأمر برفض إلحاق نسب الابن لأبيه، فيهدر حق هذا الطفل في النسب.

وتضيع حقوقه الشرعية والقانونية حيث لا يسجل في سجلات الحالة المدنية، ولا يمكنه الالتحاق بالمدرسة، ولا السفر، كما لا يكون لديه بطاقة تثبت هويته، ولا يمكنه الالتحاق بالوظائف الحكومية، وبالتالي يفقد هويته، ومكانه داخل المجتمع، وعليه إذا ما أراد الحصول على حقوقه كابن شرعي لا بد أن يقدم ما يثبت ذلك وهو ليس بالأمر السهل، مما ينعكس سلبا على نفسيته<sup>22</sup>. من جهة أخرى، أن انتشار الزواج العرفي تسبب في العديد من المشاكل الإدارية، والتي غالبا ما تنعكس سلبا على الأبناء لدى التحاقهم بالحياة العملية واستخراج وثائقهم الرسمية، وهو ما -حسبه فوت عليهم الكثير من الفرص. قد عرفت قضايا إثبات النسب انتشارا واسعا في المحاكم المختصة بالنظر في قضايا الأحوال الشخصية.

وحسب التقديرات الرسمية التي ذكرها المركز والتي تشير إلى 5 آلاف مولود خارج إطار الزواج القانوني على مستوى التراب الوطني، فإن هذا العدد كبير مقارنة بمعدلات الإنجاب والزيادة الطبيعية للنمو الديموغرافي في الجزائر. وترى نتائج الدراسة أن هذه الشريحة من الأطفال تولد غالبا من أمهات بائعات هوى أو متزوجات سرا أو الزواج العرفي أو كما يطلق عليه الزواج بالفاتحة دون الدفتر العائلي الذي يحمي حقوق الأم والطفل.

### الفرع الثاني: ضياع حقوق المرأة الشرعية والقانونية والاجتماعية

من الناحية النفسية فإن المتزوجة زواجا غير الموثق تشعر أنها أقل شئنا وقيمة من المرأة المتزوجة بوثيقة رسمية فهي تحس بالمهانة وعدم قوامه الرجل عليها وتكون دائما صاغرة أما زوجها، ملحة في طلب توثيق زواجها، ويستغل الزوج ذلك لابتنزاهها، كما أنّها تشعر بالتهميش خاصة إذا كانت هي الزوجة الثانية، إذ كثيرا ما يرفض الزوج الإنجاب منها خشية علم زوجته الأولى فيضيع حقها في الأمومة، وهو ما ينعكس سلبا على نفسياتها، ومما يزيد في اضطرابها نظرة المجتمع إليها بازدراء واحتقار، كل هذا يؤثر سلبا على نفسية المرأة الأمر الذي قد يؤدي بها إلى سلوك سلوكيات سيئة، تضر بنفسها وبالمجتمع وأهمها عدم إحكام تربية الأولاد في حالة الإنجاب، وتنشئتهم تنشئة سوية متكاملة مما يؤثر سلبا على تكوين شخصيتهم.

أما من ناحية حقوق المرأة الشرعية والقانونية فهو يعرضها للإنكار من طرف الزوج، فكم هي الحالات التي يتصل فيها الزوج من المسؤولية وينكر صلته بالمرأة ونسب الأبناء، فتجد نفسها وحيدة في مجابهة المجتمع.

إضافة إلى صعوبة إثبات زواجها أمام القضاء، كذلك من شأن الزواج غير الموثق أن يعرض حقوقها لضياع سواء كانت حقوقا معنوية أو مالية، فحق النفقة مثلا تستحقها الزوجة من يوم الدخول بها، فإن امتنع الزوج عن الإنفاق عليها، وتقدمت الزوجة للعدالة مطالبة بحقوقها بالنفقة فلا بدّ عليها أن تقدّم وثيقة زواج رسمية وإلا رفضت دعواها لانعدام الصفة، التي هي من النظام العام، إذ عليها أن تقدّم إلى العدالة ما يثبت صحتها في الدعوى كالزوجة وهذا ما نصت عليه المادة 495 ق.إ.م.<sup>23</sup>

وقد جاء في قرار المحكمة العليا 1978/02/07 أنه « طالما لم تثبت الزوجة علاقة الزوجية فإنها تبقى بدون صفة ومطالبتها بحقوقها المالية تكون غير مؤسّسة إذ طالبت بإثبات علاقة الزوجية والنفقة وفسّلت في إثبات عقد زواجهما»<sup>24</sup>

كذلك فإن الإدارات العمومية المحوّلة لها أداء المنح والتعويضات العائلية تستوجب عقد الزواج لمنح الزوجة حقها، وفي حالة عدم تقديم الزوجة لعقد الزواج، أو عدم إمكان إثباته، فإنها لا تستطيع الحصول على هذه الحقوق والأمر ذاته بالنسبة لصناديق الضمان الاجتماعي وشركات التأمين وتعويضات ضحايا الإرهاب، وغيرها من الحقوق<sup>25</sup>. كذلك عدم حيّازة الزوجة لوثيقة الزواج يجعلها غير قادرة على متابعة زوجها جزائيا، كما لو ترك الزوج مقرّ الزوجية مدّة شهرين م 330 ق.ع. كذلك لو كانت المرأة حامل لا يمكنها متابعة زوجها بجرّمة إهبال زوجة حامل م 330 ق.ع.<sup>26</sup>

كذلك لو كان الزوج على علاقة غير شرعية بامرأة أخرى لا يمكنها متابعة زوجها بجرّمة الزنا م 339.<sup>27</sup> إن أيّة متابعة قضائية يستوجب أن يرفق إلى جانب الشكوى نسخة من عقد الزواج تثبت صفتها كالزوجة، وإلا رفضت دعواها.

وإن الزواج غير موثق لاسيما إذا لم يكن فيه إعلان وإشهار له يترتب عنه قلق وإزعاج وإشاعات، وسوء الظن حول العلاقة المشبوهة بين الطرفين، لا يعلم الناس أنها متزوجان، فالرجل يدخل على المرأة والناس يجهلون حقيقة علاقتهم، فيكونان عرضة للقذف والرّمي بالزّنا<sup>28</sup>.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: [ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ]<sup>29</sup>. وعنه عليه الصلاة والسلام - قال: [ فمن اتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه ]<sup>30</sup>

فعدم توثيق عقد الزواج يفتح منافذ الظن السيئ والخوض في الأعراض والتقول على الناس ورميمهم بالزّنا، وهذا الأمر يعصف بكيان المجتمع، ويعرض سلامته ووحدته وأمنه للخطر<sup>31</sup>.

يقول الدكتور القيسي: « من آثاره السيئة احتمال الظن السيئ في من يتزوج هذا

الزواج لأن من السنة إشهار الزواج وإعلامه»<sup>32</sup>.

ويفضل ظروف الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ادت الى بروز ظاهرة الأمهات العازبات والأطفال المهملين وأطفال بدون هوية. وأن فئة الأمهات العازبات من الصعب تقديرها كما أو إحصائها بطريقة دقيقة، بسبب المناخ الاجتماعي السائد وطبيعة المجتمع الجزائري، الذي يفرض على هذه الفئة من النساء التستر وعدم البوح بوضعهن.

### الفرع الثالث: انعكاساته على المجتمع

قد ينبج عن الزواج غير الموثق، والذي يفتقر إلى الإعلان، ويتسم بالسرية شيوع الفاحشة وذيوها داخل المجتمع، حيث أنه كلما أحس وشعر الزوجان بالحاجة إلى الإشباع الغريزي ذهبوا إلى شقق مفروشة، أو سكنات خاصة، أو إلى فنادق، الأمر الذي يدفع بالغير إلى سلوك ذات المسلك، وهو ما يؤدي إلى إشاعة الفاحشة داخل المجتمع.

كذلك فإن الشاب عندما يرى أن هذا النوع من الزواج، يتيح له الإرواء الغريزي للشهوة بسهولة ويسر، ودون أن يتحمل أعباء الزواج المالية منها والمعنوية، فإنه سيحجم عن التفكير في توثيق زواجه تهربا من تكاليفه المرهقة، وهنا تشيع الفاحشة وتذبح كما يؤدي إلى ظهور الزنا المقنع تحت مسمى الزواج غير الموثق.

وهو ما يؤدي بما لا يدع مجالا للشك إلى كثرة الأطفال الغير شرعيين في المجتمع وبالتالي إلى انهيار المجتمع.

### الفرع الرابع: انعكاساته على القضاء

عرف القضاء تزايد في عدد القضايا التي تتضمن تثبيت عقود زواجهم والذي بات يشكل عبء على كاهلها، زيادة على قضايا الأحوال الشخصية، المتعلقة بالنفقة والميراث والطلاق وآثاره.

والأدهى من ذلك ظهور التحايل من طرف الأشخاص لتثبيت عقود زواجهم، دون وجه حق، حيث يعمد الأفراد إلى إحضار شهود زور لتثبيت عقود زواجهم، ولا يسع

للمحكمة في هذه الحالة إلا الحكم بتثبيت عقود زواجهم، ومنحهم مراكز قانونية وترتيب حقوق دون استحقاق.

وإن الإشكال الذي يثيره الزواج غير الموثق هو تكيف الجرائم خاصة التي تكون فيها صفة الجاني والمجني عليه محل اعتبار، كما هو الحال في جريمة ضرب وقتل الأصول أو الفروع.

إذ يتغير الوصف الجزائي، وتصبح هذه الصفة، ظرفا مشددا في العقوبة، لكن عدم توثيق عقد الزواج وبالتالي عدم وجود صفة الابن أو الأب أو أي أحد من الأقارب يحول دون التكيف الصحيح للجريمة وبالتالي يؤثر على درجة العقوبة.

## المراجع والهوامش:

- 1: فارس محمد عمران، الزواج العرفي وصور أخرى للزواج غير الرسمي، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية، 2001، ص 17.
- 2: حسام الدين بن موسى عفانة، الزواج العرفي وما يترتب عنه، 2004/ 10/07 موقع Islam online. Net
- 3: عمر سليمان الأشقر، أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، دار النفائس، بيروت، (دت)، ط2، ص 175.
- 4: ختام محمد، الزواج العرفي بدعة شبابية، 2006/5/20 موقع www. Annabaa. Org -
- 5: بدوي علي، عقود الزواج العرفية بين قصور أحكام القانون ومتطلبات المجتمع، المجلة القضائية، قسم الوثائق، المحكمة العليا، (دم)، ع 02، 2004، ص 157
- 6: في القانون المدني، يطلق الفقهاء كلمة العرفي، في مقابل لكلمة الرسمي، لاسمًا في مجال الإثبات، فيقولون نحرر عرفي، وهو الذي يقوم بتقريره الأفراد فيما بينهم، ويجب أن يكون موقعًا من الأطراف، حتى يتحجج بهم مستقبلاً، ومحرر رسمي يقوم بتقريره، موظف عام، مختص وفقاً للأوضاع معينة مقررّة لذلك.
- 7: الزواج العرفي في المجتمع الجزائري <https://sites.google.com/SOCIOALGER-Sites-Google>
- 8: عرفان بن سليم العشا حسونة، نكاح المسيار وأحكام الأنكحة المحرمة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2005، (دط)، ص 03.
- 9: الزواج العرفي في المجتمع الجزائري <https://sites.google.com/SOCIOALGER-Sites-Google>
- 10: الزواج العرفي في المجتمع الجزائري <https://sites.google.com/SOCIOALGER-Sites-Google>
- 11: الزواج العرفي في المجتمع الجزائري <https://sites.google.com/SOCIOALGER-Sites-Google>
- 12: الزواج العرفي في المجتمع الجزائري <https://sites.google.com/SOCIOALGER-Sites-Google>
- 13: منير إدعيس، منتدى في الجزائر لمناقشة قانون الأسرة الجديد 2007/03/21 mebek [www.amangordan.org](http://www.amangordan.org) -
- 14: بدوي علي، مرجع سابق، ص 161.
- 15: بدوي علي، مرجع سابق، ص 163.
- 16: وقد ذهب الفقهاء إلى أن هذا العمل حرام لأنه بمثابة اختلاس لأموال الدولة وتحايل على القانون.
- 17: فارس محمد عمران، مرجع سابق، هامش، ص 70-71.
- 18: فارس محمد عمران، مرجع نفسه، ص 71.
- 19: فاطمة مصطفى، مرجع سابق، ص 30، 31، 32.

- 20: بدوي علي، مرجع سابق، ص 158، 159.
- 21: فارس محمد عمران، مرجع سابق، ص 73.
- 22: محمد كعثان، الزواج (عقد الزواج)، مجلة الفكر الإسلامي، ع10، السنة 08، 1399هـ/1979م، ص 104.
- 23: أمر رقم 154-66 المتضمن قانون الإجراءات المدنية المؤرخ في 08/06/1966 خلوفي رشيد. قانون الإجراءات المدنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، ص 143.
- 24: المجلة القضائية، ع 03، 1990، ص 65.
- 25: مجموعة من المؤلفين، الزواج العرفي، إعداد شادية عبد الله، مجلة الشريعة، ع 385، كانون 1998/02، ص 11.
- 26: م 330 قانون العقوبات رقم 82 - 04 المؤرخ في 13 فبراير 1982 «يعاقب بالحبس من شهرين إلى سنة ويفرامة من 500 إلى 5000 دينار
- 27: م 339 قانون العقوبات، رقم 82-04 المؤرخ في 13 فبراير 1982 «يقضي بالحبس من سنة إلى سنتين على كل امرأة متزوجة ثبت ارتكابها جريمة الزنا. ويعاقب الزوج الذي يرتكب جريمة الزنا بالحبس من سنة إلى سنتين...» وزارة العدل مرجع سابق ص 106
- 28: فارس محمد عمران، مرجع سابق، ص 30، رفيق علوي، الزواج العرفي وأثره على الأسرة»، بمجلة المجلس الإسلامي الأعلى، 2000، ص 389.
- 29: أخرجه النسائي (أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي)، في سننه، المطبعة المصرية، مصر، (دت)، (دط)، كتاب الأشربة باب الحث على ترك الشبهات، ج7، ص 328، وأخرجه الدارمي (محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام)، في سننه، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2002، ط1، كتاب البيوع باب دع ما يريك إلى ما لا يريك، رقم الحديث 2566، ص 358. أخرجه الحاكم (أبي عبد الله النيسابوري) في المستدرک على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان كتاب الأحكام باب الصدق طمأنينة والكذب رتبة ج4، ص 99، قال عنه الذهبي سنده قوي.
- 30: أخرج البخاري، كتاب الإيمان باب فضل من إستبرأ لدينه ج، 1 ص 19، أخرجه مسلم، كتاب المساقات باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم الحديث 1599، ص 862.
- 31: فارس محمد عمران، مرجع نفسه، ص 30.
- 32: مجموعة من المؤلفين، الزواج العرفي، إعداد شادية عبد الله، مرجع سابق، ص 11.

## التظاهرات النفسية الإكلينيكية المترتبة عن الصراع بين أنماط التنشئة الأسرية - دراسة ميدانية بمدينة بسكرة -

د.عائشة عبد العزيز نحوي - جامعة بسكرة-الجزائر

### Résumé :

Notre problématique a comme axe le conflit entre la socialisation moderne et traditionnelle de sorte que l'adolescence se confronte à des contractions entre ses devoirs et ses droits, le juste et le faux, les valeurs et les désires...lors de sa socialisation. Dictés par les divers moyens de socialisation modernes et traditionnelles, la famille, l'école, les mass media et les nouvelles technologies de communication (l'internet , Facebook, téléphoneportable) l'éducation au milieu algérien devient contradictoire. Alors on se propose la question : quels sont les troubles psychologiques causés par les défauts de la socialisation au milieu algérien ?

### المخلص :

محور اشكالتنا يكمن في الصراع بين التنشئة الاجتماعية الحديثة والتقليدية بحيث يواجه المراهقون تناقضات بين طلباتهم والمطلوب منهم، وبين ما يروونه صحيحا وأوخطأ، بين القيم والمعايير الاجتماعية والرغبات الخاصة كمرهقين ذوي خصائص مميزة...أثناء عملية التنشئة الاجتماعية لهم.

ومنع الصراع يأتي من الإملاءات المتضمنة في مختلف وسائل التنشئة الاجتماعية الحديثة المتمثلة في وسائل الاعلام وتكنولوجيات الاتصال(أنترنت، فايسبوك، هاتف محمول)من جهة، والتنشئة التقليدية في رحاب الأسرة، المدرسة والمسجد و... حيث أصبحت التربية في الوسط الجزائري متناقضة، لذلك نقترح السؤال التالي:

ماهي المشاكل النفسية الناجمة عن عيوب التنشئة الاجتماعية في الوسط الجزائري؟

## تمهيد:

للجزائر نمط ثقافي تقليدي عريق، تغلب عليه التقاليد الإسلامية والعادات والتقاليد الممتدة من جيله القديم. والاستعمار المتوالي للجزائر منذ قرون بيزنطية رومانية عثمانية فرنسية دون أن ننسى الفتوحات الإسلامية وكل نفل ثقافته من جهة، واحتكاكها بالثقافات المختلفة عبر وسائل الإعلام والهجرة والترحال والسياحة نتج عنه نمط ثقافي متباين من أسس أنماط تنشئة اجتماعية وأعطى حوصلة تعرف بالثقافة التقليدية الجزائرية...، وها نحن في عصر العولمة، وتكنولوجيا الاتصالات ما جعل من العالم قرية واحدة بها مزيج من الثقافات المتداخلة والمتضاربة، مما خلق جوا سيكولوجيا داخل الأسرة ثم المجتمع ككل.

للمراهق الجزائري اليوم وكسائر مراهقي العالم، مشكلاته واحتياجاته، تمرده واحلامه، صراعات الأجيال وصعوبات التنشئة، هذه الأخيرة الناتجة عن صراعات ثقافية محلية، جمهورية، عربية وأجنبية.

مع صعوبة تجسيد ما يلزمه من حماية وتوجيه. فلا شيئا صعب من تنشئة الإنسان في ضل معايير لا يمكن أن نحتكم وننتحك فيها، فلا توجد تنشئة مبنية على قواعد رياضية (أو علوم دقيقة) نظرا للفروق الفردية والتغير الاجتماعي المتسارع والعولمة.

من خلال هذه الدراسة ترى الباحثة أن لنمط التنشئة الأسرية المتأثر بما ذكر أعلاه دور مهم في ظهور مشاكل نفسية لدى المراهقين. خاصة عند وجود اتجاهين متصارعين في التنشئة، أحدهما تقليدي والآخر حديث. كون المجتمع الجزائري مجتمع معاصر، إلا أن جذوره عميقة، يستمد ثقافته من القيم والعادات العربية والأمازيغية والإسلامية. ومع تقارب اقطاب العالم، وتوسع تكنولوجيا الإيصال من انترانت وفصائيات ومتطلبات الحياة اليومية وخاصة المادية الاقتصادية وفي ظل الزخم الحضاري، حدث تغير اجتماعي جلي، تميز بالتناقض بين كل من اتجاه التنشئة التقليدية وأنماط الأسرة الجزائرية العريقة وأدوارها واتجاه التنشئة الحديثة وأنماط الأسرة وتغير أدوارها الوظيفية. ولقد ترتب عن ذلك أعراض نفسية خطيرة وخاصة الصراع النفسي لدى المراهق أهمها أزمة التعيين الذاتي، وهي قوة نفسية تتفجر بقدر عدد الأنماط الموضوعة للتقمص، والمتمثلة في:

- ظهور السلوك الانتحاري تعبيرا عن الهروب من الواقع والفشل في التعبير عن الذات.
- السلوك اللا اجتماعي واللامبالاة وعدم احترام الغير.
- العنف والسلوك العدواني بأنواعه اللفظي والمادي والمعنوي.
- التفكك الأسري الذي وقع ضحيته النشء، من خلال تفكك روابط البيت والذي شكل بدوره ازمة اطفال الطلاق، او الطفولة المسعفة حيث دق الإجتاعيون ناقوس الخطر، وخاصة من شيوع ظاهرة انحراف الأحداث.
- الهجرة (الحرق).
- السرقة-الكذب - المخدرات- التمرد- انهيار القيم.
- الهروب من البيت - التسرب الدراسي خاصة لدى الذكور.

مما سبق فان وقوع المراهق تحت وطأة الصراع النفسي، بينما نشأ عليه أسريا وبين ما يمارسه المجتمع من ناحية، وما يلمسه من خلال احتكاكه بالثقافات المغايرة عن طريق وسائل الإعلام والأنترنت.

من ناحية أخرى ما يجعله بعيدا عن التوافق العام وخاصة عندما يميل القائمون على التنشئة الى القسوة، خوفا من تهتك القيم.

جاءت هذه الدراسة، للبحث عن بعض الاضطرابات النفسية، والنفس اجتماعية، الناتجة عن الصراع الذي يكون أرضية حتمية للاضطراب. ومنه نطرح التساؤل التالي: هل ظاهرة العدوان والانحراف، نتيجة للصراع بين التنشئة التقليدية والحديثة؟ وما هي أهم الآثار الإكلينيكية المترتبة عن الصراع؟

والإجابة على هذين السؤالين هي صلب المشكلة التي يعنى بها هذا البحث الاستكشافي.

## أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الكشف عن الظواهر النفسية والأسرية، التي تنشأ بسبب الصراع بين اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة، والآثار الإكلينيكية المترتبة على ذلك، لدى المراهق الجزائري. ويمكن تلخيص أهداف البحث فيما يلي:

- تحديد اتجاهات المراهقين نحو كل من التنشئة التقليدية والحديثة وبالتالي ما ينتظرونه من المجتمع، وما يرفضونه.
- استطلاع آراء المراهقين في تحديدهم لنمطي التنشئة التقليدية والحديثة، وأوجه الصراع بينهما.
- التعرف على ما يسببه الصراع من آثار إكلينيكية لدى المراهق وتحديد الاضطرابات النفسية التي يعاني منها.
- استجلاء المؤثرات المهمة في التنشئة الأسرية، السلبية منها والإيجابية.

## أهمية البحث:

إذا ما تحققت قدرة الباحثة على الإلمام بالموضوع، من جميع جوانبه، فإن لهذا البحث أهمية نفسية اجتماعية وتربوية، قد تفيد في تقييم الاتجاهات الأسرية عامة، وتقويم ما تعرضه وسائل الإعلام، خاصة تكنولوجيا الاتصال و الانترنت وتأثيره على الأسرة في ظل تغير الأدوار الوظيفية. ويمكن أن تساهم هذه الدراسة في فهم بعض مشكلات المراهق الجزائري في معاشه اليومي. وتقويم بعض أخطاء التنشئة الأسرية الجزائرية.

## فرضيات البحث:

- الفرضية الأساسية للبحث:

التناقض بين بعض أنماط التنشئة الأسرية التقليدية والحديثة يؤدي إلى اضطرابات نفسية لدى المراهق.

## • الفرضيات الجزئية:

الفرضية الجزئية الأولى: تتسبب وسائل التنشئة الحديثة في رفض الاتجاهات الأسرية التقليدية

الفرضية الجزئية الثانية: يتسبب فرض التنشئة التقليدية في حدة مظاهر الصراع النفسي لدى المراهقين.

الفرضية الجزئية الثالثة: يتسبب التناقض بين اتجاهي التنشئة إلى ميل الأسرة إلى الإخلال بوظائفها.

الفرضية الجزئية الرابعة: تتسبب الاتجاهات المتناقضة للأساليب التنشئة الأسرية في إيجاد أزمة التعيين الذاقي.

## • التنشئة:

من وجهة نظر المدارس النفسية المختلفة تعرف التنشئة على انها التطبيع الإجتماعي أو التربية. أما لغويا تشير إلى ربي، علم، كَوْن، رعى، أنشأ.

بذلك ينشأ الفرد عن طريق التربية والتعليم، بطرق مباشرة وغير مباشرة، تشمل عمليات وادوار متعددة، أهمها، التعليم الاجتماعي، وتطبيع الإنسان وتعليمه، كل من التوافق الإجتماعي، والتثقف. (فؤاد البهي السيد 1980).

تهدف الى أكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية

معينة، تمكنه من مسابقة جماعته والتوافق الإجتماعي معها (حامد زهران 1984).

وهي الكل المعقد الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفنون والقواعد والأخلاق والقوانين والعادات التي تميز مجتمعا ما، (سعد جلال 1984).

وهكذا يتشكل الفرد عن طريق التنشئة، حتى يتمكن من الحياة. فهي في حقيقة الأمر تهدف إلى إعداد الفرد منذ ولادته ليكون كائنا اجتماعيا، وعضوا متكيفا في المجتمع (محي الدين مختار 2 198) .

أما من وجهة نظر التحليل النفسي، تشير إلى العادات والتقاليد والعرف والقيم والديناميات التي تشكل أثناء مراحل النمو، نمو كل من الأنا الأعلى، الأنا الإجتماعي، الضمير ومفهوم الذات الذي يلزمه بسلوك معين والا اعتبر شاذا.

بينما نجد التنشئة الأسرية لدى المدرسة السلوكية، ما هي إلا نتيجة التوجيه الذي يلاقه الفرد من الوالدين وأفراد الأسرة، حيث يثبت السلوك الذي ترضى عنه الجماعة وتتقبله بالتعزيز، وتنطفي السلوكيات التي ترفضها الجماعة وتعاقب عليها.

أخيرا تشير التنشئة إلى عملية تكوين الكائن البشري اجتماعيا ونفسيا، عن طريق التربية المقصودة والغير مقصودة، المستمدة من ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، وهي نوعان تقليدية وحديثة:

**التنشئة التقليدية:** نعني بها الأسلوب المتبع في التنشئة عبر الأجيال (أبا عن جد). حيث يرسخ العادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع، بغض النظر عن جوانبه الإيجابية أ والسلبية إلى حد أن أي رفض أو تحد لها يعد شذوذا وتمردا وعقوبا.

**التنشئة الحديثة:** هي تنشئة الفرد بواسطة التقنيات الحديثة للتنشئة، تغلب عليه التربية المقصودة داخل دور التربية وبوسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة. وهي علمية المبدأ، تعمل على تطوير الفرد والسمو به، مساندة التغيير الإجتماعي والعلمي المعاصر، في ظل العولمة.

#### • وسائل التنشئة الأسرية وأخطاؤها:

**الأسرة الجزائرية:** بنيت الأسرة الجزائرية على نظام تقليدي، إلا أنها تتطور مع الزمن تدريجيا حسب حاجاتها ونشاطها، دون أن يمس ذلك من تركيبها بين الأسرة النواة والأسرة الممتدة.

الأسرة الجزائرية كسائر الأسر عبر العصور والأجيال، تقوم بتربية النشء وتنقل عبره تراثها الثقافي. لقد درس مصطفى بوتفوشة العائلة الجزائرية من حيث تطورها وخصائصها الحديثة واسلوبها في التنشئة والتغيرات الأسرية والاحتكاك الثقافي وأثره عليها.

من أهم خصائص الأسرة الجزائرية:- الزواج غالبا ما يتم عن طريق الأقارب والمعارف. يسود الأسرة السيطرة الأبوية، أو ما يعرف بالأسرة الأبوسية. تميز الذكر عن الأنثى-الابن البكر يعد بمثابة الأب -أسلوب المعاملة مع الأبناء تسوده الأوامر والحماية المفرطة أثناء الطفولة والقسوة أثناء المراهقة أغلبها اسر محافظة تقدر العقيدة والدين الإسلامي وتمسكة بالعادات والتقاليد. عدم الاتزان في عملية العقاب والثواب، والعلاقات لتميز الفرد الجزائري بسرعة الانفعال وحدة الغضب.

## الجانب المنهجي

### منهج البحث:

ينتج هذا البحث أساليب مختلفة في دراسته، الا أنه يعتبر أساسا بحثا أكلينيكيا يعتمد على دراسة العينة وخصائصها. وعليه فهو منهج أكلينيكي هدفه التعمق في تحليل أفراد العينة الصغرى نفسيا بعد سحبها من العينة الكبرى، يطبق عليها اختبارين اسقاطيين، وندمج معه المنهج الوصفي، لدراسة أشمل للعينة الكبرى، لمعرفة آثار التباعد بين التنشئة التقليدية والحديثة، ويتم ذلك عن طريق التحليل الإحصائي لمعلومات الاستبيان، باستخراج معاملات لارتباط بينها والدلالة الإحصائية للاختبار ك<sup>2</sup>(كاي تربيع).

### أدوات البحث:

- المقابلة الإكلينيكية نصف موجهة: الهدف منها التشخيص، واستكمال المعلومات لدراسة حالة المفحوص. كما تكون مدعمة للاستجابات ما قبل وبعد الإخبارين النفسيين.
- صحيفة البيانات الأسرية للمراهق.
- صحيفة استطلاع آراء المراهق واتجاهاته نحو التنشئة الأسرية الجزائرية.

- استبيان الصراع بين اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة لدى المراهق الجزائري.
- اختبار رورشاخ.
- اختبار تفهم الموضوع.

#### عينة البحث:

تم انتقاء عينة المراهقين من الوسط الدراسي، وبطريقة عشوائية وبالتحديد من ولاية بسكرة، من كل من ثانوية الحكيم سعدان، ومتوسطة بشير بن ناصر. اعمارهم بين 15-18 سنة وبلغ عددهم 401 مراهقا ومراهقة. وبلغ عدد الإناث 177 وعدد الذكور 124. ومثل هذا العدد المجموع الكلي لعينة البحث.

أما الذين تم انتقاؤهم للدراسة الإكلينيكية تم سحبهم من العينة الكلية بلغ 30 حالة.

#### النتائج العامة:

رصدت نتائج كل من صحيفة استطلاع آراء المراهق، نحو اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة، واستبيان الصراع بين اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة، لدى المراهق الجزائري، حيث حولت الاستجابات الى أرقام في جداول حلت احصائيا، كما جمعت الباحثة كل نوع محدد من الاستجابات عن الظاهرة الواحدة حيث حولت الى نسب مئوية، اذ عوملت على أنها درجة شيع لهذه الظاهرة بالعينة كلها. وانحصرت العوامل التي عولجت، في خمس مشكلات عامة (أسرية - مدرسية- عاطفية- مادية- اخرى) تتصل بها مشاكل فرعية، تميز الدرجة، أو النوع الخاص بالمشكلة العامة، ثم يتم تفرغ باقي مجموع الاستجابات بنفس الأسلوب كما حسب معامل ثبات استبيان الصراع بين اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة لدى المراهق الجزائري. والنسب المئوية للدرجات الخام، ونفس الشيء بالنسبة لصحيفة استبيان المعلومات الأسرية العامة عن المراهق، ثم حسب كاي<sup>2</sup> (كاي تربيع).

أما التحليل النفسي من خلال الإختبارات الإسقاطية، والمقابلات حول تراكم الإستجابات الى نسب مئوية كل نوع على حدة. استجابات الرورشاخ لكل من: الأمان - المقررات - المحتوى - اتزان الخبرة - الذكاء - القدرة على التكيف - اضطرابات الوجدان والإفعال والطبع -

الخوف من المجهول- العدوانية - مشكلة التوحد أو التقمص- اضطراب صورة الأب- تدهور صورة الذات - مشكلات جنسية- اضطراب صورة الأم - اضطرابات مزاجية.

أخيرا اختبار تفهم الموضوع الذي ترك كأداة للفحص العميق بدون معاملة احصائية، واكتفت الباحثة بتحليل مضمونه.

اتضح من النتائج ان المراهق الجزائري، يعاني اثار اكلينيكية مترتبة عن الصراع بين اتجاهي التنشئة التقليدية والحديثة، المتمثلة في:

اضطراب المزاج - أزمة التقمص- سوء التكيف النفسي- عدم وضوح حدود المعاملة والتواصل وخط القيم الأخلاقية الأسرية والاجتماعية-

وعليه فان أخطاء التنشئة تقع على عاتق القائمين على التنشئة من الأسرة والمدرسة الى وسائل الإعلام وجماعة الرفاق. على الأسرة يقع عبء التنشئة الأساسية اذ يجب ان توفر له بيئة اسرية مناسبة، مفعمة بالرعاية النفسية الصحيحة والصحية، حيث يشعر المراهق بالحب والأمان ويؤمن لديه الثقة بالنفس والشجاعة الأدبية وإدراك مايجب وما لا يجب. ونفس المنوال للمدرسة. أما وسائل الإعلام فيجب ان تستغل اهتمام المراهقين بها وخاصة التلفزيون والأنترنت لتثبيت وترسيخ مبادئ التنشئة السليمة من خلال الرقابة وتنويع البرامج الهادفة. ونشير الى عمل الوالدين طوال اليوم من أهم عوامل قلة الرقابة. كما ان تغلب الماديات على القيم والثقافة له دور في انتشار العدوانية واللامبالاة والتنافس المادي بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

## الخاتمة:

رغم وجود العديد من البحوث الميدانية النفسية والأسرية، والنفس اجتماعية التي تساهم في تحليل بعض الظواهر الأسرية والنفسية، التي تحل ببناء المجتمع الجزائري في شتى الميادين وخاصة التنشئة الا ان تفاقم مظاهر الانحراف والتفكك الإجتماعي وخاصة العنف والغضب وارتفاع عدد المرضى خاصة النفسية العقلية والنفس جسدية والباثولوجيا الأسرية من أهم أسباب التخلف الإجتماعي لأننا لا نستخدم الدراسات والنتائج ميدانيا وتبقى

حبيسة الرفوف. وعليه يجب اعطاء دور كبير لكل من علم الإجتماع وعلم النفس ميدانيا حتى تساهم في بناء سوي للنشء عبرا لخدمات الأسمية والإرشاد النفسي.  
فمن دراستنا هذه توصلت الباحثة الي ان أخطاء التنشئة ناتجة عن افتقار وسائل التنشئة الجزائرية لمطالب الصحة النفسية.

## المراجع:

- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الإجتماعي ط5 شارع عبد الخالق ثروت -القاهرة-1984
- سعد جلال، المرجع في علم النفس-اسس السلوك-الجزء الأول، دار المعارف 1980
- فؤاد البهي السيد، علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، دار الفكر العربي 1979
- 1-De AjurriaguerraD.Marcli, psychopathoogie de l'enfant ,Masson .Paris 1982.
- Manchelic, (R): L'analyse de contenu, 1977, le questionnaire dans l'enquête psychosocial 2  
ESF, 7ème édition, 1982.
- 3-Norbert Sillamy: Dictionnaire de psychologie pédique.21 rue du Montparnasse75284 Paris  
cedex06 .2003 Les effets cliniques des défauts de la socialisation algérienne chez l'adolescent

## البيت الصامت وإفرازاته الإنحرافية الأثوية..العلاقات العاطفية لدى الفتاة المراهقة نموذجا- دراسة ميدانية -

د. نورة قنيفة- جامعة أم البواقي- الجزائر

### Abstract :

Romantic relations hips among adolescents, as a form of deviant behavior that violates familial and social values and rules, is a phenomenon that reflects a defect in the family's functions, especially in direct concern with two facts: first, communication as the most important function of family, and second, the specificity of adolescence and its temperamental, and thus behavioral, effects that may reach the degree of relational deviation (sexual in particular). In light of all this, we emphasize the power of communicative role between adolescent girl and family members, especially as a lot of taboos have been virtually broken leads us to consider it as a result for "the silent house", the house that missed or forced to miss familial communication as a result of the mother work, and the exclusion or lack of the father's commitment to his duties.

We will try through this paper to provide a field research based on an intentional sample that live and interact with the phenomenon, and we will attempt to point the familial communication dysfunction and its psycho-social consequences..

### المخلص:

تعكس ظاهرة العلاقات العاطفية لدى المراهقات باعتبارها شكلا من أشكال السلوك الإنحرافي عن القيم و قواعد الضبط الأسرية والاجتماعية خلافا في الوظائف الأسرية لاسيا في علاقتها المباشرة بأهم وظيفة أسرية هي الاتصال الأسري من جهة، وبخصوصية مرحلة المراهقة وإفرازاتها المزاجية وبالتالي السلوكية التي قد تصل حد الانحراف العلائقي (الجنسي بالخصوص) من جهة أخرى، الأمر الذي يجعلنا نؤكد على قوة الدور التواصلية بين المراهقة وأفراد الأسرة، خصوصا وأن الكثير من الطابوهات التي تم كسرها " افتراضيا" جعلتنا ننظر إليها على أنها منتج أفرزه البيت الصامت، البيت الذي يغيب فيه الاتصال الأسري أو بالأحرى يُغيب نتيجة عمل الأم وتنازل أو استبعاد أو عدم التزام الأب بواجباته..

سنحاول من خلال هذه الورقة العلمية تقديم الظاهرة ميدانيا انطلاقا من عينة قصدية تعيش الظاهرة وتتفاعل معها مع محاولة رصد الخلل الوظيفي الأسري في بعده الاتصالي وإفرازاته النفس-اجتماعية.

## تقديم:

اتفق العديد من المختصين والعاملين في ميدان علم النفس أمثال Siegelman وAusabel على أن الأسرة هي الخلية الأساسية التي تتكون من خلالها شخصية الفرد لأنها تؤثر في سلوكه إلى حد بعيد، هذا فضلاً عن التفاعل الأسري الذي يعتبر من أهم العوامل الأساسية للنمو النفسي والاجتماعي و المعرفي .

والأسرة هي أول صورة للحياة، من خلالها ينمو إحساس المراهق بالأمن والتقبل، لأن المراهقة المتوافقة هي انعكاس لحياة أسرية متوازنة و مستقرة خالية نسبياً من الصراعات، يقوم فيها الوالدان بدور مميز في بناء شخصية المراهق من كل جوانبها من خلال معاملته له حيث لا يجد صعوبة في التعامل مع مختلف المواقف، وتكون لديه القدرة على الدفاع عن حقوقه الخاصة، و كذلك التعبير عن مشاعره و رغباته ومعتقداته وآرائه، ويعمل دائماً من أجل تحقيق أهدافه في الحياة، أما الحياة الأسرية غير المتوازنة في المعاملة فإنها تجعل الفرد عرضة للإصابة بالأمراض النفسية لأن المراهق الذي يعجز عن التصرف بصورة مؤكدة في مثل تلك المواقف سيدفع ثمن معجزه هذا من صحته النفسية والبدنية.<sup>(1)</sup>

الفرد - المراهق- هو نتاج و محصلة تفاعلاته الاجتماعية مع مؤسسات عديدة تتولاه وتتعهد بالتربية منذ مرحلة الطفولة الأولى، و أولى تلك المؤسسات هي الأسرة، و إن دورها في عملية التنشئة الاجتماعية يفوق دور كل مؤسسات التنشئة الأخرى في المجتمع حيث تُعد الأسرة بلا منازع الجماعة الأولية التي تكسب الأبناء خصائصهم الاجتماعية، وتؤثر في تكوين سمات شخصياتهم و دوافعهم، وحيث أن الطفل أو المراهق مرآة عاكسة لما هو موجود داخل الأسرة من تفاعلات وتبادلات وأنظمة اجتماعية ونفسية وعادات، فمن خلال أساليب المعاملة الوالدية تنضج و تتبلور شخصية الطفل.<sup>(2)</sup>

هذا و يتطلب بناء مجتمع متماسك ومنسجم في بناءاته أسرة منسجمة ومتناسقة بين أعضائها المكونين لها بدءاً بالوالدين فيما بينها إلى علاقتها مع أبنائها، هذا التماسك والتفاهم بين أعضاء الأسرة عماده الوالدين الذين عليها تقع مسؤوليات كثيرة و كبيرة، أولها تنشئة الأبناء تنشئة صحيحة منذ السنوات الأولى من أعمارهم ولا تتوقف هذه المسؤولية أو

تنتهي بانتهاء مرحلة الطفولة، بل تزداد و تصبح عبئا أكبر ببلوغ الأبناء مرحلة المراهقة هذه المرحلة التي يعرف خلالها المراهق تطورات كثيرة في نموه الجسدي وشعوره و أفكاره وميولاته و لوكاته، وكثيرا ما ينحرف الابن في هذه المرحلة بسبب عدم إدراك الآباء لما يمر به ابنهم المراهق وعدم تفهمهم لأحاسيسه الجديدة التي قد تزججه هو نفسه..<sup>(3)</sup>

في نفس السياق، وأمام إفرازات التغيير الاجتماعي الذي تعرفه الأسرة الجزائرية وتعايش معه، تُطرح إشكالية صدمة التغيير والصراع النفسي الاجتماعي الذي تعرفه فئة المراهقين، والمراهقات بالخصوص، واقعيا بحدّة لاسيما وأن الأدوار الأساسية التي كان من المفترض القيام بها من قبل الأسرة قد تمّ التخلي عنها تدريجيا بسبب عمل المرأة، مما انعكس بشكل سلبي على المراهقة التي تظل دوما بحاجة إلى أمن أسري و حماية نفسية .

إن غياب أو تغييب الوظائف الأسرية الأساسية سينعكس حتما على تفاعلات المراهقة لاسيما و أن هذا الوضع سيجعل من الفضاء الأسري فضاء صامتا لفترة يتم تعويضها (أي التفاعلات) بأخر خارج الفضاء الأسري، أو إفتراضي يُطرح في الغالب كبديل خصوصا وأنه الأكثر إغراء وتأثيرا في ظل الواجبات الافتراضية التي تحمل الكثير من الجماليات والإغراءات بدءا بكسر الطابوهات مع حرية أكبر للتعبير، و إبداء الرأي وإقامة علاقات افتراضية تواصلية، و عدم الامتثال لقوانين وضوابط اجتماعية وأعراف تقليدية، ووصولاً إلى إقامة علاقات عاطفية حقيقية ..

هذا الوضع الأسري جعلنا نطرح باستمرار إشكالا أهم وهو ضرورة وإيجابية الاتصال الأسري باعتباره أبرز الوظائف الأسرية المساهمة في تحقيق قدر من التوافق والأمن النفسي والتكيف الاجتماعي لفئة المراهقات باعتبارها فئة خاصة أسست لنفسها عالما منفردا تتفاعل من خلاله باستمرار، وتُحقق كل إشباعاتها التي قد تصل حد كسر الطابوهات خصوصا طابو الجنس ...

إن مجرد ملاحظة بسيطة لمختلف الإسقاطات المرتبطة بالتفاعلات الواقعية والافتراضية لهذه الفئة تعكس خطورة الخلل الاتصالي الأسري باعتباره أبرز العوامل

المؤسسة لذوات اجتماعية اغترابية، بل وقد تؤدي إلى إفرازات هامة جدا في ظل التغيير الاجتماعي، وفوضى الإعلام المفتوح، وعجز المواجهة، وضعف المضمون ....  
ولعل تأكيدا على جنس المتغير الأساسي للدراسة والمتمثل في المراهقة ((و ليس المراهق)) يعكس إدراكنا العلمي الاجتماعي لوضعية المراهقات في مجتمع له خصوصيته الثقافية رغم كل مظاهر التغيير الاجتماعي وصدماته النفسية وصراعاته... فحكمنا المسبق يظل قائما بخصوص موقعيه الفتاة اجتماعيا و ثقافيا وجنسيا..

## 1. العلاقات العاطفية و البيت الصامت .. تقديم إجتماعي للمعاني

لعل أكثر ما ميّز البحث في ظاهرة العلاقات العاطفية ندرة تناولها من طرف الباحثين، لذا فإن أي محاولة لتحديد معناها تظل مقبولة إلى حد ما في انتظار البحث والتعمق أكثر في أبعادها ومدى الإقبال عليها لاسيما وأنها من طابوهات المجتمع المسكوت عنها والممارسة في الخفاء في ظل الصمت والرفض الاجتماعي لممارستها أو الإقبال عليها من جهة، وطبيعة التفاعل الاجتماعي الذي لا تزال تحكمه العادات والتقاليد والأعراف والتأويل الديني إلى حد كبير من جهة أخرى ..

جاء في دراسة مصرية تناولت ظاهرة العلاقات العاطفية في الوسط الطلابي أنها " نزعة لدى معظم الطلاب لإقامة علاقة يهدف الإشباع العاطفي و الحديث والتسلية، وتبدأ عادة برغبة الطرفين، وبمعيار الوسامة والمظهر وتنتهي عادة بالفشل، و هي علاقة يرى ممارسوها أنه ينبغي تجتئها أو تأجيلها و القليل يرى ضرورة إشباعها. أما عن دوافع ممارستها فهي غريزية مسيطرة يزيكها لإثبات الرجولة و الأنوثة، و ضعف الوازع الديني، و بنميتها التقليد والاستعراض و لفت النظر وتعويض النقص لدى كثير من الطلاب، و يدعمها الإحتياج النفسي والروحي المشوب بالتحدي وإثبات الذات.<sup>(4)</sup>

لعل هذا التقديم الخاص بمفهوم العلاقات العاطفية يعكس حتمية الحذر المعرفي في تناوله لأنه مرتبط في الغالب بدوافع ذاتية وخاصة جدا تستدعي التأمل العميق لتحديدها، ليظل التعريف الأكثر شيوعا اجتماعيا للعلاقات العاطفية أنها " تفاعل عاطفي حميمي يمارسه

طرفين في مرحلة سنّية معينة تساهم الوسائط الافتراضية في انتشاره لاسيا عند فئة المراهقين".

و استكمالا لما ورد، ولأننا اعتبرناها " العلاقات العاطفية " انحرافا اجتماعيا، فإننا نقدم ما أكده الكثير من الباحثين على أن لفظ انحراف لا يرتبط بشيء ما في السلوك ذاته، وإنما بعلاقة ذلك السلوك بالمعايير الاجتماعية المستخدمة في التقييم، ويجب أن نضع في الحسبان دائما درجة الخروج على المستويات المعيارية التي يشتمل عليها السلوك المنحرف. و يقول بعض المنظرين " إن السلوك المنحرف هو ذلك السلوك الذي يشذ بطريقة واضحة وجوهرية عن المعايير. ويمكن القول أن المعيار الملائم للسلوك المنحرف هو هذا القدر من الخروج الذي يتطلب عقابا ينزله المجتمع على الفرد<sup>(5)</sup>.

أما البيت الصامت فهو البيت الذي يكاد ينعدم فيه التواصل والتفاعل الأسري بسبب ضعف وظيفة الاتصال الأسري، والنتيجة حتما عن غياب الأبوين عن الفضاء الأسري لساعات طويلة لأسباب مادية أو موضوعية مما أدى إلى تعويض هذه الوظيفة الهامة جدا باتصال افتراضي أكثر سهولة، وأكثر استقطابا، وأكثر تفاعلا، وأخيرا أكثر حرية مثلما هو ملاحظ واقعيا.

فقد أفرز الإقبال الكبير على تكنولوجيات الاتصال أساليب اتصالية أكثر استحداثا وأكثر سهولة، وأصبحت من أساسيات الحياة اليومية لدى الكثيرين لاسيما فئة المراهقين التي يستحيل الاستغناء عنها، بل وقد يصل الإقبال عليها حد الإدمان .

## 2. التفاعل الأسري و المراهقة .. بين الأهمية و الحتمية

أكد مصطفى حجازي في إحدى دراساته أن الأسرة هي أكثر من تجمع من الأفراد الذين يتقاسمون حيزا مكانيا ونفسيا خاصا لأنها منظومة طبيعية ذات خصائص تميزها عن سواها، والتي طوّرت طاقما من القواعد والأدوار المحددة لأفرادها، وتمتلك بنية سلطة منّظمة، وطوّرت نظاما متداخلا من أشكال التواصل الظاهرة والخفية، لفظية وغير لفظية، كما وضعت طرقا للتفاوض وحل المشكلات تتيح لها إنجاز مختلف محامها بفاعلية، وأن العلاقة ما بين أعضاء هذا العالم المصغر الخاص عميقة ومتعددة المستويات، وتستند إلى حد بعيد

على تاريخ مشترك، ورؤى وافتراضات مشتركة حول ذاتها وحول العالم، وحس مشترك بالأهداف والتوجه المستقبلي.

كما تشكل الأسرة باعتبارها الخلية الاجتماعية النواة، مركز بناء الهوية الذاتية، وأسس صحة أبنائها النفسية، ومثانة شخصيتهم، وحصانهم الخلقية، كما أنها تتمي في نفوسهم بذور احترام الذات وتقديرها والثقة في النفس.<sup>(6)</sup>

ولعل هذا الطرح يقودنا إلى التأكيد على أهمية الأسرة في تحقيق الأمن والحماية للمراهق باعتبار أن الحاجة إلى الأمن تعتبر من أهم وأقوى الحاجات التي يسعى الإنسان إلى إشباعها، بل وإنما تصبح أكثر إلحاحاً حينما يتعرض الفرد - المراهق بالخصوص - إلى تهديدات حقيقية، فهو يحتاج إلى الرعاية في جو آمن يشعر فيه بالحماية من أية عوامل مهددة، ويحتاج إلى الانتماء إلى جماعته في الأسرة والمدرسة والرفاق والمجتمع، وأن يشعر بالأمان في ذاته وفي حاضره ومستقبله.

وتعتبر الرعاية الوالدية من أهم المصادر الخارجية والأساسية لإشباع هذه الحاجة الأمر الذي يمكنه من الانطلاق إلى العالم بشخصية متزنة وسلوكيات سليمة وخصائص نفسية تمثل جهاز مناعة ضد أية تهديدات تواجهه فيتعرض للضغوط دون أن يمرض وهذا ما يسمى بالصلابة النفسية. بينما يؤدي انعدام الشعور بالأمن النفسي للكثير من الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، والتي لا تظهر أثارها السلبية إلا بالتقدم في العمر، فلا يجد الفرد من يركن إليه وقت ضيقه وشدته ليكتسب منه القوة للانطلاق للحياة مرة أخرى..<sup>(7)</sup>

في نفس السياق، يتطلب النمو السليم أن ينمو المراهق في بيت مترابط تظله السعادة، ويتوقع الحماية والرعاية والحب والعطف من والديه في أي سن أو في أي مرحلة من النمو، ويعتز الآباء في العادة بأبنائهم ويسعون لصالحهم، و من حقهم فرض سلطاتهم على الأبناء ومن واجب الأبناء طاعتهم، و يستمر الطفل في طاعة والديه في مراحل طفولته ويفرض الآباء هذه الطاعة ويتوقعونها، فإذا ما دخل الطفل في مرحلة المراهقة حاول تأكيد ذاته بتأكيد استقلاله عن والديه، ويفاجأ الآباء بمثل هذا التغيير فيدب النزاع والاختلاف بين إرادتين وبين حقين متعارضين، حق الآباء في السلطة وحق الأبناء في الاستقلال.

ومن مظاهر رغبة الأبناء في الاستقلال سعي المراهقين إلى تكوين الصداقات في الخارج مع من هم في سنهم و مشاركتهم في نشاطهم، ويستدعي ذلك الظهور أمامهم بالمظهر اللائق، وقد يستدعي المظهر اللائق زيادة المصروف اليومي الذي قد يكون عبئا على الوالدين و يكون هذا مدعاة للاحتكاك، ويتطلب مجاراة الأقران مشاركتهم في الجلوس على المقاهي والذهاب معهم إلى دور السينما ودعوتهم أحيانا إلى المنزل لاستضافتهم، كما يستضيف الكبار أصدقائهم، و قد يضطر إلى السهر خارج المنزل والقيام بعمل لا يعلم عنه الآباء أي شيء فيصبح المراهق من وجهة نظر الآباء متغيرا إلى الأسوأ، فهو الولد العاق الذي أفسده أصدقاؤه..

لهذا السبب لا يصبح المنزل مكانا يلجأ إليه المراهق ما دام لا يتوقع إلا النقد واللوم والتوبيخ ويزيد النفور من المنزل في حالة ما إذا كانت هناك مشاكل خاصة بين الأبوين كالعراك المستمر، وعدم احترام الوالدين بعضها البعض أو الطلاق أو ما شابه ذلك، مما يزيد من فقد المراهق لاطمئنانه و أمنه.<sup>(8)</sup>

ولعل الوضع يصبح أكثر تأثيرا حين ينعدم التفاعل الأسري بسبب غياب أحد الأبوين باستمرار عن البيت وبالتالي ضعف أحد أبرز الأدوار الوظيفية للأسرة وهو التواصل الأسري مع المراهق والمراهقة بشكل أكثر تأثيرا لحاجتها الدائمة للتوجيه التربوي من طرف الأم..

يتحول الفضاء الأسري إلى بيت صامت فيأخذ التفاعل أشكالا أخرى لاسيما الافتراضية منها لأنها الأسهل والأكثر توفرا نظرا لانتشارها الكبير في الأسر الجزائرية، واعتبارها من أساسيات الحياة الأسرية حاليا..

لقد تبين في دراسة مشابهة أن التطور التكنولوجي الحديث قد أفرز مجالات تفاعل افتراضية جديدة لم تكن معروفة من قبل، ناجمة عن الاستحداثات التكنولوجية التي حطمت الكثير من الحواجز واختصرت المسافات، وحوّلت الواقع إلى دائرة مليئة بالمستجدات اليومية، إذ أصبح هناك نمط خاص باستخدام هذه الوسائل التي دخلت حياتنا الاجتماعية وامتدت من العلاقات العامة إلى العلاقات الشخصية مما أتاح الاتصال

الواسع والمتفرد رغم بعد المسافات، فنتج عنها ثقافة جديدة تختلف عن ثقافة المجتمع التي تستند إلى الدين والعادات والتقاليد لاسيما العلاقات العاطفية بين الجنسين التي أصبحت مرادفا للتواصل المباشر بينهما والمحظور اجتماعيا، كما يُعد وسيلة لتكثيف التفاعل بين الجنسين وتبادل الأفكار والآراء والتصورات المشتركة بينهما، و تحديد مدى عمق العلاقة وجديتها.<sup>(9)</sup>

### 3. الأسرة و العالم الافتراضي

من أهم الأمور التي يجب أخذها في الاعتبار عند دراسة كيفية أداء الأسرة لدورها في تربية الأبناء بصورة سليمة هو درجة تماسك الأسرة، إذ أن الأسرة القوية المتأسكة التي يكتنفها الود والتفاهم بين أفرادها غالبا ما تنتج أفرادا صالحين للمجتمع، وعلى العكس من ذلك فإن الأسرة الضعيفة هي وسط ملائم جدا لتكوين السلوك الإنحرافي لدى الأبناء. ومن الغريب في الأمر أن تصدع الأسرة يكون أكثر خطورة على الإناث منه على الذكور.<sup>(10)</sup>

في نفس السياق أكدت الباحثة سامية خضر صالح أنه من الصعب ملاحظة كل عناصر التغيير الاجتماعي وتأثيره على الأزمات العائلية لأنها أصبحت متعددة في هذا العصر المفتوح بلا حدود وبلا ضمان لسقف ملموس نظرا لعمليات الشد والجذب خاصة في مجال التكنولوجيا الفائقة التطور والتحديث والانهار. حيث يؤثر التغيير الاجتماعي في مدى أوسع من الخبرة العادية والجوانب الوظيفية للمجتمعات في العالم الحديث لأنه في الواقع لا توجد خاصية من خصائص الحياة ليست حصينة على توقع التغيير وتبعاً لذلك فإن انتشار التكنولوجيا المادية بسرعة وتلاحق الإستراتيجيات الإجتماعية يساهم في سرعة التغيير الاجتماعي الذي قد لا تستطيع الأسرة كبناء راسخ وتقليدي أن تتحملة إلا إذا كانت هناك مرونة فائقة يتحلى بها الأفراد ويستوعبون مشاكل العصر قبل أن يحدث الإنهيار وتنتشر مزيد من الأزمات.<sup>(11)</sup>

ولعل أبرز تلك الأزمات ما أفرزه الإقبال الكبير على مواقع التواصل الاجتماعي لاسيما الفاييسبوك الذي عرف انتشارا كبيرا في وسط المراهقات وفتح أبواب لا حدود لها لإقامة

علاقات افتراضية، وتأسيس حرية مطلقة في التفاعل مع استمرارية الاتصال في أي وقت ومع أي شخص دون أدنى التزام بقواعد الضبط والمعايير الاجتماعية .

كشفت إحدى الدراسات عن الآثار السلبية التي تعاني منها بعض الفتيات عند استخدام الفايبر بوك من إجماد جسدي وذهني بالإضافة إلى العزلة الاجتماعية، وندرة التواصل المباشر مع أفراد الأسرة، وهو مؤشر يهدد قيمهم وثقافتهم الأصلية والحميدة، ومدى قدرة العالم الافتراضي على إحداث زعزعة في عملية تفاعل الفتاة مع أهلها وأقاربها، الأمر الذي يشكل خطورة على متانة التماسك الأسري وقوة التضامن العائلي مما يؤدي إلى مشكلات اجتماعية عديدة كالعزلة والانطواء وفقدان التواصل الاجتماعي الطبيعي، هذا التغيير يعتبر من أهم التحديات التي تواجه المجتمع الآن بسبب الثورة الاتصالية والمعلوماتية في ظل العولمة والتي ساهمت في تغلغل تقنيات المعلومات والاتصالات في بنية الحياة الاجتماعية وتحكمها بشكل كبير في شبكة العلاقات الاجتماعية للإنسان المعاصر، فقد تقلص التواصل الأسري بشكل كبير وتقلصت الساعات التي يتم فيها لقاء أفراد الأسرة والالتزام بالواجبات الأسرية..<sup>(12)</sup>

ما يضاف في هذا الإطار أيضا ما أدلت به دراسة سابقة أن المجتمع الافتراضي أصبح له سلطة وقيم ورموز ينتجها ويعمل الأفراد على إعادة إنتاجها بالاندماج فيها، بمعنى أن الوسائل الالكترونية اخترقت ضوابط المجتمع وقضت على الأسرة فأصبحت منتجة للاغتراب لأنها لم تعد وسيلة فقط بل أصبحت غاية للفرد الذي أصبح موضوعا لها مما يدل على أن هذه الوسائط أنتجت قيما خاصة بها وشكلت هوية جديدة لدى الأفراد وبالتالي فهم يعيدون إنتاج قيم هذا العالم الافتراضي فهو لم يعد وسيلة فقط بل تحوّل إلى ثقافة جديدة أفرزها التغيير الذي حدث على مستوى الفرد كونه مندمج فيها لأنه لا يستطيع أن يحقق رغباته في المجتمع الحقيقي المحاط بالمحرمات فهو يلجأ إلى هذا العالم الافتراضي لأنه بالنسبة له بمثابة هروب من الواقع والدليل على ذلك إصراره على إبقاء العلاقات العاطفية رغم معارضة المجتمع كونها أصبحت بالنسبة له وسيلة للتعبير عن ذاته.<sup>(13)</sup>

#### 4. المعطى الواقعي من خلال بحث استطلاعي

في محاولة لتقديم قراءة اجتماعية لظاهرة العلاقات العاطفية في وسط المراهقات، ورغم إدراكنا الشديد لصعوبة الطرح لاعتبارها طابو اجتماعي بامتياز، ولأنها ذات طابع ذاتي جدا وخاص جدا تتطلب فترة بحثية طويلة إلى حد ما للتعمق في أبعادها، فإننا اخترنا عيّنة قصدية و عددها 20 مبحوثة يتراوح سنهن بين 18 و 20 سنة، مستوهن الدراسي أولى جامعي، من تخصصات مختلفة، على اعتبار أنهن في مرحلة المراهقة، وتعشن مختلف خصوصياتها العمرية. وقد تم اعتماد مقابلات حرة مع المبحوثات لأن طبيعة الظاهرة وخصوصيتها جعلتنا نؤكد على مدى أهمية هذه التقنية في الدراسات الكيفية وإمكانية التعمق البحثي من خلال اعتمادها على الأقل في المرحلة الاستطلاعية مع تأكيدنا على الصعوبة الشديدة في الحصول على ما نريد من حيثيات تساهم في فهم الظاهرة من جهة، وضرورة الاستمرارية في البحث في عالم المراهقات وما يكتنفه من مستجدات لاسيا في علاقتها بالافتراضي وإفرازاته التي أكسبت المراهقة ثقافة دخيلة وجعلتها تعيش تناقضات وصراعات نفسية، أسرية واجتماعية كثيرة... ولعل أبرز النتائج التي تم الوصول إليها مبدئيا:

**أولا :** ارتبط تأسيس العلاقة العاطفية حسب كل المبحوثات بالبيئة الأسرية وبشكل أخص بعمل الأم والفراغ العاطفي الذي قد تسبّب فيه غياب الأم لساعات طويلة عن البيت في مقابل الحاجة الدائمة للتواصل الأمومي، ليزر البديل الأكثر شيوعا والأكثر إقبالا من طرف المراهقات عليه والمتمثل في العلاقة العاطفية مع الجنس الآخر..

نؤكد في هذا الإطار على أهمية البيئة الأسرية في تحقيق التوازن النفسي للمراهقة، والتأثير على طريقة تفكيرها ورؤيتها للعالم الخارجي، بالإضافة إلى الأهمية القصوى لدور الزوجة الأم في الحياة الأسرية و تأثير تواجدها وتفاعلها الأسري على المراهقة التي تظل بحاجة دائمة إلى عطف وحنان الأبوين وأن العكس سيؤثر حتما على الاتصال الأسري، وقد ينعكس عليه سلبا مما يؤدي إلى البحث عن البديل العاطفي خصوصا وأن الافتراضي قد يفتح المجال لتحقيق تفاعل من نوع آخر لا تحكمه أي قواعد أو معايير اجتماعية. ولعل طبيعة

المرحلة العمرية ومحدداتها تجعلها أكثر اندفاعا نحو العلاقات العاطفية الافتراضية التي تصل حدّ التفاخر عند بعض المبحوثات لقدرتها على تحقيقها ..

ثانيا : شكل العنف الأسري أكثر الدوافع النفسية لإقامة علاقة عاطفية هروبا من ممارسيه سواء الأب أو الأم أو الأخ أو أحد الأقارب.

لقد أكّدت إحدى الدراسات على تفاوت أنماط التنشئة الأسرية بحسب تفاوت خصائص الوالدين وطبيعة استخدامها للسلطة، فالمرهق الذي ينشأ في بيئة ترعى ميوله وتحقق ذاته وتشبع حاجاته يختلف عن الذي ينشأ في جو متسلّط تكبح فيه الإرادة الذاتية ويستخدم فيه العنف والعقوبة في تشكيل سلوكه، فهناك فرق بين أن يكون مقبولا في أسرته يعامل بديمقراطية، وبين أن يكون منبوذاً يعامل بتسلّط وديكتاتورية. وعلى الرغم من أهمية الأسرة، وخطورة تأثيرها في بناء المجتمع من خلال قيامها بعملية التنشئة الاجتماعية للأولاد إلا أنّها تفضل أحيانا في القيام بهذا الدور، فزرى أنها تقدم للمجتمع أعضاء مضطربين نفسياً وسلوكياً، وذلك بسبب أنماط السلوك وأنواع التفاعلات التي تستخدمها أحيانا.. فالأسرة مسؤولة عن سلوك الأفراد الإيجابي والسلبي ودرجة المسؤولية هي موضع التساؤل وليس وجودها؛ حيث تؤثر الأسرة على الأفراد عندما تستخدم العنف وسيلة للتعامل.<sup>(14)</sup>

وقد يصبح الوضع في اعتقادنا أكثر خطورة حين يمارس العنف الأسري على المرهقة التي تحتاج إلى رعاية مضاعفة لخصوصية المرحلة العمرية التي تمر بها ووضعها الاجتماعي المرتبط أصلا بهويتها الأنثوية مما يعني أن ممارسة أي سلوك عنفي قد يكون له رد فعل سلبي من طرف المرهقة في محاولتها البحث عن فضاء أكثر أمنا وأكثر أريحية .

ولعلنا نشترك في هذا الطرح بالذات مع دراسة سابقة في تأكيد الباحث على تدعيم الاحتياج النفسي والروحي المشوب بالتحدي واثبات الذات كأحد أبرز دوافع إقامة العلاقة العاطفية.<sup>(15)</sup>

ثالثاً : أن أكثر الوسائل المعتمدة في تأسيس العلاقة العاطفية الفايسبوك ووسائطه الافتراضية (الدردشة..)، والتي تبيّن من خلالها حرية التواصل وحرية التعبير وكسر كل الطابوهات مثلما أكدت إحدى المبحوثات (نحكيو في كلش)

أخذت مسألة الإقبال على العالم الافتراضي، وفي ظل الأربجية المطلقة في التواصل من خلال وسائله السهلة والمتاحة، أبعاداً كثيرة وفي الوقت ذاته خطيرة جداً نظراً لتأثيراتها على شخصية المراهقة، على نظرتها للحياة، وعلى هويتها المحددة والمقبولة اجتماعياً، و تمكّنت من خلاله (أي العالم الافتراضي) من كسر الكثير من الطابوهات والمحرمات .

رابعاً : أن أكثر الأوقات التي يتم فيها التواصل الافتراضي هي الساعات المتأخرة من الليل و السبب الرئيسي هو عدم الإزعاج أو تلقي أي ملاحظة من طرف أحد أفراد الأسرة..

إن التفاعل الدائم بين أعضاء الأسرة الواحدة يعتبر من أساسيات نمو شخصية أفرادها خاصة المراهقين، فإذا كانت الأسرة مبنية على علاقات إيجابية تمكّن الأبناء من تأسيس مجال خصب لحياة غنية بالخبرات، وإلا سعوا إلى تحقيق ملذاتهم والتنفيس عن احتياجاتهم خارجها. وقد تناول دوركايم هذه الحقيقة الأساسية عندما أشار إلى أن كل زيادة في عدد الاتصالات تضاعف فرص الاحتكاك وتبادل العلاقات بين الأشخاص، وحيث يستدعي ما ينشأ من مشكلات ضرورة التكيف وتتطلب الحياة تحقيق الانسجام مع القواعد والتعلّيمات..

وفي نفس السياق، وفي طرح سابق أكد أحد الباحثين أن المراهق الجزائري يعاني من عدة مشكلات، وأن المشكلات الشخصية والنفسية والأسرية أعمق تأثيراً في نفسية المراهق الجزائري، تليها المشكلات الصحيّة والبدنية، إضافة إلى المشاكل المتعلقة بالتكيف مع العمل المدرسي ومشاكل النشاط الاجتماعي والترفيهي، كذلك المشاكل المتعلقة بالتحوّف من المستقبل المهني والمشاكل المالية أو الأحوال المعيشية بشكل خاص، ومن ناحية أخرى فإنّ مشكلات العلاقة مع الطرف الآخر (الجنس الآخر) تشكل هي الأخرى جانباً كبيراً من الأهمية بالنسبة للمراهق الجزائري لأنها كثيراً ما تبدوا معقدة وسط ضغوطات متناقضة في المجتمع عموماً وكثيراً ما يكتنفها الغموض والخوف والقلق..<sup>(16)</sup>

## خامسا : أن أكثر اللقاءات العاطفية تكون خارج الفضاء المدني لإدراك المبحوثات خطورة الفعل والرفض الاجتماعي له

فليس ثمة شك في أن السلوك الاجتماعي سواء أكان أخلاقيا أم غير أخلاقي، مشروعا أم غير مشروع، يمكن أن يُفهم فقط في ضوء القيم التي تعطي السلوك معناه، أي أن المعاني لا تكمن في طبيعة الأشياء، و لكنها تضي على تلك الأشياء ثقافة الجماعات المعيارية. لذا فإن السلوك المنحرف يتحدد وفق نظام كل مجتمع وثقافته ومنطلقاته العقيدية والثقافية. من هنا نجد ميشيل دينكش يعد الانحراف السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمعايير والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوك أفرادهِ. و هكذا نجد أن بعض الأنماط السلوكية تكتسب الصفة الشرعية وبعضها الآخر صفة الانحراف وحينما نقيم سلوكا معينا فإنما نفعل ذلك في إطار معايير الجماعة السائدة التي تفرض طاقم معاييرها على المجتمع كله.<sup>(17)</sup>

ولعل هذا الطرح يفسر بعمق المحاولة الدائمة لإخفاء العلاقات العاطفية من طرف فاعليها وممارسيها باعتبارها انحرافا عن القيم والمعايير الاجتماعية .

## سادسا : الإدمان على إقامة العلاقات مع احتمال دائم لتغيير الطرف الأخر، الانحرافات السلوكية لاسيما الجنسية..

إن الاضطرابات السلوكية التي تكثر لدى المراهقين والمصنفة حسب كتاب التصنيف الإحصائي الرابع للأمراض النفسية الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي هي اضطرابات تؤدي إلى عنف وعدوان ضد الأسرة وترجع إلى عوامل وراثية أو بيئية وأسرية، وفي هذه الاضطرابات يشعر الفرد بدافعية وإلحاح كبير بالقيام بسلوك ضد معايير الأخلاق والقيم والأعراف الاجتماعية، و ضد النظم والقوانين. والمراهق لا يشعر بالراحة ولا ينخفض مستوى التوتر لديه إلى بعد القيام بهذا السلوك، علما أنه لا يوجد مبرر منطقي لهذا السلوك الذي قد يتكرر كثيرا.<sup>(18)</sup>

ولعل الإصرار على تكرار إقامة العلاقات العاطفية رغم الإدراك بخطورتها ورفضها اجتماعياً من طرف المبحوثات يعكس فعلاً حالة من الاضطراب السلوكي الذي تعيشه المبحوثات بسبب الوضع الأسري وإفرازاته العلائقية التي تحولت إلى معاناة حقيقية .  
فبرغم خطورة وفداحة الآثار الاجتماعية والتعليمية حسب الباحث **يحي زهران** إلا أنه للآثار النفسية أبعاد تؤثر على كافة جوانب الشخصية، وتنال من استقرار البيئة العائلية والمجتمعية. ووسط تلك العلاقات يظهر نسب أقل لآثار وسلوكيات أخلاقية كممارسة أشياء محرمة.. وهي وإن كانت أقل عن باقي الآثار التعليمية والنفسية إلا أنه ينبغي متابعتها ووضعها موضع الاعتبار لآثارها المدمرة على مستقبل هؤلاء..<sup>(19)</sup>

#### خاتمة:

لعل محاولة طرح ظاهرة العلاقات العاطفية في وسط المراهقين باعتبارها نتيجة منطقية لغياب أو تغييب بعض الوظائف الأسرية وأكثرها أهمية وهي الاتصال الأسري ذات أهمية كبرى لطبيعة الظاهرة وخطورة إفرازاتها الآتية والمستقبلية لاسيما في بعدها الأخلاقي والانحرافات السلوكية التي قد تنتج ظواهر اجتماعية أخطر في المجتمع الجزائري الحضري بالخصوص في ظل التغيرات المجتمعية وتأثيرات العالم الافتراضي اللامتناهية والتي ساهمت بشكل كبير في زعزعة الاستقرار الأسري وتأسيس نوع جديد من التفاعلات الأسرية التي تتطلب حذراً كبيراً في التعامل معها.

## الهوامش:

1. فرحات أحمد: أساليب المعاملة الوالدية (التقبل-الرفض) كما يدرّكها الأبناء و علاقتها بالسلوك التوكيدي لدى تلاميذ التعليم الثانوي، قسم علم النفس و علوم التربية و الأطفونيا ، جامعة تيزي وزو ، 2011-2012 ، ص 16
2. هالة فاروق أحمد الخريبي: أساليب المعاملة الوالدية كما يدرّكها الأبناء من الجنسية ، و علاقتها بالإيزان الإنفعالي في المرحلة العمرية 14-17 سنة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في دراسات الطفولة جامعة عين شمس ، القاهرة، 2002 ، ص 3
3. بلمولود جنانة : علاقة الأسرة بانحراف المراهق ، مذكرة ماجستير في علم إجتماع التنمية ، قسم علم الإجتماع و الديمغرافيا ، جامعة قسنطينة ، 2004-2005 ، ص 276
4. يحي علي زهران: العلاقات العاطفية الطلابية ، من المسامرة إلى المخاطرة ، جامعة المنصورة، 2012، على :  
[www1.mans.edu.eg/facagr/arabic/StudErUnit](http://www1.mans.edu.eg/facagr/arabic/StudErUnit)
5. طارق السيد : الإنحراف الإجتماعي، الأسباب والمعالجة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2012، ص 13
6. مصطفى حمزاي : الأسرة و صحتها النفسية المقومات-الديناميات-العمليات، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 2015
7. مروة الهادي:الأمن النفسي و علاقهه بالصلاية النفسية لدى المراهقين ذوي الإعاقة السمعية ، دراسة سيكومترية كلنيكية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التربية ، قيم الصحة النفسية ، جامعة الرقازيق 2009، ص 15-16
8. سهام صوكو: واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية ، مذكرة ماجستير غير منشورة تخصص علم إجتماع تنمية و تسيير الموارد البشرية ، قسم علم الإجتماع ، جامعة قسنطينة ، 2008-2009 ، ص 81
9. زموري زينب ، بغدادي خيرة : العلاقة العاطفية بين الجنسين باستخدام الوسائل الإلكترونية بين المجتمع الافتراضي و المجتمع الحقيقي ، على :  
[dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/5905/1/SSP0210.pdf](http://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/5905/1/SSP0210.pdf)
10. طارق السيد ، نفس المرجع ، ص 51
11. سامية خضر صالح: دراسات سوسيوولوجية معاصرة ، على [www.kotobarabia.com](http://www.kotobarabia.com)
12. حنان بنت شعشوع الشهري: أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الإجتماعية "الغيس بوك و تويتر نموذجاً" ، على:

[blog.kau.edu.sa/norahomodi/files/2012/03/The-Effects-of-Using-Electronic-Social-Networks-on-Social-Relationships.pdf](http://blog.kau.edu.sa/norahomodi/files/2012/03/The-Effects-of-Using-Electronic-Social-Networks-on-Social-Relationships.pdf)

13. زموري زينب ، بغدادي خيرة ، نفس المرجع
14. يامن سهيل مصطفى : العنف الأسري و علاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين ، رسالة ماجستير في الصحة النفسية للأطفال و المراهقين ، كلية التربية جامعة دمشق ، 2009-2010 ، ص 48
15. يحي علي زهران: العلاقات العاطفية الطلابية ، من المسامرة إلى المخاطرة ، مرجع سبق ذكره
16. عبد الله بوجلال، آثار التلفزيون على المشاهدين، مجلة بحوث، معهد علوم الإعلام والإتصال ، جامعة الجزائر ، العدد 2 ، 1994، ص 87
17. عدنان ياسين مصطفى:سوسيولوجيا الإنحراف في المجتمع المأزوم،إثناء للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2011، ص 15-16
18. إسماعيل محمد الزويد: العنف المجتمعي ، إطالة نظرية ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2012، ص 70
19. يحي علي زهران: العلاقات العاطفية الطلابية ، من المسامرة إلى المخاطرة ، مرجع سبق ذكره

## تأثير الأجهزة الذكية على التنشئة الأسرية

د. صباح جعفر - جامعة بسكرة - الجزائر

### Abstract :

Smart devices such as smartphones and digital panels have a special interest from the family members , especially children, teenagers and young people because of their multiple use which is indispensable nowadays, thanks to their connection to the internet that facilitate communication between individuals, through the social networks by making video calls and the ability to browse e-mails. They also facilitate watching videos and making them. The smart devices can provide other opportunities in many other fields, like scientific one, entertainment and family education.

This research aims to identify the positive and negative effects of the smart devices and their influence on family education.

It also looks at the impact of smart devices on the role of the family and the reflections of the excessive use of these devices on family relations and the interaction between its members.

### الملخص:

حظيت الأجهزة الذكية مثل الهواتف الذكية والألواح الرقمية باهتمام خاص من أفراد الأسرة خاصة الأطفال والمراهقين والشباب لما تقدمه من استخدامات متعددة لا غنى عنها في وقتنا الحالي بفضل ارتباطها بشبكة الأنترنت يسرت هذه الأجهزة عملية التواصل بين الأفراد عبر مواقع التواصل الإجتماعي، واجراء المكالمات المرئية بالصوت والصورة، وتصفح البريد الإلكتروني، وأتاحت إمكانية التصوير ومشاهدة الفيديوهات المختلفة. إضافة إلى خدمات مختلفة في المجال العلمي والترفيهي والخدمات.

ويهدف هذا البحث إلى التعرف على الآثار السلبية والإيجابية لاستخدام الأجهزة الذكية وتأثيرها على التنشئة الأسرية. كما يبحث في تأثير الأجهزة الذكية على دور الأسرة في تآدية وظائفها المختلفة، وانعكاسات الاستخدام المفرط لهذه الأجهزة على العلاقات الأسرية والتفاعل بين أفرادها.

## مقدمة:

في ظل التطور التكنولوجي إنتشر وبصورة لافتة استخدام الأجهزة الذكية من هواتف محمولة وأجهزة لوحية وغيرها، نظرا لسهولة استخدامها وبما تقدمه من تطبيقات إلكترونية مختلفة ومهمة وكذلك لارتباطها بشبكة الانترنت فهي بذلك تسهل عملية التواصل بين الأفراد في مختلف أنحاء العالم.

وتزداد شعبية الهواتف الذكية لأنها تجمع بين مواقع التواصل الإجتماعي، الأنترنت، البريد الإلكتروني، الرسائل النصية، تطبيقات الهاتف في جهاز واحد، وقد اندمجت سريعا في الحياة اليومية للأسرة (Heather Kennedy-Eden.2014,p28).

ونظرا لأهمية هذه الأجهزة وماتتيحه من خدمات سواء في مجال الاتصال أو المعرفة أو الترفيه أصبحت الأسر تحرص على امتلاكها لاستخداماتها المتعددة، بالرغم من التحذيرات التي يطلقها المختصون بما قد تحدثه من أخطار سواء على الصحة الجسمية أو العقلية والنفسية لمستخدميها.

فنجد كل أفراد الأسرة وخاصة الأطفال منجذبين إليها ويستخدمونها بشكل مستمر ولساعات طويلة وقد يؤدي هذا إلى عزلة الفرد عن الأسرة والمحيط الإجتماعي، وهذا يؤثر بشكل سلبي على عملية التنشئة الأسرية والتفاعل بين أفراد الأسرة.

لهذا ينطلق البحث من معطيات قائمة حول تأثير الأجهزة الذكية على التنشئة الأسرية، وكيف يؤثر استخدام هذه الأجهزة على دور الأسرة ووظائفها، وعلى عملية التفاعل الأسري.

## أولا: تعريف التنشئة الأسرية :

يمكن وصفها بأنها العملية التي من خلالها يتعلم الطفل عادات مجتمعه، وبأنها العملية التي تتشكل من خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته، وسلوكه لكي يتوافق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة لدوره الراهن أو المستقبلي في المجتمع، وتبدأ

هذه العملية الحيوية منذ اللحظة التي يرى فيها الطفل الحياة على هذه الأرض.  
(العتيبي، 2000، ص 25).

والتنشئة الأسرية هي إحدى أساسيات التنشئة الاجتماعية وتقصد بها كل سلوك يصدر عن الوالدين أو أحدهما ويؤثر في الطفل ونمو شخصيته سواء قصد بهذا السلوك التوجيه والتربية أم لا. كما أجمع علماء النفس باتجاهاتهم المختلفة على أن أساليب التربية التي يتبعها الوالدان في تنشئة أبنائهم لها بالغ الأثر في تشكيل شخصياتهم في المستقبل وفي نوعية الاضطرابات النفسية التي يتعرضون لها.

- أهمية الأسرة في تنشئة الأبناء: ترجع أهمية الأسرة في تنشئة الأبناء إلى ما يلي:

- 1- ان الأسرة وأفرادها هي المكان الأول الذي يتم فيه بأكورة الاتصال الإجتماعي الذي يمارسه الطفل مع بداية سنوات حياته الذي ينعكس على نموه الإجتماعي فيما بعد.
- 2- يقوم الآباء والأمهات بعملية تنقية للقيم والتقاليد والاتجاهات والعادات لتأخذ طريقها إلى الأبناء فالقيم والمعايير المرغوب تشكيلها ينقلها الآباء والأمهات إلى أبنائهم دون سواهم.
- 3- تعد الأسرة المكان الوحيد المسؤول عن إكساب الطفل للغة في مرحلة المهد وما بعدها بقليل تشاركها مؤسسات التربية المقصودة في لعب هذا الدور، ولا تستطيع أي وكالة أخرى تقريبا أن تقوم بهذا الدور فهي تعلم الطفل اللغة وتكسبه بدايات ومهارات التعبير.
- 4- الأسرة هي المكان الذي يزود الأطفال ببذور العواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع.
- 5- الأسرة أول موصل لتثقافة المجتمع إلى الطفل.
- 6- الأسرة أكثر دواما وأقل وزنا من باقي الوكالات المؤثرة على الطفل وبخاصة في مرحلة الطفولة، وأكثر أهمية في تأثيرها من تأثير الجيران والأقارب والأقران وحتى المعلمين.
- 7- التفاعل بين الأسرة والطفل يكون مكثفا أطول زمنا من الجهات الأخرى المتفاعلة مع الطفل.
- 8- الأسرة هي الجماعة المرجعية التي يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه.

- 9- وكما أن على الأسرة أن تربي طفلا يلتزم بقيم و معايير اجتماعية عليها ألا تنسى أن لكل طفل فرديته.
- 10- أن الأطفال الذين يأتون من أسر تتصف بالأمانة والجد والعمل غالبا ما يتصفون بالخلق والإحساس بالغير ودافع الإنجاز.
- 11- تحديد الدور لكل من الذكور والإناث بحيث تميل الفتيات إلى تقليد نموذج يتصف بالحنان والعطف ويميل الذكور لتقليد نموذج يتسم بالقوة والتسلط.
- 12- يوفر الجو الأسري السليم والمتوافق تنشئة أسرية مناسبة للأطفال.

### ثانيا: الأجهزة الذكية

1. تعريف الأجهزة الذكية: هي أجهزة الاتصال لا سلكية محمولة كالهواتف والألواح الرقمية المزودة بخدمات وتطبيقات مختلفة ومزودة بشبكة الأنترنت وتشمل الأيادوالايفون والهواتف الحديثة والذكية ... والتي يمكن حملها والتنقل بها.

يرجع العديد من الكتاب والباحثين مفهوم الأجهزة الذكية إلى أجهزة الهاتف المحمول أو إلى أجهزة الكمبيوتر الرقمية، ومن خلال ذلك تم تعريفها من زاوية الخصائص التي تتمتع بها، فمثلا : قد عرفها Poslad بانها أجهزة معلومات شخصية سهلة الاستخدام توفر لمستخدميها الخدمات والمعلومات من خلال خصائصها، أما MahatananKoon فيصفها بتلك الأجهزة التي يتم تثبيت تطبيقات فيها لزيادة وظائفها وخصائصها، ويمكن استخدامها بحرية بغض النظر عن موقع المستخدم وظروف وفي نفس الاتجاه يعرفها Lee بأنها أجهزة شخصية سهلة الاستخدام يمكن من خلالها الحصول على المعلومات في أي وقت، وفي أي مكان من خلال الاتصال بالشبكة السلكية أو اللاسلكية. (شاهر خليل محمد نصار، 2015، ص 07)

أ – الهواتف الخلوية الذكية: الهاتف الخليوي هو جهاز اتصالي لاسلكي محمول، ينتقل مع الفرد أينما تحرك ويمكن الاتصال من خلاله من أي نقطة في العالم إلى نقطة أخرى (شرط توفر تغطية دولية في إطار ما يعرف بالشبكة الخلوية) وهو يوفر مزايا تصفح الإنترنت، ومزامنة البريد الإلكتروني، وفتح ملفات الأوفيس، ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة، ومع

ارتباط الهاتف الخليوي بالانترنت؛ قدم ذلك مجموع خدمات إعلامية أهمها: الخدمات الإخبارية، الخدمات التجارية، التوعية الصحية والاجتماعية، متابعة الخدمات المصرفية، الترويج والإعلان، الألعاب والتسلية، الترجمة الفورية، البحث عن المعلومات، خدمات تحديد المواقع...

ب- القارئ الإلكتروني: في مقدمتها "الأياد" لشركة آبل، وهي من الوسائط الإعلامية الحديثة التي أصبحت في متناول استخدام حتى الأطفال، بعوالم اللبس التوجيهي لتطبيقاتها المتعددة والمتطورة، وهي في ذلك أصبحت شقيقة الهواتف الذكية في إطار تعدد الوسائط عبرها من خلال التطبيقات البرمجية موصولة بالانترنت، فقد تحولت من هدف اختراعها الأول الذي كان "القراءة" في معنى التمكن من قراءة الملفات والكتب على شكل نصوص إلكترونية، أما الآن فقد أصبحت هذه القارئات الإلكترونية آلات تصوير وموفرة لتطبيقات الانترنت الاتصالية والإعلامية.. (هامل فاطمة، 2013)

## 2. إنتشار استخدام الأجهزة الذكية:

تشير دراسة قامت بها جمعية شركات الاتصالات المتنقلة GSMA 2011 في دراسة مقارنة على الصعيد الدولي، إلى أن أكثر وظائف الهاتف المحمول المستخدمة شعبية من قبل الأطفال هي الألعاب 68%، والكاميرات 51% ومشغلات الموسيقى 44%، ومشغلات الأفلام/الفيديو 28% ويستخدم الأطفال المزيد من وظائف الهاتف أكثر من آبائهم، وسوف يستخدم أكثر من نصف الأطفال أي وظيفة إذا كانت متوفرة أو مثبتة على أجهزتهم، في حين يستخدم 40% من الأطفال الإنترنت عن طريق هواتفهم الذكية، ويفعلون ذلك مرة واحدة على الأقل في اليوم للوصول إلى الألعاب أو مواقع أخرى. (أبو الرب، القصيري. 2014، ص 172).

## 3. إستخدامات الأجهزة الذكية:

- تصفح المواقع الإجتماعية (الفييس بوك، تويتر، اليوتوب، الانستجرام)
- إستخدام تطبيقات المحادثة (الواتس أب، فايبر، ...)

- إجراء الإتصالات الهاتفية وإرسال الرسائل القصيرة SMS.
- الألعاب الإلكترونية.
- مشاهدة مقاطع الفيديو (أفلام، مباريات، مقاطع خاصة) والاستماع للمقاطع الصوتية المتنوعة.
- تصفح الكتب والملفات الرقمية.

#### 4. خصائص الاجهزة الذكية :

- التفاعلية أي قدرة هذه الأجهزة على الاستجابة للمستخدم مثلما يحدث في المحادثة وجها لوجه بين شخصين وهو بعد هام بالمقارنة مع أجهزة الإعلام الأخرى كالتلفزيون.
- التنوع في المحتوى.
- القدرة على اختيار البرامج والتقاطها والتحرك في كل مكان وفي أي وقت.

#### 5. سلبيات وإيجابيات الأجهزة الذكية:

اختلفت الآراء والاتجاهات حول إيجابيات وسلبيات الأجهزة الذكية وحتى الأخطار الصحية الناجمة عنها وهذا ما جعل الأسر تختار في اقتنائها لأهميتها أو الاستغناء عنها لخطورتها.

فالأجهزة الذكية وما تتمتع به من تطبيقات مختلفة وتقنيات حديثة جاءت لتسهيل التواصل بين الأفراد وتسهيل الوصول للمعلومات، إلا أن سوء الاستخدام من طرف البعض يجعل منها مصدر قلق وازعاج خاصة للأسر لما لها من تأثير قوي ومخاطر على صحة الأبناء وسلامتهم العقلية والنفسية.

#### أ - إيجابيات الأجهزة الذكية :

أسهمت الأجهزة الذكية عامة والجوال وأجهزة الكمبيوتر الحديثة خاصة في تعزيز العلاقات الاجتماعية وتحقيق الانسجام والترابط الاجتماعي سواء كانت بين أفراد الأسرة أما لأصدقاء، أضف إلى ذلك أصبح بإمكان الانسان أن يقضى الكثير من حاجاته من خلال رسائل الجوال التي يسرت أيضا سبلا لتواصل الاتصال السريع، أو الكمبيوتر

والجوال كجهازين من الأجهزة الذكية ووسيلة من وسائل الاتصال يوفران لنا العديد من الخدمات بلغة الالهية في وقتنا الحالي.

(<http://www.qou.edu/arabic/conferences/isdcrConf/researches/drShaherNassar.pdf>)

- توفير خدمات المحادثة الفورية بين الأصدقاء والأقارب وزملاء العمل عبر مواقع التواصل الإجتماعي والتي تسمح بتبادل الرسائل والصور والفيديوهات والملفات والبريد الإلكتروني.
- التفاعل الافتراضي مع أفراد يتقاسمون نفس الاهتمامات والتطلعات والهوايات من كل منطقة في العالم والتعرف على كل المستجدات في حينها.
- تقوية واستمرارية بعض العلاقات مع الأصدقاء والأقارب بالرغم من المسافات التي تفصل بينهم.
- تكوين صداقات جديدة.
- تبادل المعلومات والأخبار الحديثة والتطورات المختلفة.
- الاستفادة من التطبيقات المختلفة والمفيدة منها كالتطبيقات الصحية، تطبيقات تحديد الموقع GPS...
- تسهم الأجهزة الذكية بشكل كبير في اختصار الوقت والجهد والمسافات.
- الجانب التفاعلي لهذه الأجهزة يجعل عملية التعلم أكثر سلاسة وبساطة لدى الأطفال
- تنمية بعض الجوانب المعرفية وتنشيط وتحفيز الانتباه باستخدام بعض الألعاب.
- الاستعانة بهذه الأجهزة في التحصيل العلمي وتعلم اللغات وتوسيع المدارك المعرفية وبين Gounda في حديثه حول التأثير المحتمل لاستخدام أجهزة المحمول في التعليم، أنه من الممكن تقديم المنهاج بسهولة ويسر من خلال استخدام الأجهزة الذكية، مما يزيد من دافعية الطلبة ويوفر الوقت والجهد على الطالب والمعلم وولي الأمر. (أبو الرب، القصيري، 2014، ص 173)

- ومن الفوائد التي يحصل عليها مستخدم الأجهزة الذكية تدفق المعلومات ومحاكاة الإبداع واثراء الحياة الاجتماعية ومتابعة آخر المستجدات.

- أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي جزءا لا يتجزأ من حياة عدد كبير من الشباب والشابات لا يمكن الاستغناء عنه لقد نجحت شبكات التواصل الاجتماعي والأجهزة الذكية في التغيير والتعبير عما يكنه الشباب بداخلهم متأثرين بثقافة العصر والانفتاح على الثقافات العالمية وهي في المقابل أداة خطيرة لهدم الأخلاق والقضاء على العادات والتقاليد الأصيلة والمعتقدات الدينية السمحة إذا أسيء استخدامها. (عبدالعال، 2007، ص 204)

<http://www.qou.edu/arabic/conferences/isdcrConf/researches/maiAlshami.pdf>

### ب - سلبيات الأجهزة الذكية :

بالإضافة للاستخدامات ذات الفائدة الكبيرة للأجهزة الذكية فإن لها جانب سلبي ينبع خاصة من الاستخدام المفرط والسيئ لهذه الأجهزة:

- التأثيرات والمخاطر الصحية نتيجة الاستخدام مكثرا للجهاز العصبي واحتماد العينين والتأثير على العمود الفقري نتيجة الجلوس الخاطيء لفترات طويلة وآلام الرقبة والكتفين، وآلم الأصابع والرسغ وقد يكون مسببا لمشاكل صحية كالدانة وسوء التغذية وآلام الرأس وغيرها.

- التأثير على ساعات وطبيعة النوم خاصة لدى الأطفال والمراهقين وهذا بدوره يؤثر على القدرة على التركيز في الدراسة أو العمل.

- ظهور لغة هجينة وغريبة لا تلتزم بالقواعد النحوية نتيجة التواصل عبر الرسائل النصية.

- خطر الإصابة بالاكنتاب: تظهر غالبا لدى الشباب المفرط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بعض أعراض الاكنتاب (31% إمكانية الإصابة بالاكنتاب لدى الذكور، و46% عند الإناث) غير أنه من الصعب معرفة إذا كان الاكنتاب هو سبب أو نتيجة الاستخدام المفرط لشبكات التواصل الاجتماعي. التحرش الإلكتروني: أو التمر والذي ينتقل من المدرسة إلى داخل المنزل عبر الشبكة العنكبوتية والأساء المستعارة.

(Bach, 2013. P 63) وقد يؤدي بضحاياه من الأطفال والمراهقين إلى نتائج خطيرة كالأضطرابات النفسية والعقلية والتي قد تبلغ حد الانتحار.

- إهدار الوقت في اللعب ومشاهدة الفيديوها والدرشة في مواقع التواصل الإجتماعي.

- العزوف عن ممارسة الأنشطة الرياضية وممارستها من خلف الشاشة في وضعية الجلوس بعيدا عن النشاط والحيوية.

- إهمال الجانب الدراسي والتحصيل المعرفي والانشغال بالألعاب الإلكترونية وغيرها.

- تقلص الرغبة في القراءة والمطالعة خاصة الكتب الورقية.

- تقلص بعض القدرات المعرفية كالتذكر وحل العمليات الحسابية نتيجة الاعتماد المكثف على هذه الأجهزة.

- قضاء الأطفال الساعات الطويلة أمام هذه الأجهزة سيحرمهم من اكتساب المهارات اللازمة لعملية النمو السليمة والتي يحتاجها الطفل (كالمهارات الإجتماعية والتربوية والفكرية واللغوية).

- نشر الصور والمعلومات الخاصة على مواقع التواصل الإجتماعي وبدون وعي بمدى خطورة هذا التصرف.

- إنتهاك الخصوصية والمعلومات والبيانات الشخصية خاصة لأولئك الذين يضعون صورهم ومعلوماتهم وتنقلاتهم وتحركاتهم وأحداثهم اليومية من طرف من يترصدهم هذه المعلومات. وهنا تكمن الخطورة وخاصة على الأطفال والذين لا يدركون أن هناك بعض الأطراف يمكنها الوصول للمعلومات ونشرها أو استخدامها.

- إدمان الأنترنت والشعور بالقلق والتوتر إذا لم يتمكن الفرد من الارتباط بالشبكة العنكبوتية.

- عمقت الأجهزة الذكية بتطبيقاتها الحديثة وبتقنياتها العالية لمشكلة إدمان الأنترنت لدى الشباب وزادت من عزلتهم عن واقعهم الحقيقي، وأدت بالبعض منهم إلى اعتناق بعض الأفكار المتطرفة، والغريبة عن ثقافتنا وعاداتنا وهذا ما يفجر الصراعات الفكرية خاصة بين المراهق والوالديه.

فالتشبع المستمر لمصادر معينة من المعلومات يتخذها المراهق كمرجعية أساسية لقناعاته وقيمه وهذا يضعف دور التنشئة الأسرية في تكوين شخصية الفرد.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضا قيام البعض في استغلال رسائل النقال أيضا بطرق غير مقبولة اجتماعيا وتوجيهها لوجهة غير حضارية والتي لا تنسجم مع ديننا الحنيف وعاداتنا وثقافتنا العامة ولا سيما الرسائل ذات الإيحاءات الجنسية والعبارات التافهة التي تخدش الحياء في كثير من الاحيان والتي تؤدي إلى تفكيك الأسر وحدوث مشاكل عائلية كبيرة فالأسباب والعوامل التي تدفع البعض الى الاستخدام السلبي هو ضعف التربية الصحيحة والوازع الديني الكامن في أعماق نفوسهم ذلكم لأن التربية هي الأساس في بناء الإنسان ومنها يكون السلوك الايجابي والعمل الإيماني. (حسين، 2011، ص 4)

### ثالثا: تأثير الأجهزة الذكية على التنشئة الأسرية

#### 1. تأثير الأجهزة الذكية على وظائف الأسرة:

تعد الأسرة من أهم المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، وهي أول جماعة يعيش فيها الطفل ويشعر بالانتماء إليها وهي التي تكسب الطفل الخصائص الاجتماعية الأساسية، أي أنها الوسيلة الرئيسية للتنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي.

والأسرة هي الأرضية لتكوين الوليد البشري فتجعله إنسانا بحيث تكسبه اللغة والسلوك والاتجاهات فبالأسرة يتقوى الفرد والمجتمع وكذلك بها يضعف الفرد والمجتمع، فهي القاعدة لكل بناء مستقبلي بها يتحدد مسار أعضائها من خلال التربية والتنشئة التي يقوم عليها. والأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية. (أحمد هاشمي، 2004، ص 31)

وهي بذلك تمارس عمليات تربوية هادفة لتحقيق نمو الفرد والمجتمع، فالأسرة حساسة لما يصيب المجتمع في نضمه وقيمه من تغيير وتحويل، والمجتمع بدوره يتأثر بما يقع في الأنماط الأسرية من تغيير.

غير أن المساحة المخصصة للأسرة والتي تمارس من خلالها وظائفها بدأت تتناقص تدريجياً مع استخدام وسائل الاتصال الحديثة. فبسبب جاذبيتها وتعدد استخداماتها وتنوع ما تقدمه من معلومات وما تنقله من أخبار جادة وطريفة، فقد احتلت الأجهزة الذكية مكانة هامة في حياتنا وتناقص بذلك الدور المنوط بمؤسسات التنشئة المختلفة كالأسرة وتراجع دورها في نقل القيم والمعايير والمعرفة والثقافة، واستولت عليه هذه الأجهزة.

وأكبر تأثير قد يحدث في تكوين شخصية الأطفال عندما تكون هذه الأجهزة لصيقة بهم تحكى لهم القصص المشوقة، وتنشد لهم الأغاني الجميلة، وتعلمهم الحروف والأعداد بأسلوب مشوق وترفه عنهم بألعاب ممتعة وتسافر بهم إلى وجهات مختلفة وتشبع فضولهم وتجيّب عن أسئلتهم، كل هذا بأسلوب تفاعلي جذاب يخضع لرغبات الطفل. وبالتالي يقل احتياجهم للوالدين، فقد أدت هذه الأجهزة الذكية بعض من أدوار الوالدين دون إلحاح أو نحيب أو تفاوض. فتنازلت بذلك الأسرة عن بعض من أدوارها ووظائفها مقابل لحظات أو ساعات من الهدوء والراحة، بعيداً عن صراخ الأطفال ومشاكلهم تاركين المجال لثقافة غريبة تتجذر وتتغلغل في بناء شخصية أبنائهم، وتؤثر في تفكيرهم وتصنع عالمهم الخاص بدون مراقبة أو توجيه.

ويعتبر التطور والتقدم التكنولوجي مصدراً للشعور بالوحدة النفسية وعدم الأمن في بعض الأحيان، فطبيعة التفاعل الإنساني في المجتمع التكنولوجي الحديث أضعف الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع مما قلل من أهمية دور الأسرة والقضاء على نسقتها وافقد الفرد كثيراً من مقومات بناء الشخصية السوية وانتشار وسائل معقدة في الاتصال الاجتماعي مع الآخرين كالإعلام والانترنت ما يجعل الفرد يكتسب قياً قد تخالف عادات أسرته. (حنانحوج. 2002، ص 22)

فانحصار مدة ونوعية التواصل الأسري سيؤثر حتماً على التفاعل بين الوالدين والأبناء ويقلل الاحتياج للأهل فتتأثر بذلك بعض وظائف الأسرة كالوظيفة النفسية والتربوية التي تعزل دور الأسرة في بناء شخصية سليمة لأبنائها، وغرس مقومات النجاح والتوافق النفسي والاجتماعي عن طريق آليات التنشئة الأسرية.

وقد يؤثر الاستخدام السيء للأجهزة الذكية على قدرة الأسرة على حماية أفرادها وخاصة الأبناء من أخطار محدقة لا يمكن ملاحظتها ورؤيتها فهي تختفي داخل هذه الأجهزة من خلال بعض الاستخدامات الخطيرة كنشر الأفكار الهدامة واطاحة المواقع المشبوهة واللاأخلاقية وقد تصل حد الابتزاز والتحرش الإلكتروني في حين يبدو لنا الأطفال أنهم في أمان تام داخل المنزل وهذا يطمئن الأهل وربما لن يكتشفوا ما يواجهه الأبناء من مشاكل حتى يحدث ما لا يحمد عقابه.

## 2. تأثير الأجهزة الذكية على تنشئة الأبناء:

أشار (Hatch,2011) إلى أن هناك آثار سلبية واضحة لاستخدام الأطفال للأجهزة الذكية، ممتثلة في فقدان الخصوصية والعزل الاجتماعي وتقليل القدرة على تعدد المهام، إضافة إلى التأثيرات الكبيرة على صحة الطفل الجسمية والنفسية. (الصباح الجنازرة، 2015 ص 5)

وان كان الأولياء يقننون هذه الأجهزة لأبنائهم فهي أساساً للاتصال بهم والاطمئنان عليهم، غير أن انجذاب الأبناء وإقبالهم على اقتناء الأجهزة الذكية هي لمجاعة أقرانهم من جهة ومواكبة التكنولوجيا الحديثة من جهة أخرى.

وعن عاشور (2013) لم تعد الأجهزة الإلكترونية تستهوي الشباب والكبار فقط بل أخذت تستهوي شريحة الأطفال التي باتت تدمن عليها ليل نهار، دون أن تلتقي بالآثار المترتبة على ذلك الإدمان من أخطار صحية ومشكلات نفسية وآثار تربوية. (نهي عطير 2013)

ويعد المراهقون الفئة الأكثر استهلاكاً لتكنولوجيا الاتصال الحديثة فأصبحت الهواتف الذكية لصيقة بهم أينما ذهبوا، يسعون لاقتنائها وامتلاك الأحدث منها بدون إدراك لمخاطرها خاصة في هذه المرحلة الحساسة.

وتعتبر مرحلة المراهقة من أهم المراحل التي تؤثر في تنمية مداركات الفرد لجودة حياتهم، وهم يمرون بمرحلة نمائية مهمة في حياتهم، ومن ثم فإن نظرتهم للأجهزة الذكية تؤثر في نظرتهم الى جودة حياتهم، من حيث تحقيق دافعيتهم للإنجاز وتحقيق الاهداف الذاتية والموضوعية لهم، الذين وجدوا فيها وسيلة عملية تسهل لهم الارتباط بالعالم والتواصل دون الحاجة إلى التنقل، فحولوا هذا الجهاز إلى رفيق دائم لهم يلزمهم، وأوجدوا من خلاله أشكالاً أو أنماطاً اتصالية جديدة، لا بد من الوقوف عليها. (الصباح الجنازرة، 2015، ص 3)

وقضاء الأطفال والمراهقين أوقات طويلة مع أجهزتهم يؤثر على دور الأسرة في نقل ثقافة المجتمع واكسابهم المهارات المختلفة وتنمية سلوك الفرد. كما يؤثر على دور وقدرة الأسرة على مراقبة وتمحيص ما ينقل لهم عبر الأجهزة الذكية والتي أصبحت شديدة الخصوصية.

وتفضيل المراهقين للدردشة والتواصل مع الأقران يؤدي إلى بعد الوالدين عن انشغالات ومشكلات أبنائهم، وما قد يتعرضون له من مضايقات عبر مواقع التواصل الإجتماعي كالتمر بين المراهقين والتحرش أو الابتزاز الإلكتروني وهي سلوكيات خطيرة لا يتفطن لها الأولياء لأنها تحدث خلف الشاشة الصغيرة في فضاء افتراضي، مما يؤدي إلى اضطرابات نفسية وسلوكيات عنيفة قد تصل حد الانتحار. (الانتحار بسبب التحرش الإلكتروني).

### 3. العلاقات الأسرية و الأجهزة الذكية :

فيما كانت الأسرة تجتمع حول جهاز واحد وهو التلفزيون في غرفة ثابتة من المنزل وتبادل أطراف الحديث، أصبح لكل فرد من الأسرة تقريبا جهاز محمول خاص به ينقله لأي مكان فيستقل بنفسه وينقطع عن العالم الحقيقي إلى الواقع الافتراضي للاطلاع على ما هو جديد كل حسب اهتمامه للتعلم أو الترفيه أو التواصل مع الأصدقاء والأقارب لساعات طويلة قد تصل مرحلة الإدمان (ليحل التفاعل الإلكتروني محل التفاعل الأسري). مما

يتسبب بتأثيرات سلبية ومشاكل نفسية كالعزلة والوحدة وتفضيل صحة هذه الأجهزة على التفاعل الطبيعي مع الأفراد.

حسب الإحصائيات فإن المشتركين في مواقع التواصل الإجتماعي في ارتفاع مستمر، وهم يقضون أوقاتا طويلة في استخدام الأجهزة الذكية للتفاعل والتواصل الافتراضي مع الآخرين بالطريقة التي تناسبهم وتأييد أفكارهم بدون ضغط، وهذا يبعدهم عن الحوار الأسري الذي يتضمن التوجيه والتقييم وحتى التوبيخ. ( Janna Quitney Anderson, Lee Rainie, ) (2010)

إن شخصية الفرد تشكلها اتصالاته بالأسرة، فالتنشئة الأسرية هي عملية قائمة على التفاعل، لإكساب أبنائها معايير السلوك في مواقف مختلفة، وان توافق الفرد أو عدم توافقه يتوقف بدرجة كبيرة على التنشئة التي يتلقاها من أسرته بهدف نمو شخصيته نموًا متناسقًا وسليًا.

وطبيعة استخدام الأجهزة الذكية والذي يستمر لساعات طويلة يؤثر على عملية التواصل والترابط بين أفراد الأسرة، ويقلل من فرص التفاعل والحوار بينهم وبالتالي تقلل من دور الأسرة في تنمية مهارات التواصل والقدرة على التعبير والمناقشة الجادة لدى الأبناء فيصبحون متلقين سلبيين وحاوية تنقل لها المعلومات والأفكار دون توجيه ورقابة الأسرة.

كما أن الإفراط في استخدام هذه الأجهزة يؤدي حسب تقارير أطباء نفسيين إلى انعزال الفرد عن أسرته والبعد عن المشاركة الفاعلة مع أفراد أسرته ومجتمعه، إضافة إلى أن غياب الرقابة الأسرية والمجتمعية على الأبناء دافع قوي في إحداث سلوكيات غير مرغوبة وأفعال غير مقبولة وهنا ككثير من العقول تأثرت بهذه المواقع ولوثت بأفكار واتجاهات وهي الآن تستخدم لتحقيق مصالح خاصة لفئات معينة بالتأثير عليها واستغلال قواها للقضاء على قيم وعادات المجتمع وادخال أيديولوجيات وثقافات دخيلة.

(<http://www.qou.edu/arabic/conferences/isdcrConf/researches/maiAlshami.pdf>)

ويرى "Wellman" ويلمان أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي قد يتدخل في الكثير من الأحيان في التفاعل داخل المنزل، وخلق ما يعرف بما بعد الأسرة، عندما يصبح

أفراد الأسرة يتفاعلون مع الانترنت بدلا من تفاعلهم مع بعضهم البعض، فمواقع التواصل الاجتماعي هو وجه من التأثير السلبي على التفاعل داخل الأسرة.

(<http://mpa.ub.uni-muncheur.de/27661/2010>)

وكما تعمل الأجهزة الذكية على تقريب المسافات والتواصل مع الأقارب والأصدقاء صوتا وصورة إلى أنها قد تؤدي إلى تباعد في العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة نظرا لانشغال كل منهم بجهازه الخاص.

وإذا كان الأبناء هم الأكثر استخداما للأجهزة الذكية، فهي تستحوذ أيضا على وقت الوالدين مع استمرار استخدامهم لأجهزتهم لأغراض العمل في المنزل، أو المحادثة لأوقات طويلة لما توفره من إمكانية التواصل المجاني. وهذا ينتقص من الوقت الذي يقضيه مع أفراد الأسرة ويجرحهم من التفاعل وبالتالي يخل بدور التنشئة الأسرية.

وهنا كان المنطلق الجديد للوظيفة التي طالما تميز بها الاتصال الأسري؛ التي كانت تبنى بناء دلالي لأفكار وقيم وثقافة وعقيدة يتجمع حولها أفراد الأسرة الواحدة بشكل مركزي برموز مشتركة، لتتم بلورة هذه الوظيفة وفق منطلق جديد هو الوسائط الإعلامية الجديدة التي غيرت الاتصال الأسري، بتضييق نطاق الاشتراك وتوسيع الخصوصية الفردانية والنزوع نحو لامركزية الاتصال الأسري، سواء بين الزوجين أو بينها وبين أولادها، فيطريقة ممارسة عملية الاتصال الأسري وكذا مخرجات هذه العملية التي تبنى مصير الأسرة والعلاقات الأسرية. (هامل فاطمة، 2013. ص 13).

### العلاقات بين الزوجين:

الأسرة هي وحدة التفاعل الاجتماعي المتبادل، حيث يقوم كل فرد من أفراد الأسرة بتأدية الأدوار والواجبات الخاصة به، بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لجميع أفرادها.

وقد تكون مواقع التواصل الاجتماعي وما تقدمه الأجهزة الذكية البديل أو السبيل لتحقيق الحاجات التي يفتقدها أحد الأزواج في الطرف الآخر ومن هنا يزداد التباعد

والحفاء وتكثر الخلافات والتي تؤثر بدورها على المناخ الأسري وهذا ينعكس سلبا على شعور الأبناء بالإستقرار والأمن النفسي.

إن وجود الأجهزة الذكية في البيت واستعمالها بغير عقلانية، يهدد ترابط العلاقة الأسرية الحميمة، خاصة عند قضاء أحد أفراد العائلة وقتا طويلا أمام الانترنت، مما يزيد من شك أحد الزوجين في الاستعمال لهذه التكنولوجيا، خاصة بظهور آفات اجتماعية ومواقع غير أخلاقية لها، مما يؤدي إلى ظهور خيانة زوجية.

(<http://www.qou.edu/arabic/conferences/isdcrConf/researches/maiAlshami.pdf>)

وقد يمتد هذا إلى مراقبة أحد الزوجين لما يتابعه وينشره الطرف الآخر، بتأثير من مشاعر الشك وعدم الثقة، أو مشاعر عدم الإهتمام والإهمال واللامبالاة وبرودة العلاقة بين الطرفين.

وقد جاء في دراسة السبعاي 2006 فيما يتعلق بالأضرار السلبية الناتجة عن استخدام الهاتف النقال أن تلك التقنية قد تسبب في خلق العديد من المشاكل التي تمس حياتنا الاجتماعية منها حالة الغيرة لدى الزوجين. فهناك نسبة كبيرة من الزوجات اللواتي يبحثن في الجهاز النقال لأزواجهن مما يؤدي إلى خلق مشكلات مع الزوج فأصبح النقال ضمن الوسائل التي بدأت تستخدمها الزوجة الغيور في التعرف على خيانة زوجها والتي عادة ماتكشفه، أما من خلال الرسائل الموجودة عبر الهاتف أو من خلال المكالمات الهاتفية السرية التي يجربها الزوج (السبعاي. 2006، ص 98)

### مسؤولية الأسرة في مواجهة أخطار الأجهزة الذكية:

- تتحمل الأسرة مسؤولية كبيرة في توجيه ومراقبة الأبناء وتنشئتهم إعلاميا وغرس القيم والمعايير التي تعزز المراقبة الذاتية في مواجهة سلبيات هذه التكنولوجيا.
- اختيار المضامين والمواد المناسبة وتحديد ساعات الاستخدام خاصة للأطفال ووضع حماية من المواقع التي لا تتناسب مع عمر الطفل ومع العادات والتقاليد.
- المناقشة والحوار البناء حول المادة المشاهدة وعدم الاكتفاء بمنع الاستخدام.

- ممارسة الوظائف والأدوار التربوية كاملة من طرف الأسرة وعدم اللجوء إلى الأجهزة الذكية لإلهاء وتهدة الأطفال والتخلص من نوبات الغضب ومشاكلهم السلوكية. (تعزيز السلطة الوالدية).

- الحد من استخدام هذه الأجهزة كوسيلة ترفيه وحيدة وتشجيع الأبناء على ممارسة نشاطات رياضية وقراءة الكتب أو التنزه في الطبيعة وغيرها.

### خاتمة :

اختلف المختصون حول سلبيات وإيجابيات الأجهزة الذكية واستخداماتها فمنهم من ركز على إيجابياتها ومنهم من عدد الكثير من الآثار السلبية على الفرد، والأسرة والمجتمع. وبما أن هذه الأجهزة لا غنى عنها في وقتنا الحالى فللأسرة دور مهم في ضبط واستخدام أفرادها لهذه الأجهزة بالطريقة الأنسب لتقليل أخطارها وآثارها السلبية، والاستفادة (بالانخراط فيها والتعرف على محتواها).

لا شك أن الأسرة في وقتنا الحالى تواجه الكثير من التحديات في تنشئة أبنائها وفي المحافظة على كيانها ودورها في المجتمع كمؤسسة للتنشئة الإجتماعية - وقد فرض التطور العلمى والتكنولوجى أجهزته الحديثة فرضا على الأسر. وقد أصبح اقتناء الحديث منها من الأولويات نظرا لما تقدمه من خدمات وتسهيلات واختصار للوقت والمسافات. ومنها الأجهزة الذكية والتي زاحمة الأسرة في عملية التنشئة نظرا لما تقدمه من خدمات تعليمية وترفيهية متنوعة وبطريقة تفاعلية حديثة تستهلك من وقت أفراد الأسرة وتؤثر على فرص التفاعل فيما بينهم.

ولمواجهة هذا التحدي لا بد للأسرة تواكب هذه التغيرات وتعمل على تنشئة أبنائها بالطرق السليمة والحديثة خاصة وأن هذه الأجهزة تستحوذ على وقتهم واهتمامهم وهي مصدر معرفتهم والتي قد تصل حد الإدمان.

## المراجع :

- 1- أبو الرب. محمد عمر محمد. أبو الرب إلهام مصطفى القصيري- 2014 المشكلات السلوكية جراء استخدام الهواتف الذكية من قبل الأطفال من وجهة نظر الوالدين في ضوء بعض المتغيرات المجلة الدولية للأبحاث التربوية / جامعة الإمارات العربية المتحدة العدد 35 2014
- 2- خوج حنان بنت أسعد محمد. 2002، الخجل وعلاقته بكل من الشعور بالوحدة النفسية وأساليب المعاملة الوالدية لدى عينة من طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة مكة المكرمة قسم علم النفس في كلية التربية بجامعة أم القرى رسالة ماجستير غير منشورة.
- 3- السبعوي هناء جاسم 2006 الآثار الإجتماعية للهاتف النقال (دراسة ميدانية في مدينة الموصل) دراسات موصلية - العدد الرابع عشر - شوال 1427هـ / تشرين الثاني - 2006
- 4- الصباح سهر، جزارة هناء 2015 الأجهزة الذكية ودورها في تحسين جودة الحياة لدى المراهقين بحث مقدم لمؤتمر تأثير الأجهزة الذكية على نشأة الطفل جامعة القدس.
- 5- العتيبي عران مطلق 1999 التنشئة الأسرية وظاهرة العود عند الأحداث المنحرفين في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية المركز العربي للدراسات الأمنية
- 6- عطير نهي إسماعيل عبد الله 2013 الأجهزة الذكية وتأثير استخدامها على الصحة الجسمية والنفسية لأطفال فلسطين من عمر (5-14) سنة من وجهة نظر آبائهم. مؤتمر تأثير الأجهزة الذكية على نشأة الطفل جامعة القدس المفتوحة.
- 7- هيا الفاطمة 2013 تفكك الاتصال الأسري في ظل الوسائط الإعلامية الجديدة أعمال الملتقى الدولي السابع حول الأسرة المسلمة الواقع والمأمول.
- 8- Jean-François Bach, Olivier Houdé, Pierre Léna ,serge Tisseron 2013 L'enfant et Les écrans Institut de France Académie des sciences.
- 9- Heather Kennedy-Eden Do smart phones bring us closer? A family life and vacation perspective University of Wollongong, hkeden@uow.edu.au

## المواقع الإلكترونية :

- شاهر خليل محمد نصار 2015 دور الاسرة الفلسطينية في الحد من استخدام اطفالها للأجهزة الذكية <http://www.qou.edu/arabic/conferences/isdcrConf/researches/drShaherNassar.pdf>
- ميا الشامي، دور الأسرة في توجيها أطفالها استخدامها للأجهزة الذكية <http://www.qou.edu/arabic/conferences/isdcrConf/researches/maiAlshami.pdf>

## الإدمان على الانترنت وأثره على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة - (الفايسبوك نموذجاً) -

د. فطيمة دبراسو - جامعة بسكرة - الجزائر

### Abstract :

By the end of the twentieth century and the beginning of the third millennium the internet has merged to dominate the whole globe and has changed the style of modern life extending its effect to reach the family (which is the most important pillar to form the social structure) the fact that caused its structure, function and relations between its members to be influenced as a result of the continuous interaction between this technology and the society.

Today the Social media, such as Facebook and Twitter, and virtual gaming worlds, allow users to interact with each other and, has turned communication into a social dialogue, and dominates the younger generation and their culture. And it has widened the gap between parents and their children, and create the isolation and disharmony among the family members; this may lead to decline the Family interaction and Lack of positive communication skills with self and with others among children. Thus affecting on the psychological and social consensus of the family.

### الملخص :

لعمد طويلا ظلت الأسرة تلعب دورا مهما في تكوين مدارك الإنسان وثقافته، وتكوين شخصيته وتزويده بالمعلومات والمعارف الضرورية لمواجهة الحياة. أما اليوم فقد انتقل هذا الدور إلى الوسائل التكنولوجية الحديثة ومن أهمها شبكات الانترنت (الفايسبوك) الأمر الذي أتاح أنماط جديدة من التواصل الافتراضي الذي أصبح بديلا عن الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة. وهذه الثورة التكنولوجية أحدثت تغيرا في العلاقات داخل الأسرة وأبرزت تفاعلات جديدة بينها مما أدى إلى توسيع الفجوة بين جيلي الآباء والأبناء، وإلى خلق العزلة والتنافر بين أفرادها، مما يؤدي إلى تدني في التفاعل الأسري وعدم امتلاك الأبناء للمهارات التواصل الإيجابي مع الذات ومع الآخرين مما يؤثر على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة وهذا ما سنحاول تناوله في هذه الورقة البحثية من خلال التساؤلات التالية:

1- هل يؤثر الإدمان على الانترنت (الفايسبوك) على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة؟

2- ما هي الآليات الفعالة التي يمكن اقتراحها لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة على الأسرة الجزائرية؟

## مقدمة:

لقد امتد تأثير الانترنت خاصة مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) ليشمل جميع جوانب الحياة، الاقتصادية الاجتماعية، التعليمية في المجتمعات الحديثة ليصل إلى الاسرة الوحدة الاساسية في بنية المجتمع.

ولقد انتشر استخدام الأنترنت في البيئة العربية والجزائرية حيث تُحصى الجزائر حوالي 10 ملايين مستخدم للفايسبوك بمعدل زيادة سنوية تبلغ 10 بالمائة سنوياً بحسب دراسات اجتماعية نُشرت مؤخراً<sup>1</sup>.

إن ظهور الانترنت وانتشار استخدامه بين افراد الأسرة أثر على طبيعة العلاقات الاسرية وعلى توافقها النفسي والاجتماعي، فقد جاءت دراسات كثيرة تحذر من خطر الانترنت على الأسرة خاصة مع ظهور جيل سمي (جيل الانترنت) لا يجيد طرق التواصل مع البشر و يقتصر تعامله مع الأجهزة الجامدة مما يفقده الحس الاجتماعي، لذا سوف نحاول في هذه الدراسة تناول موضوع أثر الادمان على الانترنت (الفايسبوك) على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة مركزين على أبعاد التوافق النفسي، و المتمثل في البعد الصحي، النفسي المدرسي (الاكاديمي) الاجتماعي والأسري.

## أولاً: تعريف الفاييسبوك:

عبارة عن شبكة اجتماعية الكترونية يمكن الدخول إليها مجاناً، وتديره شبكة "فيس بوك" محدودة المسؤولية كملكية خاصة لها<sup>2</sup>.

يعرف أنه موقع تواصل اجتماعي تابع لشركة "فيس بوك" يستطيع أي شخص الوصول إليه عبر الإنترنت والتسجيل به مجاناً، ويقوم بالاتصال مع الآخرين والتفاعل معهم. أما كلمة "بوك" فأتت من أوروبا وتعني دفتر ورقي يحمل صوراً أو معلومات لأفراد وجماعة معينة من أجل أن يتعرف الطلبة المنتسبين على الطلاب المتواجدين في نفس الكلية<sup>3</sup>.

ويعرف قاموس الإعلام والاتصال "فايسبوك" على أنه موقع خاص بالتواصل الاجتماعي أسس عام 2004 ويتيح نشر الصفحات الخاصة، وقد وضع في البداية لخدمة

طلاب الجامعة وهيئة التدريس والموظفين لكنه اتسع ليشمل كل الأشخاص ويعتبر موقع "الفايسبوك" واحدا من أهم مواقع التشبيك الاجتماعي وهو لا يمثل اجتماعيا فقط وإنما أصبح قاعدة تكنولوجية سهلة بإمكان أي شخص أن يفعل بواسطتها ما يشاء<sup>4</sup>.

الفايسبوك هو موقع تواصل اجتماعي، يعمل على تكوين الأصدقاء ويساعدهم على تبادل المعلومات والملفات، والصور الشخصية ومقاطع الفيديو والتعليق عليها، وإمكانية المحادثة أو الدردشة الفورية ويسهل إمكانية تكوين علاقات في فترة قصيرة، وإمكانية التقاء الأصدقاء القدامى والجدد وتبادل والمعلومات. ويقوم الفايسبوك بتقديم خدمات أساسية لزواره تتمثل بالدرجة الأولى في الرسائل وهي خاصية يتيحها الفايسبوك بشكل مبسط وسهل لكل الأصدقاء وكذلك بإمكان أي شخص أن يثبت المناسبات الهامة التي تخصه وعائلته ويرغب بحضور أو مشاركة الأصدقاء معه فيها<sup>5</sup>.

أما تسمية "فايسبوك" فتعني "كتاب الوجوه" ومستوحاة من اسم الدليل الذي تعده بعض الجامعات الأمريكية والذي يصدر كل سنة دراسية ويتضمن صور الطلاب وأنشطتهم وانجازاتهم خلال السنة الجامعية وتقدمه للطلبة الجدد وكان يعرف الكتاب باسم "Yaerbook"<sup>6</sup>.

### 1- الإدمان على الفايسبوك:

تزداد رقعة المنتسبين لموقع الفايسبوك يوما بعد يوم، وتتنوع شرائح مستخدمييه، وأكبر شريحة من المجتمع استخداما للموقع فئة الطلبة حيث التواصل اليومي عبر الفايسبوك يولد لدى الكثيرين إدمان متدرج، فقد أشار "شيرمان" 2011 إلى تداول أكثر من 70 لغة على صفحات الفايسبوك و48% من مستخدمي وسائل الإعلام الاجتماعية يعملون على تحديث صفحاتهم بعد الذهاب إلى السرير، و56% يشعرون بأنهم مجبرون على تفقد الفايسبوك على الأقل مرة واحدة في اليوم.

ويحتل اضطراب إدمان الفايسبوك المرتبة الرابعة بعد إدمان ألعاب الكمبيوتر وادمان البحث وادمان المواقع الإباحية. يتقبل معظم الطلاب إدمانهم على الفايسبوك وهذا ما أثبتته دراسة مسحية أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية 2010 شملت 1605 من

البالغين، 39% يرى نفسه مدمن، ووفقا "لسيسيلي اندرسون" التي تقود مشروع أبحاث إدمان الفاييسبوك في جامعة "بيرغن" إن الاعتيادية على هذا الموقع تحدث بشكل كبير بين صغار السن عن غيرهم من الكبار. كما وجد فريق بحث أن الأشخاص الذين يعانون من القلق، الرهاب وعدم الأمن الاجتماعي هم الأكثر استخداما للفايسبوك. وتضيف "اندرسون" أن الناس الذين هم أكثر تنظيما والأعلى طموحا هما الأقل عرضة لخطر إدمان الفاييسبوك، وأن النساء هن الأكثر عرضة للإدمان وطبقا لاختبار "بيرغن" لقياس إدمان الفاييسبوك فإن الذين سجلوا درجات عالية في المقياس الجديد يحدث لهم تأخر في انتظام نوبات النوم واليقظة، ويصابون بأعراض تشبه إلى حد كبير إدمان المخدرات والكحول والمواد الكيميائية، كما أكد "colcu و sutru" في دراستها الاستقصائية أجريت في جامعة شيكاغو حول إدمان الفاييسبوك للأشخاص ما بين 18-35 سنة وفقا لنتائج البحث المسحي أن هؤلاء المدمنين يقومون بسلوكيات الإدمان على المخدرات والسجائر، ويلاحظ على المدمن أعراض إهمال حياته الشخصية والانشغال العقلي والهروب من الواقع والمزاج السيء. وتبعاً لما ذكر من معلومات حول إدمان الفاييسبوك نستطيع أن نقول أن هذا الاضطراب هو الاستخدام المستمر لموقع الفاييسبوك مرات عديدة في اليوم لمدة زمنية طويلة لا يستطيع المستخدم التوقف أو التخلي عنها<sup>7</sup>.

كشفت موقع "Socailbacer.com" أنه ومع بداية عام 2012 سجلت في الجزائر نسبة ارتفاع دخول للفايسبوك قدرت بـ 8,20% مقارنة بعدد السكان في الجزائر بـ 60,32% بالنظر إلى مستخدمي الانترنت. حيث بلغ عدد مستخدمي الفاييسبوك مليونين و35 ألفاً وأشار ذات الموقع أن عدد الذكور الجزائريين الذين يستخدمون الفاييسبوك أكثر من عدد الإناث حيث بلغ عدد الذكور 68% في حين بلغ عدد الإناث 32%.

أما إحصائيات استخدام الفاييسبوك حسب السن فكشفت ذات الموقع أن الاستخدام الأكبر للفئة ما بين 18-24 سنة فيما تفاوتت النسب بين بقية الفئات العمرية، ويعتبر موقع فايسبوك اليوم من أكثر الشبكات الاجتماعية جاهيرية خاصة مع تطور خدماته يوماً بعد يوم مما يستميل يومياً مزيداً من المشتركين<sup>8</sup>.

## 2- مظاهر الإدمان على الفايسبوك:

- عدم الشبع من موقع الفايسبوك وقضاء أوقات طويلة فيه من تواصل، تعارف، وألعاب، رسائل... وغيرها من المزايا التي يتيحها الفايسبوك للأعضاء.
- عند مغادرة لموقع الفايسبوك يراود الشخص شعور بالرغبة في الدخول إليه.
- إهمال الاهتمامات الأخرى والهوايات المحببة التي كانت موجودة في السابق.
- إهمال كلي أو جزئي للحياة الاجتماعية والالتزامات العائلية الوظيفية.
- بعد التعب الشديد من تصفح الأنترنت والفايسبوكيلجأ الشخص للنوم العميق لفترة طويلة.
- ظهور آثار اضطرابات نفسية كالارتعاش وتحريك الإصبع بصورة مستمرة.
- القلق والتفكير المفرط في الفايسبوك وما يحدث فيه عندما تكون بعيدا عن الكمبيوتر والانترنت والشعور بالحزن والاكتئاب إذا بقيت بعيدا عنه فترة من الزمن.
- تركيز التفكير حول الفايسبوك إلى حد الهوس، والحديث يدور حوله عندما تكون بعيد عن الانترنت مع الأصدقاء ومن تلتقى بهم.
- محاولات متكررة لتقليل عدد الساعات التي تقضيها في الفايسبوك وباءت بالفشل.
- حدوث حالات إدمان متكررة في استخدامات الانترنت في فترات سابقة.

## ثانيا-التوافق النفسي:

### 1- مفهوم التوافق النفسي:

إن مفهوم التوافق مفهوم لصيق جدا بمفهوم الشخصية السوية " فمظاهر وسماة الشخصية السوية ترتبط ارتباطا وثيقا بهذا المفهوم، الذي يمثل أيضا الصحة النفسية<sup>9</sup>. يعرف أيضا على أنه مفهوم خاص بالإنسان في سعيه لتنظيم حياته وحل صراعاته ومواجهة مشكلاته من إشباع واحباطات وصولا إلى ما يسمى بالصحة النفسية أو السواء أو الانسجام والتناغم مع الذات ومع الآخرين في الأسرة وفي العمل وفي التنظيات التي ينخرط فيها ولذلك كان مفهومنا إنسانيا<sup>10</sup>.

- ويعرفه "آيزنك" بأنه الحالة التي تتناول حاجات الفرد ومطالبه بالنسبة للبيئة التي تحقق له الإشباع الكامل.

- كما يعرفه "جابلن" علاقة انسجام الشخص مع البيئة المادية والاجتماعية<sup>11</sup>.

- كما يرى "جمال أبو دلو" بأن التوافق يجب أن تكون الوظائف الجسمية متعاونة تعاوناً تاماً لصالح الجسم كله.<sup>12</sup>

- ويقول "حامد عبد السلام زهران" أن التوافق النفسي، يتضمن السعادة والرضاعن النفس وإشباع الدوافع والحاجات الداخلية الأولية الفطرية والعضوية والفسيوولوجية والثانوية الممكنة، ويعبر عن سلم داخلي حيث لا صراع داخلي، ويتضمن كذلك التوافق لمطالب النمو في مراحل المتابعة<sup>13</sup>.

- ويعرفه "أبو النيل" التوافق النفسي، هو رضا الفرد عن نفسه، أي أن تكون حياته النفسية خالية من التوترات والصراعات النفسية التي تقترن بمشاعر الذنب والقلق والنقص<sup>14</sup>.

والتعريف الذي نتبناه في هذه الدراسة هو أن التوافق إشباع الفرد لحاجاته النفسية وتقبله لذاته واستمتاعه بحياة خالية من التوترات والصراعات والأمراض الجسدية والنفسية، واستمتاعه بعلاقات اجتماعية حميمة ومشاركته في الأنشطة الاجتماعية، وتقبله لعادات وتقاليد وقيم مجتمعه.

## 2- أبعاد التوافق النفسي:

1- التوافق النفسي (الذاتي): ويشمل هذا البعد على السعادة مع الذات والثقة بها والرضا عنها والشعور بقيمتها أو إشباع الحاجات والتمتع بالأمن الشخصي، كما يتمثل في اعتماد الفرد على نفسه واحساسه بقيمته شعوره بالحرية في توجيه السلوك دون سيطرة الغير، والشعور بالانتماء والسعى إلى تحقيق الأهداف، ويشمل توافق وجداني، عقلي، ترفيهي وتوافق فيزيقي<sup>15</sup>.

2- التوافق الاجتماعي يتضمن السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية وقواعد الضبط والتغيير الاجتماعي السليم والعلاقات الناجحة مع الآخرين، وتقبل تقدمهم، سهولة الاختلاط معهم والسلوك العادي مع أفراد الجنس الآخر والمشاركة في النشاط الاجتماعي مما يؤدي إلى تحقيق الصحة الاجتماعية<sup>16</sup>.

3- التوافق الانفعالي: ويتمثل في الذكاء الانفعالي والهدوء والاستقرار والثبات والضببط الانفعالي المناسب لمثيرات الانفعال والتاسك في مواجهة الصدمات الانفعالية وحل المشكلات الانفعالية<sup>17</sup>.

4- التوافق المهني: هو القدرة على التكيف السليم لظروف عمله حيث يختار المهنة التي تتناسب مع قدراته واستعداداته وأن يتدرب عليها، بحيث يتسنى له أن ينتج فيها خير إنتاج<sup>18</sup>.

5- التوافق المدرسي: حالة تبدو في العملية الدينامية المستمرة التي يقوم بها الطالب لاستيعاب مواد الدراسة والنجاح فيها وتحقيق التلاؤم بينه وبين البيئة الدراسية ومكوناتها الأساسية، فالتوافق الدراسي تبعا لهذا المفهوم قدرة مركبة. تتوقف على بعدين أساسيين: بعد عقلي وبعد اجتماعي، هي إذا تتوقف على كفاية انتاجية وعلاقات انسانية. أما المكونات الأساسية للبيئة المدرسية فهي الأساتذة والزملاء وأوجه النشاط الاجتماعي ومواد الدراسة والوقت: وقت الدراسة ووقت الفراغ ووقت المذاكرة وطرق الاستذكار<sup>19</sup>.

6- التوافق الأسري: يتضمن السعادة الأسرية التي تتمثل في الاستقرار والتاسك الأسري والقدرة على تحقيق مطالب الأسرة وسلامة العلاقات بين الوالدين والأبناء وسلامة العلاقة بين الأبناء، حيث تسود المحبة والثقة والاحترام المتبادل بين الجميع ويمتد التوافق الأسري كذلك ليشمل سلامة العلاقات الأسرية مع الأقارب وحل المشكلات الأسرية<sup>20</sup>.

التوافق الأسري هو قدرة أفراد الأسرة على الانسجام معا واحساسهم بالسعادة والراحة في نطاق الحياة الأسرية وإقامة علاقات اجتماعية متبادلة مع الآخرين تتسم بالحب

والعطاء من ناحية والعمل المنتج الذي يجعل الفرد شخصا فعالا في محيطه الاجتماعي من ناحية أخرى<sup>21</sup>.

هذا التعريف يركز على تفاعل وتوافق أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، بينما نجد التعريف التالي الذي يركز على التوافق الأسري للفرد مع أسرته ومفاده تمتع الفرد بحياة سعيدة داخل أسرة تقدره، تحبه وتحنو عليه مع شعوره بدوره الحيوي داخل الأسرة واحترامها له، وأسلوب التفاهم فيها هو الأسلوب السائد، وما توفره له أسرته من إشباع لحاجاته وحل مشكلاته الخاصة وتحقيق أكبر قدر من الثقة في النفس وفهم ذاته، وحسن الضن بها وتقبله ومساعدته في إقامة علاقة التواد والمحبة<sup>22</sup>.

7- التوافق الصحي (الجسمي): تتمتع الفرد بصحة جيدة خالية من الأمراض الجسمية والعقلية والانفعالية مع تقبله لمظهره الخارجى والرضا عنه وخلوه من المشاكل العضوية وشعوره بالارتياح النفسى تجاه قدراته وامكانياته وتمتعه بجواس سليمة وميله إلى النشاط والحيوية<sup>23</sup>.

### 3- مؤشرات التوافق النفسي:

- الراحة النفسية: أي أن الشخص المتمتع بالصحة النفسية هو الذي يستطيع مواجهة العقبات وحل المشكلات بطريقة ترضاهم نفسه ويقربها المجتمع.
- الكفاية في العمل: تعتبر قدرة الفرد على العمل والإنتاج والكفاية فيها وفق ما تسمح به قدراته ومهارته من أهم دلائل الصحة النفسية، إن الفرد الذي يزاول مهنة أو عملا فنيا تتاح له الفرصة باستغلال كل قدراته وتحقيق أهدافه، كل ذلك يحقق له الرضا السعادة النفسية.
- مدى استمتاع الفرد بعلاقات اجتماعية إن بعض الأفراد أقدر من غيرهم على إنشاء علاقات اجتماعية وعلى الاحتفاظ بالصدقات والروابط المتينة بالمجموعات التي يتصلون بها. وتعتبر هذه العلاقات سندا وجدانيا هاما. ومقوما أساسيا من مقومات الصحة النفسية.

- الأعراض الجسمية: في بعض الأحيان يكون الدليل الوحيد على سوء التوافق هو ما يظهر في شكل أعراض جسمية مرضية، فالاضطراب السيكوسوماتي يؤكد لنا كثير من الاضطرابات الفسيولوجية تكون ناتجة أساسا من الاضطراب في الوظائف النفسية.
- الشعور بالسعادة: إن الشخصية السوية هي التي تعيش في سعادة دائمة، شخصية خالية من الصداع أو المشاكل.
- القدرة على ضبط الذات وتحمل المسؤولية: إن الشخص السوي هو الذي يستطيع أن يتحكم في رغباته وأن يكون قادرا على إشباع حاجاته، فهو لديه القدرة على ضبط ذاته، وإدراك عواقب الأمور.
- ثبات اتجاهات الفرد: إن ثبات اتجاهات الفرد يتم عن تكامل في الشخصية ويتم كذلك عن الاستقرار الانفعالي إلى حد كبير.
- اتخاذ أهداف واقعية: إن الشخص المتمتع بالصحة النفسية هو الذي يضع أمام نفسه أهداف مستويات للطموح، ويسعى للوصول إليها حتى لو كانت تبدو في غالب الأحيان بعيدة المنال، فالتوافق المتكامل ليس معناه تحقيق الكمال، بل يعنى بذل جهد والعمل المستمر في سبيل تحقيق الأهداف.
- تنوع نشاط الفرد: إن الاستمتاع بالحياة واتساع مجال التجاوب معها يتطلب العناية بعدة أنواع من المهارات والمعارف، وهذا يقتضى الحرص على النمو المتكامل المتوازن الذي يهتم بكافة الجوانب<sup>24</sup>.

### ثالثا: تعريف الأسرة:

الأسرة هي "البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل تكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها. وفي هذه البيئة يتلقى أول إحساس بما يجب وما لا يجب القيام به، والأعمال التي إذا قام بها تلقى الذم والاستهزاء، وبذلك تعدد للاشتراك في حياة الجماعة بصفة عامة.

كما تعرف الأسرة بأنها: " مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم والعالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حامي الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه..."

التكوين الاجتماعي للأسرة: يعد الزواج من الناحية النفسية التكوينية صلة شرعية بين الرجل والمرأة لتحقيق الإشباع الجنسي، وحفظ النوع في جو من السكينة والاستقرار والتكامل. وتحتل الحياة الزوجية والعائلة مركزا هاما وعاملا قويا في حياة الراشد الإنساني، من رعاية البيت وإنجاب الأولاد وتربيتهم... وبالزواج تتكون الأسرة.  
تتكون الأسرة من:

1- الوالدين: الأب والأم اللذان يعتبران العمود الرئيسي لبناء الأسرة، بحيث إذا زال أحدهما تعرضت الأسرة للاهتزاز. فالأب والأم يعتبران مركزا للعطاء للأسرة وتوجيه نمط التنشئة الاجتماعية فيها وتمويلها ماديا ومعنويا. كما أنها مصدرا للسلطة والتحكم في البيت، ومصدرا لتعديل السلوك والثواب والعقاب.

2- الأبناء: وهو المكون الثاني للأسرة، حيث تتدخل ثقافة الأسرة ومستواها الاقتصادي في إنجاب عدد الأطفال.

3- الجد والجدة: يحضر هذا المكون في الأسر الممتدة، أين يكون للجد والجدة دور في إدارة الأسرة، وتمثيلها في المراسيم الاجتماعية كالزواج.

### 1- أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية:

"إن المدرسة الأولى للعلاقات الإنسانية التي يتعلم فيها الفرد أول دروس الحب أو الكراهية والعدل أو الظلم هي الأسرة. وقد اهتم المربون بدور الأسرة التربوي ونهوا إليه، حيث أشار المربي الإنجليزي "هربرت سبنسر H.SPENCER" إلى ضرورة التربية الأسرية، إذ يرى أن "الغرض من التربية هو إعداد الفرد للحياة الكاملة في مختلف نواحيها وأن نواحي هذه الحياة هي التالية مرتبة حسب أهميتها: الصحية، المهنية، الأسرية، الوطنية والثقافية".

الأسرة هي المحيط الاجتماعي الأول الذي يحتضن الطفل ويتعامل معه. فالطفل في بداية حياته يكون مادة خام قابلة للتشكيل على أي الأشكال وأي النماذج. ومن ثم، فإن ما تقدمه الأسرة للطفل هو الذي يصنع شخصيته الأولى. وبذلك تكون الأسرة الجماعة الأولية التي تكسب الطفل الخصائص الاجتماعية والنفسية والمعرفية للمجتمع. كما أنها الوسيلة التي يبنى بها الطفل بناء سليما. ففي الأسرة، يتعلم الطفل معاني الكفاح والجد والكد في الحياة. ويتعلم الاستقلال في القرار وحرية التفكير، ويتعلم الخصائص والسمات الشخصية الفاضلة كالشجاعة والصبر والثبات والمعاملة الحسنة للناس ومساعدة الآخرين.

إذن، قد تستعمل كلمة التربية في الأسرة كمرادف لكلمة التنشئة الاجتماعية، حيث يشير "الدكتور عبد المجيد أحمد منصور" إلى أن "الأسرة تمثل إحدى وأهم الوسائط الهامة لإقرار الضبط الاجتماعي إذا ما كان الترابط والتماسك يسود أفرادها".

يقول علماء التربية: "إن الطفل السعيد هو الطفل الذي يعبر عن مشاعره عندما يشعر بها، ولا يتركها تتراكم بحيث تظهر بعد ذلك في تعابير مدمرة"، وهذا يعني أن المشاكل السلوكية الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع يمكن أن ترد بشكل أو بآخر إلى ظاهرة الصمت والعزلة داخل البيوت، فجنوح الأبناء وانعزالهم عن الأيوين راجع إلى شعورهم بالاختلاف التام وعدم القدرة على الانتماء لكيان الأسرة. وكل هذا إشارة إلى ما يسمى ضعف الاتصال الأسري، أو ضعف "الاتصال الأسري الفعال".<sup>25</sup>

## رابعا: الإدمان على الفيسبوك وأثره على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة:

سوف نحاول أن نبين هذا الأثر من خلال التأثير السلبي على أبعاد التوافق النفسي، والتي تدل على سوء التوافق، مركزين على الأبعاد التالية:

### 1- البعد الصحي (الجسمي):

إن الاستخدام السيئ للإنترنت غير المقيد بمدة معينة قد يؤثر سلبا على الصحة العامة للفرد، والتي تعتبر أيضا من مؤشرات التوافق النفسي، فتؤكد دراسة العامودي التي

أجريت على 400 فرد من مستخدمي الأنترنت في مدينة الرياض أن نصف المبحوثين يرون أن استخدامها يقلل من ساعات النوم ويسبب مشكلات صحية مختلفة.

كما تظهر أيضا على الأشخاص المدمنين على الأنترنت مشاكل صحية أخرى كضعف النظر، اضطرابات التغذية، البدانة، الخمول، وبعض الشكاوى الجسدية الأخرى نتيجة سوء الاستخدام<sup>26</sup>.

كذلك يشكو الفرد من ضعف الجهاز المناعي، مما يجعل الفرد عرضة للكثير من الأمراض، فالجلوس الطويل أمام شاشة الكمبيوتر يؤدي إلى آلام في الظهر والعمود الفقري، كذلك احتمال الإصابة بما يعرف بتناذر "النفق الرسغي"، حيث يصيب الأشخاص الذين يجلسون لساعات طويلة أما شاشة الكمبيوتر، ويستخدمون أصابعهم للضغط على لوحة المفاتيح والآلات الحاسبة والكتابة، حيث أن هذا التناذر يحدث نتيجة لانضغاط العصب الرسغي الأوسط المتحكم في عضلات الإبهام والمسؤول عن الحس. كما أن طول مدة الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر، يؤدي لركود في الدورة الدموية مما يسبب حدوث جلطات دماغية وقلبية وضعف في أداء الأجهزة الحيوية بالجسم.

كما أن التعرض للإشعاعات المنبعثة من جهاز الكمبيوتر، يؤدي إلى زيادة توتر القشرة الخفية، وهذا ما يؤدي إلى قلة الانتباه ونقص التمييز. ففي عام 1997 رصد أكبر م عدد من الحالات التي تأثرت من إدمان ألعاب الفيديو في اليابان، فقد أصيب ما يقارب السبعمائة من الأطفال بنوع من الصرع، نتيجة لمنبه بصري ونتيجة لتعرضهم لفلاشات متلاحقة من الضوء المنبعث من الشاشة.

كذلك ربطت (Lynne Roberts) الباحثة في مجال سيكولوجية مقاهي الأنترنت، العلاقة بين الاستخدام المكثف للأنترنت والآثار الفيزيولوجية حيث توصلت إلى:

- وجود استجابات شرطية (ارتفاع ضغط الدم).
- شدة التركيز المبالغ بعالم الشاشة.
- عدم الانتباه أو الاستجابة للمؤثرات الخارجية أثناء ارتباطه بالحياة الرقمية.
- أحلام اليقظة<sup>27</sup>.

## 2- البعد النفسي (الناقي) :

أصبحت تشكل شبكات التواصل الاجتماعي عموما وبشكل خاص موقع الفايسبوك خطورة كبيرة على المراهقين، ومن أهم هذه المخاطر أن هؤلاء المراهقين لا يدركون كون هذا الموقع هو عالم افتراضي وأن هذه الشخوص التي يتعرف عليها قد تكون حقيقتها مغايرة تماما لما تعرف به نفسها، ومع عدم خبرة هؤلاء المراهقين فإنهم قد يصبحون ضحايا لشبكة الفايسبوك.

وقد أشارت نتائج بعض الدراسات إلى العلاقة بين استخدام الفايسبوك والتوافق النفسي، ومظاهر الصحة النفسية لدى الفرد، فقد دلت نتائج دراسة سوليفيان وبراديس (Sullivan & Paradise, 2012) إلى أن الإدمان على استخدام الفايسبوك يؤدي إلى العزلة الاجتماعية، واستخدامه بطريقة معتدلة يؤدي إلى مستويات جيدة من التوافق النفسي و الاجتماعي، كما أشارت نتائج دراسة لي و لي جانغ (Lee & Lee Jang) إلى أن استخدام الانترنت يتنبأ بالتوافق النفسي و الاجتماعي للطلاب خاصة ممن يعملون صفحات الصداقة، وأن استعمال الفايسبوك لوقت طويل يرتبط سلبيا مع التكيف النفسي<sup>28</sup>.

وفي السياق ذاته، أكدت الدراسات الاجتماعية التي أجريت على المراهقين، أن شبكات التواصل الاجتماعي قد حفزت تحولات في هوية النشء نتيجة الافتقاد للتواصل المباشر مع المجتمع، وتركيز شبكات التواصل الاجتماعي على جوانب سطحية من الهوية تتعلق بالتفصيلا بالشخصية، ومن ثم بات المراهقون لا يهتمون بتعريف الذات والغايات الحياتية الكبرى، ويركزون على الراهن والحال والمستقبل القريب من دون الاهتمام ببناء الذات وتكوين الشخصية.

يضاف إلى ذلك أن شبكات التواصل الاجتماعي تمنح مستخدميها القدرة على بناء هوية زائفة أكثر مثالية، تكاد تتوافق مع تطلعاتهم لنمط الشخصية الذي يريدون أن يعيشوا في إطارها، مما يؤدي للانفصال بين واقع الشخصية والنسخة الافتراضية التي يتبناها الفرد

على شبكات التواصل الاجتماعي، والتي عادة لا تتضمن أي منمظاهر الضعف والخلل والسلبات التي تنطوي عليها الشخصية الحقيقية.

كما يؤدي إدمان شبكات التواصل الاجتماعي إلى إضعاف مهارات التواصل الاجتماعي لدى المراهقين، ويزيد إحساسهم بالعزلة والاعتزاب والانفصال عن الواقع، ناهيك عن أن الاحتكاك بأقرانهم الأكثر ثراءً يولد لديهم تطلمات اجتماعية غير إيجابية وشعوراً بالغيرة، وهو ما يزيد من اعتزابهم داخل الأسرة التي ينتمون إليها ويزيد الإحساس بالعزلة والاعتزاب، وتراجع المهارات الاجتماعية للشباب، بالإضافة إلى تنمية نزعات العنف والتطرف لديهم ويستنزف قدراتهم على الصبر والتحمل، ويجعلهم أكثر عرضة للاضطرابات النفسية، مثل التوحد والاكتئاب وانفصام الشخصية، فضلاً عن انتشار السطحية والذاتية لدى الشباب بالمقارنة بأنشطة مثل القراءة وممارسة الرياضة.

وفي المجمل، تؤكد بعض الاتجاهات النظرية أن كثافة استخدام الانترنت قد تحدث اختلالات في شخصية المراهقين في ظل اتجاه النشء في هذه المرحلة العمرية لتعزيز شخصيتهم المستقلة، ومن ثم يبادرون لسلوكيات تتسم بما يلي:

1. **التمرد:** حيث يسعى المراهق للتحرر من سيطرة الأسرة ليشعرها بفرديته ونضجه واستقلاله، وقد يغالى في هذا التحرر، فيعصى ويمتد ويتحدى السلطة القائمة في أسرته.
2. **السخرية:** يتطور إيمان المراهق بالمثل العليا البعيدة تطوراً ينحو به أحياناً نحو السخرية من الحياة الواقعية المحيطة به لبعدها عن هذه المثل التي يؤمن بها ويدعو إليها، ولكنه يقترب شيئاً فشيئاً من الواقع كلما اقترب من الرشد واكتمال النضج.
3. **التعصب:** يزداد تعصب المراهق لآرائه ولمعايير جماعة الأقران التي ينتسب إليها ولأفكار رفاقه وأساليهم ويتأثر في تعصبه هذا بعوامل عدة تنشأ في جوهرها من علاقته بوالديه وأنماط الثقافة التي تسيطر على بيئته وبالشعائر الدينية التي يمارسها ويؤمن بها، وبالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وقد يتخذ التعصب سلوكاً عدوانياً يبدو في الألفاظ النابية والتقد اللاذع.

4. **المنافسة:** يؤكد المراهق مكانته بمنافسته أحياناً زملاءه في ألعابهم وتحصيلهم ونشاطهم، وقد تحول المغالاة في المنافسة الفردية بينه وبين الوصول إلى المعايير الصحيحة للنضج السوي. قد تتجاوز التأثيرات السلبية لكثافة استخدام الانترنت مجرد أوجه الاختلال المحدود في تكوين الشخصية والتكوين المعرفي للمراهقين إلى التسبب في أمراض نفسية متعددة تصيب مدمنى الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وتمثل أهم هذه الاختلالات النفسية فيما يلي:

- **الإدمان الرقمي:** حيث أثبتت بعض الدراسات النفسية أن الارتباط المرضى بالانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والاستخدام الدائم للهواتف الذكية قد يتحول إلى إدمان مرضى مشابه لإدمان المخدرات ويؤدي لتليف خلايا المخ وضمور بعض المراكز الإدراكية في حالة الانفصال التام عن العالم المحيط والذوبان في العالم الافتراضي الذي تمثله شبكات التواصل الاجتماعي، ويرتبط ذلك بنشأة المخدرات الرقمية، التي تؤدي مفعولاً مشابهاً للمواد المخدرة التقليدية، وقد تؤدي لوقاة بعض مستخدميها.

- **فقدان الناكرة:** وينتج هذا المرض عن انتشار المعلومات غير المفيدة على شبكات التواصل الاجتماعي التي تتجاوز ما يمكن للعقل البشري استيعابه، وهو ما يؤدي لانتشار أعراض النسيان الدائم والإرهاك الذهني لدى الشباب، بسبب التعرض لتدفقات معلوماتية غير منقطعة، ومن ثم تتداخل المعلومات المهمة مع شتى أنواع المعلومات، وتعجز مراكز الإدراك في العقل على استيعاب هذا الكم الهائل من التدفقات المعلوماتية.

- **الانطوائية والانعزال:** إذ يؤدي إدمان الانترنت والتواصل الاجتماعي لاستعاضة المراهق بالعالم الافتراضي الذي يحدد أبعاده ويتحكم في إطاره عن العالم الحقيقي الذي يشعر فيه بالاعتراب ويفتقد السيطرة عليه نتيجة ما يفرض عليه من قيود والتزامات لا يقبلها، وهو ما ينمي الشعور بالانطوائية والانعزال وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي لدى المراهقين.

ومن ثم يميل المراهق - نتيجة إدمان الانترنت - للانسحاب من مجتمع الأسرة ومن مجتمع الأصدقاء، حتى بلغ الأمر بالأبناء من التذمر من زيارة الأقارب، حيث يفضل الانطواء على نفسه وتأمل ذاته ومشكلاته منفرداً، ويميل إلى العزلة والسلبية والتردد والحجل والشعور بالنقص وعدم التوافق الاجتماعي، فهو لا يشارك الآخرين اهتماماتهم وأنشطتهم، ويعبر عن آرائه وأفكاره عبر الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، ويميل إلى النقد والهجوم على الآخرين، ويسرف في أحلام اليقظة ويتخذها سبيلاً لتحقيق أمانه، وتصل به أحلام اليقظة في بعض الحالات إلى حد الأوهام والخيالات المرضية. كما أنه لا يفضل النشاطات الرياضية أو الاجتماعية العامة.

- **الاضطرابات النفسية:** قد يؤدي إدمان الانترنت وألعاب الفيديو لإصابة المراهقين ببعض الأمراض النفسية على غرار التوتر الاجتماعي والانفعالات غير السوية، وتعزيز ميول العنف والعدوان لدى المراهقين والاكنتاب والتوحد وتشدت الانتباه وفرط الحركة واضطرابات النوم، وربما يعزز إدمان التكنولوجيا لدى الأطفال إصابتهم بالصرع، وعدم القدرة على السيطرة على الانفعالات، وانفصام الشخصية، وغيرها من الاضطرابات النفسية التي ترتبط بالاستخدام الكثيف غير المنضبط للإنترنت.

- **العدوانية والتمرد:** حيث يرتبط إدمان الانترنت بالاختلالات السلوكية العدوانية التي تنمي نزعات التمرد والثورة على سلطة الوالدين وسلطة المدرسة والمجتمع الخارجي، وهو ما يغذي السلوكيات العدوانية لدى المراهقين، سواء بصورة صريحة مباشرة ممثلة في التوجهات لإيذاء الآخرين والحاق الضرر بهم، أو بصورة غير مباشرة، مثل العناد، ورفض الانصياع لتوجيهات كبار السن، ورفض أداء الالتزامات والواجبات والإهمال الدراسي. وقد تتحول العدوانية والتمرد إلى أنماط الانحراف المختلفة كإدمان المخدرات والسرقة وتكوين عصابات أو الانحلال الأخلاقي، نتيجة محاولة محاكاة نماذج شخصيات تعرضها ألعاب الفيديو العنيفة أو الأفلام أو مواقع الانترنت بصفة عامة، وعادة ما يتأثر المراهقون في هذا الصدد بخبراتهم الشخصية والصدمات العنيفة التي تعرضوا لها

في إطار الأسرة أو المدرسة في ظل ضعف الرقابة الأسرية أو قسوة المعاملة، كما تؤثر جماعات الرفاق على هذه التوجهات التي تميل للانحراف، خاصة في حالة ارتباطها بانحلال أخلاقي وانهيار نفسي يدفع المراهقين لمحاولة إلحاق الضرر بالمجتمع من خلال ممارسة أنشطة إجرامية<sup>29</sup>.

وإدمان الإنترنت هو حالة مرضية تجعل المراهق غير قادر على الاستغناء عنها نظرا لما يولده في نفسه من لذة آنية، كإشباع المشاعر بالحُب والتقدير والمشاركة الوجدانية أو بتفريغ المكبوتات للتخلص من الضغوط اليومية.

إن انعزال المراهق عن الآخرين واتخاذ جهاز الكمبيوتر رفيقا له، فإن ذلك يشجعه على العزلة والوحدة الاجتماعية ويقلص من دائرة التفاعلات الاجتماعية، كما يعرقل النمو النفسي الاجتماعي للطفل الذي يركز أساسا على الأشخاص المحيطين به وكذا تعزيز القيم الاجتماعية، فيغمس الطفل والمراهق في الخيال والعالم الافتراضي وتصبح كل الأفكار والمعتقدات مجردة وهمية تبعدهم شيئا فشيئا عن العالم المادي الواقعي.

إن احتكاك الفرد بعالم الإنترنت خاصة مواقع التواصل الاجتماعي ومحاولة إظهار المستخدم أنه حاضر بصورة دائمة، مما يؤدي إلى اختلاق شخصية افتراضية غير شخصيته، وذلك بوضع اسم غير اسمه وصور غير صورته، وذلك من أجل التلاعب والدخول في قصص حب مع الجنس الآخر، أو عملية اختلاس، أو ممارسة أعمال غير شرعية عبر الإنترنت بدون اكتشاف الآخر لذلك<sup>30</sup>.

### 3- البعد المدرسي:

يعترف الكثير من المراهقين من مدمني الأنترنت أنهم كانوا يعانون من إحباطات طفولية ونزاعات داخلية وتعثُر في الدراسة يجعلهم يهربون من واقع المدرسة، ويكرسون الجهد البدني والفكري والنفسي من أجل مشاهدة ما ينشره الأصدقاء من صور وأخبار سيئة تتعلق بالعنف والاعتصاب والإجرام والحروب وغيرها من الأخبار التي تثير مشاعر الحزن وتولد الإحباط والاعتصاب للمراهق مما يجعله يفقد القدرة على النوم والتركيز في دراسته.

يقول الدكتور ممتاز عبد الوهاب: "إن الجلوس كثيرا أمام الكمبيوتر يجعل كثيرا من الأبناء يميلون دراستهم ويمضون أوقات المراجعة في الكمبيوتر بدلا من الكتاب المدرسي، وسهرهم أمامه يجعلهم قليلي التركيز في الفصل في اليوم الموالي، والجلوس وحيدا طويلا أمام الكمبيوتر.

وعلى مستوى آخر أشارت إحدى الدراسات التي أجريت على عينة من طلبة جامعة القصيم في المملكة العربية السعودية خلال عام 2012، إلى أن استخدام المراهقين للإنترنت لفترة زمنية متوسطة سجلوا درجات مرتفعة على مقاييس التكيف الاجتماعي ومهارات الاتصال، في حين أن الدرجات كانت منخفضة لدى الطلبة ذوي الاستخدام المرتفع للإنترنت، وكذلك في التحصيل الدراسي، وكان للاستخدام المعتدل للإنترنت أثر إيجابي على مستوى التحصيل لدى المراهقين<sup>31</sup>.

وقد بينت دراسة للعالمة يونغ (young1996) أن طلبة الجامعات هم الأكثر تأثرا وتعلقا بالإنترنت مما يؤثر على مستواهم الدراسي، وإلى تغييرهم عن الدراسة، والكذب عن الأهل. وفي دراسة للانثر و ونداها (Lanthier & Windham, 2004) التي هدفت إلى معرفة علاقة الأنترنيت بالتوافق في الجامعة، والتي أظهرت بعض نتائجها بأن الوقت الذي يستخدم في الأنترنيت لا يرتبط بالتوافق مع الحياة الجامعية، ولكن تتفق مع نتائجها بأن الاستخدام السيء ارتبط بالتوافق السلبي عند الطلبة بغض النظر عن النوع الاجتماعي (نوع الجنس)، وهذا ما أكدت عليه بعض نتائج دراسة شو و هوسيو (Chou & Hsiao, 2000) التي بينت أن مدمني الأنترنيت من الطلبة يرون أن الشبكة ممتعة و مشبعة نفسيا لرغباتهم، وأن هذا تسبب في الأثر السلبي على دراستهم و حياتهم اليومية<sup>32</sup>.

وهناك اتجاهات أخرى تؤكد على وجود تأثيرات سلبية للإنترنت على التكوين المعرفي والإدراكي للشباب بداية من إهدار الوقت على شبكات التواصل الاجتماعي في كتابة وقراءة التغريدات أو محتوى الفاييسبوك، بدلا من قراءة الكتب وممارسة الرياضة أو استكشاف المحيط والمغامرة، ومن ثم تتصاعد لدى جيل الانترنت نوازع التعبير عن الذات لتتغلب على احتياجاتهم لمعرفة واستكشاف العالم. وعلى مستوى تأثير الانترنت على قدرة

المراهقين على التعلم، تشير الدراسات الامبريقية إلى أن الاعتماد على الانترنت كمصدر للمعرفة قد أدى لانخفاض قدرة الذاكرة لدى النشء وتراجع الاستعداد الذهني لديهم لاكتساب معارف ومهارات جديدة في ظل الاعتماد على محركات البحث في استرجاع المعلومات الأساسية، وأداء مهام التذكر، واجراء العمليات الحسابية والكتابة، مما يؤثر على النشاط الذهني للأفراد، يضاف إلى ذلك مدى سطحية الإجابات التي يحصل عليها مستخدمو الانترنت عن الأسئلة التي تطرح عليهم بالمقارنة بالكتب والمصادر التقليدية، مما يستنزف قدرات العقل البشري على التفكير العميق، والقدرة النقدية التي تمكن الشباب من مراجعة المعارف التي يتلقونها من الوسائط المختلفة. وفي هذا الإطار تشير سوزان جرينفيلد الأستاذة في جامعة أوكسفورد إلى أنها سبق أن حذرت من الآثار السلبية للتكنولوجيا في جلسة استماع لمجلس اللوردات البريطاني بتأكيدا أنها "سيكون لشبكات التواصل الاجتماعي، مثل الفايسبوك، بالغ الأثر على الأنظمة الدماغية، فهي ستؤذي عقل الإنسان بحلول منتصف القرن الحالى إلى أن يصبح طفولياً تماماً، وعرضة إلى الوقوع في متاهات السهو وعدم القدرة على التركيز"<sup>33</sup>.

#### 4- بعد التوافق الإجتماعي:

كل ما ذكرناه سابقا من تأثير إدمان الأنترنت يفسر على انه يوجد شرخ كبير في العلاقات الأسرية الحقيقية التي تعوض بعلاقات افتراضية عبر الفيس بوك مما يؤثر على التوافق الاجتماعي للأسرة، إن وجود جهاز الكمبيوتر في البيت حوله إلى مكان عمل إضافي لأن الفرد أصبح من خلال وجود جهاز الحاسوب المحمول وبكل أنواعه، يمارس أغلب مهامه في البيت، مما ينقص من التواصل مع أفراد عائلته حتى زوجته مما يجعل الزوجة تمل وتكره هذه الأجهزة، أو يمكن حتى أن تحاول الاطلاع على أعمال زوجها، مما يخلق مشاكل بين الزوجين وتتطور إلى أبعد من ذلك، كما أنها تضعف في جمع الأسرة في نشاطات مشتركة.

وجود الانترنت في البيت واستعمالها بغير عقلانية، يهدد ترابط العلاقة الأسرية الحميمة، خاصة عند قضاء أحد أفراد العائلة وقتا طويلا أمام الانترنت، مما يزيد من شك

أحد الزوجين في الاستعمال لهذه التكنولوجيا في حد ذاتها، خاصة بظهور آفات اجتماعية ومواقع غير أخلاقية على الشبكة العنكبوتية، مما يؤدي إلى ظهور الخيانة الزوجية، وخاصة عند إحساس أحدهما بالبرودة العاطفية من الطرف الآخر، مما يؤدي إلى الهروب إلى المواقع المخلة بالحياء، وكذا مواقع الشات وغيرها<sup>34</sup>.

وتؤكد دراسة يونغ (Young, 1996) أن معظم النساء في عمر 43 مدمنات على الأنترنت وأن المرأة الشرقية قد تسيء استخدامه مما يؤدي إلى اهلها لواجباتها اتجاه اسرتها. وقد تلجأ المرأة إلى الأنترنت للهروب من المسؤوليات الاجتماعية ورغبة في الحصول على الإشباع.

فبعدما كانت مواقع الأنترنت (فايسبوك) تنسم بنوع من التحضر، ابتعدت كل البعد عن التحضر وقد أصبحت بلا رقابة، حيث يقوم الأبناء بأمور يرفضها الآباء وقد تؤثر على سلوكياتهم وعلى أخلاقهم، حيث تستعمل فيها ألفاظ بذيئة أو مسيئة للأشخاص أو يتم فيها نشر الصور الإباحية وغير ذلك<sup>35</sup>.

إن سبب إدمان المراهق على الفاييسبوك لأنها لا تمارس عليه سلطة تعسفية. إن سوء استخدام وسائل الاتصال الحديثة من انترنت، وماسنجر، وشات، وبلوتوث، ويوتيوب، ونقال ونحوها أشغل عالم الشباب والفتيات بشكل أكبر، وصر فهم عن كثير من الواجبات الأسرية، وأصبحوا بعيدين عن الأسرة وتوجيهاتها وباتت هذه الوسائل المؤثر والمرجع الأول لمعلوماتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم و بالتالي العامل الأساسي والمؤثر في تنشئتهم الاجتماعية، فالأبناء أصبحوا أسارى لغرف نومهم الخاصة في كل الأوقات فلا يكاد يرون آباءهم واخوانهم بل هم غارقون لساعات طوال مع الأصدقاء بل ومع المجاهيل في عالم وسائل الاتصالات التي أصبحت تحرق الخصوصية في البيوت، وتدخل لغرف نوم الأولاد البنات دون أي استئذان أو آداب...، فتزى كل فرد من أفراد الأسرة يستخدم هذه التقنيات بما يحلو له دون رقيب أو حسيب، فأصبح الكثير من الجيل الجديد يعيش عالمه الخاص به، وكأن هذا رد فعل من الأولاد لانشغال الآباء عنهم<sup>36</sup>.

وكل ما ذكرناه سابقا من تأثير إدمان الأنترنت يفسر على انه يوجد شرح كبير في العلاقات الأسرية الحقيقية التي تعوض بعلاقات افتراضية عبر الفايبيوك مما يؤثر على التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة.

### خامسا: تجربة الجزائر في مكافحة الإدمان على الأنترنت (الفايبيوك):

افردت الجزائر بإنشاء أول مصحة في العالم العربي، تُعنى بمساعدة المدمنين على "فايبيوك" للخروج من هذه الدوامة الافتراضية. فكرة إنشاء هذه المصحة جاءت من مستشفى بشير منتوري بقسنطينة وأعلن عنها في 28 ماي الفارط، ووقف مدير المؤسسة الصحية والخير في التنمية البشرية رؤوف بوقفة وراء إطلاق هذه المصحة بالإضافة إلى اختصاصيين نفسانيين يعملون في "المركز الوسيط لعلاج المدمنين" الذي يعالج ويعين ويرافق مدمني المخدرات والكحول والتدخين.

وعن أصل فكرة إنشاء أول مصحة عربية لعلاج الإدمان على النت والفايبيوك، يقول الدكتور رؤوف بوقفة إن "هناك مخدرات غير مجسمة خطرناها يضاهي خطر المخدرات المادية، فإن كان البعض يخشى من ضرر وخطر السحر الأسود فأنا هنا أعلن أن هناك سحراً أخطر وأشد ضرراً هو "السحر الأزرق"، وهو سحر "الفايبيوك" خصوصاً والإنترنت عموماً". ويضيف بوقفة: "لذا جاءت الفكرة للحد من ثلاثة أضرار وهي الحد من الضرر النفسي للمدمن، وللحد من الضرر الاجتماعي وللحد من الضرر الأمني، فالذي يعيش في العالم الافتراضي يسهل "غسل دماغه من الجماعات التكفيرية وتجنيدته من خلال الإنترنت".

وعن المهام والحلول التي تقدمها "مصحة علاج الإدمان على النت والفايبيوك"، يكشف مدير "المركز الوسيط لعلاج المدمنين" أن الخلية تسعى إلى "الإصغاء والاستقبال الجيد لكل مقبل على المركز لأجل تشجيعه على الاستمرار وتعزز خياره في العلاج وتسليط الضوء على الإدمان ومحاوله الغوص في أسبابه، الظاهرة والحقيقية، ثم البدء بتوهين هذه الأسباب ومقارنته بتأجها بالأضرار المترتبة على التخلص من هذا الإدمان القاتل وغير ذلك من الأمور التقنية التي تدخل في صميم مهام الأطباء المختصين.<sup>37</sup>

## خاتمة:

إن استخدام الفايبروك لفترة محدودة ومقبولة وب عقلانية بحيث لا تؤدي بالشخص إلى إهمال واجباته الاجتماعية، الاسرية والاكاديمية، ولا تصل به إلى حد الادمان يمكن أن يكون له الأثر الايجابي على حياة الفرد وتوافقه النفسي والاجتماعي.

وفي الاخير ومن خلال هذه الدراسة سوف نقدم اقتراحات تساعد في التخفيف من آثار الادمان على الانترنت وعلى التوافق النفسي والاجتماعي للأسرة.

## الاقتراحات:

- توعية الأبناء بمخاطر الأنترنت.
- تعليم الأبناء ثقافة وآداب استعمال الأنترنت.
- مراقبة وقت استخدام الأنترنت، وألا يتعدى ساعة أو ساعتين يوميا، ووضع نظام تحديد وقت استخدام الأنترنت.
- تعليم تركيز الأبناء على بناء علاقات اجتماعية واقعية هادفة دون الانعزال جانبا بأجهزة الكمبيوتر.
- القضاء على الأمية التكنولوجية للوالدين لفهم ومتابعة أولادهم عند استعمالهم الوسائل التكنولوجية الحديثة (الأنترنت).
- التأكيد على دور الوالدين في رعاية ووقاية الأبناء من مخاطر الأنترنت من خلال التوجيه والمتابعة والمراقبة ومشاركة الأبناء في عملهم على الكمبيوتر والأنترنت.
- طرح عدة بدائل للأنترنت، وذلك بشغل وقت الأبناء بهوايات ونشاطات عديدة في أوقات الفراغ، حتى لا يكون الأنترنت الهواية الوحيدة التي تشغل كامل وقتهم و تؤدي إلى الإدمان.
- ضرورة توفير الجو الأسري المستقر، المبني على الحوار بين أفراد الأسرة، يمنع الأبناء عن البحث عن تعويض النقص الموجود في الأسرة.
- محاولة علاج حالة الإدمان الموجود عند الأبناء لدى المختصين لأنه صنف ضمن الاضطرابات النفسية في الدليل التشخيصي الخامس للصحة العقلية.

- وضع جهاز الحاسوب المتصل بالإنترنت، في مكان عام في المنزل، حتى يكون تحت أنظار الوالدين، حتى لا يخلق عزلة للأبناء داخل غرفهم، أو يجعلهم يقومون بأمور ترفضها الأسرة.

## المراجع والتمهيش:

- 1.الجزائر أول مصحة عربية لعلاج الادمان على الفايسبوك، www.z-dz.com، تاريخ دخول الموقع 2016/10/0، سا 22.30
- 2.شناوي ساميأحمد ، عباس محمد خليل ، استخدام شبكات التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) و علاقته بالتوافق النفسي لدى المراهقين، مجلة جامعة عمان العربية، المجلد 18، العدد2، الاردن ، 2014، ص6.
- 3.سعودي عبد الكرم ، غدمان الفايسبوك و علاقته بالتوافق الاسري للطلاب الجامعي، جامعة بشار، مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية، العدد 13، 2014، ص4.
- 4.نومارمريم نزيهان ، استخدام شبكات التواصل الاجتماعي و تأثيره على العلاقات الاجتماعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، دراسة على عينة من مستخدمي الفايسبوك في الجزائر، جامعة باتنة، 2012، ص64.
- 5.الشهري حنان بنت شعشوع ، أثر استخدام شبكات التواصل الالكتروني على العلاقات الاجتماعية (فايسبوك/ تويتر)، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 2013، ص 31-32.
- 6.مراكتشي مريم، استخدام شبكات التواصل الاجتماعي و علاقته بالشعور بالوحدة النفسية لدى الطلبة الجامعيين (الفايسبوك نموذجا بمدينة بسكرة)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد -خضير بسكرة 2014، ص55.
- 7.سعودي عبد الكرم: مرجع سابق، ص44-45.
- 8.نومارمريم نزيهان، مرجع سابق، ص57-58.
- 9.عبد الغني أشرف محمد ، الصحة النفسية بين النظرية و التطبيق، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطا، مصر، 2005، ص152.
- 10.حنا داود عزيز، الصحة النفسية والتوافق ، وزارة التربية، المديرية العامة للإعداد والتدريب العراق، 1988، ص35.
- 11.الداهري صالح حسن، رعاية المهووبين المتميزين و ذوي الاحتياجات الخاصة، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، 2005، ص15.
- 12.أبو دلو جمال، الصحة النفسية، ط1، دار اسامة للنشر، الاردن، 2008، ص34.
- 13.زهرةان حامد عبد السلام، الصحة النفسية و العلاج النفسي، ط2، عالم الكتب، مصر، 1995، ص29.
- 14.سفيان نبيل، المختصر في الشخصية و الارشاد النفسي، ايتراك للنشر و التوزيع، مصر، 2004، ص154.
- 15.الخالدي أديب محمد، المرجع في الصحة النفسية، ط1، دار وائل للنشر، الاردن، 2009، ص101.
- 16.بطرس حافظ بطرس، التكيف و الصحة النفسية للطفل، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2008، ص113.
- 17.سري محمد إجلال ، علم النفس العلاجي، ط2، عالم الكتب للنشر و التوزيع، القاهرة، 2000، ص37.

18. ربيع محمد شحاته، اصول الصحة النفسية، ط6، دار غريب للنشر، القاهرة، 2005، ص73.
19. عبد الغني أشرف محمد، مرجع سابق، ص131.
20. الشاذلي عبد الحميد محمد، الصحة النفسية و سيكولوجية الشخصية، ط2، المكتبة الجامعية، مصر 2001، ص63.
21. الدعيديزلان شمسي محمد، الضغوط النفسية والتوافق الزواجي لدى عينة من اباء وامهات الاطفال المعاقين تبعا لنوع ودرجة الإعاقة وبعض المتغيرات الديمقراطية والاجتماعية، مذكرة ماجستير، كلية التربية، قسم علم النفس، المملكة العربية السعودية، 2009، ص44.
22. سعودي عبد الكريم: مرجع سابق، دص.
23. مرداسي مراد وآخرون، تعلية البحث العلمي، الجزائر، 2008، ص125.
24. حشمت حسين أحمد، الباهي مصطفى حسين، التوافق النفسي و التوازن الوظيفي، ط1، الدار العالمية للنشر، القاهرة، مصر، 2006، ص62-63.
25. تيلويي عابد، عاشور زينة، أفراد الأسرة الجزائرية في عصر العولمة بين الإتصالو العزلة، [www.manifest.univ-ouargla.dz](http://www.manifest.univ-ouargla.dz)، تاريخ دخول الموقع 2016/10/10، سا 15.00.
26. العوضياليهام بنت فريخ بن سعيد، أثر استخدام الأنترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية في محافظة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2004، جامعة جدة -السعودية-، ص87.
27. حمودة سليمة، الادمان على الأنترنت، مرض العصر، مجلة العلوم الانسانية، العدد 21، جامعة ورقلة، 2014، ص10.
28. شنواوي ساميأحمد، عباس محمد خليل، مرجع سابق، ص8.
29. هاشم عزة، جيل الأنترنت، التأثيرات النفسية و الاجتماعية على توجهات المراهقين، [alwatannewspaper.ae](http://alwatannewspaper.ae)، تاريخ دخول الموقع 2016/09/21، سا 10.45.
30. تيلويي عابد، عاشور زينة، مرجع سابق.
31. قدوري يوسف، إدمان استخدام الأنترنت و علاقته ببعض أعراض الاضطرابات انشائية لدعينة منطلبة جامعة غرداية، مجلة العلوم الإنسانية و الأجتاعية، العدد 19 جوان 2015. جامعة غرداية. ص281.
32. لحواجه عبد الفتاح محمد سعيد، الادمان على الأنترنت و علاقته بالتوافق النفسي لدى طلبة جامعة السلطان قابوس، عمان، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث و الدراسات التربوية و النفسية، المجلد الثاني، العدد8، 2014، ص98.
33. هاشم عزة، مرجع سابق.
34. طاوس وازي، عادل يوسف خوجة، وسائل التكنولوجيا الحديثة و تأثيرها على التواصل بين الآباء و الأبناء (الأنترنت و الهاتف النقال نموذجا)، [www.manifest.univ-ouargla.dz](http://www.manifest.univ-ouargla.dz)، تاريخ دخول الموقع 2016/09/20، سا 20.00.
35. العوضياليهام بنت فريخ بن سعيد، مرجع سابق، ص85.
36. صالي محمد، بن ثاية عبد الحي، مرجع سابق.
37. الجزائر، أول مصحة عربية لعلاج الادمان على الفايسبوك، [www.z-dz.com](http://www.z-dz.com)، مرجع سابق.

## التفاعل الاجتماعي الأسري والتوافق النفسي-الاجتماعي للأفراد-التحديات والآثار -

د. أم الخير بدوي - جامعة بسكرة - الجزائر

### Abstract :

The family as a social system has goals and rules special composition is essential for the existence of the society, is the system of social roles and norms organising relations between parents and children. Its role is in the education of individuals. and prepare them for the social life by The family interaction that achieves the psychosocial adjustment.

But under special societal transformations of globalization Social systems have changed a private family, As relations between the members of the family have changed ,What made it a danger to the value system and educational role .

### الملخص :

الأسرة باعتبارها نظاما اجتماعيا له أهدافه وقواعده وتركيبته الخاصة ضرورية لبقاء المجتمع، وتشكل نسقا من الأدوار الاجتماعية المتصلة والمعايير المنظمة للعلاقات بين الآباء والأبناء تتم على مستواها تنشئة الأفراد وتهيئتهم للحياة الاجتماعية ضمن تفاعل اجتماعي أسري يحقق توافق النفسي-اجتماعي الضروري للطفل.

لكن في ظل التحولات المجتمعية خاصة العولمة تغيرت الأنظمة الاجتماعية خاصة الأسرة، كما تغيرت منظومة العلاقات بين أفراد الأسرة ما شكل تهديدا على كيانها ومنظومتها القيمية وعلى دورها التربوي.

## مقدمة:

الفرد ينمو ويصبح كائناً عضوياً اجتماعياً عن طريق المجتمع وثقافته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، إذ يولد وينمو في المجتمع وفق نظام ثقافي معين تنتشره الأفراد والجماعات. هكذا ينمو في إطار تعامله مع أفراد المجتمع، ويأخذ هذا التعامل أشكالاً متنوعة منها التقليد والمشاركة مع الآخرين قصد تعلم القيم ونماذج السلوك والاتجاهات وأكسابه الأدوار المتوقعة منه، كل هذا كمنشأ هادف لتحقيق مطالب الفرد من المجتمع ومطالب المجتمع من الفرد، وعلى الرغم من أن الفرد يولد وهو مزود بأتمات سلوكية وراثية وبيولوجية مع استعداد لتقبل التكيف مع بيئته الاجتماعية، إلا أن الفرد محتاج أشد الاحتياج إلى من يأخذ بيده ويوجهه الوجهة السليمة واللائمة ليستطيع العيش والتفاعل مع أفراد جماعته، إلا أن في بعض الأوقات تنقلب موازين هذه المعادلة عندما يغيب التفاعل الاجتماعي الأسري الفعال الذي يرتكز أساساً على عمليات التنشئة الاجتماعية القاصرة والمتناقضة كأن لا تعتمد على مبادئ العقاب والثواب السوي، ولا توازن بين أساليب اللين والشدّة في المعاملة والتفاعل مع الفرد، ولا تقتضي صيغ الرعاية الاجتماعية المكثفة ولا تهيم الظروف والمستلزمات الأساسية التي تتطلبها التنشئة الاجتماعية الناجحة والفاعلة، إضافة إلى كل هذا تدخل عوامل أخرى شكلت تحدياً كبيراً للآباء تمثل في تحدي العولمة وما أفرزته من تكنولوجيات حديثة عمقت الفجوة بين الأبناء والآباء وشكلت تهديداً للتوافق النفسي-الاجتماعي داخل الأسرة وجعلت منها هيكلاً يفتقر للوظيفة المنوط القيام بها. هذه الورقة البحثية ستكثّر على أهمية التفاعل الاجتماعي الأسري، مع التركيز على التحديات ومختلف الآثار التي أحدثتها على التوافق النفسي الاجتماعي للأفراد في ظل المتغيرات المجتمعية الحاصلة.

## أولاً: التنشئة الاجتماعية الأسرية:

الأسرة هي المؤسسة الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية للطفل، وبالإضافة إلى أهميتها في توفير الاحتياجات المادية للطفل كالغذاء واللباس والمسكن، فالأسرة هي التي تجعل الطفل كائناً اجتماعياً يعرف كيف يتعامل مع الآخرين، من خلال تعليم الطفل بشكل

مباشر وغير مباشر السلوك الصواب والسلوك المناسب والسلوك الأخلاقي فمنذ نعومة أظفاره يجد الطفل نفسه محاصرا بمجموعة من القوانين التي تحدد ماذا يأكل وماذا يشرب ومتى ينام وماذا يلبس وهي التي تحدد له اللغة التي يتحدث بها مع الآخرين، وهي التي تحدد له كيفية التعبير عن آرائه ورغباته، وهكذا يجد الطفل نفسه محاصراً بالمجتمع الكبير المحيط به ومع الوقت يصبح هذا المجتمع جزءاً لا يتجزأ من شخصيته.

### 1-1- أهمية التفاعل الاجتماعي الأسري وأهدافه:

يقصد بالتفاعل الأسري جملة العلاقات التي تتكون بين أعضاء الأسرة، وتكون محل جذب وارتقاء واخذ وعطاء، وخلال هذه العملية يتعلم الفرد الكثير من الخبرات الاجتماعية ومبادئ السلوك وهو لا يتعلق بأي ناحية من نواحي الحياة، وإنما يمتد ليشمل جميع مجالات الحياة الاجتماعية التي يتفاعل الطفل معها حتى يتعلم الطفل من هذا الجو الأسري والتفاعل الاجتماعي لا بد من توفر مجموعة من الشروط:

1. أن يشعر الطفل في الأسرة أنه مقبول اجتماعياً ومحبوب من قبل والديه ومرغوب فيه.
2. يجب أن تكون الأسرة المحيطة الاجتماعي الأول الذي يتعامل معه الطفل وينمي فيه قدراته الفكرية والنفسية ويتعلم فيه الخبرات الاجتماعية وكيفية بناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.
3. يجب أن تكون الأسرة المحيطة الذي يتعلم فيه الطفل كيف لا يكون أنانياً ومحباً لذاته.
4. يجب أن يكون محيط الأسرة هو المحيط الذي يلقي فيه الطفل المبادئ الأولية في التعامل مع المجتمع.
5. الأسرة هي المحيط الذي يبني فيه الطفل اتجاهاته الاجتماعية نحو مختلف المواضيع الخارجية، فعن طريق السلطة السائدة في الأسرة وحقوق الإخوة يتكون للطفل اتجاه نحو الحقوق والواجبات التي أقرها المجتمع وهكذا.
6. الأسرة هي الموقع الذي يتعلم فيه الطفل مجموع العادات الحسنة كعادات التعامل مع الآخر. (مصباح عامر، 2003، ص ص 107-108)

## 1-1-1-1-1 الأهمية:

يشير مفهوم التفاعل الاجتماعي إلى تلك العلاقة بين طرفين (فردين أو جماعتين) أو فرد وجماعة التي تجعل من سلوك أي منها منها لسلوك الآخر وجميع المواقف الاجتماعية تعد من هذا النوع، إذ يشكل التفاعل الاجتماعي المنطلق الأساسي لاي حياة اجتماعية، وهذا التفاعل لا يتم من فراغ، بل في سياق اجتماعي وفي إطار الحاجة إلى الآخرين والحاجة الارتباط بهم والالتقاء إليهم، وفي محاولته لتفسير عملية التفاعل الاجتماعي المرتبطة بالتنشئة يذهب عالم الاجتماع" جورج ميد" إلى أن الذات تنمو خلال عملية التنشئة الاجتماعية، فالطفل حديث الولادة ليس لديه تصور عن نفسه كفرد منعزل عن الآخرين لكنه عن طريق تفاعله بوالديه والآخرين من حوله يستطيع إدراك شخصيته المنفصلة، وهكذا تنمو ذاته وتتطور بالتدرج. (محمد فتحي فرج الزليطني، 2008، ص107).

ويؤكد " شارلز كولي" انه من خلال التفاعل مع الجماعة الأولية لاسيما مع أعضاء الأسرة ينمي الفرد فكرته عن ذاته ويصير واعياً باتجاهات الآخرين نحوه، فعلى نحو ما يبدو في أذهان الآخرين يحددون اتجاهاتهم نحوه، ومن خلال المحيطين يكتسب الفرد مفهومه لنفسه، وتلعب الأسرة دوراً حيوياً في عملية التفاعل الاجتماعي المرتبطة بالتنشئة حيث تسهم في توثيق الروابط الشعورية وتعليم اللغة والمساعدة في تشرب المعايير والقيم الثقافية.

كما الأسرة ومن خلال التفاعل الاجتماعي الذي يحدث في محيطها تمد الفرد بنماذج السلوك وسمات الشخصية عندما يبلغ مرحلة الرشد، كما يعد التفاعل المستمر بين أفراد الأسرة الواحدة من مظاهر الأسرة الأساسية الذي يعطيها أهميتها الخاصة في نمو شخصية أعضائها، وقد زادت أهمية الجماعات الخاصة التي يقوم فيها الفرد بإشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية نتيجة زيادة العلاقات غير الشخصية في المجتمع الحضري الحديث، وأصبحت الأسرة بلا جدال أهم الجماعات التي يشعر فيها الفرد بالأمن والاطمئنان خاصة فيما يتعلق بالجوانب الوجدانية من حياته، وثمة عوامل ثلاث تجعل لخبرة الأسرة هذه الأهمية القصوى والتأثير البالغ في تشكيل شخصية الفرد، فالأسرة أولاً تقدم للطفل خبرة الحياة المبكرة الأولى والمؤثرات الأولى تكون لها عادة دلالة خاصة، وثانياً فإن خبرات الأسرة تتكرر عدة مرات

في حياة الطفل مما يجعل لها أهمية كبيرة وثالثاً أن التفاعل الأسري يتميز منذ بدايته بالمظهر الوجداني وهذا يضع العلاقات الأسرية المتبادلة في منزلة خاصة متميزة. (محمد فتحي فرج الزليتي، 2008، ص ص 107-108).

إن ما تساهم به الأسرة في حياة الفرد وما تزوده به من خبرات خلال التفاعل الاجتماعي الذي يتم بداخلها خاصة فيما يتعلق بجاراته الاجتماعية والنفسية وعملية النمو يتمثل في:

\*المساندة العاطفية: فالعلاقة الأسرية التي تمتاز بإقامة علاقات عاطفية تساعد على النمو السليم لشخصية الطفل ، فالتهديد بالحرمان من قبل الوالدين يؤدي إلى تنشئة غير سليمة، ولقد درس "سبتز" R.Sptiz الآثار التي يعاني منها الطفل نتيجة لحرمانه من السند العاطفي من قبل والديه، فقد قارن بين مجموعتين من الأطفال بلغ حجم كل منها 45 طفلاً وكانت المجموعة الأولى تحتوي على أطفال نشئوا في ظروف يسودها الحب والقبول والدفء العاطفي، أما الثانية فتتضمن أطفال ملاحج الذين يفتقدون تلك العلاقة، ولقد أبدت المجموعة الأولى نمواً طبيعياً في استجاباتها الانفعالية وفي الذكاء، وذلك من خلال الاختبارات التي طبقت عليها، أما المجموعة الأخرى فلقد بدت عليها ملامح الانطواء و اللامبالاة وانخفاض مستوى ذكائها، أما دراسات كل من "رولنز" و"توماس" D.Thomas and B.Rollin فقد أظهرت أن تقدير الطفل لذاته وتنمية قدراته و تقبله للمعايير والقيم تعتمد أساسا على تمتع الطفل بالحب والدفء العاطفي.(رشاد صالح الدمهوري، 2006، ص 49)

\*التدريب على السلوك المناسب لإشباع الحاجات الأولية: حيث تقوم الأسرة بتدريب الطفل على كيفية وزمن ومكان إشباع حاجاته المختلفة، فمن الناحية الصحية يتدرب على الشرب والأكل والمباح والممنوع تناوله، وأوقات الأكل والشرب، ومن الناحية النفسية يتدرب على التعاطف وتبادل الحب والكره وماذا يجب وماذا يكره، وكيف يشبع حاجة حب التملك والتفريق بين ما هو له وما لغيره، وكيف يحقق ركيزة الحرية ولا يعتدي على غيره، اما من الناحية الروحية يتدرب على الاعتقاد الصحيح وممارسة العبادة وتحرير

الولاء، ومن الناحية العقلية، يدرّب على طرق التفكير والاستدلال واقامة الحجة. (مراد زعبي، 2002، ص 74).

\*كما توفر الأسرة من خلال التفاعل الاجتماعي على تنمية قدرات الطفل واستخدامها في أنواع مختلفة من النشاط، وعن طريق اختيار أدوات اللعب والألعاب والرفاق، تهيئ له أول المواقف التي يمارس فيها نشاطه، وتدور هذه المواقف في بداية الأمر حول الطفل ذاته لتشجيعه وحثه بمفرده، ثم تبدأ الأسرة بعد ذلك في توفير مواقف التنافس والعمل مع الآخرين. (محمود حسن، 1997، ص 241).

### 1-1-2- الأهداف:

يمكن تحديد أهداف التفاعل الاجتماعي الأسري في النقاط التالية:

\*غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك: من خلال ضبط سلوكه في المواقف الاجتماعية من اجل إقامة الضمير الايجابي في ذات الطفل والتي تصبح جزءاً أساسياً منه.  
\*تحقيق النضج النفسي: لكي تنجح الأسرة في تحقيق النضج النفسي، لأبنائها لابد لها من توفير العناصر التالية:

- تفهم الوالدين وإدراكها حقيقة دوافعها في معاملة الأبناء.
- تفهم حاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه وبتطور نمو فكرته عن نفسه وعن علاقته بغيره من الناس.
- إدراكها لرغبات الطفل الكامنة وراء سلوكه، وقد يعجز عن التعبير عنها.
- وعي الوالدين بقدرات واستعدادات الطفل الخاصة والمختلفة عن غيره من الأطفال.
- إدراك الوالدين لخطورة استعراض عيوب الطفل أو أخطائه أمام الآخرين، الأمر الذي ينعكس على صحته النفسية

\*تحقيق النضج الاجتماعي: فالأسرة تقوم بإشباع حاجات أفرادها الاجتماعية والنفسية والصحية بالشكل الملائم، فالتفاعل بين أبناء الأسرة الواحدة يسهم في تحقيق النضج

الاجتماعي والتوازن النفسي، للفرد الذي هو الهدف الاساسي للتنشئة الاجتماعية، ويتوفر هذا الجو الاجتماعي في وجود أسرة مكتملة تضم الأب، الأم والإخوة حيث يلعب كل منهم دوراً في حياته. (محمود حسن، 1997، ص ص 71-72).

## 1-2-أساليب التنشئة الأسرية:

تختلف أساليب التنشئة باختلاف مراحل نمو الإنسان، وباختلاف المواقف التي يمر بها الأفراد وطباعهم، وتعد هذه الأساليب أساسية في تشكيل الشخصية وفي تكوين الاتجاهات الاجتماعية للفرد ويقصد بأساليب التنشئة الأسرية: "الوسائل النفسية والاجتماعية التي تستعمل أو الظروف التي تهيئها الأسرة بقصد إكساب الطفل سلوكاً معيناً أو تعديل سلوك موجود بالفعل". (محمد فتحي فرج الزيتيني، 2008، ص 119).

\*أسلوب القدوة: وهو من أنجع الأساليب، و يتطلب التزاماً صادقاً من الوالدين، فالقدوة التي يقتدي بها الطفل والصدقات التي يكونها، إما أن تبنى المرء إن كانت صالحة أو تهدمه إن كانت شريرة، فالقدوة تقدم الأفكار والمعاني والقيم بلغة عملية، تحول المثل إلى واقع، مما يمهد للمقتدي الطريق لتمثل تلك القيم والمعاني وتحويلها إلى سلوك عملي، فالقدوة من الأساليب التي حث عليها الإسلام في قوله تعالى: "قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة" (سورة الأحزاب. الاية 21). (محمود حسن، 1986، ص ص 71-72)

\*أسلوب السباحة/التسلط : وتمثل في عدم تدخل الوالدين في اختيار الأبناء لأصدقائهم، وتشجيعهم لان يكون لهم رأي مستقل منذ الصغر، واعطاء الأبناء الحرية في اللعب في المنزل دون قيود، وامكانية إفضاء الأبناء لأسرارهم للآباء وعدم إتباع أسلوب العقاب البدني مع الأبناء، ورعاية الأبوين لأبنائهم، وبعث الثقة في نفوسهم، والساح بان يكون للأبناء عالمهم خارج الأسرة والتحدث عما يمر به الوالدان من خبرات، كما تعنى السباحة أيضا توجيه الطفل إلى التعامل مع عناصر البيئة الملائمة لهم بدرجة من الاستقلال تسمح لهم بإمكانية نمو اعتمادهم على أنفسهم. (معتز سيد عبد الله. عبد الطيف محمد خليفة، 2001، ص ص 230-231).

أما الأسلوب التسلطي لا يتيح للأطفال الحرية وتعنى تدخل الوالدين في سلوكيات الأطفال وفرض الأحكام والنظم عليهم مع التشدد في عملية الضبط والالتزام. (محمد البدوي الصافي، 1996، ص 95).

\*التقبل والرفض: يشير التقبل إلى الحب القاطم بين الطفل والديه، والاستعداد لرعايته واحتضانه في الأسرة واعطائه مكانة اجتماعية في وسط الأسرة بشكل يشعر الطفل بذاته وانه محبوب من قبل والديه، ويشير " سيموندر" (1939) في دراسته إلى أن القبول الاجتماعي للطفل في الأسرة له مظاهره، وتمثل في اهتمام الوالدين به، والتحدث عليه بإيجابية ويشعرانه بالحب والحنان والاحترام ويشاركه في أنشطة البيت، ويعاملانه كفرد له شخصيته المستقلة.

أما أسلوب النبذ والرفض الاجتماعي للطفل في الأسرة، راجع إلى رفض أحد الوالدين للطفل واشعاره انه غير مرغوب فيه وغير محبوب من والديه، ولا ذا قيمة في الأسرة وهذا الرفض يظهر بصورة واضحة أثناء تعامل الوالدين مع الطفل. (مصباح عامر، 2003، ص 100-101).

وهذا الأسلوب يمكن أن يتضح أكثر عندما يتفاجأ الوالدين بإنجاب طفل معاق، فقد يتأرجح التعامل مع الطفل المعاق بين الأسلوبين - بين التقبل والرفض - خاصة إذا كان الطفل معاق عقلياً مما يتطلب تكافل جهود جميع أفراد الأسرة من، الأم، والأب، والإخوة في كيفية التعامل مع هذه الفئة من الأطفال التي تحتاج عناية كبيرة وقوة الصبر في عملية التنشئة، كما أن في مثل هذه الحالة قد يطبق الوالدين أسلوبين آخرين هما الحماية الزائدة التي فيها نوعاً من المبالغة مما تجعل الطفل اتكالي ولا يساعده هذا الأسلوب خاصة بالنسبة للطفل المعاق من التكيف الاجتماعي والقيام بالأعمال التي بمقدوره القيام بها مما تعرقل نموه وتثبطه، أما الإهمال فقد يؤثر عليه سلباً مما يشعره بالذنب وبالتالي يؤدي به إلى سوء التكيف الاجتماعي نظراً لان الأسرة باعتبارها البيئة الحاضنة له لم تؤدي دورها المنوط القيام به وهي المساندة العاطفية التي تعتبر أولى عمليات التكيف الاجتماعي.

\*الأسلوب العقابي: يعتبر العقاب من أساليب تعديل السلوك المعروفة في تقليل احتمال ظهور أشكال السلوك غير المرغوب فيها، ويعني العقاب إضافة مثير مؤلم بعد حدوث الاستجابة غير المرغوب فيها وذلك بهدف إضعاف العلاقة بين المثير والاستجابة، وقد يكون لفظي أو بدني. (فاروق الروسان، 2000، ص215).

فقد أشار " بن خلدون " في "مقدمته" إلى الشدة على المتعلمين وما تلحقه من ضرر بهم، وكذا الأهمية البالغة لكيفية معاملة المتعلم من طرف المربي، كما ركز على مسألة القهر والتسلط اللتان يمكن أن تشكلان احد الأسباب المؤدية إلى الانحطاط وطغيان الرذائل، فالضرب المفرط والقهر في عمليتي التربية والتعليم تولد لدى الفرد جملة من السلوك المخادع والتعود على الكذب والحيلة والمكر والكسل وهذا كله من اجل الدفاع عن النفس تجنباً للعقاب، فيصبح يتجاوز بطريقة شرطية مع والديه أو معلمه وكل سلوكاته تكون مصطنعة ولا يؤمن بها، بل يسلكها للتهرب من العقاب. (جمال معتوق، 2004، ص173).

هذا لا يعني عدم استخدام العقاب في عملية التنشئة الأسرية، والاجتماعية فقد يمكن استخدام العقاب من منظور التأديب وليس التعنيف، أو العقاب الايجابي الذي ليس له آثار سلبية على الجانب النفسي والجسمي للفرد، فلا إفراط ولا تفريط.

## ثانيا: الأسرة وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي:

### 1-2- الأسرة والتوافق النفسي:

يحتاج الطفل في نموه الانفعالي وباعتباره كائناً اجتماعياً إلى إشباع حاجات نفسية أساسية عنده، وتتأثر شخصيته تأثراً كبيراً بما يصيب هذه الحاجات أو بعضها من إهمال أو حرمان، وتتأثر بصفة عامة بالأسلوب أو الطريقة التي تواجه بها هذه الحاجات ومن أهم هذه الحاجات حاجة الطفل إلى التجاوب العاطفي في دائرة الأسرة (أي تبادل المحبة والحنان مع الوالدين) وتشبع هذه الحاجة في بادئ الأمر عن طريق الأم عندما تحمل رضيعها إلى صدرها وعندما ترتب عليه وتداعبه ويستجيب الطفل إلى حنان أمه عليه ويقابله بحنان اتجاه أمه يأخذ في الوضوح شيئاً فشيئاً. (سهير كامل احمد، 1999، ص ص 274-275).

ويؤكد علماء النفس على الأهمية البالغة للعاطفة المتبادلة بين الطفل وأمه والتي تنشأ مثلها فيما بعد بين الطفل وأبيه وبين إخوته على مستقبل شخصيته والصحة النفسية، وقد دلت ملاحظاتهم على أن كثيراً من حالات انحراف الأحداث والكبار مرجعه إلى افتقاد الحب والأمن في الطفولة، كما ثبت أن أطفال الملاجئ والمؤسسات الذين حرّموا من الأم لا يكونون في مستقبلهم في سوية الأطفال الذين تمتعوا بحنان الأم وعطفها، وان هناك من الأفراد من وطن نفسه على عدم توقع الحب من أي من الناس نتيجة لافتقاده الحب صغيراً، فتجمدت لذلك عاطفته واصطبغت نظرته إلى الحياة بالتشاؤم أو اللامبالاة وأسرف في الاتجاهات الواقعية المادية، ومن الناس أيضاً من يسرف في البحث عن اللذة الحسية أو المال أو السيطرة أو القوة وليس سلوكهم هذا أسلوباً للتعويض عما افتقدوا من حنان في طفولتهم. (سهير كامل احمد، 1999، ص 275).

- إن دور الأسرة في تحقيق التوافق والتكيف النفسي للطفل السوي واللاسوي أي الذي يعاني من عجز ما مهما بلغت شدته، يتمثل في تحقيق أهم الحاجات النفسية التي يحتاج إليها الطفل خاصة في مراحل عمره الأولى، وهذه الحاجات الأساسية تتمثل في: (بطرس حافظ سلامة، 2008، ص ص 137-139).

**\* الحاجة إلى الأمن:** يحتاج الطفل إلى الشعور بالأمن والطمأنينة والانتماء إلى الجماعة في الأسرة والمدرسة على حد سواء، إن الطفل بحاجة إلى الشعور بالأمان من العوامل الخارجية المهددة، حتى وان لم يشعر بها هو نفسه، ليشعر بالأمن في حاضره ومستقبله، كما يجب مراعاة إشباع هذه الحاجة لدى الطفل حتى لا يشعر بتهديد خطير لكيانه مما يؤدي إلى أساليب سلوكية قد تكون عدوانية.

**\* الحاجة إلى الحب والمحبة:** وهي من أهم الحاجات الانفعالية التي يسعى الطفل إلى إشباعها، فهو بحاجة إلى الشعور بأنه محب ومحبوب، والحب المتبادل المعتدل بينه وبين والديه وإخوته وأقرانه حاجة لازمة لصحته النفسية، وهو يريد أن يشعر انه مرغوب فيه وانه ينتمي إلى جماعة وإلى بيئة اجتماعية صديقة، كما انه يحتاج إلى الصداقة والحنان،

فالطفل الذي لا يشبع هذه الحاجة إلى الحب والمحبة فإنه يعاني من " الجوع العاطفي " ويشعر انه غير مرغوب فيه ويصبح غير متوافق نفسياً.

**\* الحاجة إلى الرعاية الوالدية والتوجيه:** إن هذه الرعاية خاصة من جانب الأم التي تكفل تحقيق مطالب النمو تحقيقاً سليماً يضمن الوصول إلى أفضل مستوى من مستويات النمو الجسمي والنفسي، ويحتاج إشباع هذه الحاجة إلى والدين يسرها وجود الطفل، يتقبلانه ويفخران بدورها كوالدين للطفل، ويحيطان الطفل بمحبتها ورعايتها.

**\* الحاجة إلى تعلم المعايير السلوكية:** يحتاج الطفل إلى المساعدة في تعلم المعايير السلوكية نحو الأشخاص والأشياء، ويحدد كل مجتمع هذه المعايير، والمؤسسات التي تقوم بتنشئة الطفل مثل: الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام وغيرها تقوم بتعليم الطفل تلك المعايير إن الطفل بحاجة إلى معرف حقوقه ما له وما عليه، وما يفعله وما لا يفعله، ... ويحتاج إشباع هذه الخبرة من الكبار إلى الكثير من الخبرة والصبر والثبات.

**\* الحاجة إلى المكانة واحترام الذات:** فالطفل يحتاج إلى احترام ذاته وانه جدير بالاحترام، وانه كفى يحقق ذاته ويعبر عن نفسه وامكانياته بحدود قدراته، وافهامه بان لكل شخص إمكانياته وهذه الإمكانيات بحدود.

**\* الحاجة إلى اللعب:** إن اللعب له أهميته النفسية في التعليم والتشخيص والعلاج، ويجب إشباع الحاجة إلى اللعب لدى الطفل والاستفادة من اللعب، ويجب توجيه الطفل نفسياً وتربوياً أثناء اللعب، ولا تتوقف أبداً بان الطفل سوف يتوقف عن اللعب عندما تأمره بذلك، ولو كان اللعب يسبب ضرراً لمن هم حوله أو لنفسه ولا كن بين له خطورة هذا اللعب ونتأجه المحتملة.

ونجد من ضمن الأساليب التي تسهم في تحقيق التوافق النفسي الآتي: (بطرس حافظ سلامة، 2008ص ص 520-522).

أ/ إظهار السرور والاعتزاز بالطفل: على الوالدين أن يظهرها للطفل بأنهم يشعرون بالفخر والاعتزاز لامتلاكهم طفلاً مثله، وأنهم سعداء ومسرورون لوجوده إلى جانبهم

ومعهم، وعليهم أن لا يتمنوا موته أبدا خاصة فيما يتعلق بالبنات، وان لا يشكون من هذا الأمر بان هان لم يكن هذا الطفل موجوداً لكانت حالتهم أفضل مما هي عليه الآن مطلقاً، وان وجوده يسبب الحرج.

ب/المداعبة: من أساليب إظهار القبول المداعبة، وهو الشيء الذي يحتاج إليه الطفل ويدرك من خلاله بان والديه يجانه ويريدانه وتمسكان بمسألة قبوله بينهم، إن هذا الطفل بحاجة إلى هذا الأمر كما هو بحاجة إلى الغذاء والهواء، فمداعبة الطفل تساعد على خلق موجبات تطوير وتنمية شخصيته بشكل متناعم، وعدم تحقق ذلك يصبح سبباً لمشاعر الهم والغم والمشاعر السيئة الأخرى.

ج/التعامل الحسن: ومن مظاهر القبول المعاملة الحسنة والطيبة مع الطفل، وفي بعض الأحيان تبدو معاملة الوالدين للطفل بشكل يوحى على إن وجوده زائد أو فاقد الأهمية، إذ أن الطفل يدرك ذلك جيداً ويتأثر له، في حين انه من الضروري ان يتعاملوا مع الطفل بروح طيبة وأخلاق حسنة، بل وحتى بوجه منبسط ومبتسم وخلق في نفسه مشاعر السرور وطيب الخاطر.

د/- الإصغاء إليه: عندما يقوم الطفل بتعلم جملة ماء، أو أنشودة معينة يقرأ ذلك على مسامع والديه لأنه يعتبر ذلك أعجوبة، ويرى في ذهنه أحيانا بعض الأسئلة، ففي هذه الحالة على الوالدين الإصغاء إلى كلماته بكل صبر وحلم بل يشجعونه عند الضرورة أيضا.

هـ/-أخذه بعين الاعتبار: يجب على الآباء أخذ الطفل بعين الاعتبار واعطائه المسؤولية والرتبة والمنصب، ومن الخطأ أن ينشغل الوالدين بأنفسهم فقط وسط الجماعة ولا يعيرون الطفل أية أهمية تذكر.

و/-عدم اللجوء إلى التمييز في البيت: إن المعاملة المنصفة ومراعاة العدالة والتسوط في البيت لا يعد رحمة أكثر من كونه واجباً ومسؤولية ولا يحق للآباء تفضيل أحد الأبناء على غيره بسبب جنسه أو شكله ولا يعيرون الأخر أهمية تذكر، وغالباً هذا التمييز يكون في حالة وجود طفل معاق داخل الأسرة مما يلاحظ الفرق في المعاملة بينه وبين إخوته، وهذا

التمييز يعتبر أرضية وسبباً للشعور بالنقص والتحقير والتكدر والألم، ويتجسد هذا الشعور لدى الطفل الذي يعاني من هذه المعاملة بأنه فرد غير مقبول لديهم ولا يعبرونه أهميته.

## 2-2- الأسرة والتوافق الاجتماعي:

أكد عديد من الباحثين أن النمو الاجتماعي ابتداء من مرحلة الرضاعة يتأثر بالجو الأسري العام، والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، ويحتاج الطفل إلى النمو الاجتماعي في جو أسري دافئ وهادئ ومستقر، وإلى مساندة والديه وأيضاً إلى الشعور بالتقبل في إطار الأسرة، وعلى العكس فإن شعور الطفل بالرفض يؤدي إلى سلوك غير مقبول واعراض واضطرابات أخرى وإلى سوء التوافق الاجتماعي، ونستطيع أن نرجع إلى نظرية السمات الأساسية للسلوك الاجتماعي للفرد إلى المرحلة الأولى من حياته وإلى علاقته بأفراد أسرته واتجاهات هؤلاء الأفراد المحيطين بالطفل وتفاعلهم معه هو الذي يحدد اتجاهات تكوين ذات الطفل ويصوغ شخصيته ويشكلها، ويؤكد بعض الباحثين على ضرورة تفاعل الوالدين مع أطفالهم أثناء نموه الاجتماعي وان تخلف أي من الأب أو الأم عن هذا التفاعل تحت أي ظروف طارئة أو مستديمة يشكل عاملاً سلبياً خطيراً في الاستقرار والنمو الشخصي والاجتماعي للأطفال وخاصة إذا علمنا أن أهم مطالب النمو الاجتماعي في هذه المرحلة أن يتعلم الطفل كيف يعيش مع نفسه وكيف يعيش في عالم يتفاعل فيه مع غيره من الناس ومع الأشياء ومن مطالبه أيضاً نمو الإحساس بالثقة التلقائية والمبادأة والتوافق الاجتماعي، ويزداد وعي الطفل بالبيئة الاجتماعية ونمو الألفة وزيادة المشاركة الاجتماعية. (سهير كامل احمد، 1999، ص ص 270-271).

كما يأخذ النمو الاجتماعي مساره من خلال التفاعل بين الطفل والمحيطين به في إطار ثقافة معينة متميزة عن غيرها بما تتضمنه من لغة وقيم ومعايير سلوكية بحيث يتوفر له اكتساب خبرات اجتماعية، وكذلك الأمان والاطمئنان وسط جماعة يشعر بتأثله معها وعلى هذا الأساس، فإن الثقة المتكاملة السائدة في الوسط المحيط بالطفل في مراحل نشئته الأولى وخلوها من المتناقضات لها أكبر الأثر في التوافق الاجتماعي للطفل وتكامل شخصيته.

إن أول بزوغ لثقة الطفل بالعالم الخارجي والمحيطين يستمدها من ثقته بأمه والتي تبدأ منذ مرحلة الرضاعة، فترى "مارجريت ريبيل": "... إن تناول الرضيع وتدليله وهزه يمهده بقدر كبير من المتعة ويسهم في إيجاد تعلق إيجابي بينه وبين أمه، فالأم مصدر متعة ولها قيمة إيجابية فهي مصدر الغذاء والاتصال اللمسي والتخفيف من الألم والدفء، من خلال هذا كله تتكون الاتجاهات الأساسية اتجاه الأم، وهذه الاتجاهات إما أن تكون إيجابية أو سلبية أو مزيجاً متصارعاً من الإيجابية والسلبية، وقد يقوم الطفل فيما بعد بتعميم هذه الاتجاهات في استجاباته الاجتماعية، كما أن الجمود والقسوة في الرضاعة والتغذية في مرحلة المهد تؤدي إلى الاعتماد في مرحلة الطفولة المبكرة وان الطفل المرفوض يكون أكثر اعتماداً على الآخرين. (سهير كامل احمد، 1999، ص ص 271-272).

إن أعظم حقوق الولد على أمه تغذيته بإرضاعه من ثديها لان الله تعالى لما وهب الولد للوالدين، فقد جعل غذاءه من لبن أمه واعد له لذلك إعدادا فطرياً، فلبن الأم غذاءه الوحيد الكامل الذي يستطيع هضمه وامتصاصه من ثنايا العطف الغريزي الذي يشعر به وهو يجلس في حضنها ويرضع من ثديها والذي يتكيف مع ما يناسب حالته وسنه، ولقد دلت الدراسات انه كلما كان ضبط سلوك الطفل وتوجيهه قائماً على أساس الحب والثواب أدى ذلك إلى اكتساب السلوك السوي والسيطرة بطريقة أفضل في ضبط سلوك الطفل ونمو مشاعره بالإثم عندما يقوم بسلوك غير ملائم، وكلما قل دفي الوالدين وكلما زاد عقابها للطفل أدى ذلك إلى بطئ نمو ضميره.

- إن ما يتعلمه الطفل في محيط يحتل مكانة هامة ولهذا يعتبر الوالدان عاملاً للتفاعل أكثر أهمية من سواهما مما يتعامل معهم الطفل، وسرعان ما يتعلم الطفل انه من خلال تأثير شعور الوالدين، يستطيع إلى حد ما السيطرة على ما يحدث له، وقد لخص احد الباحثين هذا الموقف بقوله: "إن الطفل يتحل كل السلوك الخاص بوالديه وبنفس الطريقة"، وتدل الدراسات الإكلينيكية إن الأسرة المضطربة تنتج أطفالاً مضطربين وان الكثير من اضطرابات الطفل ما هو إلا عرض من أعراض الأسرة الممثل في الظروف غير المناسبة وأخطاء التربية والتنشئة الاجتماعية... إن الوالدين هم أول المسؤولين عن رعاية النمو الاجتماعي للطفل ولها دورها الإيجابي في التنشئة الاجتماعية للطفل، فالتنشئة هي عملية

تعلم القصد منها أن ينمي لدى الفرد الذي يولد ولديه إمكانيات هائلة ومتنوعة أسلوباً فعلياً مقبولاً ومعتاداً وفق معايير الجماعة التي ينتمي إليها، وتؤكد بعض الدراسات على ضرورة توفر بعض الشروط الأساسية لكي تتحقق تنشئة اجتماعية ملائمة وصحيحة، وفي مقدمتها شرط ينطوي على أن الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعاً موجوداً بالفعل له قواعده ومعايير وقيمه واتجاهاته، وبناءات اجتماعية عديدة منتظمة ومنظمة، ومع ذلك تتعرض للتغيير باستمرار، ولا يكون الطفل الوليد غير المهيأ اجتماعياً أي دراية بتلك العمليات وتصبح مهمة أنماط التفكير والشعور والعمل في مثل هذه الحال هي تحديد الوسائل والطرق التي يجب أن يمر عليها "القادم الجديد" وان هذه الوسائل هي التي تشكل عملية التطبيع الاجتماعي. (بطرس حافظ سلامة، 2008، ص 272-274).

- إن الأسرة إلى جانب سعيها إلى تحقيق التوافق الشخصي للطفل فإنها إضافة إلى ذلك هي أيضاً وسط اجتماعي تتفاعل فيه كمية هائلة من العلاقات والأفعال، فضمنها يكتشف الطفل قواعد العلاقات والتواصل مع الآخر ويتعرف على حريته وحدوده ويميز بين الحقوق والواجبات وبين الممكنات والممنوعات ويدرك روح المنافسة والتضامن وطبيعة القيم الخاصة بفتته الاجتماعية، إن عملية التنشئة تؤدي إلى تشكيل السلوك المرغوب به لدى الطفل، هذا السلوك الذي يتحقق معه تكامل الطفل الاجتماعي كلما وفر له الوالدان الجو الاجتماعي السليم المطبوع بالاستقرار والباعث على تعليم الطفل حب الآخرين وكثيراً من القيم والتقاليد والمواقف التي تدل على التسامح أو على التعصب، على أن يمكن التمييز بهذا الخصوص بين أربع صيغ نوعية لتدخل الوالدين في اتجاه تحقيق اندماج الطفل اجتماعياً وهي: (بطرس حافظ بطرس، 2008، ص 47).

\*التضيق الذاتي، بمعنى قدرة الطفل على تحديد غاياته.

\*التلاؤم مع الأعراف والقوانين الاجتماعية.

\*التعاون مع الآخرين.

\*الحساسية.

وهذه الصيغ الأربع تستدعي على مستوى تحقيقها كغايات اجتماعية، إتباع أربعة أشكال للتنشيط وهي: المراقبة والتحريض والتخلق ثم العلاقة العاطفية والتي يمكن ملاحظتها في أربعة قطاعات أساسية لتربية الطفل وتحقيق اندماجه الاجتماعي:

فهناك أولاً قطاع تعلم المعارف التقنية المرتبطة أساساً بمهارات القراءة والكتابة والحساب وغيرها.

وهناك ثانياً قطاع تعلم القيم الأخلاقية والمعايير اللازمة لتدبير الحياة الاجتماعية كإحكام الحلال والحرام، ومفاهيم العدل والصدق والاستقامة والنزاهة والجيد والقبیح والمسموح والمنوع... الخ

وهناك ثالثاً قطاع تعلم قيم وعادات التفاعل بكل ما تحويه من تقنيات العلاقة مع الأخر وقواعد الحوار والأدب ثم محارة الحياة.

وهناك أخيراً قطاع تعلم أساليب تمثل الذات وبناء الهوية الاجتماعية وخاصة على مستوى صورة الجسد.

والحقيقة إن تحقيق تكيف الطفل وفق هذه الصيغ والإشكال لا يزال يشكل في البلدان العربية الميدان الذي لم تقتحمه بعد الدراسات والأبحاث الإنسانية عامة والسيكولوجية خاصة رغم ما يمثله من أهمية علمية وقيمة عملية.(بطرس حافظ بطرس، 2008، ص 48).

ثالثاً: العوامل المؤثرة في التفاعل الاجتماعي الأسري:

هناك عدة عوامل تعيق وتؤثر على عملية توجيه وتنشئة الطفل داخل الأسرة، من أهمها الآتي:

**1- اتجاهات الوالدين:** هي ما يراه الوالدين ويتمسكان به من أساليب في معاملة أطفالهم في مواقف مختلفة. (مواهب ابراهيم عياد، ليلي محمد الحضري، 1997، ص 186)

وهي تتضمن السلوك المطلق للوالدين بتعويد الطفل الاعتماد على النفس ومساعدته على النمو الاجتماعي والعاطفي والعقلي، ولكن ظهور بعض الاتجاهات لدى الوالدين يحول

دون ذلك، فالتسلط هو أحد الاتجاهات الوالدية لأن الطبيعة البشرية تميل الى دفع الانسان إلى تربية أطفاله بنفس الطريقة التي تربي بها. (بن جامين سبوك وآخرون، 1976، ص11)

**2- البيئة المنزلية:** إن البيئة المنزلية وما تتضمنه من علاقات اجتماعية داخل الأسرة والتفاعلات الأسرية والسمات العاطفية التي تطبع هذه العلاقات إما دفاء أو برودة كل هذه الخصائص لها تأثير كبير في عملية التنشئة الأسرية، إذا اعتبرنا أن الطفل يتشرب الأنماط السلوكية والسمات السيكولوجية في خضم تفاعل العلاقات الأسرية بشكل واعى أو تلقائى وسواء كان هذا التشرب سلبى أو إيجابى. (حامد عبد السلام زهران، 1984، ص254)

**3- الاستقرار الأسري:** ليس هناك شك في أن الاستقرار العائلى والتاسك الأسري يلعبان دورا بالغا في تكوين واعداد الطفل وتطبيعته اجتماعيا، بينما تصدع الأسرة أو التفكك الذي يمس كيان الأسرة سواء بسبب الطلاق أو الموت أو الهجر كلها حالات لوضع اجتماعى يؤثر بطريقة أو بأخرى على عملية التنشئة الاجتماعية ويؤثر في سلوكه وتصرفاته، فقد أكدت الدراسات النفسية الاجتماعية على أهمية مشاركة الوالدين في عملية التوجيه والإرشاد حيث تزداد هذه الأهمية بتطوير نضج الطفل ونموه الحركى وازدياد خبرته في السيطرة على البيئة (مواهب ابراهيم عياد، ليلي محمد الحضري، 1997).

### رابعا: تحديات التفاعل الاجتماعي الأسري:

لاشك أن العولمة قوة أساسية ستنعكس آثارها على الحياة المعاصرة، وسوف تؤثر تأثيرا عظيما في القرن الحادي والعشرين (21)، وإذا كان من الصعب إيراد توقعات دقيقة عن آثار العولمة، فمن المرجح انه سيكون لها تأثير حاسم في مختلف مجالات الحياة والبنى الاجتماعية القائمة وعلى راسها النظام الأسري وشبكة العلاقات النازمة له، فأول ما أفرزته العولمة هو تغيير مفاهيم المعرفة والتعليم والتعلم، وذلك نتيجة للتغير الجذري في نمط الإنتاج الذي أحدثته العولمة، فقد انتقلنا من نظام يعتمد على إنتاج البضاعة في المصانع، إلى نظام إنتاج جديد يتطلب مزجا بين الجهد العضلي والجهد الذهني من جهة، ويحتاج إلى توفر

قاعدة معرفية عند العامل من جهة ثانية. انه تغير بالغ العمق والجدة يمكن رده في الأساس إلى الانتقال من المجتمع الصناعي إلى المجتمع المعلوماتي، الذي بدوره اعتمد على اكتشافات وتطورات وتحسينات علمية وتكنولوجية هائلة.(إسماعيل سراج الدين وآخرون، 2009، ص 86). وهذا ما سهل اختراق الخصوصيات الاجتماعية وعلى رأسها خصوصية الأسرة العربية التي أصبحت مهددة في ظل هذه التحولات المجتمعية القائمة وتتخلص هذه التحديات في:

- عدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية الأسرية.
- التأثير على القيم والأفكار والمواقف والاتجاهات، والمحو التدريجي للقيم والعادات والتقاليد التي تميز الأسرة العربية واحداث شلخا على مستواها.
- تزايد الانحراف الاجتماعي بين الشباب نتيجة تأثير المضامين الإعلامية الوافدة من الثقافة الغربية وتأثيرها.
- انتشار التكنولوجيات الحديثة الانترنت والعب الفيديو أثرت على العلاقات الأسرية وكركست العزلة.
- تقليص وظائف الأسرة خاصة فيما تعلق بالتنشئة الأسرية مع خروج المرأة للعمل وتعدد أدوارها المجتمعية، وتأثير التكنولوجيات الحديثة على تنشئة الأفراد وانشغالهم بها أدى إلى الهروب من الواقع وضعف التفاعل الأسري.
- ضغوطات وتحديات الثقافة الوافدة أثرت على الأفراد وأحدثت صداما بين الآباء والأبناء.

### خاتمة:

يتضح أن الأسرة تمثل الإطار النفسي-الاجتماعي للأفراد، الذي يعمل على إشباع حاجاتهم وتحديد سلوكهم مما يضمن لهم الاطمئنان والاستقرار النفسي، والمأوى الذي يبعد عنه عوامل القلق والاضطراب ويضمن له الحماية والكيان الاجتماعي، وينشئهم على المعايير المتعارف عليها، ونجد من أسس المقومات النفسية، الاتجاهات والمواقف والروابط التي تربط بين أعضاء الأسرة، سواء الزوجين أو الأطفال إن كان يسودها التفاهم والتعاون

والاحترام المتبادل بين الجميع، كما أن سلوك أفراد الأسرة ينعكس على شخصية الطفل منذ السنوات الأولى من حياته، فوظيفة الأسرة تتلخص ضمن هذه الرؤية في كونها بيئة تفاعلية بين جميع أفراد الأسرة في ظل مشاعر العاطفة بين الوالدين والأطفال، عندما يعملون جميعا من أجل مصلحة الحياة الأسرية وحفاظا على كيانها ووحدتها وأي خلل في هذا التفاعل الاجتماعي الأسري ينعكس سلبيا على تنشئة الأطفال وتوافقهم نفسيا واجتماعيا.

## قائمة المراجع:

- 1- إسماعيل سراج الدين وآخرون، أسس التحديث والتنمية العربية في زمن العولمة، مؤسسة عبد الحميد شومان : عمان-الأردن، 2009.
- 2- بطرس حافظ سلامة، التكيف والصحة النفسية للطفل، دار المسيرة:الأردن، 2008.
- 3- بين جامين سيوك وآخرون، موسوعة العناية بالطفل، دار الملايين :بيروت، 1976.
- 4- جمال معنوق، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، ددن:الجزائر، 2004
- حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ط5، عالم الكتب: القاهرة، 1984
- 5- رشاد صالح الدمهوري، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، دار المعرفة الجامعية:الإسكندرية، 2006.
- 6- سهر كامل احمد، الصحة النفسية والتوافق، مركز الإسكندرية للكتاب: الإسكندرية، 1999.
- 7- فاروق الروسان، دراسات وبحوث في التربية الخاصة، دار الفكر: عمان، 2000.
- 8- محمد البدوي الصافي، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية، دار القلم:الإماراتالعربية، 1996.
- 9- محمد فتحي فرح الزيتيني، أساليب التنشئة الاجتماعية ودوافع الانحياز الدراسية، دار قباء:القاهرة، 2008.
- 10- محمد محمود حسن، رعاية الأسرة، دارالكتابالجامعية:الإسكندرية، 1997.
- 11- محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية: بيروت، 1986.
- 12- مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة: الجزائر، 2002.
- 13- مصباح عامر، التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنحراقي لتلميذ المدرسة الثانوية، دار الأمة:الجزائر، 2003.
- 14- معتز سيد عبد الله، عبد اللطيف محمد خليفة، علم النفس الاجتماعي، دار غريب:القاهرة، 2001.
- 15- مواهب إبراهيم عياد، ليلي محمد الحضري، إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضنة، منشأة المعارف: الإسكندرية، 1997.

## أزمة الهوية الجنسية لدى الشباب الجزائري وانعكاساتها على التتمص السوي للأدوار الأبوية

الباحثة فضيلة لمر - جامعة بسكرة - الجزائر

### Summary :

The study of an important topic such as roles change in the family, requires a comprehensive briefing from all aspects, whether social, economic or psychological, is a family preparing a continuous process starting from the early stages of growth Where is the reincarnation of a great role of the individual in shaping the image of patriarchal normal, and longer young adulthood of the most important psychological development stages defined by Erik Erikson, Years ago was not the subject of the identity crisis of sexual and clear in our province and that contribute by spirituality and faith aspects of creating a reincarnation of normal sexual roles, but unfortunately with the great technological openness and the era of globalization, we note a new manifestation of the pattern of relationships between different sexes somewhat, it has embarked on some homosexuality international regulations and given the same rights and functions, sexually deviant Also gave them the right to marry and start families of deformed, abnormal, if the reflection of such developments on the local environment may be very dangerous, through this intervention to highlight the importance of resolving sexual identity crisis, by early adulthood and the most important manifestations within our society and on the vulnerability of our youth new concepts of global citizenship and roles, and how they reflect on the future of their choices and marital reincarnation of parental roles.

### الملخص :

إن دراسة موضوع مهم مثل تغير الأدوار في الأسرة يستلزم الإحاطة الشاملة من كل النواحي سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية، ويعتبر إعداد الأسرة عملية مستمرة تبدأ منذ مراحل النمو الأولى أين يكون للتتمص دور كبير لدى الفرد في تشكيل الصور الأبوية السوية، وتعد مرحلة الشباب من أهم مراحل النمو النفسي التي حددها اريك اريكسون، والتي ضمنها وجود أزمة هوية، يقع فيها الشباب، ومن أهم عناصر هاته الأزمة، مشكلة الهوية الجنسية، حيث يعتبر اريك اريكسون أن حل أزمة الهوية الجنسية هو المفتاح الأساسي للتتمص السوي للأدوار الأبوية في المستقبل، مما يجعل الشاب في مرحلة الرشد المبكر قادر على تحديد واختيار الشريك المناسب لتكوين أسرة سوية.

منذ سنوات خلت لم يكن موضوع أزمة الهوية الجنسية واضحا في مجتمعاتنا المحافظة والتي تساهم بفعل الجوانب الروحانية والإيمانية في خلق تتمص سوي للأدوار الجنسية، ولكن للأسف مع الانفتاح التكنولوجي الكبير وعصر العولمة، أصبحنا نلاحظ مظاهر جديدة لنمط علاقات بين الجنسين مختلفة نوعا ما، لقد شرعت بعض الأنظمة البولوية الشذوذ الجنسي وأعطت المثليين نفس الحقوق والوظائف، كما أعطتهم الحق في الزواج وتكوين أسر مشوهة غير سوية، إن انعكاس مثل هاته التطورات على البيئة المحلية قد يكون خطيرا جدا، خلال هاته المداخلة نسلط الضوء على أهمية حل أزمة الهوية الجنسية، قبل مرحلة الرشد المبكر وعلى أهم مظاهرها داخل مجتمعاتنا وعلى مدى تأثير شبابنا بالمفاهيم والأدوار الجنسية العالمية الجديدة - وكيف تنعكس على مستقبل اختياراتهم الزوجية وتتمصهم للأدوار الأبوية .

## مقدمة:

تعتبر عمليات التقليد في مراحل النمو النفسي الأولى مهمة جدا لتشكيل شخصية الطفل، لكن سرعان ما يتحول هذا التقليد إلى عمليات تقمص للأدوار، فنلاحظ مثلا تقمص الفتاة الصغيرة لدور الأم من خلال كل تصرفاتها اليومية وحتى في سلوكيات اللعب بينما نحد تقمصا للأب من طرف الأطفال الذكور، لكن هذا التقمص يواجه نوع من التغير في مرحلة الشباب وهي المرحلة الحاسمة التي تنتقل الفرد من الطفولة إلى الرشد، إن الشاب لا يعتمد في تشكيل هويته على التقليد المباشر للوالدين كما كان في الطفولة لكنه يقوم بتجميع وتعديل التقمصات السابقة في ظل خبراته الخاصة، ويعتبر اريكسون Erickson أول من اهتم بمفهوم الهوية لدى الشباب ويعتبرها المهمة الأساسية في هذه المرحلة ويعتقد أن ما يتعرض له المراهقين الشباب من صراعات تجعلهم في بحث دائم عن الإحساس بهويتهم، ويشير بوسنة أن كستمبرغ Kestemberg يعتبر أن "الشباب يرفض التقمصات السابقة نتيجة رفض الموضوعات الأبوية فهو يريد نفسه غريبا عن الآخرين ويصبح غريبا عن نفسه وهويته محددة" وللخروج من هذه الوضعية ترى دولتو Dolto أن "المراهق يضاعف التجارب ويعتمد على الموضوعات الوسيطة التي يجدها إما عند مراهقين آخرين أو عند الراشدين وأن مشاكل التقمصات يمكن أن تنتهي باضطراب في الهوية." (90،91). أما شريم فتشير الى أن مرحلة المراهقة حسب بعض الباحثين قد أصبحت أكثر امتدادا، مما قد يؤدي إلى اتساع مدة الاضطراب في الهوية، حيث يرى ستيرنبرغ Steinberg أن "مرحلة المراهقة قد طالت مدتها فلم يعد مستغربا أن نجد الأفراد معتمدين على والديهم في العشرينيات من العمر أو أن يتزوجوا وهم على مشارف الثلاثين." (28).

لقد حدد مارشيا مكونات الهوية وقسمها إلى هوية اجتماعية وهوية إيديولوجية، وتشمل الهوية الاجتماعية، أزمة تحديد العلاقة بالجنس الآخر، وأزمة تحديد الدور الجنسي، فان اضطراب وضوح الدور الجنسي، يرتبط بصعوبات في علاقة الطفل بالآباء والنزاعات الزوجية والاضطهاد أو التمييز من الأقران ويؤثر في تشكيل هوية الجنس والدور، فالأبناء يكونون مفاهيم الذكورة والأنوثة والأبوة والأمومة من معاملة الآباء والأمهات لبعضهم البعض، وبالتالي فان عدم تمكن الشباب خاصة في مرحلة الرشد المبكر من حل أزمة الهوية

الجنسية، قد يؤثر مستقبلا على قدرتهم في تشكيل اسر سوية، ولعب أدوارهم بشكل يتفق مع المحيط والبيئة الاجتماعية.

## الجانب النظري:

### 1. أزمة الهوية:

حسب الغامدي يعرفها ماير (Mayer) بأنها درجة القلق والاضطراب المختلط المرتبطة بمحاولة المراهق تحديد معنى لوجوده في الحياة من خلال اكتشافه ما يناسبه من مبادئ ومعتقدات وأهداف وادوار وعلاقات اجتماعية ذات معنى وقيمة على المستوى الشخصي والاجتماعي (189).

وذكرت علاونة ان اريك فروم (ErichFromm) " يؤكد أن أزمة الهوية يترتب عليها عدم اكتمال القدرة على الحب الناضج، الذي يتمثل في الرعاية لموضوع الحب والإحساس بالمسؤولية تجاهه واحترامه ومعرفته معرفة كاملة، فحب المراهق يتميز بالنقص لتعثر الشاب وتعتقد أزمته مع نفسه.

"أما بول جودمان (BoulGudiman) يرى " بان أزمة الهوية ما هي إلا إحساس بالضياع في مجتمع لا يساعد المراهق في فهم ذاته، ولا يوفر له فرصا يمكن أن تعينه في الإحساس بقيمته الاجتماعية والمجتمع الحديث لا يحرم الشاب من القدوة والمثل فحسب وإنما يعطلهم عن القيام بدور له معنى في الحياة". (10).

ويشير مرسى الى تعريف اريكسون بان حل المراهق لصراع هذه الأزمة ليست في الانفصال الكامل عن ماضيه أو الاستمرار الكامل بهذا الماضى ولكن في تكامل هذا الماضى مع حاضر جديد نحو مستقبل معين (54،57).

## 2. أزمة الهوية وتكوين الأسرة حسب إريكسون:

### 1-2 بداية الأزمة في مرحلة المراهقة:

يعتبر جلال إن التنشئة الاجتماعية تعد الطفل لدوره كولد والبنت لدورها كبنت وفي سن المراهقة يتحقق ذات الولد بان يكون ولدا رجلا، وتتحقق ذات البنت بان تكون بنتا إذ أن على كل منهما أن يهيا ليلعب الدور المعد له في المجتمع، فعلى كليهما أن يجدا لها مكانة في المجتمع أو يجدا هوية ومفهوم للذات يتفق مع فكرة الآخرين عنهم.

### 2-2 نهاية الأزمة في الرشد المبكر:

يكون الفرد في هذه المرحلة مستعدا لإيجاد التالف في علاقة حميمة مستمرة كالصداقات أو الزواج. فإذا كان الفرد قد مر بالمرحلة السابقة بسلام فانه يصبح متأكدا من ذاتيته وهويته، إذ يستطيع أن يتجاوز ذاته في المواقف التي تتطلب ذلك دون خوف من فقدان ذاته، ويؤدي عدم المرور بسلام للمراحل السابقة إلى الخوف الدائم من فقدان الذات، (34).

### 3-2 تكوين الأسرة:

يضيف جابران مرحلة الرشد المبكر تمثل البداية الرسمية لحياة الرشد، وهذه المرحلة التي يصبح فيها الإنسان منشغلا بالخطبة والبحث عن شريكة حياته، وتكوين علاقات مع الجنس الآخر وتكوين حياة أسرية كريمة، وتمتد من المراهقة المتأخرة حتى الرشد المبكر (من 20 - 24). وخلال هذه الفترة يواجه الراشدون أنفسهم عادة نحو إتقانهم لعمل أو مهنة ونحو الاستقرار، ويرى إريكسون كما فعل فرويد أن الشخص في هذه المرحلة يكون مستعدا استعدادا حقيقيا للألفة الاجتماعية والارتباط مع شخص آخر، وقبل هذا كان سلوك الشخص الجنسي مدفوعا بالبحث عن هوية الأنا، غير أن اكتساب الإحساس بالهوية الشخصية بالانغماس في عمل منتج يميز هذه المرحلة ويؤدي إلى تكوين بين شخصي جديد قطباه الألفة من ناحية والعزلة من ناحية أخرى، ووصف إريكسون للشخص القادر على الألفة والمودة يشبه شها كبيرا تعريف فرويد للشخص السوي، أنه ذلك الشخص القادر على الحب والعمل (181).

ويتضح من خلال مفهوم اريكسون للمرحلتين مدى ترابطها ومدى حساسية كل منهما، حيث أن عدم تمكن المراهق من حل أزمة الهوية قد يؤدي به إلى اضطرابات في المرحلة الموالية، والتي هي المرحلة الأساسية لتكوين الأسرة.

### 3. أزمة الهوية الجنسية والتقمص:

إن تدريب الطفل منذ ولادته على اكتساب الدور الذي يلائم جنسه كذكر أو كاتثى على وفق متطلبات الثقافة التي يعيش فيها، فالسؤال الذي يبرز إزاء هذه المرحلة هو ما علاقة الدور الجنسي في أزمة الذاتية ؟ أو الهوية الجنسية ؟

يسهم الدور الجنسي، في أزمة الذاتية أكثر مما يسهم به أي دور آخر، فالدور الجنسي، يتضمن الكثير مما تتضمنه الأدوار الأخرى:

أ - فيتضمن الكثير من القيم والأحكام الدينية والحلقية.

ب - يتضمن تحديد المهنة.

ج - تحديد الدور الأسري.

د - تحديد الكثير من خصائص السلوك وسات الشخصية ...

### 1-3 أسباب وعوامل ظهور أزمة الهوية الجنسية:

يوضح العسيري "بان هناك أدوار جديدة مستحدثة تظهر في حياة المراهق وقد يميل المراهق لبعضها بشكل قوي، وهناك تأثير جماعة الرفاق فالكثير مما يتعلمه المراهق عن الجنس يأتي نتيجة لتأثيرات الرفاق، وهناك عوامل ترتبط بالتنشئة الأولى التي تعرض لها المراهق وما تركته من تأثيرات على تصوره عن ذاته فمثلاً إذا نشأ المراهق في أسرة يقوم بها الوالد والوالدة بما هو متوقع أن يقوم به كل منهما كأن تخصص الأم بأعمال المنزل والأب يعمل خارج المنزل ومثل هذا التخصص ينعكس تأثيره في اتجاهات المراهق نحو الدور الجنسي، على العكس من المراهق الذي يكون أو يعيش في بيت يعمل فيه الأب والأم خارج المنزل.

وهناك مبدأ المساواة بين الذكور والإناث ومبدأ حقوق المرأة كلها يعكس مفاهيم جديدة للأدوار الجنسية وما نتوقعه من البنت وما نتوقعه من الولد، فإذا أخذنا البنت التي نشأت على أساس هذه المساواة .. كيف تتعامل مع الجنس الآخر؟ هل تختلط بجرية مع الذكور؟ أم تسيرهم في خروجهم وأعمالهم؟ أم هل يسمح لها بإقامة علاقات عاطفية ...

كذلك البنت الريفية التي تربت على قيم وعادات معينة من طاعة عمياء وخضوع لقيم المجتمع المحلي، وأكملت تعليمها بنجاح فهل تستمر في مسaire هذه القيم أم تعارضها.

كذلك هناك خلط في الأدوار بين الذكور والإناث من خلال تحديد الاتجاه لاختيار المهن، وهل تتجه للمهن التي تحقق المركز الاجتماعي أم المورد المالى؟ أم يكون للأعمال الحرة وهكذا فعندما تختلط الأدوار وتتعارض تنشأ لدى المراهق حالة من الحيرة والتردد وقد يؤثر ذلك في سلوكه وقد ينحرف نحو الانعزال أو نحو التطرف.

كذلك يعتبر مفهوم الدور الجنسي، واحدا من أهم المجالات التي تؤثر في تشكل هوية الأنا الاجتماعية، فمفهوم الذكورة والأنوثة يتعدى الاختلاف البيولوجي إلى الاختلاف في المفهوم الثقافي لتوقعات الدور، فنلاحظ الاختلافات القائمة بين الشعوب والثقافات في تحديد سلوكيات الدور وما يتعلق به من تفاصيل كالملبس و نوع العمل و سن الزواج، ولاشك أن المعتقدات والاتجاهات في ثقافة ماتقوم بدور هام في توجيه السلوك المناسب للفرد تبعا للجنس الذي ينتمي إليه وعادة ما يتم اكتسابها منذ الطفولة، وقد يجد بعض الأفراد صعوبة في تعلم أدوارهم الجنسية أو صعوبة في تقبلها، مما قد يؤدي بهم إلى ضغوط و صراعات مع النمط الثقافي السائد للمجتمع الذي يعيشون فيه وبذلك عدم وضوح الدور الجنسي (الهوية الجنسية) حيث تظهر تلك الاضطرابات بشكل واضح في مرحلة المراهقة، وحيرة الشباب المراهق هنا تبدو في التساؤل عن اختلاف الناحية الجنسية والميول الجنسية وفروق الرغبات والاستجابات بين النوعين، وتحليل منطقية الأدوار التي يتوقعها المجتمع وتقبل تلك الأدوار كلها أو بعضها أو التمرد عليها.

وتمثل العلاقة بين الجنسين كجال فرعي لتشكيل هوية الأنا مظهرها أساسيا للحياة الاجتماعية تتمركز حول مجموعة من الاتجاهات النفسية التي تعبر عن نفسها في صور

مختلفة، من السلوك والتفكير والنظم الاجتماعية، وتنظم المجتمعات الإنسانية المختلفة حتمية هذه العلاقة بطرق مختلفة، فبعض المجتمعات تسمح بالعلاقات بين الجنسين في ميادين عمل محددة، ومجتمعات أخرى قد تسمح بالالتقاء الجنسي المباشر في صورته الجسدية قبل الزواج الرسمي، ومجتمعات أخرى لا يباح التحدث فيها إلى الجنس الآخر إلا بإشراف الأسرة وتحت رقابتها، وأخرى تتمتع الاتصال بدون عقد الزواج، إلا أن شعور الشباب بأنه قد اكتمل نموه من الناحية الجنسية يوازيه تعبير عن تلك الدوافع الجارحة في نفسه بالزواج، وقد يصطدم بواقع تكون فيه الموارد المالية والمعايير الاجتماعية السائدة عقبة بينه وبين ماينشد من استقلال وتعبير عن تلك الدوافع الملحة، مما قد يؤدي إلى زيادة التوتر الانفعالي (34).

#### 4. النظريات النفسية المفسرة لازمة الهوية الجنسية:

التحليل النفسي يشير الدباغ ان فرويد افترض بأن الطاقة الجنسية جزء من (الليبدو) حيث أنها تنمو مع الإنسان ويجب أن تجد لها تنفساً واشباعاً على الرغم من عدم تأكيد الدليل الفلسفي لإثباتها , لذا نجد أن الهرمونات الجنسية لا تغير من نوعية السلوك لكنها تؤثر في حالة الاستعداد للنشاط الجنسي، كما إنها تؤثر في ظهور الصفات الثانوية (الجسمية) للذكر والأنثى والرغبة في تغيير الجنس من ذكر إلى أنثى أو بالعكس وهذا دافع جنسي آخر صعب التفسير (Transsexualism) كما في حالة (ريتشارد راسكن) طبيب ولاعب تنس شعر برغبة أو حافز داخلي بأنه خلق ليكون أنثى وبعد عملية جراحية أصبح امرأة ولاعبة تنس وهذا مثال على دافع جنسي صعب التفسير وهو تغيير الجنس . (177)

2- ويتحدث رمزي عن النظريات المعارضة" فإنها ترجع استجابات الفرد إلى وجود إمكانية واسعة لدى الإنسان لصدور استجابات متعددة ومتنوعة في طبيعتها وفقاً لمل يلقاه الفرد من خبرات وما يمر به مواقف تؤدي إلى أن يتعلم الإنسان عادات إما صحيحة وسوية صحياً وخلقياً أو عادات شاذة ومنحرفة ولاشك أن ظاهرة التقمص موجودة ومنتشرة وقد يتقمص الشاب الذكر بعض الصفات الأنثوية ويتخذ الأنماط السلوكية الخاصة بالجنس الآخر سواء في ملبسه أو في مظهره وعاداته ويوصف حينئذٍ بالتخنث وبالمثل

يمكن للمرأة أن تسترجل وتتمصص بعض صفات الشباب من الحشونة و الاسترجال وقد يكون مرد ذلك إلى أعجاب الأولياء بشخصيتها" (217) ،

## 5. التربية الجنسية في الأسرة الجزائرية الحديثة:

### 1-5 الأسرة الجزائرية الحديثة:

حسب Zerdoumi شهدت العائلة التقليدية الجزائرية تطورا اجتماعيا أساسيا جعلها تظهر بوجه جديد يعرف بالأسرة النووية أو الأسرة الجزائرية المعاصرة ومن بين التغيرات فيما يخص السكن، بعدما كانت الدار الكبيرة انتقلت العائلة الجزائرية إلى شقة، وبالتالي امتداد هذه التغيرات في بنية الأسرة التقليدية.

**1- النظرة البطريقية:** حيث تحول الأب المسيطر إلى أب محترم مستشار مسئول العائلة المعاصرة، وأصبح أفراد العائلة لا يتكلمون عليه في كل شيء فالكل يعمل وينفق ويبدى رأيه، ولكن "مهما كانت التغيرات الطارئة فإن مجمل أفراد العائلة يستمرون في ترك الأب يلعب دور امن الدرجة الأولى في التسيير العائلي حتى ولو ظهرت ديمقراطية العلاقات وتحرير التصرفات، تقوم بهجمة في إطار العائلة.

**2- النظرة الأكناتيكية:** في العائلة المعاصرة بإمكان الزوج أن يستقر في سكن مستقل أما الزوجة فهي تقوم بعلاقة وثيقة مع عائلتها الأولى، كما أن عائلتها أصبحت تهتم بحياة ابنتها ومصالحها. فيما يخص الانقسام أصبحت الأسرة المعاصرة سرعان ماتنفصل عن النواة المركزية وتكون بنفسها عائلة جديدة عكس الأسرة التقليدية لكن بالرغم من التغيير الحاصل في الأسرة الجزائرية من التقليدي إلى النووي إلا أنها لازالت تحتفظ ببعض خصائص ووظائف العائلة التقليدية، فمن المظاهر المعبرة عن التطور ظهور التعليم والعمل بالنسبة للمرأة والاستقلالية الزوجية وغيرها من مظاهر العصرية غير أن هذا لا ينفي وجود الكثير من العادات والتقاليد المتعلقة بثقافتنا منذ أجيال، فنجد كثيرا من المعاملات والتصرفات ترجع للأنماط السالفة وكأنهم مازالوا تحت نظام العروشية حيث يشجعون روح الانتماء والتعاون والغيرة على الشرف ومظاهره (النيف) والحشمة (مما يجعلهم دوما يصارعون

الحديث بما هو قديم، قد يدفع في كثير من الحالات إلى معايشة نقيضين لاحاسم لها وينعكس هذا على عدة مستويات فكرية، سلوكية وعاطفية). (245)

## 5-2 التربية الجنسية الحديثة:

اما Bensmail- فيقول " لقد تغيرت نظرة الأسرة والمجتمع للبنات فولادتها أصبحت في الأسرة النووية كولاية الابن، كما أنها أصبحت تعامل وتتمو بنفس الطريقة التي يعامل بها الولد خلافا عن التمييز بين الجنسين في الأسرة التقليدية فالبنات صارت تعيش حياتها بكل مراحلها بدءا من الطفولة إلى المراهقة، إلى الرشد وذلك من خلال الذهاب للمدرسة وإلى العمل -الحياة المهنية- الأم تعمل على تلقين وتوعية ابنتها فيتسع مجال الحوار بينها ليمس المواضيع الأكثر حساسية في مرحلة المراهقة خاصة ما يتعلق بتلك التغيرات الفيزيولوجية التي تحدث في مرحلة البلوغ، فالأم تكون أكثر مسامحة غير متعصبة ولامتسلطة أمام تساؤلات ابنتها" فكرة المراهقة تختلف حسب الثقافات ففي كل مجتمع تقليدي تأخذ المراهقة مفهوما خاصا، فوضع المراهق غير معترف به، بل يدخل في عالم الراشدين وهي الانتقال من البلوغ" (49).

"ويقول بوتفوشوت " في سن البلوغ تبدأ البنت بالميل إلى الأم وتجتمان للحوار في المشاكل الفيزيولوجية والجسدية وبالتالي فالشعور بالخل والحياء بين الفتاة وأمها لم يعد قائما بنفس الدرجة مع الجنس الآخر، فيبقى الرجال على التوصية الدائمة للبنات في حياتها بالالتزام بالطاعة والحياء.. وعدم الخروج على قيم جاعتها.

ومن هذا المنظور تجد الفتاة نفسها في الأسرة النووية تعيش بين تأثيرين أحدهما يناقض الآخر، من جهة التمسك بالمعايير التقليدية ومنجهة أخرى الحرية والخروج إلى الحياة العامة، مما يجعلها ترفض قيود وضوابط قد تحد من شخصها الذي ترسمه تبعاً للتطور ومواكبة الركب السريع والمستجدات في جميع الحالات" (30)

## الجانب الميداني :

### 1. منهج وأدوات الدراسة :

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاستكشافي، واستخدام المقياس الموضوعي لرتب الهوية.

### 2. تقديم أداة الدراسة :

#### - المقياس الموضوعي لرتب الهوية (Eomeis-2) :

قام آدمز ومعاونوه ببناء المقياس الموضوعي لرتب هوية الأنا على نموذج مارشيا لهوية الأنا، وقد أجرى العديد من الدراسات في سبيل تطويره وإخراجه في صورته النهائية.

#### - الخصائص السيكومترية للمقياس في البيئة المحلية:

في الجزائر قامت الباحثة ربعة علاونه من جامعة سطيف بحساب الخصائص السيكومترية للمقياس، وذلك بتطبيق المقياس على عينه مكونة من 310 من المراهقين والمراهقات وكان معامل الصدق الكلي 0.86 وهو معامل قوي أما معامل الثبات الكلي فتحدد بالقيمة 0.77 وهي قيمة عالية تدل على ثبات المقياس وامكانية استخدامه وتطبيقه على البيئة الجزائرية.

### 3. عرض وتحليل النتائج:

قمنا بتوزيع المقياس على عينة عشوائية قصدية مكونة من 120 طالب من طلبة جامعة محمد خيضر بسكرة، لا تتعدى أعمارهم 21 سنة، وبعد تفرغ البيانات كانت النتائج كما في الجدول:

(جدول 1) يوضح توزيع نتائج أفراد العينة على رتب الهوية

التحقق	الانغلاق	التعليق	التشتت	
4	11	52	5	ذكور
10	10	26	2	إناث
14	21	78	7	المجموع
%11,66	%17.5	%65	%5.83	النسبة المئوية

يتبين من خلال الجدول أن أكبر نسبة سجلت في رتبة التعليق وهي الرتبة التي يعتقد فيها مارشيا بان الشباب يعانون من أزمة هوية وغير قادرين على اتخاذ قرارات في ما يخص مستقبلهم، ورغم أن أفراد العينة هم طلبة جامعيين، إلا أنهم لا يزالون يعانون من أزمات في تشكيل هويتهم.

(جدول 2) يوضح توزيع الطلبة في رتبة التعليق على مجالات الهوية الاجتماعية:

أزمة الهوية الاجتماعية				
العلاقة بالجنس الآخر	تمضية وقت الفراغ	الدور الجنسي	الصدقة	مجالات الهوية
18	27	23	10	عدد الطلبة
7	3	11	5	إناث
11	24	12	5	ذكور
%23.07	%34.6	%29.4	%12.8	النسبة الإجمالية
المجموع: 78				

#### 4. التعليق على النتائج :

تعد نسبة الإناث من أفراد العينة الذين سجلوا في رتبة التعليق اقل من نسبة الذكور، وهذا يدل على أن الذكور يعانون أكثر من مشاكل تحديد الهوية، ويمكن إرجاع ذلك إلى البيئة المحافظة للولاية، حيث أن الأدوار لا تزال إلى حد ما تقليدية، عكس الولايات الكبرى أين حدث تغير كبير للأدوار، ونفس الشيء بالنسبة لازمة الهوية الجنسية. حيث نجد أن عدد الإناث اللاتي يعانين من مشاكل في الدور الجنسي اقل ، من عدد الذكور، وهذا ما قد يوحي بان الإناث، عينة الدراسة يتقبلن دورهن الجنسي بشكل جيد، حيث أن نسبة التعليق في بعد الدور الجنسي اقل بكثير من نسبة التعليق في باقي الأبعاد، مثلا تمضية وقت الفراغ، والذي سجل فيه نسبة أكبر من الإناث، هذا ما يدل على أن مشكلة الدور الجنسي لا تشكل المشكلة الرئيسية في أزمة الهوية لدى الإناث، ونفس الشيء بالنسبة ، لبعد العلاقة بالجنس الآخر حيث نجد أن الذكور يعانون من أزمة في تحديدهم لطريقة تعاملهم مع الجنس الآخر أكثر من الإناث، وان العدد الأكبر من أفراد العينة يعانون من أزمة هوية اجتماعية ، تتعلق أساسا بطريقة تمضية وقت الفراغ، وان مشكلة الهوية الجنسية لا تعد هي المشكلة الأساسية.

#### 5. تحليل وتفسير النتائج:

أن نتائج تطبيق مقياس رتب الهوية على عينة قصدية من طلبة الجامعة الدين لا تتعدى أعمارهم 21 سنة، توجى بوجود تعليق في رتب الهوية وبالتالي فان اغلب أفراد هذه العينة ، لا يزالون يعانون من أزمة هوية ، ومن خلال النتائج يتبين لنا أن أزمة الهوية لدى أفراد هذه العينة لا تعود بالدرجة الأولى إلى أزمة الهوية الجنسية، وانما تتوزع على أبعاد المقياس بشكل مختلف، وأما مشكلة تحديد الدور الجنسي، والتحديد طريقة التعامل مع الجنس الآخر فلا يمكن اعتبارها المشكلة الرئيسية المتسببة في بقاء هؤلاء الشباب في رتبة الأزمة والتعليق.

ورغم ما نلاحظه من مظاهر توحى بنوع من التمييز الجنسي لدى شباب الجامعة، مثل الملابس الغربية غير اللائقة بالذكور مثلا( سراويل منخفضة الخصر، تظهر الملابس

لداخلية والتي يتعمد أن تكون بألوان أنثوية)، قد تكون تقليدا أعمى لا يدرك الشباب المعنى الجنسي له ( تشير إلى المثلية الجنسية)، تقول عابدين "يحدد الباحثين الاجتماعيين العديد من دوافع اقتناء الملابس، من أهمها مسابرة الموضة، ومحاولات لفت الانتباه (159) وهما خاصيتان مرافقتان لمرحلة المراهقة، التقليد ومحاولات لفت الانتباه، وأما ما يلاحظ من بعض التصرفات الحشنة لدى الإناث وأسلوب الكلام المتشبه بالذكور، فلا يمكن إرجاعه إلى وجود انحرافات جنسية خطيرة أو حتى إلى أزمة هوية جنسية، ويمكن إرجاعه إلى درجة الحرية التي تتمتع بها الإناث والشابات في الأسرة المعاصرة، والاختلاط الدائم بالذكور في كل الأماكن، سواء الجامعة أو الأسرة، وخروجها من دائرة الانغلاق التي كانت تعيشها الإناث في الأسرة التقليدية، حيث لم تعد الأسرة المعاصرة ذات قطب ذكوري محض، رغم ما يشكله سقوط القطب الأبوي والسلطة الأبوية في الأسرة من خطر على التقمص الأنثوي والذكوري، والذي يرجعه الباحثين في الأساس إلى عوامل اقتصادية أكثر فيشير بوسبسي، أن "وجود الأب في حالة بطالة أو دخله الاقتصادي غير كاف هنا يحصل تناقض بين مكانته الثقافية كممثل الأنا الأعلى الاجتماعية ومكانته الاقتصادية المنحطة وهذا يؤثر بصفة خطيرة على سلطته، في حين أن الأم الحامية للتقاليد العائلية يكون لها دور، وهكذا تسيطر على كل رغبات التقمص للطفل" (157)

وهذا ما قد يفسر أكثر تغير الأدوار في الأسرة الجزائرية، حيث يسبق العامل الاقتصادي كل العوامل ويؤثر في عمليات التقمص على المدى البعيد، رغم ذلك فإن التمسك بالجانب الديني والتربية الأخلاقية الإسلامية، شكلت نوعا من الحماية للشباب من حدوث تقمص مشوه لأدوار الآباء، وشكلت حاجزا ضد تفاقم أزمة الهوية الجنسية وتحويلها إلى انحرافات في الدور الجنسي، وهذا ينطبق على أفراد العينة القصديّة للدراسة فقط، حيث أن بيئة الولاية الصحراوية الداخلية المحافظة، تختلف عن العاصمة وولايات الساحل أين يمكن أن نجد نتائج أخرى مختلفة تماما.

ورغم كل الدراسات التي تشير إلى أن الجامعة تلعب دورا كبيرا في مساعدة الشباب على تخطي أزمة الهوية، حيث تسهم بشكل كبير في تحقيق هويته حيث تنتهي عادة هذه الأزمة لدى اغلب المراهقين بعد السنة الأولى من الالتحاق بالجامعة، يحدد بعدها

المراهق أدواره وأهدافه ويختفى إحساسه بالاغتراب، ففي يشير محمد الى دراسة Toder&Marcia 1973م التي هدفت لتحديد الفروق في رتب هوية المراهقين حسب المستوى الدراسي الجامعي، سجل مراهقو السنة الأولى في رتبة التشتت في حين سجل طلبة السنة الثانية في رتبة الانجاز والتعليق. (17)

إلا إننا لمسنا نوعا من التأخر في تحقيق الهوية لدى الشباب الجامعي عينة الدراسة، ويفسر ذلك لدى عديد من الباحثين بوجود أزمة اقتصادية انعكست على الوضعية النفسية للمراهق والذي جعلت منه مراهقا إلى غاية الثلاثين من العمر، غير قادر على تشكيل أسرة، أو الحصول على وظيفة، أو تحديد مهنة خاصة، حيث تشير شريم "ان ستيرنبرغ Steinberg يرى أن مرحلة المراهقة قد طالت مدتها فلم يعد مستغربا أن نجد الأفراد معتمدين على والديهم في العشرينيات من العمر أو أن يتزوجوا وهم على مشارف الثلاثين." (28)

ويقول الشافعي "في مصر يشير الباحثين إلى انه من المتوقع زيادة نسبة الأفراد الفرادى، عن نسبة المتزوجين، مما يعنى أن فترة المراهقة سوف تمتد أكثر، وسوف تشمل عدد أكبر من السكان، وان المجتمع أصبح عاجزا عن تلبية حاجات هذه الفئة، من فرص للتشغيل، ومشاكل السكن، كما انه غير قادر على تغيير عاداته وتقاليده في مسألة الزواج وتكاليفه المادية، مما يجعل من أزمة الهوية لدى المراهق قضية مجتمع". (57)

وهذه الأزمة الاقتصادية لا تختلف أثارها عن ما يحدث في الجزائر، حيث نلمس نفس المظاهر ونفس الامتداد في مرحلة المراهقة، والتمسك، بالعادات والتقاليد في مسألة الزواج والتخلي عن بعض مظاهر الحشمة والحياء من جهة والتقليد الأعمى للغرب من جهة أخرى وهذا ما يفسر معاناة الشباب، وتغير ادوار الأسرة الجزائرية.

## خلاصة عامة:

إن هذا التغير يعتبر ذا جوانب ايجابية كما انه له جوانب سلبية، فرغم ما تحقق المرأة من تحرر من بعض العادات القديمة السلبية والتي كانت تهمش دورها، إلا أن سيطرتها على الأسرة وتحول القطب السلطوي إليها بدل الأب قد يخلق نوعا من التشوه في تقمص الأدوار الجنسية لدى الأبناء مستقبلا، مما قد يشكل خطرا وبيئة خصبة لظهور انحرافات خطيرة مثلما يحدث في الدول الغربية التي أصبحت تبيح الزواج المثلي، والذي يمثل أعلى درجات التخلف والابتعاد عن الإنسانية.

ورغم أن نتائج دراستنا جاءت مرضية، حيث لم نلمس وجود تفارق لازمة الهوية الجنسية لدى أفراد العينة، إلا أن ذلك يرجع إلى نوعية العينة في حد ذاتها، (طلبة جامعين)، حيث قد تختلف النتائج لو طبقت الدراسة على عينة من شباب بطالين، أو غير جامعين كما يرجع إلى البيئة المحافظة للولاية والتمسك بالعادات والتقاليد والتعليم الإسلامية، إلا أن بعض المظاهر الجديدة والتي نلاحظها ففي عدة ولايات من الوطن، مثل التحرش الجنسي، بالأطفال والاعتداء على القصر وخطف الأطفال بنية الاعتداء الجنسي وقتلهم، توجى بوجود مشاكل جنسية، أو انحرافات مختلفة، سواء بسبب الخمر أو المخدرات، وبالتالي لا بد من تكثيف البحث في باقي ولايات الوطن للتحقق من خلو شبابنا من مثل هذه التشوهات في التقمصات الجنسية، والتحقق من خروج المراهقين بسلام من أزمة الهوية الجنسية، وتقبلهم لأدوارهم الطبيعية، كآباء وأمهات، وبالتالي قدرتهم على تشكيل اسر سوية رغم صعوبة الوضع الاقتصادي.

## المراجع:

1. أبو بكر، مرسي محمد مرسي. أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي ، دار النهضة العربية: القاهرة مصر، 2002.
2. أبوجادوا، صالح محمد . سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، دار الفكر: بيروت لبنان ، 2010 .
3. بوسنة، عبد الوافي زهير. علم النفس النمو ونظريات الشخصية ، الهدى للطباعة والنشر والتوزيع: عين مليلة الجزائر ، 2012 .
4. جابر، عبد الحميد جابر. نظريات الشخصية. دار النهضة العربية: القاهرة مصر ، 1996.
5. جلال، سعد . الطفولة والمراهقة، دار الفكر العربي: القاهرة مصر، 1998.
6. الداغ، فخري . مقدمة في علم النفس، جامعة الموصل، 1982.
7. رمزي، إسحاق . مشكلات الأطفال اليومية، دار المعارف : مصر، 1982.
8. السيد، عبد الرحمن محمد . مقياس موضوعي لترتيب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية في مرحلتَي المراهقة والرشد المبكر، دار قباء للنشر والتوزيع: مصر، 1998.
9. الشافعي ناصر . فن التعامل مع المراهقين، دار البيان للنشر: مصر، 2009 .
10. شريم، رعدة . سيكولوجية المراهقة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة: عمان الأردن ، 2009.
11. عابدينعلية. دراساتفسيكولوجيةالباس . مصر، دارالفكرالعربي، 1996 .
12. عادل، عبد الله محمد . دراسات في الصحة النفسية الهوية والاعتراق والاضطرابات النفسية ، القاهرة مصر :دار الرشد للنشر والتوزيع، 2000.
13. العسيري، عبير بنت محمد. علاقة تشكل الهوية بمفهوم الذات والتوافق لدى طلاب الثانوية ،ماجستير، ام القرى السعودية، 2003.
14. علاونة، ربيعة . ترتيب الهوية لدى الشباب الجزائري ، مجلة مخبر تطوير الممارسات التربوية والنفسية ، 6٤، جامعة فرحات عباس ، سطيف الجزائر ، 2011 .
15. الغامدي، حسين عبد الفتاح. علاقة تشكل هوية الأنا بنمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الذكور في مرحلة المراهقة والشباب بالمنطقة الغربية من لمملكة العربية السعودية، قسم علم النفس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.المجلة المصرية للدراسات النفسية2001، العدد 29
16. مصطفىوتنفوشت. العائلةالجزائرية،التطورالخصائصالحديثة .ديوانالمطبوعاتالجامعية ، 1984
17. Bensmail.B. la psychiatrie aujourd'hui . 1994
18. Boucebcj , M. psychiatrie société et développement. 2ème ed, S.N.E.P Médecine, p157.
19. <http://bafree.net/alhisn/showthread.php?t=106286>
20. Zerdoumi, .enfant d'hier, Parie, Maspéro., 1970

## إعالة المرأة الجزائرية لأسرتها -بائن الظاهرة و خفيها -

د. حكمة أوشنان - جامعة سكيكدة - الجزائر

### Résumé :

*La femme qui prend en charge ses besoins et ceux de sa famille c'est celle qui s'occupe d'elle même et de sa famille du coté matériel toute seule, sans compter sur l'homme (soit-il un mari, un frère ou un père) ce qui fait que plusieurs catégories de femmes sont concernées.*

### الملخص :

المرأة المعيلة لنفسها أو لأسرتها، هي التي تتولى رعاية شؤونها وشؤون أسرتها ماديا وبمفردها، دون الاستناد إلى وجود الرجل (سواء كان: زوجا أو أخا، أو أبا) وعلى هذا يدخل ضمن هذه الدائرة عدة شرائح نسائية.

### مقدمة:

علمتنا السوسيوولوجيا أن الحقائق الاجتماعية غير معطاة، فهي ترفض أن تكون جاهزة للبحث، ما يجعلنا نصدر في حقها أحكاما في شكل ثنائيات نقول: أن هناك الظاهر والباطن. البائن والخفي، حتى أقوالنا لا تسلم من هذا الحكم، فنقول أن هناك المقول واللامقول.

وغالبا ما نظن أن الأنصاف الثانية من هذه الثنائيات، هي التي تحمل الحقيقة التي نسعى لأجلها لذلك علينا بغزو هذه الظواهر والحقائق، ثم إعادة بنائها، عندما نريد بحثها والتقصي بشأنها.

بهذه الكيفية في النظر لموضوع إعالة الأسرة الجزائرية لأسرتها، تأتي هذه المداخلة وقد بنيت على خمسة عناصر أساسية، وضع كل عنصر منها، لأداء وظيفة معينة و تحقيق غاية محددة، يساعدنا على توضيح قراءتنا للموضوع المدروس.

1. تحديد معنى المرأة المعيلة.
2. التتبع التاريخي للأسرة الجزائرية.
3. عمل المرأة شكل من أشكال الإعالة لأسرتها.
4. بائن إعالة المرأة الجزائرية لأسرتها.
5. خفي إعالة المرأة الجزائرية لأسرتها.

### أولا. تحديد معنى المرأة المعيلة:

المرأة المعيلة لنفسها أو لأسرتها، هي التي تتولى رعاية شؤونها وشؤون أسرتها ماديا وبمفردها، دون الاستناد إلى وجود الرجل (سواء كان: زوجا أو أخا، أو أباً) وعلى هذا يدخل ضمن هذه الدائرة عدة شرائح نسائية منها:

- قد تكون المرأة المعيلة لنفسها: امرأة متزوجة ولكنها فقدت زوجها، فهي إما أرملة أو مطلقة أو محجورة وربما كان الزوج موجودا ولكنه إما مريض وعاجز عن العمل أو عاطلا عن العمل وبالتالي عن الإنفاق الذي هو مسؤولية الرجل تجاه المرأة وهو أيضا حق المرأة على زوجها. وقد يكون قادرا على الإنفاق ولكنه بجيل إلى درجة لا يؤمن معها الموارد الضرورية اللازمة لها وبالتالي تضطر المرأة للعمل من أجل إشباع الحاجات الإنسانية الأولى .
  - قد تكون المرأة المعيلة: غير متزوجة أصلا ربما بقيت عانسا و دفعتها الظروف للعمل بعد أن فقدت المعيل (الأبوالأخ) أو ربما تعيش أزمة مالية خانقة، تضطرها للعمل من أجل القوت.
- إذن يتحدد معنى المرأة المعيلة، بمحددتين إثنين، هما:

1. محدد حضور الرجل: الذي يحكمه: العجز أو البطالة أو البخل أو مستوى راتبه الشهري.
2. محدد غياب الرجل: الذي يحكمه: الوفاة، الطلاق، الانفصال و الهجر.

## ثانيا.التبع التاريخي للأسرة الجزائرية:

يأتي تتبعنا التاريخي للأسرة الجزائرية، كونها المجال الذي يحدث فيه فعلا لإعالة ولأجله. ومن ثمة فإنه يمارس تأثيره عليه، مثلما يتأثر به ويستفيد منه.

أما عن كيفية سير هذا التبع، فيكون بحسب التغيرات التي عرفتها الأسرة الجزائرية في مختلف المحطات التاريخية، و التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث محطات أساسية:

1. **محطة ما قبل الاستعمار الفرنسي:** تؤكد مختلف الأبحاث والدراسات العلمية التي تناولت بنية العائلة الجزائرية عبر تطورها التاريخي " أن العائلة الجزائرية التقليدية تمتاز بكونها عائلة موسعة وممتدة، حيث أنها تشمل عدّة عائلات زوجية في مسكن واحد يعرف بـ (الدار الكبرى) عند الحضر وبـ (الحيمة الكبرى) عند البدو. (مصطفى بوتفنوشت، 1984:ص37)

وتتألف من "الوالدين والأبناء، ويلعب الوالد ومن يحل محله عند فقده، دور الرئيس والموجه والمسير والممون والمخطط في كل شيء، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا. ويعطيه كل أفراد الأسرة طاعة عمياء في كل الشؤون والقضايا الخاصة والعامة، وذلك مما أكسب الأسرة تماسكا وانضباطا ومكانة واحتراما لدى الغير." (يجي بوعزيز، 1999: 320)

لذلكتعتبر الأسرة الجزائرية منذ القديم أساس النظام الاجتماعي في المجتمع، تؤدي دورها الاقتصادي من خلال العمل و الإنتاج و توفير المؤن، و دورها الاجتماعي من خلال تربية الأطفال و تحقق التكافل فيما بينها و إقامة العلاقات الاجتماعية، على أساس التضامن و التكافل.

على هذا الأساس حددت خصائص الأسرة الجزائرية قديما، فيما يلي: (مصطفى بوتفنوشت، المرجع السابق: 37-40)

- أنها أسرة ممتدة.
- أسرة أبوية.
- النسب فيها ذكوري والانتفاء أبوي.

- العائلة الجزائرية تعيش في الدار الكبيرة، أي في وحدة سكنية واحدة.
2. **محطة الاستعمار الفرنسي:** وصف المجتمع الجزائري في هذه الفترة، بأنه قد تم تحويله إلى مستعمرة لا يستفيد منها سوى الكولون، الذين باتوا يسيطرون على أغلبية الأراضي الخصبة. كما تم تحويل الفلاحين الجزائريين إلى عبيد، يسخرون من طرف المعمرين (صالح فركوس 2003: 253) ما اضطرهم لهجرة أراضيهم و الزوح باتجاه المدن أو حتى الهجرة نحو فرنسا، بحثا عن العمل .
- بقوة هذا الوضع وظروفه، تغيرت ملامح الأسرة الجزائرية، فأصبحت تعاني من التشتت و تحطم علاقاتها و تصدعها، ولم تعد تشكل إحدى مؤسسات الصمود، التي كانت تحمي أفرادها، كما كانت من قبل.
3. **محطة الوقت الراهن:** بالنظر إلى واقع الأسرة الجزائرية، يلاحظ أن ملامح التغير قد زادت، بفضل الأحداث والتحويلات المجتمعية التي عاشتها، منذ الاستقلال حتى اليوم. حيث يجمع العام والخاص، على أنها قد تحولت من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، وأن النزعة نحو الاستقلالية ماديا وسكنيا، قد تسربت إليها وتمكنت منها. ما جعل البعض يحرص هذه التحويلات في مستويات أو أصعدة كبرى هي: (عدليأبوطاحون، 1997، 263-264)
- **على الصعيد الاجتماعي:** يلاحظ أن التحديث والتحضر قد دفع الأسرة الجزائرية إلى التحولات السريعة هددت استقرارها الداخلي، مما أدى لتغيير أدوار ومكانة أفرادها، بداية بتغير بنيتها فبعدها كانت ممتدة أضحت نووية، وبعدها كنت المصلحة فيها جماعية، غدت فردية، نتيجة تغير طبيعة العلاقات التي كانت تقوم على القرابة فيتغذى منها الفرد و ينمو في ظلها فأصبحت تقوم على المنافع الخاصة التي غدت نزع الاستقلالية، الأمر الذي زاد من بعد المسافات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، فنقص الاتصال والتواصل بين الأهل والأقارب مآدى إلى ضعف مظاهر التضامن وتضاءل التزامات أفراد الأسرة لمسؤولياتهم إزاء أقاربهم وأهلهم.

زاد من فجوة التغير في الأسرة الجزائرية، خروج المرأة للعمل. فإتاحة الفرصة أمام المرأة للتعليم والعمل والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير هذا العمل، وبالتالي المشاركة الإيجابية في ميزانية الأسرة، وفي مسؤولية رعايتها داخليا وخارجيا، كما أن ما وفرته التكنولوجيا من أدوات منزلية متطورة، ساعد المرأة في إيجاد من الوقت ما تستغله إما في توفير الراحة المنزلية لأفراد أسرتها أو أن تعمل عملا له طابع اقتصادي خارج المنزل.

ومنأبرز ما أفرزه التغير الاجتماعي أيضا، الصراع الظاهر أو المستمر بين المرأة والرجل (الزوج والزوجة) على السيادة والميزانية ومعاملة الأطفال والصلة بالنسق القرابي وتمضية وقت الفراغ وغيرها من التحديات التي أفرزها التغير الاجتماعي بوجه عام.

- **على الصعيد التربوي:** مع انتشار ظاهرة خروج المرأة للعمل، تغير الدور التربوي في الأسرة الجزائرية، حيث أصبحت الاستعانة بأطراف أخرى مثل الجيران، الأهل، دور الحضانة، في رعاية الأبناء وتربيتهم أمر واقع في مجتمعنا، رغم ما له من آثار سلبية يشتمكي منها.

- **علالصعيد الاقتصادي:** تحولت الأسرة الجزائرية في وقتنا الراهن إلى أسر مستهلكة بعدما كانت منتجة، نتيجة التطور الصناعي الحادث وكذا التكنولوجيا، اللذان وفر لها كل ما تحتاجه ملبسا و مأكلا و أدوات و أجهزة منزلية، توفر لها الجهد و الوقت.

إن هذه التغيرات جعلت الأسرة الجزائرية، تظهر بملامح جديدة، يمكن حصرها في:

- أنها ذات بنية نووية، تميل أكثر إلى الاستقلالية، سواء في عدد أفرادها أو علاقاتها الأسرية.

- لم تعد أسرة زواجية كما كانت من قبل. فظروف الحياة صعبت من عملية الكسب ومن ثمة الإنفاق وتلبية الحاجيات.

- الميل الاجتماعي لخروج المرأة للعمل رغم آثاره السلبية.حتى أننا أصبحنا نسأل عند زواج إحداهن، هل تعمل أم لا.

- انحسار العلاقات التضامنية فيها، لكثرة الانشغالات و متاعب الحياة.

- كثرة المشاكل الأسرية و التفكك في الأسر.

- زوال الحدود - إلى حد ما- التي تحكم وظائف الزوجين، بل أصبح الميل نحو مساعدة الزوجة و القيام بأعمال مثل التنظيف و رعاية الأبناء أمر وارد لدى بعض الرجال.

من كل ما سبق، يمكن القول أن الأسرة الجزائرية أصبحت تمتلك القدرة على التخلي من جهة، فقد تخلت عن: الامتداد الأسري، ووظائفها التربوية (لاسيما التعليمية)، و كثرة الأولاد. بمقابل، القدرة على التقبل أو القابلية: لشكل الأسرة النواة، وتنظيم النسل والاستقلالية ودور الحضانة وخروج المرأة للعمل، والتكنولوجيا... وغيرها.

### ثالثا. عمل المرأة الجزائرية شكل من أشكال الإعالة لأسرتها:

بداية نؤكد أن ظاهرة خروج المرأة الجزائرية للعمل ليست بالجديدة، فالمعطيات المتاحة تاريخيا، تثبت أنها مارست العديد من الأنشطة المختلفة:الاقتصادية، التي كانت تزيد من دخل الأسرة، من خلال: مساعدة الرجل في فلاحة الأرض (زرعا وحصادا) لا سيما الفلاحة. وكذا الرعي، أو العمل لوحدها في حقلها الخاص (البستان) وتربية الدواجن وحفظ المؤن والمدخرات الغذائية و المحافظة عليها، إضافة إلى نشاطات أخرى كالحياكة (الزراي، البرانس، الأعطية، الحبال، الحايك، الخيام... وصناعة الأدوات الفخارية (كالقلل، المثار، القدور، الطناجر، الطواجن، الكانون، الزير) بل إن من النشاطات ما تتكفل به المرأة دون الرجل، مثل صناعة بعض مواد الزينة في البيوت من بعض المواد الأولية(السواك، كحل العيون، الحرقوس للحواجب، والسخاب للعنق). (يحي بوعزيز، المرجع السابق: 327-332).

وفي حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، تكفلت المرأة الجزائرية بإعالة أسرتها بعد التحاق الرجال بصفوف جيش التحرير الوطني، من خلال ممارستها مختلف الأنشطة حتى أنها اشتغلت خادمة في بيوت المستعمر.

أما فيعهد الاستقلال، و نتيجة عوامل مساعدة، مثل:

- تمكين المرأة من التعليم وقبول فكرة حصولها على مؤهلات علمية.

- نشر الأفكار الجديدة التي تنظر للمرأة على أنها نصف المجتمع.
- تغيير نظرة الرجال للمرأة العاملة وإيجاد فرص عمل ملائمة لها ومساعدة الرجل لها في العمل المنزلي.
- إزالة العوائق التي تقف في طريق عملها، كبناء دور الحضانة ورياض الأطفال وضمان حق المرأة في العودة إلى العمل، بعد إجازة الولادة والاستعانة بالأجهزة المنزلية الحديثة. (هنري عزام، 1982: 272)

فقد أصبح عملها لا يوفر لها المقابل المادي فقط، ما يعنى بالمقابل مساهمتها في ميزانية الأسرة ورفع مستواها المعيشي، بل وحتى الاجتماعي.

بهذه المعطيات، يمكن القول أن عمل المرأة في مجتمعنا على مر التاريخ، كان دائما شكلا من أشكال الإعاقة للأسرة. بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك، حين نؤكد أن المرأة سواء كانت متزوجة أم لا فهي تمارس الإعاقة لأسرتها.

يخبرنا الواقع اليوم ، أن الفتاة عندما تنهى دراستها، تفضل أولا الحصول على وظيفة، وعندما يتحقق لها ذلك، فأول أمر تهتم به (خصوصا إن كانت أسرتها فقيرة) هو مساعدة الأسرة و تحسين مستواها فتجدها تحرص على شراء كل متطلبات البيت و الأفراد سواء في الأيام العادية أو في المناسبات. و إن كانت متزوجة حتى في حالة تكفلها بأسرتها الجديدة الصغيرة، إلا أنها تبقى تساعد أسرتها الأولى. ومن ثمة يمكن اعتبار أن عمل المرأة بكل صوره في مجتمعنا، كان دائما و لا يزال شكلا من أشكال الإعاقة.

#### رابعا. بائن ظاهرة إعاقة المرأة الجزائرية لأسرتها:

يهدف كل سلوك إنساني إلى تحقيق غايات معينة منها حل المشكلات، وواقع إعاقة المرأة لأسرتها في مجتمعنا، لا يخرج عن هذا النطاق، أي تحقيق الإعانة المادية أولا والمكانة الاجتماعية ثانيا. إلى جانب عوامل أخرى تدفع بالمرأة لتحمل مسؤولية الإعاقة الأسرية.

فبالنسبة للبائن الأول: (الإعاقة المادية)، فهو محكوم بأسباب تنتجها وتبدو منطقية وشائعة ومعترف بها، مثل وفاة الزوج أو تطليقه للزوجة، أو أن يكون عاطلا عن العمل

أو أن راتبه الشهري أقل من راتبها، أو بحكم طبيعة عمل الزوجة من قبل الزواج، وكل ذلك يدفع بها إلى التكفل بالعائلة وحمايتها من الفقر أو تحسين المستوى المعيشي ومن ثمة ضمان مبدأ العيش بكرامة. وفي نفس الوقت تحقيق المكانة الاجتماعية.

أما بالنسبة للبائن الثاني: (تحقيق المكانة الاجتماعية)، فنقول بداية أن المكانة الاجتماعية للفرد تتحدد، إما عن طرق الوراثة، أو لاعتبارات أخرى، مثل: السن، الخبرة، الحالة الاجتماعية والمهنية. (عبد الله محمد عبد الرحمان، 2002: 218)

وهي تقسم الناس إلى عطاء وغير عطاء، حتى أنه قيل: بعض الناس يولدون عطاء والبعض الآخر، يفرض عليهم تحقيقها. والمرأة في مجتمعاتنا بحاجة إلى تحقيق عظمتها والشعور بها كإنسان، خصوصا وأنها تعاني من عدم الاعتراف المجتمعي لها بذلك، مقابل تسليمه بعظمة الرجل، الذي يحصل على مكانته بفضل جنسه. ومن ثمة يصبح تحقيقها لمكانة اجتماعية ترضاها لنفسها، يعني تحقيق عظمتها.

وإذا كان العمل قد أضحى بمثابة المحور الذي يدور حوله المجتمع المعاصر وأنه في داخل عالم الحياة المهنية، يتشكل إحساس الفرد بذاته، وتحدد بل ويتأكد أيضا. إذ يمكن أن يعتمد إحساس الفرد بقيمته الخاصة وبتقديره لذاته بشكل حاسم على مهنته ومكانته التي يتمتع بها وأكثر من ذلك، تتم الكثير من معاملات الفرد مع مجتمعه من خلال ممارسته لعضويته المهنية. (على عبد الرزاق جلي، د.س، 229) فإن المرأة قد وجدت سبيلها إلى تحقيق المكانة الاجتماعية التي تطمح إليها، وتحقق لها ذاتها وتكسيها الاحترام والتقدير، من خلال عملها الذي يكسيها الشعور والوعي بكينونتها.

البائن الثالث: (تحقيق الاستقلالية) المادية والسكنية وحتى العلائقية، لا سيما في ظل التغيرات الراهنة، حيث أصبح كل هذا يشكل رأسمال اجتماعي للفرد، إما أن يكون له عوناً على تسيير حياته بسهولة أو يكون عائقاً يصعب عليه قضاء حوائجها.

البائن الرابع: (الرضا عن النفس)، من خلال أداء الواجب، من طبيعة المرأة الفطرية الميل إلى العاطفة والتصرف بموجها، والشعور بضرورة رد الجميل لا سيما لأهلها (سواء

كانت أسرتها الأبوية أو النووية)، لذلك تلجأ إلى تقديم المساعدة في حالة حاجة أسرتها لها، سواء على المستوى المادي أو الصحي، أو الاجتماعي.

رغم هذه البائئات، يبقى وراء كل منها خفي ينتج عنه أو يلتصق به ارتباطا أو انفصالا، لا يكشف إلا بالإفصاح عنه من صاحبه أو ملاحظته أو تجربته.

### خامسا. خفي ظاهرة إعالة المرأة الجزائرية لأسرتها:

يوصف مجتمعنا بأنه ذكوري، أي أن هناك دائما انخيازاً لجنس الذكر على حساب الأنثى، وندلل على ذلك بما يحدث في واقعنا الاجتماعي عامة وفي أسرنا بوجه خاص، نلمس ذلك في حقائق عدة نذكر أهمها:

- أن كل أسرة جزائرية، تفضل أن يكون أول مولود لها ذكراً.
- أن المحاسبة على قضية سمعة العائلة، تنسب للأنثى وتعاقب عليها أكثر مما تنسب للذكر.
- ممارسة التمييز بين الجنسين، إذ لا يوجد بيت جزائري لا تتكرر فيه قصة يوسف وإخوته ووالده يعقوب.

هذه التمايزات ليست بريئة أو محايدة، بل تمتد لتتطال مسألة عمل المرأة وإعالتها لأسرتها. نقف على ذلك من خلال طبيعة التصورات الاجتماعية حول عمل المرأة وإعالتها لأسرتها، مقارنة بعمل الرجل و تكفله بذلك.

إن ما يحدث في بيوتنا (أسرنا) يكشف عن حقيقة الأمر بكل أبعاده، سواء في مستوى العلاقات أو التعاملات أو مسألة الاحترام و التقدير أو غيرها. على هذا الأساس يأتي حديثنا عن خفي ظاهرة إعالة المرأة في الأسرة الجزائرية، كما يبينه الواقع في الحياة اليومية.

بالرجوع إلى ما حدد سابقاً من بائئات، يمكن القول أن المرأة المعيلة في مجتمعنا، تعاني من عدة مشاكل:

1. **خفي المشاكل الاجتماعية:** تفرضها سلطة العرف الاجتماعي، في مسائل عديدة، منها:
    - مسألة الزواج: إما إجباراً أو منعا بحجة سمعة العائلة.
    - مسألة السكن: أي رفض استقلالية المرأة المعيلة وانفرادها بمنزلها الخاص، بعيداً عن عائلتها (إما عائلتها الأصلية أو عائلة الزوج لاسيما في حالة وفاته). ما يجتُم عليها ضرورة أخذ القرار، إما رفضاً مع تحمل تبعات المقاطعة من طرف الأهل، أو القبول مع تحمل المشاكل التابعة له من فرض السلطة والرأي وحتى اتخاذ القرارات لها أو بدلا عنها.
    - مسألة صورة العلاقات الاجتماعية: لأننا مجتمِع يعطى أهمية بالغة لما يقوله الآخرون عنا، تجرب المرأة المعيلة على أن تحرص كل الحرص على أن تكون علاقاتها المهنية أو مع جيرانها أو معارفها، طيبة وفوق مستوى الشبهات، ما يدخلها دائماً إما في دوامة القلق أو العزلة.
  2. **خفي المشاكل الاقتصادية:** تجد المرأة المعيلة نفسها أمام ضغوطات اقتصادية تحاصرهما من كل جانب، خصوصا إن ما تكفلت بالإعالة في ظل غياب مفاجئ للمعيل، ما يحدث أزمة اقتصادية واضحة ما يضطرها للعمل إما في سن قد لا يصلح للعمل أصلاً، أو أنها في الغالب قد لا تملك المؤهلات الكافية للعمل، من حيث اكتساب المهارات أو الشهادات العلمية المناسبة أو حرفة معينة، وبهذا يزداد الضغط النفسي، المعزز بالشعور بالنقص مع الضغط الاقتصادي.
- يتجلى لنا هذا النوع من المشاكل في الأسر التي تعيلها النساء، في النقاط التالية:
- كثرة وتعدد متطلبات أفراد الأسرة وحاجات المنزل، ما قد يضاعف من مسألة كيفية تدبير الأمور، خصوصا إذا كان مرتب المعيلة غير كاف لذلك.
  - عدم القدرة على سد الحاجيات، بحسب متطلبات العصر، الذي بات يتميز بضرورة الحصول على الكماليات لا الضروريات.
3. **خفي المشاكل النفسية:** نظريا نتحدث مختلف المراجع بصفة عامة، عن المشاكل النفسية للمرأة المعيلة، فتحصرها في: المعاناة من نظرات الترحم والإشفاق من قبل الآخرين، والتي تجعلها تشعر بنقصان قيمتها الاجتماعية، ما قد يولد أزمة ثقة بالنفس. فمثل هؤلاء يشعرون بالضعف شيئا فشيئا أمام العرف الاجتماعي المهاجم، الأمر الذي

يجعلها تفضل العزلة والتواري عن المجتمع و عدم مواجهة الأحداث ما يولد حالات من الكآبة والقلق والخوف و الشعور بالوحدة مع الخلل العاطفي والشعور بالخيبة والحرمان والانتكاس مما يدفعها إلى الانتحار في بعض الأحيان.

ولو رجعنا إلى واقعنا، لوجدنا تجسيد هذا النوع من المشكلات وصوره، يظهر في نقاط عديدة هي:

- عدم التقدير والاحترام للجهد الذي تبذله المرأة المعيلة: استنادا إلى مرجعيتنا التاريخية و الثقافية، تعودنا في مجتمعنا الذكوري أن يتكفل بالإعالة الرجل (سواء كان الأب، الأخ الأكبر، الزوج) لكن غياب هذا المعيل يربك الأسرة و يدخل المرأة في دوامة التكفل بالإعالة بالنيابة، من خلال رحلة البحث عن العمل و تقديم الرعاية للأسرة دون حاجة للآخرين.

إن هذه الرحلة وما يلحق جرائها يولد لديها الإحساس بالتعب والإرهاق من جهة والشعور بعدم تقدير تضحياتها من جهة أخرى.

- الإحساس بالضعف: تولده أحكام ونظرات المحيطين الخارجيين، فعبارات مثل: مسكينة تشقى من أجل أبنائها، ماذا عساها تفعل، ينقص من قيمة جهدها المبذول ويجعلها ترى ذاتها وكأنها قد خدشت أو شوهت، ما يستحضر معه في ذات الوقت، عدم الرضا عن النفس والإحساس بالنقص وأنها دائما في درجة أقل من إن كان المعيل رجلا.

- المحاسبة الدائمة للنفس، حتى لا تقصر في أعمالها وواعلتها، لأن ذلك يعني أنها قد فشلت في مهمتها. و هذا الأمر يتنافى مع ما قامت به منذ البداية حين تكفلت بالإعالة. الأمر الذي ينجم عنه العيش في قلق دائم و توتر قد يصل إلى حد الانعزال عن الناس.

## خاتمة:

بحثت هذه المداخلة موضوع إعالة المرأة لأسرتها في مجتمعنا، من زاوية النظر إليها على أنها إنسان لا من زاوية الجنس. و من ثمة جاءت قراءة هذه الظاهرة تعمل على تبين صورة التي تقدمها المرأة لأسرتها في ظل ثقافة و ظروف يحددها المجتمع، انطلاقا من طبيعة الأسرة في حد ذاتها تكويننا و بنية و وظيفة و هدفا، وصولا إلى طبيعة المجتمع و خصوصياته.

ولتوضيح الصورة و فهم الظاهرة، وقفنا بداية عند مفهوم المرأة المعيلة، فبقدر دقة تحديد المفهوم تصفى قنوات التواصل و التفاهم و قد تتوحد الرؤى. ثم أتينا إلى الحديث عن التتبع التاريخي لتطور الأسرة الجزائرية، بغرض توضيح أنها طرف يتأثر ويؤثر في الظاهرة. بعدها خصصنا الكلام عن عمل المرأة باعتباره شكلا من أشكال الإعالة دائما، مهما اختلفت زوايا النظر إليه، لنأتى بعدها للحديث عن بائن الظاهرة وخفيها مبينين أن ما يبدو واضحا وبديهيا في شكل ظروف تدفع بالمرأة لإعالة أسرتها لحاجة اقتصادية وأخرى معنوية، إنما يخفى ويتستر على مشاكل تعانها تتجلى في صور عدة تؤثر على بدنها ونفسها وعقلها، لأن الأمر لا يتعلق بالجهد المبذول فقط وإنما يتعلق أيضا بالمقابل المنتظر من احترام وتقدير وأمان.

## قائمة المراجع:

- بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر، في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
1. بوتفوشت مصطفى، العائلة الجزائرية الحديثة، التطور والخصائص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
  2. عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع، النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، 2002.
  3. عدلي أبوطاحون، فيالتغير الاجتماعي- المفاهيم والنظريات، الاتجاهات والأنماط الإستراتيجية آثار و المعوقات لمروداتوالتكاليفالتياس، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1997 .
  4. علي عبد الرزاق جلبي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.س .
  5. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد التينينيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2003.
  6. هنري عزام، المرأة العربية و العمل: مشاركة المرأة العربية في القوى العاملة و دورها في عملية التنمية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982.



## المسن في الأسرة الجزائرية

- حاجات متجددة ومشكلات متعددة -

د. جمال تالي - جامعة جيجل - الجزائر

### Résumé :

Ce document de recherche essaie de dévoiler les différents besoins psychologiques, sociaux et matériels de la personne âgée surtout ceux créés par les changements connus par la société algérienne dernièrement. Ainsi qu'elle vise à révéler les différents problèmes de lesquels souffre cette catégorie.

### الملخص :

تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن مختلف الحاجات النفسية والاجتماعية والمادية للمسن خاصة تلك التي أفرزتها التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري مؤخرا، كما تسعى من جهة أخرى إلى الكشف عن مختلف المشكلات التي تعانيها هذه الفئة.

### مقدمة:

خضعت الأسرة الجزائرية للعديد من المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية خارجية وداخلية مما ترتب عنها تغيرات جوهرية مستها في البنية والوظيفة، وتغيرات في الأدوار المتوقعة من أفرادها والمكانة التي يحظون بها، ومن ثم تغيرات في النسق القيمي الذي ينظم العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية ويحرك عميلة التنشئة الاجتماعية فيها بمختلف أنماطها وخاصة فئة المسنين التي أصبحت تشهد حاجات تعجز الأسر عن تلبيتها وتعاني مشكلات حمة.

والحقيقة أنه للمسن في الأسرة الجزائرية حاجات كثيرة ومتجددة تجدد الحياة الاجتماعية نفسها خاصة في ظل فقدان المسن للكثير من وظائفه التقليدية ما يجعله يملك وقت فراغ أكبر وما يعانيه من ضعف على المستوى الصحي يجعله يحتاج إلى رعاية خاصة،

ناهيك عن الحالة النفسية التي يعيشها المسن في هذه المرحلة وتتأثر بالوضع العام للأسرة ولأفرادها ومكانة المسن فيها.

إذن هناك العديد من الحاجات التي تقابل مرحلة الشيخوخة والتي قد تعجز الأسرة عن تلبيتها وتوفيرها للمسن، مما يخلق مشكلات نفسية واجتماعية للمسن وحتى للأسرة نفسها يعبر عنها في سلوكات مرضية تنتج بدورها مشكلات متعددة يتوجب على الأسر ومختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية العمل على الحد منها والتكفل بفئة المسنين بشكل أفضل.

وعليه تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن مختلف الحاجات النفسية والاجتماعية والمادية للمسن خاصة تلك التي أفرزتها التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري مؤخرا، كما تسعى من جهة أخرى إلى الكشف عن مختلف المشكلات التي تعانيها هذه الفئة.

### أولا: النسق القيمي والنموذج الجديد للأسرة الجزائرية:

إن النموذج الجديد للأسرة الجزائرية والذي ارتسمت ملامحه بشكل جلي في الوقت الراهن، أفقدها الكثير من خصائصها التقليدية سواء من حيث البنية أو الوظيفة، فعلى الرغم من كونها أكثر مؤسسات التنشئة الاجتماعية تأثيرا في الفرد وتنشئته على قيم ومعايير المجتمع، إلا أن بنيتها فقدت النمط التقليدي الذي يجعل العائلة مفهوما يجمع عدة أسر ويجعل من التراتبية في العمر معيارا للاحترام وتحديد الأدوار والوظائف داخلها. أما وظيفتها فهي تبعا لبنيتها تقتصر على تربية الأبناء وتأمين احتياجاتهم ولا تكاد نجد أسرة تجمع بين الجد والجددة والأولاد.

إن النسق القيمي الذي اهتز بفعل التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والانفتاح على المجتمعات الغربية إعلاميا وثقافيا، أثر كثيرا على الأدوار والوظائف داخلها، كما أثر على قيم الطاعة والولاء داخل الأسرة الجزائرية، والتي إلى وقت قريب كان المسن فيها مرجعية الصغار ومصدر الأمر والنهي، في عائلات تضم عديد الأسر نجد المسن محل تقدير ووقار ومصدر استشارة ورأي.

ونحن إذ ناقش بنية ووظيفة الأسرة الجزائرية يجب أن نضعها في السياق السياسي والاقتصادي والثقافي الذي أنتجها وتفاعل فيه، ثم ناقش مكانة الأفراد داخلها وأدوارهم، والحقيقة أن الحديث عن العائلة الممتدة كانت انعكاسا للنمط السياسي الذي اعتمد على الحزب الواحد والمركزية في التسيير، واقتصاد اشتراكي يعتمد على توزيع الثروة والمساواة بين الجميع، فكانت العائلة الجزائرية تضم عدة أسر ويسيرها الأكبر سنا، مدعوما بنمط قيمي سياسي واقتصادي وثقافي لا يستطيع أي فرد الخروج عنه.

لكن ونظرا للتغيرات الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وفشل الاقتصاد الاشتراكي في خلق الثروة المعتمد على توزيع الربح، وبعد الانفتاح السياسي والإعلامي والثقافي ودخول الجزائر اقتصاد السوق وخصوصة المؤسسات العمومية وتسريح العمال، فقدت العائلة كمنمط مؤسساتي القيم الداعمة لها واهتزت منظومة القيم فيها، وأضحى الفردانية والأنانية واللامبالاة وحب الملكية والتحرر وتحقيق الذات والسعي لتحقيق النجاح الاجتماعي بأي وسيلة بديلا عن التضامن والتماسك الاجتماعي والتضحية والتوزيع، ما مهد لاندثار النمط التقليدي للأسرة، مقابل نمط جديد تعمل فيه المرأة والرجل معا من أجل تأمين الاحتياجات الأسرية.

وفقا لتلك التحولات فقد المسنون مكانتهم وأدوارهم بل وأصبحوا في بعض الأحيان يشكلون عبئا أو عالة على الأبناء داخل الأسر التي ينتمون إليها، وهو ما جعل الدولة تفتح دورا للعجزة والمسنين للتكفل بهم، وكأن الدولة أصبحت تقوم بإحدى الوظائف التي كانت تضطلع بها الأسرة الجزائرية.

### ثانيا: المكانة الاجتماعية للمسن في المجتمع الجزائري:

يمكن أن نتحدد مكانة المسن في المجتمع الجزائري من خلال المكانة التي حظي بها في الدين الإسلامي، فالمسن هو الأب والأم قبل أن يكون الجد والجدة حيث أوصانا الله بها خيرا: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"<sup>1</sup> فلاحترام والتقدير والطاعة والاعتناء بها وتوفير كافة متطلباتهم

واحتياجاتهم من واجبات الأبناء اتجاههم، بل وجعل الله سبحانه وتعالى معصية الوالدين من معصيته وبرهما من بره.

إن ما أشرنا إليه آنفا من تحلل الشكل التقليدي لنمط العائلة و بروز النموذج الجديد للأسرة لا يعني بأي حال من الأحوال الانتقال الكامل من التقليدي إلى الحداثي، بل نحن إزاء نموذجين متداخلين ومتناقضين والحال إن النظامين السياسي والاقتصادي في الجزائر لم يحققا الانتقال الكامل بدورها من الوضع التقليدي، بل ما هو موجود مجرد تعايش لنظامين اقتصاديين وسياسيين متناقضين. هذا من شأنه أن يؤثر في منظومة القيم ويجعل من الأزمة القيمية والازدواجية بين الفكر والممارسة، بين ما ننادي به وما نفعله عنوانا لكل أزمتنا ومشكلاتنا الاجتماعية. ألا يعي اغلب أفراد المجتمع الجزائري فضل بر الوالدين والآيات الدالة على ذلك والأحاديث، لكن كيف نفسر التزايد المتنامي لدور العجزة وارتفاع نزلائها؟

لقد تحول وضع المسنين في مجتمعا وتدهورت مكانتهم وتقلصت وظائفهم؛ فمن دورهم القائد في المجتمع والأسرة خاصة في المناطق الريفية، والمكانة التي يحظون بها من تبجيل واحترام ودورهم في حل النزاعات وإحداث الصلح بين أفراد المجتمع والفصل في الخصومات، كحال "الأعيان" أو "الجماعة" التي يلتقي فيها كبار القرية ومسنيها لمعالجة القضايا الخاصة بقريتهم ومشاكلها، أين تقرر في بعض الأحيان عقوبات على أفرادها الخارجين على عرفها وعاداتها وتقاليدها.<sup>2</sup>

فالمسن يعتبر قائدا روحيا ومسؤولا على أسرته وإعالتها وهو بذلك يجد كل الاحترام والتقدير ويمارس أدواره وهو يمتلك سلطة مستمدة من مكانته الاجتماعية المدعومة بنظام القيم السائد في المجتمع، وبالتالي لم تكن تطرح فئة المسنين في المجتمع الجزائري كفتنة تحتاج للتكفل والى مؤسسات ترعاها، نظرا لدورها القائد في المجتمع والحفاظ على قيمه.

لكن مع ذكرناه من تغيرات طرأت على النسق القيمي ومؤسسات التنشئة في المجتمع الجزائري، أصبح المسن خاصة بعد التقاعد يحس بالاغتراب واللامعنى وعدم الجدوى، "فمن المهم أن يشعر المسن أنه مازال يلعب دوره في الحياة وبأن المجتمع وعائلته مازالوا في حاجة له

ولخدماته ليحدث التوافق النفسي ومنه التكيف الاجتماعي للمسن، فالدور مرتبط بمشاركة الآخرين<sup>3</sup>.

## ثالثا: مشكلات المسنين في المجتمع الجزائري:

### 1. المشاكل الصحية:

تتوقف الحالة الصحية للمسن على عوامل عديدة مثل المستوى المعيشي والمستوى التعليمي ومدى ممارسته للرياضة والأعمال التي كان يزاولها قبل تقاعده، كما أن للحالة الصحية للمسن تأثير كبير في مدى تكيفه مع المرحلة العمرية التي يمر بها.

"وفيما يخص الأمراض الخاصة بكبار السن فهي في الواقع تغير وظيفي يعبر عن ضعف احتياطي الدم للأعضاء الهامة مثل المخ والقلب والكليتين... واضمحلال البصر بصفة عامة، وانخفاض قدرة العين على الاستجابة للتغيرات التي تحدث في الضوء، كما تضعف حاسة السمع لدى المسنين مما يسبب لهم العديد من المشكلات."<sup>4</sup>

ولا شك أن قدرات المسنين تقل بالنسبة للنشاط العقلي المتمثل في التذكر والتخيل والإدراك، إلا أنهم يحتفظون بحيوتهم فيما يخص استخدامهم للغة والمعلومات العامة التي تركز على التجارب العامة.<sup>5</sup>

وقد سجل علماء النفس العديد من التغيرات النفسية المصاحبة للتقدم في السن والتي تؤثر على وظائفهم الجسمية والعقلية، وقد يزيد من حدة المشكلات الصحية للمسنين بعض المعوقات والتي ترجع للمسن نفسه، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:<sup>6</sup>

- عدم الاهتمام بالفحص الطبي الدوري من طرف المسنين.
- عدم إدراك المسن بخطورة علاجه لنفسه بعيدا عن الإشراف الطبي.
- عدم فهم أسر المسنين بأمراض الشيخوخة والحاجات التي تتطلبها المرحلة وعدم تقديم الرعاية لهم.
- خوف بعض المسنين من البقاء في المستشفى والابتعاد عن الجو الأسري الذي يحتاجونه وبالفون.

- عدم قدرة معظم المسنين على تحمل نفقات العلاج نظرا لضعف منحة التقاعد.

## 2. المشاكل الاجتماعية:

يمكن أن نناقش في هذا الصدد المشكلات المتعلقة بالعلاقات الأسرية، حيث تعتبر عنصرا مهما للحفاظ على تضامن الأسرة وتماسكها، وتلعب الأسرة دورا هاما في حياة المسن إذ تشكل بالنسبة له محور الاهتمام واهم دوائر الانتماء لديه، لكن مع التغيرات التي ذكرناها آفا والتي صاحبها تغيرات في البنية والوظائف ومن ثم مشكلات في العلاقات الأسرية والعاطفية، راح ضحيتها كبار السن، كأفراد فقدوا وظائفهم وأدوارهم ومكانتهم، وتباعد عنهم أبنائهم، مما يترك آثارا سلبية على حياتهم النفسية والاجتماعية.

ويمكن أن نذكر أهم المشكلات التي يواجهها المسنون داخل أسرهم :

- الشعور بالفراغ والوحدة النفسية.
- القلق بسبب تحول المكانة داخل الأسرة.
- قلق الموت.
- الحساسية الزائدة بسبب افتقارهم اهتمام الأهل والأقارب.
- المشكلات النفسية التي قد تتحول إلى حالات مرضية.
- المشكلات الصحية والاقتصادية.
- رغبة الأبناء في الانفصال وبناء حياة مستقلة.

## 3. مشاكل وقت الفراغ:

يشكل وقت الفراغ بالنسبة للمسن قلقا كبيرا نظرا لفقدان المسن لوظيفته ولأصدقائه ولدوائر الانتماء التي قضى عمره وهو ينتقل بينها، كما أن لتقلص دوره الاجتماعي وعدم القدرة على إيجاد ما يشغله أو ما يفعله من هوايات أو أعمال يترتب عنه مشكلات تؤثر على الصحة النفسية للمسن.

ولقد اهتمت الدول المتقدمة بشغل أوقات الفراغ للمسنين بفتح النوادي وبعض المؤسسات للتكفل بهم، أو بوضع برامج تجذب المسنين وتسليهم، غير انه وفي حالة المجتمع الجزائري فان المسنين يعانون وبدرجة كبيرة فلا نكاد نشاهد شوارع أو أرصفة أو مقاهي

تخلو من المسنين وبصفة يومية ومنتظمة، ولعل المسجد هو المؤسسة الوحيدة التي تنظم وقت المسن.

#### 4. مشاكل نفسية (الاكتئاب):

يختلف انتشار الاكتئاب بين المسنين من مجتمع لآخر ومن أسرة لأخرى داخل المجتمع الواحد بحسب العوامل الثقافية والاجتماعية، وهناك العديد من الدراسات النفسية التي تشير إلى تزايد عدد المسنين الذين يعانون من الاكتئاب، وقد يعزى إلى تزايد الضغوطات الاجتماعية والنفسية على المسنين نظرا لسرعة التغير الاجتماعي، والإصابة ببعض الأمراض المزمنة والتي تؤثر كثيرا على الحالة النفسية للمسن.

ويمكن أن نقر بان المسن يعاني من حالة اكتئاب إذا ظهر عليه أربع حالات من الآتي:<sup>7</sup>

- ضعف الشهية وتناقص الوزن أو العكس
- الأرق أو النوم المفرط
- فقدان الاهتمام أو السرور في الأنشطة المعتادة
- تناقص في الطاقة مع الشعور بالإجهاد
- الإحساس بانعدام القيمة ولوم الذات والإحساس بالذنب
- الشكوى والاستياء الدائم من الوضع، والتظاهر بتناقص القدرة على التفكير.
- تكرار التفكير في الموت والحديث عنها بصفة دورية، والتمني انه لو كان ميتا أفضل.

#### رابعا: حاجات المسنين في المجتمع الجزائري:

إن احتياجات المسنين تعبر عن الأمور الضرورية التي يجب أن تتوفر للمسن بما يتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها وحاجاتها، والتغيرات التي يعايشها وما تتركه من آثار على حالته النفسية والجسمية وعلى علاقاته الاجتماعية ومستوى التكيف والاندماج في الأسرة والمجتمع، من اجل تحقيق توافق اجتماعي أفضل.

### 1. الاحتياجات الاقتصادية:

تختلف أوضاع المسنين في الأسر وفي المجتمع باختلاف قيمة الدخل الذي يتحصلون عليه أو انعدامه، فمع تقاعد المسن تتناقص موارده المادية وتزداد احتياجاته ومطالب أسرته، وفي حالة المجتمع الجزائري الذي تنهوى فيه القدرة الشرائية يوميا مع ثبات كلي للأجور، يجد المسن نفسه عاجزا عن تلبية حاجاته التي تفوق ما يحصل عليه من دخل.

### 2. الاحتياجات الصحية والنفسية:

يحتاج المسنون إلى الرعاية الصحية وذلك عند ضعف قدرتهم الجسمية واصلبه بعضهم بأمراض الشيخوخة، مما يجعلهم ينظرون إلى أي رعاية صحية على أنها لا قيمة لها، ذلك لخوفهم من الأمراض التي لا تقوى أجسامهم على مقاومتها. كما تزداد حاجة المسن إلى برامج الرعاية الصحية البدنية منها والنفسية كلما تقدم به العمر ومن الضروري العمل على توفير ما يحتاجه من هذه البرامج بحيث تكون موجودة وفي متناولهم.<sup>8</sup>

ومن الضروري عدم الإكثار من الأدوية للمسن نظرا للآثار الجانبية التي تتركها، وعدم تركه يرقد في الفراش لمدة طويلة لأنه تترتب عليه ظهور أمراض أخرى خطيرة وضعف وضمور في العضلات والعظام.

### 3. الاحتياجات الترفيهية:

لدى المسنين وقت فراغ طويل يجب استغلاله وتوفير البرامج الملائمة لهم من اجل الترفيه والتي تتماشى مع رغباتهم وحاجاتهم، والعمل على تقوية الإحساس لدى كبار السن بأن المجتمع مازال في حاجة إليهم، وأنهم مازالوا يملكون القدرة على الحياة، كما يمكن الاستفادة من تجارب الدول الأجنبية في مجال مؤسسات رعاية المسنين لتغيير نظرة كبار السن من حياة خالية من النشاط والحركة إلى حياة حيوية وتجديد أملهم في الحياة.<sup>9</sup> فهم بحاجة إلى ممارسة نشاطٍ محببٍ لهم، يعبرون فيه عن مشاعرهم، ويبرزون فيه مواهبهم، بحيث يتوافق مع شخصيتهم ورغباتهم واحتياجاتهم.

#### 4. الاحتياجات الاجتماعية:

إن معظم المسنين يعانون من تراجع في العلاقات الاجتماعية وقطع صلتهم بأصدقاء العمل بحكم الابتعاد عن مكان العمل، وبالتالي فإنهم يحسون بالوحدة والعزلة عن المجتمع بسبب التقدم في السن.

فيحتاج المسن دائماً إلى تعزيز علاقاته الاجتماعية حتى يزول إحساسه بالوحشة؛ نتيجة العزلة بعد ترك العمل، فكبار السن يكونون في أمس الحاجة إلى تدعيم علاقاتهم الاجتماعية؛ لمواجهة تلك التغيرات الاجتماعية، وفي مقدّمة ذلك: احتياجهم إلى تدعيم علاقاتهم الأسرية، كما أنهم يحتاجوا أن يُساعدهم الأهل على قضاء احتياجاتهم، مثل: تناول الطعام، والقيام بالأعمال المنزلية، والحصول على العلاج الطبيعي.

#### 5. الحاجة إلى الرعاية:

تتجاوز شريحة المسنين في المجتمع الجزائري المليونين، ويصل عددهم بالضبط إلى حدود 2,530,713 نسمة، من ضمنها أكثر من مليون و255 ألف رجل مقابل مليون و275 ألف امرأة، أغلبهم يعانون من التهميش والإقصاء في مجتمع يكرس تغييب دور المسن ويصر بإحالتهم على الرف بمجرد انتهاء صلاحيته التي يحددها سن التقاعد. شريحة كبيرة تعاني التهميش والإقصاء فتقع بالتالي في دوامة الأمراض النفسية والجسدية.<sup>10</sup>

ونظراً لما يطرأ على كبار السن من تغيرات تنعكس بدورها على صحتهم وحالاتهم النفسية، فهم بحاجة إلى رعاية خاصة، وهو ما أكدت عليه الدراسات العلمية، حيث أشارت إلى أن المسن في حاجة إلى نظام رعاية صحي يكفل له الأمن الاقتصادي، والرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية، ويكفل له المشاركة في عمليات التنمية والاستفادة من خبراته في مجال تخصصه، بما يتناسب مع إمكانياته الجسمية وقدراته العقلية، حتى يستطيع أن يسهم في النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

للأبناء دور:<sup>11</sup>

ويقع على الأبناء عبء كبير في توفير الرعاية والعناية والتعاطف نحو آباءهم وأمهاتهم؛ لأن الأب لا تتحقق له السعادة والإشباع النفسي والطمأنينة القلبية إلا إذا شعر بأن أبناءه وبناته باؤون به، متعلقون به، حريصون على راحته، فالأب المسنُّ والأم المسنَّة لا يستطيعان الاستغناء عن عطف وحنان أبنائهما؛ لذا فعلى الأبناء أن يعلموا أن سلامة الحالة النفسية للمسنِّ تتطلب رعاية نفسيةً صحيحةً، وتأمين الاحتياجات المادية والنفسية من خلال تهيئة المناخ له؛ كي يحتفظ بدورٍ فاعلٍ في الحياة يُشعره بأهميته، وعليهم الصبر عليه، وحسن معاملته، ورعايته النفسية والاجتماعية، ومساعدته على تقبُّل نفسه كفرِّدٍ له مكانته في المجتمع الذي يعيش فيه؛ حتى يستطيع التكيف مع الحياة الجديدة.

## للدولة دور:

كما يجب على الدولة مساعدة كبار السنِّ على التكيف الاجتماعي، وعليها الاهتمام بدراسة الظروف النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية لهم في المناطق والبيئات المختلفة، ويجب عليها أيضاً تشجيع ودعم الجمعيات التي تعمل في مجال رعاية المسنِّين، وإعداد المهنيين المسؤولين عن رعاية المسنِّين من أطباء وأخصائيين نفسيين واجتماعيين وغير ذلك من المتخصصين في الشئون المتعلقة بالمسنِّين ومشكلاتهم، والعمل على توعية الفئات العمرية المختلفة بمشكلات كبار السنِّ، وكيفية التعامل معها.

## للمنظمات دور:

وكذلك يجب على المنظمات الحكومية وغير الحكومية أن تُساعد كبار السنِّ على التكيف مع وضعهم الجديد، حيث تقوم المنظمات غير الحكومية من جمعيات واتحاداتٍ و نقاباتٍ وغيرها بعقد الندوات الثقافية لتوعية كبار السنِّ بخصائص هذه المرحلة، وإعداد كبار السنِّ المُقبِلون على التقاعد من خلال برامج التوعية، التي توجههم إلى ممارسة بعض الهوايات والفنون التي تخفِّف من ضغوط الحياة عليهم، كما أنَّ هذه المنظمات عليها استقطاب مساعداتٍ ماليةٍ من رجال الأعمال والمستثمرين للإيقاع على مشروعاتٍ من شأنها تقديم خدماتٍ صحيةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ لكبار السنِّ، والارتقاء بمستوى التعامل

الاجتياي الفقال مع كبار السرّ وفقّ فهم عميقٍ لاحتياجاتهم وظروفهم وأحوالهم الجسمية والنفسية والاجتماعية.

### خامسا: واقع التكفل بالمسنين:

يشير المرسوم رقم 80-82 المؤرخ في 15 مارس 1980 (المتضمن لإحداث دور العجزة والمسنين وتنظيمها وتشغيلها) فيما يشير إليه إلى أن دور العجزة والمسنين "تستقبل المسنين الذين تعدوا سن 65 ولا يتمتعون بأي دعم عائلي ولا أي موارد مالية وكذا بالنسبة للعجزة والمعوقين حركيا الذين تعدوا سن 15 سنة ولا يتمتعون بأي دعم عائلي ولا موارد مالية والذين يثبت عجزهم عن العمل وإعادة التأهيل الوظيفي".

غير أن واقع الحال، أن دور العجزة والمسنين تستقبل فئات أخرى ولا تتوفر على شروط الراحة والتكفل الجيد بالمسن، ويمكن القول أن الفئات المستقبلية في دور العجزة تتميز بالخصائص التالية:

- المسنون الذين لم يبلغوا سن 60 سنة بعد.
- المهمشون (مدمنو الكحول والمخدرات والمشردون).
- اليتامى القصر مجهولي الآباء الذين لم يدمجوا.
- النساء اللواتي يعانين مشاكل (الأهمات العازبات ...).
- حالات الرفض الأسري من كلا الجهتين.

غير انه ليس كل المسنين بحاجة إلى رعاية الدولة، وعليه فان أوضاع المسنين تختلف من أسرة لأخرى وتتحدد في الغالب حسب مكانتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الأسرية، كما أن للمهنة التي كانوا يشغلونها دور كبير تحديد وضعهم الاجتماعي، غير أن الرعاية الأسرية هي التي تستطيع إشباع حاجات المسن والتكفل به، باعتبار الانتماء النفسي للمسن وتفاعله مع أفراد أسرته، أما المؤسسات البديلة للأسرة فأثبتت الدراسات أنها لا تزال بعيدة عن تحقيق أهدافها، وأنها تأوي فئات اجتماعية ليست من اختصاصها.

## خاتمة:

يتبين أن التحولات التي عايشها المجتمع الجزائري في فترات سابقة كانت لها آثار كبيرة على الأنساق ووظائفها مما جعل العديد من المؤسسات الاجتماعية تفقد شكلها التقليدي لتنسجم مع النموذج الجديد، وهو ما أفقدها وظائفها وحدّ من أدوارها، ولعل الأسرة بمفهومها التقليدي أكبر المتضررين من تلك التحولات نظرا لسرعة التغير الاجتماعي، وطول الفترة الانتقالية من وضع المجتمع التقليدي إلى مجتمع منفتح ثقافيا وإعلاميا ومتعدد سياسيا ومتحرر اقتصاديا.

وإذا ما أردنا وضع المسن في مكانته الحقيقية، فنحن مجتمع شاب يحكمه المسنون ويسيرون أموره ويرسمون مستقبله، يتأسسون المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، على العكس تماما من المجتمعات الغربية التي أغلبتها من المسنين ونجد الشباب في مراكز قيادية متقدمة.

كما أن المسنين في الجزائر فئة تعاني من مشكلات متعددة نفسية واجتماعية وصحية وأسرية واقتصادية، كما تعاني باقي الفئات الاجتماعية من أطفال ونساء وشباب وهذا راجع بالأساس إلى عدم وجود سياسات تنموية تهتم بالفرد في مختلف مراحل العمرية، فالمدنية في الجزائر مثلا لا تتيح فضاءات مفتوحة لمختلف الفئات العمرية للترويج وممارسة الأنشطة الثقافية والرياضية وان وجدت فإنها لا تفي بالغرض.

ودور العجزة بالشكل الذي وصفناه وحسب الكثير من الدراسات السوسولوجية لا تعدوا أن تكون أماكن لاحتجاز المسنين بمختلف حالاتهم الاجتماعية، وتجمع بين المرضى نفسيا وعقليا والمشردين وبين من تخلت عنهم عائلاتهم وغيرهم من الفئات المحرومة.

## المراجع والهوامش:

- 1 سورة لقمان الآية 14
2. مصطفى بوتفوشت، ترجمة: أحمد دمري: العائلة الجزائرية (التطور والخصائص الحديثة). ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، ص 257
- 3 محمود السيد ابويليل: علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 308.
- 4 سيد سلامة إبراهيم: رعاية المسنين، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ج 2، 1997، ص 148
- 5 المرجع نفسه، 143
- 6 أمزيان نعيمة: الآثار السوسيواقتصادية لحدث التقاعد على فئة العمر الثالث، دراسة ميدانية على فئة المسنين بباب الوادي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الديمغرافي، جامعة الجزائر، 2004.2005، غير منشورة، ص 60
- 7 المرجع السابق: ص 61.
- 8 هدى محمد قناوي: سيكولوجية المسنين، مركز التنمية البشرية والمعلومات، الجيزة/ مصر، 1987، ص 71.
- 9 المرجع نفسه، ص 181
- 10 المسنون في الجزائر: <http://www.djazairss.com/elhiwar/36882>
11. محمود عثمان: الحاجات النفسية والاجتماعية للمسنين، <http://www.albedaya-algadida.com/page/index/10637>



## ملامح التغير في علاقات الأبناء والآباء في الأسرة الجزائرية المعاصرة - رؤية سوسولوجية-

د. نوال حادوش - جامعة سطيف 2 - الجزائر

### Résumé :

Mon essai est le fruit de la consultation de ce qui est écrit, au niveau macrosociologique ou microsociologique, sur l'institution familiale algérienne en général soit en français ou en arabe pour éviter les préjugements sur cette institution, ce qui se passe dedans et le changement qu'elle a connu. Comme les brefs propos sur l'absence de l'autorité de contrôle dans les familles et la fragilité de ses ressources de sa culture éducationnelle et la baisse de leurs rôles d'être à peine économiques, la dualité de la prise de décision entre les parents qui était unique auparavant, les faibles rapports sociaux, la baisse de la sécurité familiale, etc... J'ai commencé en principe par dévoiler les différences entre les deux modèles classique et moderne de l'institution familiale algérienne, puis j'ai employé la méthode de la logique dissociative de l'institution familiale nucléaire de part des éléments pour arriver à décrire les traits de la relation entre la plupart de ces éléments et par conséquent identifier ce qui s'est changé là, comment et pourquoi?

### الملخص :

تندرج محاولتي هذه، والتي تعد ثمرة الاطلاع على ما كتب إن كان على المستوى الماكروسوسولوجي أو الميكروسوسولوجي حول المؤسسة الأسرية الجزائرية عموما إن كان باللغة الفرنسية أو اللغة العربية مجانبة الاستعجال والتسرع في استصدار الأحكام على هذه المؤسسة وعما يحدث ضمنها و لما شأها من تغيرات، كالحديث المقتضب عن غياب سلطة الضبط داخل الأسر و هشاشة مصادر ثقافتها التربوية وتقلص أدوارها لأن تصبح بالكاد اقتصادية، ازدواجية القرار بين الأبوين بعد أن كان أحاديا، ضعف أواصر الصلة الاجتماعية، تراجع الأمن العائلي وما إلى ذلك؛ إذ عمدت مبدئيا إلى تبيان الفروق بين النموذجين الكلاسيكي و النموذج المعاصر للمؤسسة الأسرية الجزائرية وبعده استخدام منهجية المنطق التفكيكي للمؤسسة الأسرية النووية من حيث العناصر لتأوصل بعد ذلك لوصف ملامح العلاقة بين جل هذه العناصر ومنه لتحديد ما تغير فيها، كيف ولماذا؟.

## مقدمة:

كثيرة هي المحاولات السوسولوجية التي سعت لمقاربة التغيير الاجتماعي الحاصل على مستوى المؤسسة الأسرية في المجتمع الجزائري التي أصابها ما أصابها من تحول وتبدل، ساهمت فيها جملة من العوامل مجتمعة أو منفردة في ظل المناخ الحداثي والمعولم المميز لحياة المجتمعات اليوم؛ إن كان من حيث البنية الشكلية، الأنماط، الوظائف، المكانات والأدوار، العلاقات الأسرية والمضمون التربوي الذي تنقله وما إلى ذلك.

ليتم الحديث بالتالي على جل المقارقات الماكروسوسولوجية التي تهتم بالأسرة باعتبارها تنظيمًا، مؤسسة أو نسقاله ما له من التمهصلات مع باقي التنظيمات، المؤسسات والأنساق الاجتماعية الأخرى؛ والميكروسوسولوجية التي تلتفت أكثر إلى الممارسات الاجتماعية الكائنة ضمن المؤسسة الأسرية، بدءًا من تصور العلاقة الزوجية، ولكيفيات تجسيدها ووصولًا إلى إنجاب الأبناء وتسمياتهم وسبل تربيتهم والوسائل المستعملة لذلك؛ باعتبار أن مثل هذه المواضيع قد أضحت مؤشرات سوسيوثقوية- دلالية بامتياز، وممررة بشكل مستمر ومتواصل لرسائل تم عن تغير راديكالي على مستوى التمثيلات، الاتجاهات والتصورات التربوية.

لذا، لا يمكن لمحاولتي إلا أن تندرج وبعد الاطلاع على ما كتب حول المؤسسة الأسرية على المستوى المحلي إن كان باللغة الفرنسية أو اللغة العربية<sup>1</sup>، إلا ضمن هذه الزاوية الميكروسوسولوجية لمقاربة التغيير الذي أصاب مستوى العلاقات بين الأولياء والأبناء ومنه للمضمون التربوي الذي يُنقل لهؤلاء، كل ذلك في ظل الاختلالات التي تعرفها الأسرة الجزائرية من جراء محاولاتها لمسايرة التحولات الثقافية، الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية السريعة.

إن الوضعيات الجديدة في الأنماط الأسرية والعلاقات القائمة بين أفرادها قد سايرت لحد ما التغييرات العامة للمجتمع<sup>2</sup>. لدرجة أنها أصبحت تظهر وكأنها السبب في إبراز هذه التغييرات؛ إذ تكفي الإشارة للتغير العلائقي ضمن المؤسسة التربوية، حتى يتم استدعاء مختلف محددات التغيير الأسري عموماً: كالتحول غير الكامل والمشوه من الأسرة الممتدة

إلى الأسرة الزواجية النووية وما انجر عنه من تحويرات بنيوية ووظيفية وعلائقية من جهة الأقرباء والجيران، والهجرة الداخلية والنزوح الريفي للنماذج الأسرية التي اعتادت الصيغة الجماعية الموسعة للمعيشة والإنتاج التشاركي المجسد أساسا في الأنشطة الزراعية والحيوانية والمؤسس بالتالي لعلاقات اجتماعية مبنية على المصلحة المعنوية العامة التي يحكمها العمل الذي يأخذ اعتبارات السلالة، القرابة والتضامن وغيرها، والثورة الاتصالية والتكنولوجية الحاملة في طياتها لفلسفة التحضر ولجوهر النمو بمعناه الاقتصادي، التي دفعت بالمؤسسات الأسرية لأن تكون في مواجهة حاضر جديد من العولمات بصيغة الجمع لا المفرد:

- الثقافية الحادثة على مستوى القيم، التقاليد، الدين والأعراف؛

- الاقتصادية: من جهة العادات الانتاجية والسلوكات الاستهلاكية، الادخارية، الاستثمارية بل وحتى الاستغلالية والاحتكارية؛

- السياسية: كتنصيرات الحقوق والواجبات ومفاهيم القانون، الانتماء والهوية.

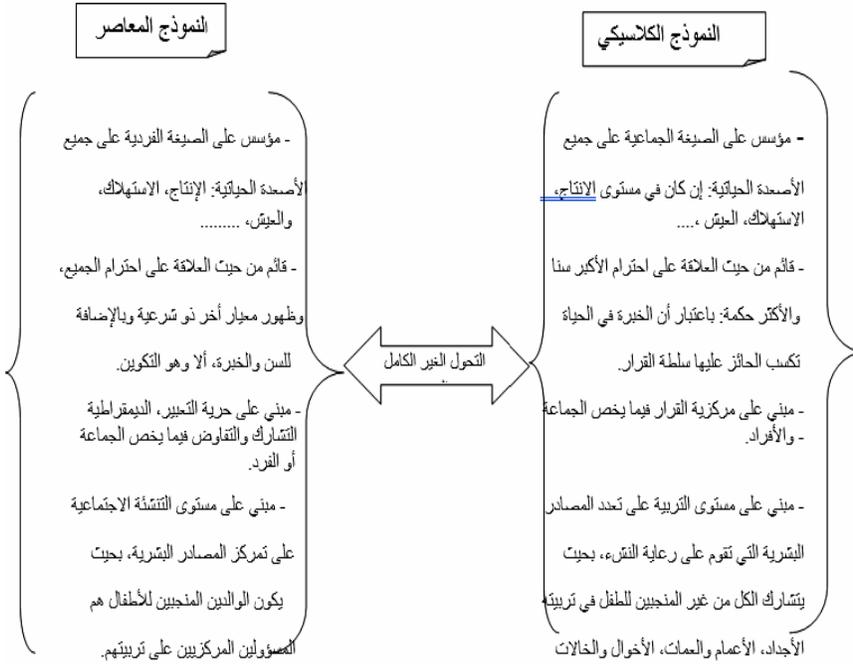
وعليه، فنحن وان لا تغفل دور هذه المحددات ولا نفصل تأثيرها على العلاقات بين الآباء والأبناء داخل المؤسسة الأسرية، إلا أننا نركز على حقيقة مفادها أن التحول العلائقي الحادث ناتج بالأساس عن عوامل متفاعلة وبشكل معقد داخل المؤسسة ذاتها، مستوحية مبادئه مما يحدث خارج أسوارها، أي ضمن المنظومة المجتمعية الكلية.

ومنه، وبعيدا على الاستعجال والتسرع في استصدار الأحكام، كالحديث عن غياب سلطة الضبط القائمة داخل الأسر وهشاشة مصادر ثقافتها التربوية وتقلص أدوارها لأن تصبح بالكاد اقتصادية، ازدواجية القرار بين الأبوين بعد أن كان أحاديا، ضعف أو اصر الصلة الاجتماعية، تراجع الأمن العائلي وما إلى ذلك.

عمدنا مبدئيا إلى تبيان الفروق بين النموذجين الكلاسيكي والنموذج المعاصر للمؤسسة الأسرية الجزائرية وبعده استخدام منهجية المنطق التفكيكي للمؤسسة الأسرية النووية من حيث العناصر لتتوصل بعد ذلك لوصف ملامح العلاقة بين جل هذه العناصر ومنه لتحديد ما تغير فيها، كيف ولماذا؟

## أولاً: في مقارنة المؤسسة الأسرية بين الأمس واليوم:

كما سبق وتمت الإشارة إليه فيما أعلاه، فإن المجتمع الجزائري قد شهد وعلى جميع المستويات تغييرات إن كانت كمية أو نوعية راديكالية، ولعل المؤسسة الأسرية، هي نموذج من بين النماذج المؤسساتية الأخرى التي تعكس هذا التحول سيما على مستوى البنية أو الوظيفة أو العلاقة بين أطرافها؛ الشيء الذي سنحاول التعبير عنه من خلال المخطط التالي:



وعليه، فنحن بهذا المخطط المقارناتي، نلخص جملة الخصائص السوسولوجية للعائلة ونبرز أهم سمات النموذج الاجتماعي الثقافي للمؤسسة الأسرية الجزائرية التقليدية على حد تعبير (كلودين شولى<sup>3</sup>)، لتتوصل بالمقابل لاستقراء الخصائص السوسولوجية وسمات النموذج الاجتماعي الثقافي للمؤسسة الأسرية المعاصرة المنبثقة أصلاً من النموذج السابق.

إذ يجب التنويه بالأهمية السوسولوجية للمسار الذي سلكته المؤسسة الأسرية من مؤسسة هرمية على أساس السن والجنس، يحتل فيها " الأب رأس الهرم، ويكون تقسيم

العمل والنفوذ والمكانة على أساس الجنس والعمر<sup>4</sup>. لتصبح السلطة الأسرية مركزة في يد رب الأسرة الذي نظريا، يكون ضمنها الأكبر سنا، الأكثر خبرة في الحياة والأكثر انتاجية على وجه الخصوص.

الشيء الذي سيؤسس لسلطة ذكورية ذات شكل هرمي توارثي تقوم على تقسيم العمل، توزيع السلطة، تنظيم العلاقات الاجتماعية وترتيبها وتصنيف الفضاءات الاجتماعية<sup>5</sup> كما سيعزز هذا النمط التكاثر وتعدد الزوجات اللاتي غالبا ما يكن من ضمن الاختيارات الجماعية الداخلية لا الفردية والخارجية، إذ يؤكد (عبد الغني مغربي<sup>6</sup>) بأن وظيفتها تتمثل في الأساس في الضرورة الاجتماعية التي تتمكن بموجبها المؤسسات الأسرية ضمن هذا النموذج من تمتين أواصر العلاقات والحفاظ على شتى الممتلكات المادية أو المعنوية؛ إلى مؤسسة متحررة لا من أعباء التقاليد والعادات الجماعية فقط بل ومن جميع أشكال التصنيفات والتراتبية التي ميزت النمط الأبوي، لتتملك خصائصا مغايرة من حيث البرمجة الاجتماعية التي تضم تقسيمات جديدة للعمل، للنفوذ، لتنظيم العلاقات الاجتماعية ولاحتلال الفضاءات الاجتماعية.

الأمر الذي سيؤدي وكنتحصيل حاصل إلى سواد النمط النووي على الأقل إحصائيا<sup>7</sup> داخل المجتمع الجزائري، وإلى قبول الزوج بعمل زوجته المكافئ من حيث نوعيته ومن حيث مردوديته المادية؛ هذه الزوجة التي ليست بالضرورة من ضمن الاختيارات الجماعية القروية الداخلية، بل غالبا ما يكون اختيارها فرديا وخارجيا بالنسبة للأسر الأصلية؛ والتي سيكون لها نصيبا وافرا في ميزان القوى والقرارات التي تخص العلاقة الزوجية خصوصا والأسرية عموما.

### ثانيا: في مفهوم التربية، عناصرها وآليات اشتغالها:

لطالما تم الاحتفاظ بأن مصطلح التربية المشتق من الجذر اللاتيني educare، والذي مفاده "دل" و"أرشد"، إنما يشير في جوهره للعملية الاجتماعية التي تحدث بين طرفين، ل يتم بموجبها نقل المعارف من طرف لآخر لهدف محدد.

واذ نتمسك بمثل هذا التعريف المبسط للعملية التربوية، فذلك لمدى إجرائيته وصلاحيته- على الأقل بالنسبة للدراسة الحالية-، باعتبار أنه يشير للطابع الاجتماعي للعملية مادامت تتعدى الشخص وتزج به ضمن علاقة مع الآخر، تماما كما أنه يحيل لعناصر أساسية لاشتغال العملية التربوية و المتمثلة وبشكل علني في القائم بعملية الإرشاد والتدليل أي المرابي؛ المتلقى للإرشادات: المتربي، الإرشادات والتوجيهات والمعارف والتي ماهي في مجملها سوى: مضمونا تربويا؛ الغاية من إنشاء العلاقة: إذ لا يعقل تصور علاقة بدون سبب أو غاية: أي الهدف التربوي؛ وأخيرا الوسائل والطرائق المتاحة ضمن البيئة التربوية: أي الوسائل التربوية المستعملة من أجل بلوغ الأهداف التربوية المسطرة.

وعليه فتحليل العلاقة الكائنة بين الآباء والأبناء لا يمكن فهمها بعيدا عن فهم واقع كل عنصر على حدة. فالمرابي اليوم الممثل أساسا في الأب أو الأم، دونا عن الأقارب كالجد والجددة والعم والعمة والخال والخالة بل وحتى الجيران من الأهل والأقارب، بحكم التحول البنيوي الذي مس الأسرة من ممتدة إلى نووية جعلها منها المسؤولين الأساسيين عن تربية الأبناء ومعاشهم؛ ومن ثم فالمكانات والأدوار للقائمين على تربية الأطفال قد طالها التغيير. فبعد أن كان الإرشاد والتوجيه يتم بشكل تساهمي وتشاركي من طرف الجميع تماما كما كانوا يتشاركون في بذل الجهد ضمن السلسلة الإنتاجية، أصبح متمركزا حول الفاعلين الذين يقومون بالإنجاب نفسه، والذين يتحملون من ثم جميع أعباء الحياة المنزلية ومصاريفها ومسؤولياتها.

الأمر الذي سيعزز من مكانة الرجل باعتباره رب الأسرة، كما سيرفع من مكانة الأم ويوسع من أدوارها ومشاركتها في سلطة القرار المنزلي، إذ وكما سيتم خروجها للتعليم، ومنه للعمل، ستذهب وبشكل فردي للتسوق والتبضع اليومي، للتطبيب، ولمرافقة الأبناء من وإلى دور الحضانة، المدارس والنوادي الرياضية تماما كما ستزيد فرص إبداءها للآراء في كل ما يخص الأبناء، تحديد عددهم، تسمياتهم<sup>8</sup>. مستويات وتخصصات دراساتهم، وكل ماله علاقة بمستقبلهم وغيرها من النشاطات اليومية؛ بشكل يبرهن فيه أن "الارتباط بين التغيير الاقتصادي والتغيير الأسري تفسره سيرورة التغيير الأسري حيث أنه قد تلازمت الأسرة الأبوية مع النظام الزراعي في الفترة الأولى وتلازمت الأسرة الزوجية مع التصنيع والعمل

المأجور في الفترة الثانية وتلازمت الأسرة كرابطة بمساهمة الزوجين في الاقتصاد الأسري مع تطور القطاع الثالث في الفترة الأخيرة وهكذا يوجد في كل فترة توافق بين نمط اقتصادي سائد ونمط أسري<sup>9</sup>.

أمام هذه المعطيات، يمكن استنتاج أن المربون في الأسرة الجزائرية اليوم - رجلا كان أو امرأة - ليس له الخيار سوى الانتماء لأحد النماذج التالية:

- فإما أن يكون ممن يستفيدون وبشكل إيجابي من هذا التغير إذ يقومون بتوطيد العلاقات الزوجية وجعلها أكثر حميمة، فيجعلون من التفاوض والتشاور بين الزوجين من الصيغ المؤدية لحياة أفضل لهما وللأولاد.
- واما ممن يقاوم هذا التغير فيحاولون الحفاظ على شكل العلاقات التقليدية ويتصرفون وفقا لنفس نموذج الأسلاف في التعامل مع الشريك والأبناء؛ مع ما يُحتمل أن تسبب هذه المقاومة في اضطراب العملية التربوية والأمن الأسري.
- واما ممن يجتار ويتيه بين ذلك وذلك مقابل التغير الذي مس المؤسسة التربوية فترجم محاولاتهم - اللياسة لمجارة المستجدات ومواكبة النمط المعيشي الجديد بل واندهاشهم من سرعتها- صيغ عدم التكيف والمساءلة النقدية للأساليب التربوية الواجب إتباعها، فتجدهم ينزلقون من كونهم مربين مرشدين إلى متربين ممن يحتاج وبدورهم للإرشاد والتوجيه.

في حين يمثل المتربي محور العملية التربوية، باعتبار أنه لا ينكف عن كونه المستفيد الأساسي من الاهتمام الوالدي والمتأثر المباشر بطبيعة وخصائص جميع العناصر المساهمة في العملية التربوية. وهو نفسه، لا يمكنه إلا أن يصنف ضمن فئات:

فمنهم من يتقبل بسهولة المضامين التربوية المختارة من طرف المربين؛ مقابل من يحاول أن يكون انتقائيا إذ يتقبل ما يراه مناسبا ويرفض ما لا يتوافق مع تصوراته؛ ومنهم من يفتح على نفسه كل الجبهات التربوية الحاضرة ضمن المجتمع مما يجعله مقابل فوضى الأفكار، النماذج والقنوات الاجتماعية الواجب محاکاتها.

هذا وفي حين تتعالى أصوات المنتبعين وتنتقد الأجيال الحديثة من المترين باعتبار أنه أكثر ما يوصفون به غلبة الطابع المادي على تفكيرهم، وتزايد دلالهم وكثرة مطالبهم المادية دون الوصول إلى حالات الرضا التي كانت لدى الآباء أنفسهم وهم في هذه المراحل العمرية، فالمتطلبات المادية مع كثرتها في أيديهم لا تسعدهم، بل عيونهم على ما ليس لديهم، فإذا أدركوه تطلعوا إلى غيره وهكذا.

بالإضافة إلى نزوعهم المتصاعد للسيطرة على آباءهم وهو عكس ما ينبغي أن يكون عليه الحال، فقد درس عالم النفس (إدوارد لين<sup>10</sup>) هذه الظاهرة على الآباء في أمريكا، وتوصل إلى أننا نعيش في عصر يحكمه الأبناء، فبدلاً من أن يواجه الآباء أبناءهم، فإن الأبناء هم الذين يوجهون سلوك آباءهم، إذ أنهم هم الذين يختارون البيت، ويشيرون لمكان قضاء العطلة، وأنهم إذا دخلوا متجراً مضى كل طفل إلى ما يعجبه، وما على الأب إلا أن يفتح حافظته ويدفع حساب ما تم اقتناؤه.

كل ذلك في ظل وصف لحالات العقوق بنوعيه المظاهر والصامت، إذ يجمع المنتبعون بالاستناد للملاحظة اليومية لصفات المترين في الوقت الراهن: أنه وبالإضافة لتمييزه بقلة الاحترام تجاه الوالدين حيث كثيراً ما يلجأ للصراخ، الشتم أو رفع صوت على الكبار، الأمر الذي يدل على الجحود وعدم الاكتراث بقوانين الآداب العامة، فهو يتصف بـ صور أخرى غير صريحة للعقوق، التي تحيل إلى أشكال ضمنية للاتكالية، الأنانية واستغلال العاطفة الوالدية من أجل خدمات أطول من حيث الزمن وأكبر من حيث الكمية، فالمطالبة الملحة بالحقوق وتوفير مستويات مهمة من الرفاهية والراحة مقابل التكاسل عن القيام بالواجبات أو أي مهام يومية دليل على التمسك بمبدأ الأخذ من دون العطاء.

هذه الصفات السلبية التي يتم التركيز عليها عند تحليل سلوكيات المترين المعاصر دون إبراز الصلات المنطقية التي أدت لتكرارها؛ فالتحول الذي مس الأسرة من ناحية البنية والشكل كان له ما له من نتائج على الممارسات التربوية من جهة الأولياء وعلى النواتج من جهة الأبناء.

### ثالثا: في علاقات عناصر العملية التربوية داخل المؤسسة الأسرية الجزائرية

لا يمكن بأي حال الانجرار وراء الأحكام المسبقة في وصف أحد عناصر المؤسسة الأسرية، دون الاحتكام للجانب العلائقي الذي يسودها.

فالتحليل السوسيوولوجي لهاته المؤسسة، الذي ينطلق من كونها وعلى غرار باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى: تتكون من مجموعة متضامنة من الأفراد ممن يملك فلسفة فكرية محددة لتحقيق أهداف معينة وفق أدوار منتظمة ومنسقة بهيكلية محددة في إطار المؤسسة<sup>11</sup>. له رأي في شأن العلاقات التي يربطها أفراد المؤسسة، فهي اتصالات أفقية وعمودية فيما بينهم، ناهيك عن كونها علاقات تبادلية تأثيرية مع المؤسسات الأخرى<sup>12</sup>.

الأمر الذي يؤكد عن تجاوز الباحثون اليوم في مسائل الأسرة والتغيرات التي أصابها، الانطلاق من أن المؤسسات الأسرية هي مجرد أبنية مادية وملموسة، تضم أولياء وأولادا ممن يتطلبون أموالا وكساءً وغذاءً، كما أنها تتعدى المفاهيم الإدارية التنظيمية الخاصة بالمؤسسات الإنتاجية أو الخدمية أو غيرها، لتتوصل لتكون أكثر من كل ذلك إنها إطار فكري اجتماعي ناتج عن تفاعل مجموعة من الأفراد التي تستخدم وسائل ومعدات لتأدية الوظائف الاجتماعية ومنه تحقيق الأهداف المسطرة سلفا.

هذا التصور الذي يقتضى الوعي بحالات الاستاتيكا والديناميكا التي تدور في فلكها المؤسسات التربوية عموما والأسرية خصوصا، إذ وبالرغم من محافظة هذه المؤسسة على وظائفها الأساسية عبر المراحل التاريخية في كل المجتمعات كتنظيم السلوكات الجنسية والإنجاب والتكاثر وضمان الأساس العاطفي من خلال التنشئة الاجتماعية القاعدية، إلا أنها باتت تعرف اختلافات جوهرية بالمقارنة الأنثروبولوجية بين المجتمعات. اختلافات ذات علاقة وطيدة بالهيكلية، الأدوار والعلاقات الخاصة بأعضاء المؤسسة الأسرية.

لقد أتاح لنا مرور المؤسسة الأسرية الجزائرية وعلى غرار المؤسسات الأسرية المغاربية والعربية ككل من فهم كيفيات التحول من النموذج الكلاسيكي للمؤسسة الأسرية إلى آخر معاصر، ومن ثم فهم إمكانية استنتاج أشكال التغيير الذي أصاب العلاقات الأسرية بشكل

كلى، وذلك من خلال معاينة الأثر الذي أنتجته تحويرات في مضمون التنشئة الاجتماعية وإعادات إنتاج للأدوار الاجتماعية للجنسين وصيغ العلاقات بينها وبين الأجيال المختلفة:

### 1 - في الوصف السوسولوجي للملاحح التغيير العلائقي بين الزوجين:

لطالما وقبل الخوض في علاقة الأزواج ببعضهم، تم التركيز على أنه يستحب الحديث سوسولوجيا عن المؤسسة الأسرية الجزائرية، تماما كما أقوم به عند الحديث عن الشباب الجزائري<sup>13</sup>. أو المرأة الجزائرية<sup>14</sup>. بصيغة الجمع، لا بصيغ المفرد الأحادي ذلك ما مؤداه أن واقع كل هذه الموضوعات يسير تبعا لنماذج سوسيوثقافية متعددة.

وعليه، واذ نصف ملاحح التغيير الحاصل على المستوى العلائقي بين الزوجين، فنحن بالضرورة نتطرق للمشارك بين الأنماط الأسرية المتفاوتة بين الممتدة، الموسعة والنوية.

لعل أهم ما باتت علاقة الزوج بزوجه- العاملة على وجه الخصوص - ضمن المؤسسة الأسرية المعاصرة توصف به، كونها تتجه نحو اتسامها بالشاركية، أكثر منه مما كانت عليه ضمن المؤسسة الأسرية التقليدية. ففي هذا الصدد يكتب (محمد ريزاني<sup>15</sup>) أن قسما معتبرا من الزوجات الجزائريات الأجيريات بما معدله 7 زوجات من أصل عشرة، يقررن تماما كما يقرر أزواجهن في القضايا التي تمس بالمنزل، الأطفال، المستقبل المشترك...

فهن يتمتعن بمشاركة موسعة مقارنة بغيرهن من غير العاملات في اتخاذ القرارات التي تخص الفضاء الدوميسيتيكي. بل وقد يصدق هذا الأمر على الكثيرات ممن لهن مستويات ثقافية وتعليمية معتبرة ومآكنات بالبيت.

وعليه، يمكننا وبشكل حذر، استنتاج أن مزاحمة الزوجات اليوم لأزواجهن، - مهما كانت الأسباب في ذلك - في جلب الرزق لأسرهن، مكنهن بطريقة أو بأخرى من تخلى أزواجهن تدريجيا عن الانفراد بسلطة القرار فيما يخص الأسرة.

ولعل الملاحظة اليومية لما تقوم به النسوة اليوم، يبين أنهن وكما يحضرن بشكل قوي داخل الفضاء المنزلي وقيامهن ضمنه بالطهى، الغسيل، مذاكرة الدروس للأطفال، التطبيب الأولي... فهن أيضا حاضرات خارجه لأغراض أسرية، كالمدراس من أجل الاستعلام حول

أبناءهن، وفي الإدارات و البلديات من أجل استخراج الوثائق الرسمية الخاصة بهن أو بأحد أفراد عائلتهن، في المؤسسات الخدمية من أجل تسديد فواتير الماء، الغاز، الكهرباء والهاتف، أو حتى المراكز الصحية والاستشفائية من أجل التداوي أو مرافقة أحد أعضاء الأسرة، بل و يمكن إيجادهن أيضا في المحلات التجارية الكبرى منها و الصغرى لبيع المواد الغذائية والملابس وفي محلات الأغذية والزراعي والأثاث المنزلي بل وحتى في محلات البلاط والدهان؟

هذه الملاحظات التي تم تأكيدها من طرف كل من (محمودي بوري أميمة شريفة<sup>16</sup>) و(محمد برزاني<sup>17</sup>)، حيث بينا وبشكل إحصائي أنه هناك علاقة طردية بين قيام الزوجات بمهات خارج الفضاء المنزلي وبين اشتغالهن أو قيامهن بمهنة اقتصادية، مما يفرض سوسيولوجيا ويؤسس لصيغ التعاون والتفاوض في مسائل تخص الزوجين ومن ثم التغيير من ملامح العلاقة بينهما من تنافسية/ تسلطية، إلى أكثر تعاونية/ تشاركية.

كل ذلك بعيدا وبشكل مفارق مقارنة بالنموذج الكلاسيكي، بعيدا عن تدخلات أهالي الزوجين في الأسرة، حيث وبالنظر للوضعيات الجديدة التي يجد أنفسهم الأزواج فيها، هناك بوادر ظهور ايديولوجيا الاستقلالية الفردية<sup>18</sup>.

هذه الايديولوجيا التي لا تنفك يعززها تزايد أدوار الزوجة بسبب تزايد وتيرة تكونها وتعلمها ومن ثم مساهمتها في النشاط الاقتصادي من جهة، وتعاطف وتفهم الزوج للمساهمات الملموسة التي تحققها له الزوجة من جهة أخرى.

## 2 - في الوصف السوسيولوجي للملمح العلائقي بين الآباء والأبناء:

في ظل ما تم التطرق له فيما أعلاه ضمن التوصيف النظري للمتربي عموما، تجدر الإشارة إلى وصف العلاقة بين المربين والمتربين ضمن المؤسسة الأسرية الجزائرية المعاصرة، لا يمكنه أن يتم بعيدا عن وصف لعلاقة بين جيلين، جيل الكبار الممثل في الأولياء وجيل الصغار الممثل أساسا في الأبناء.

ولو أن الفارق بين الجيلين ليس بالكبير المبالغ فيه، مقارنة بما كان عليه ضمن المؤسسة الأسرية التقليدية، إلا أن ملاحم صراع الأجيال لا يزال يحيم نسبيا على المناخ الأسري المعاصر.

يبد أنه وفي خضم تحول النسق القيمي في المؤسسة الأسرية الجزائرية ككل، يجب الاعتراف بأن جيل الأبناء ذكورا واناثا، قد باتوا اليوم يتمتعون بواقع أحسن من حيث الحريات الواسعة التي تضم اختيارات الذوق: إن كان على مستوى الأكل، اللباس، الاختيارات التي تمس الأصدقاء، أماكن اللعب، وسائله ووقته، الاختيارات الدراسية كاختيار شعب التعليم، لغاته وأنواعه، الاختيارات والتطلعات المهنية، الاختيارات الزوجية وطقوس الاحتفالات به، الاختيارات السكنية المستقبلية وما إلى ذلك<sup>19</sup>.

الأمر الذي يدل على قيام الأولياء بالكثير من التضحيات على مستوى القرار وابداء التساهل أكثر فأكثر مع عديد من السلوكات التي كانت وحتى زمن قريب ممنوعة بشكل راديكالي ومراقبة بشدة اجتماعيا، بل والميل في حالات الصراع والتعاكس في الاختيارات بين الجيلين إلى التوجه أكثر نحو الحوار والبحث عن هوامش للتفاوض والمفاضلة بين الآراء منه إلى فرض الرأي بالقوة.

جملة التحويرات هذه، والتي مست الجانب العلائقي إن كان على مستوى الأولياء فيما بينهما أو على مستوى الأولياء والأبناء لم يكن لها لتتم بعيدا عن تحويرات مست مضامين المنظومة القيمية التربوية.

إذ يسهل للمتبع الإقرار إلى أنه قد حدث فعليا وعلى مستوى المؤسسة الأسرية، تخلى كلى عن مضامين قيمة معينة وتم بالمقابل تبني مضامين قيمة جديدة، كلا تبعاً لمتطلبات الحياة الاجتماعية والواقعية.

وليست عمليات التخلى أو التبنى عن المضامين القيمية، بالعمليات السهلة اجتماعيا والمناسبة في جميع الأحوال، إذ هناك من المضامين التقليدية التي تم الإبقاء عليها، في حين أنها لطالما أثرت ولا تزال بشكل سلبي على المؤسسة الأسرية، كالمراقبة الصارمة للإناث دوناً عن الذكور، مما يؤدي لحالات متعددة من الكبت، الانتقام الاجتماعي والانفلات؛

تماما كما هو الحال بالنسبة لما هو مستجد ومستحدث، إذ كثيرا ما أدت الساحة في العلاقة مع الأبناء إلى استغلال الحرية الممنوحة، تزايد الأناية والدلال والانتكالية مثلا.

بالتالي، فعمليات التخلي والتبني الصحية من وجهة النظر السوسيوثقافية، والحادثة على المستوى القيمي ضمن المؤسسة الأسرية الجزائرية المعاصرة تحيل إلى عدم الانتقال الكلي والكامل من نموذج إلى آخر، ناهيك عن تصادم منظومتها القيميتين بشكل متوازي<sup>20</sup>.

مما يدل أن المؤسسة الأسرية الجزائرية المعاصرة، وإن تأثرت بعوامل العصرية في شكلها ووظيفتها، إلا أنها تبقى في كثير من الممارسات وفيه لخزائنها الثقافي والقيمي التقليديين<sup>21</sup>.

وعليه ومحاولة للختم:

يبدو أن دراسة ما يحدث ضمن المؤسسات التربوية عموما والأسرية على وجه الخصوص لا يمكن أن يتحقق بعيدا عن دراسة شتى ضروب التركيبات العامة للمجتمع الذي تتفاعل ضمنه.

وعليه فدراستنا لملامح التغيير ضمن المؤسسة الأسرية الجزائرية يؤكد ما توصلت إليه دراسات سابقة حول علاقة التناوب أو المد والجزر للعناصر المتدخلة في سيرورة العملية التربوية تجاه النماذج التقليدية والمعاصرة، إذ يجيل كل ذلك بالضرورة إلى دراسة ملامح التغيرات المجتمعية الشاملة إن تمت على المستويات الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية أو السياسية ومن ثم دراسة المسارات التي تم نهجها من أجل التحول اللبئء من النموذج التقليدي إلى آخر حدائي مرورا بالتكيفات التي تم تبنيها جراء الصدمات والتحويلات الثقافية المشوهة التي عاشتها -ولا تزال ستعيشها في ظل العولة - المؤسسة الجزائرية.

## المراجع والهوامش:

<sup>1</sup> :Voir les auteurs suivant : - Mostepha Boutefnouchet : **La famille algérienne Evolution et caractéristiques récentes** , SNED édition ,Alger,1982.

<sup>2</sup> : رشيد بومعالي : " واقع التغيرات الأسرية للأسر الريفية المهاجرة في الجزائر" ، في مقالات و دراسات و أبحاث اجتماعية حول المجتمعات الجزائرية و العربية ، ضمن الرابط الالكتروني

<https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/waq-altghyrat-alasryte-llasr-alryfyte-almhajrte-fy-aljzayr>

الذي تمت زيارته يوم : 2016-05-24 ، على الساعة 10:43 صباحا.

3: Claudine Chaulet : la terre, les freres et l'argent – Srategies familiales et production agricole en Algerie depuis 1962 , Tome 2 ,OPU, Alger ,1987, p203. نقلا عن ص12

4: حلم بركات : **المجتمع العربي المعاصر – بحث استطلاعي اجتماعي**، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان، 1984، ص 179

5: pour plus de details , voir pierre Bourdieu : Sociologie de l'Algérie, que sais je ?PUF, Paris, 1974, p12.

6: عبد الغني مغربي: **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة محمد الشريف بن دالي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1988، ص146.

7: يمكن الرجوع إلى جملة التقارير الإحصائية التي تؤكد سيادة هذا النمط، بالرغم من كونه يبقى ممبزا ضمن المجتمع الجزائري، إذ أنه لم تؤد بالضرورة الى انخفاض في عدد أفراد الأسرة بسبب تأخر سن الزواج للذكور و الإناث و صعوبة ولوج هؤلاء لعالمي الشغل والسكن المستقل. للمزيد، أنظر محمد بومخولف: **نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته دراسة إحصائية و تحليل نظري** ، سلسلة الوصل ، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر ، الجزء الأول ، العدد الثاني، الجزائر ، 2006/2005، ص 104.

8: هو من بين الاستنتاجات السوسولوجية التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة التي قمت بها حول : **الاسم في الأسرة الجزائرية**، للمزيد أنظر : **حاموش نوال: " الاسم في الأسرة الجزائرية : التراث و الحداثة أي دور ؟"** ، مقال منشور في كتاب جامعي:

9: محمد بومخولف: **المرجع السابق**، ص 104.

10: ادوارد ليتن ، عن عدنان السبيعي، **من أجل أطفالنا**، الطبعة الثالثة - مؤسسة الرسالة - بيروت 1404 - هـ ص 70.

11: voir, Turner Jonathan. **The Institutional Order** ,New York: Longman, 1997

12 :op-cit

13: حادوش نوال: "الشباب الجزائري بين الاندماج والعنف"، في "مداخلات الملتقى الوطني الثالث حول الشباب والعنف في المجتمع الجزائري"، منشورات كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية، جامعة جيجل، جوان 2002، ص ص 102-120.

14 : Nawel HAMADOUCHE : « **La femme algérienne et l'automobile: Quelle histoire, pour quel rapport?** » in

15 : voir :Mohamed Rebzani : **la vie familiale des femmes algériennes salariées** ; L'harmattan édition, Paris ;

16 :Mahmoudi Bouri Oumeima Cherifa : « **Genre et organisation sociale du travail domestique : Pratiques et représentations- exemples pour deux catégories les femmes actives et les femmes au foyer** », Mémoire de fin d'étude pour l'obtention du diplôme de Magistère en Anthropologie ; encadrée par Nouria Benghabrit Remaoun , faculté des sciences sociales, Université d'Oran- Essenia, 2008/2009 , pp 118- 131.

17 :Mohamed Berazani : Op-cit.

18 : Op-cit.

19: فتيحة حزات: **القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية**، في مجلة إنسانيات عدد 59 جانفي - مارس 2013 (مجلد 17، 1)، الأسرة، ممارسات ورهانات مجتمعية، ص. 53-73

20: عبد علي سلمان علي: "تغير قيم العائلة وتربية المجتمع"، في الرابط الإلكتروني <http://qu.edu.iq/artjou/wp-content/uploads/2015/06/%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%B3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86.doc>، الذي تمت زيارته يوم: 20-04-2016، على الساعة 02:43 صباحا.

21: فتيحة حزات، المرجع السابق، ص ص 53-73 .



## العلاقات القرابية لأفراد الأسرة الحضرية في ظل التغير

د. نتيحة جهاوي - جامعة بسكرة - الجزائر

### Résumé :

Aujourd'hui, les relations parentales connaissent des changements concrets au niveau des familles et du réseau parental en général. Celle-ci est considérée comme système social qui a une influence mutuelle dans les différentes variables que connaît la société et notamment la société urbaine, ou on constate les différences du pourcentage de l'existence des relations parentales selon l'influence des facteurs du changement social, de l'actualisation et cadre historique et culturel de la ville.

En conclusion, nous allons essayer d'éclairer la réalité et l'importance des relations parentales de la famille urbaine.

### الملخص :

إن واقع العلاقات القرابية اليوم يتميز بتحولات ملموسة على مستوى الأسرة والعائلة والشبكة القرابية ككل، وهي تعد نظاما اجتماعيا له تأثيراته وتأثراته بمختلف المتغيرات التي يعرفها المجتمع ولاسيما الحضري منه، والذي تتباين نسبة وجود العلاقات القرابية فيه حسب تأثير عوامل التغير الاجتماعي، وعملية التحديث، والإطار التاريخي والثقافي بالمدينة، وسنحاول خلال هذا العرض توضيح واقع وأهمية العلاقات القرابية للأسرة الحضرية.

## مقدمة:

إن إشكالية القربانية في المجتمع الحضري تعد من أهم الانشغالات التي تطرقت إليها الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية التي اهتمت بطابع العلاقات ونمط الحياة بالمدينة، وخاصة مع ظهور التصنيع والتجديدات التكنولوجية الدائمة أين أصبح للبناء القروي في هذه الأوساط مفهوم آخر يتماشى وفقاً للتغيرات التي طرأت على هذا المجتمع من جراء التحديث. لقد تعرض "لويس ورث Louiswirth" من خلال مقاله الشهير بعنوان «الحضرية كأسلوب للحياة» والتي نشرت عام 1938 إلى أن "نمو المدينة وتنوعها يؤديان إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها." (Yves . Grafmeyeret Isaac Joseph ,1998: pp257-258.)

وهذا العامل يعد من أهم العوامل الأساسية التي تفسر ضعف العلاقات القربانية والأسرية في المجتمع الحضري، لأن ما شهدته هذه الأخيرة من تنظيمات ومؤسسات جعلت جماعة الأسرة تتخلى بالتدرج عن وظائفها، كما دفعت أعضائها إلى الاستغناء عن العلاقات مع ذويهم من الأقارب فيما يتعلق بتقديم العون والمساعدات والخدمات ويستعين بالجماعات الاجتماعية الأخرى بالمدينة كالأصدقاء ورفاق العمل وغيرها، وهذا ما قلص سلطة العائلة عن أعضائها حسب "ورث" وما جعل الروابط الأسرية بالوسط الحضري تتسم بالضيق والسطحية (السيد الحسيني، 1985: ص 126). وفي مقابل هذا أكد بعض الباحثين مثل "جانز" و"أوسكار لويس" استمرار فعالية الجماعات القربانية في المجتمع الحضري، وهذا أثناء دراسة لمدينة "مكسيكو" أين توصل إلى أن الحياة التقليدية ظلت على ما هي عليه والروابط العائلية الممتدة زادت كثافتها وقوتها رغم كل التأثيرات الاقتصادية والصناعية وكذلك التكنولوجيا التي عرفتها المدينة.

## 1. ماهية العلاقات القربانية:

تعد الجماعات العائلية و بخاصة العائلة الصغيرة او النووية نواة للنسق القروي كله والنسق القروي يتحدد في ناحيتين: الأولى القربانية وهي تنتج من العلاقات المباشرة التي تنشأ بين شخصين نتيجة انحدار أحدهما من صلب الآخر كما ينحدر الحفيد مثلاً من الجد عن طريق الأب أو نتيجة لانحدار الإثنين من صلب واحد مشترك كالعلاقة بين أبناء

العمومة التي ترد هي أيضا إلى الجد عن طريق الأعمام والناحية الأخرى تتمثل في المصاهرة وهي العلاقة الناشئة عن الزواج حيث أن الزواج يؤدي إلى ظهور وحدات قرابية جديدة وإيجاد علاقات مصاهرة بين الجماعات القرابية المختلفة وتوسيع نطاق القرابة. (محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن السيف، 1990: ص25).

ويعرف "راد كليف براون RadkliffBrawn" العلاقات القرابية في مقدمة كتابة (القرابة) الذي أشرف على تحريره مع "P.Ford" على أنها تنظيما اجتماعيا يمكن الأفراد من العيش معا والتعاون معا من أجل إقامة حيات اجتماعية منظمة وان النظام هوجزة من شبكة العلاقات الاجتماعية تتجلى في أصغر وحدة اجتماعية وهي العائلة النواة ( Radaliff Brown A , 1952 : p03).

وتجدر الإشارة إلى أن اصطلاح القرابة في علم الأنثروبولوجيا والاجتماع لا يعنى علاقات العائلة والزواج فقط وانما يعنى علاقات المصاهرة، وتعرف علاقة القرابة على أنها الصلات التي تقوم بين الأفراد إما على أساس الزواج أو من خلال رابطة الدم و النسل مثل (الأمهات والآباء، والأشقاء، والبنين غيرهم) (أتونى غندر كادينبردسال، 2005 : ص254).

كما يعرف كل من مارسيل موسى و راد كليف براون ومالينوفسكى "علاقات القرابة على أنها وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية وهي تأمين التوازن الاجتماعي وتأسيس السلم بين الأفراد وتمت التلاوم بين أعضاء المجموعة. (محمد بن أمودة، 1987: ص70).

بينما يذهب فريق آخر إلى تعريف للعلاقات القرابية بأنها تلك العلاقات المباشرة القانونية التي تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار أحدهما من صلب الآخر، كما ينحدر الحفيد من الجد عن طريق الأب أو نتيجة لانحدار الإثنان من سلف واحد مشترك كالعلاقة بين ابناء العمومة التي ترد هي أيضا إلى الجد عن طريق الأعمام (أبو زيد أحمد، 2011: ص309).

أما محبوب محمد عبده أن القرابة تتمثل في تلك الروابط التي تنشأ من الزواج والأبوة والأخوة التي تربط بين أعضاء العائلة النووية كل منها بالآخر والتي تكون شبكة العلاقات التي تتولد عن الإنحدار القرابي والمصاهرة والعلاقات القرابية (فعلية حقيقية أو مزعومة أو مفترضة) ويمكن تتبعها بين الأبناء والآباء والأخوة وهي علاقات مقررة ومعترف بها لأغراض اجتماعية معينة (محبوب محمد عبده، دت: ص 40).

كما تعرف العلاقات القرابية على أنها تلك الروابط القرابية التي تشكل فيما بينها شبكة تفرض على وحداتها التزامات أخلاقية لكن هذه الالتزامات تظل مجرد شعارات نظرية ولا تكون حقيقية مالم تتحول إلى أنشطة فعلية ينتفع منها الأقارب في ظروف معينة (قيس النوري، 2011: ص 90).

## 2. العلاقات القرابية بين الماضي والحاضر

### - العلاقات القرابية في الماضي:

إن العلاقات القرابية في الماضي كانت تنسم بقوة التماسك بين أفرادها، سواء على مستوى الأسرة الممتدة أو العشيرة أو حتى على مستوى أفراد القبيلة، وسواء كانوا يسكنون مجالا مشتركا، أو متقاربين، وسواء كانت القرابة بينهم من جانب الأب أو الأم، فالأسرة العربية تتميز بعلاقات قرابية قوية خلافا لمجتمعات أخرى حيث تتوسع دائرة القرابة من النسب والمصاهرة: الدرجة الأولى والثانية والثالثة... وتربطهم صلة الرحم من الأجداد والجدات والآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأبناء المتزوجين والأحفاد والأخوال والأعمام والعمات والولدين يحضون بتقدير كبير وطاعة واجلال ورعاية من قبل الأبناء وهذا يرجع للقيم الدينية العميقة الجذور المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تدعوا إلى صلة الرحم والمحافظة عليها بين الأقارب القريبة والبعيدة، كل حسب مكانته الخاصة في النسق القرابي.

وتتميز الأسرة العربية بصفة عامة بتناسك قرابي قوي لأنه وكون نظامه مستمد من الثقافة الإسلامية عكس البلدان الأخرى والتي تستمد نظامها القرابي من الثقافة العلمانية أو اللاتينية وفي دراسة "بروترو ودياب" فيما يتعلق بالتماسك القرابي في المدن العربية مثل:

بيروت، عمان، دمشق، توصلا، إلى أن هناك علاقات قرابية قوية بين الأسر النواتية والوالدين بشكل خاص والدليل على ذلك الزيارات المتكررة التي تحدث بين الأسر النووية والوالدين كما توصل إلى أن تكرر التزاور مع الأقارب الآخرين كالأعمام والأخوال والعلمات والحالات... الخ، أقل بكثير من تكرر التزاور مع الوالدين ولكنه اتسم بالاستمرارية في كل المناسبات والظروف. (Prothro (Edwin Terry) and Diab, 1974: pp70-72)

إن نظام القرابة بصفة عامة يمثل إحدى ثوابت الثقافة الإنسانية ولا يوجد أي مجتمع بدائي أو آخر لا يجعل من القيم الثقافية والاجتماعية نظام يضم مجموعة من السلوكيات والتصرفات القائمة بين الأقارب والتي كانت قائمة بينهم وما زالت العديد منها ثابتة ومستقرة، كذلك الجزائر عاشت في ظل هذا النظام القرابي المتماك بين أفراد الأسر القرابية وسواء كانت عن طريق المصاهرة أو عن طريق القرابة الدموية (الانحدار من نفس الجد) والمعروف عن الأسرة الجزائرية التقليدية أنها لا تشجع القيم والممارسات الفردية، تقدر ما تشجع القيم والممارسات الجماعية خصوصا تلك التي تمجد القرابة وتثني على مكارم الأخلاق وأجداد جدها المشترك، كما أن الفرد في المجتمع الجزائري كان ومنذ طفولته يوجه نحو العمل لمصلحة الأسرة وأقاربه وليس لمصلحته الخاصة، فالعديد من الجزائريين المهاجرين إلى دول أجنبية كانوا يعملون ويقتصدون من أجل أسرهم وأقاربهم وموطنهم الأصلي ويشركون في مشاريع خيرية لعشيرتهم وقربتهم ما يوضح أهمية الأسرة والأهل على مصالحهم الشخصية، والفرد يرى أن ذاتيته تتجسد في ذاتية الأسرة والقرابة والممتلكات والانجازات وسمعة الفرد لا تتعلق به فقط بل تتعلق بأفراد أسرته وأقاربه.

#### - العلاقات القرابية في الحاضر (بعد التغيير):

لقد عرفت الجزائر خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن جملة من التغيرات نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية كالتحضر والتحديث والتصنيع، انعكست تدريجيا على النسق القرابي كله، ويتضح هذا من خلال حياة القبيلة والعشيرة أو الأسرة الممتدة الذي تقلص ولكنه لم يزول نهائيا كونه يشكل عنصر مقاومة خاصة في المجتمع الريفي "والعلاقات بين الأسرة والأقارب في الجزائر مازالت وفي العديد من المناطق حاليا

تتميز بالعصبية القبلية والتي تتسم بضعف تدريجي شيئاً فشيئاً" (السعيد عواشرية، 2010 : ص119).

ولقد أتى هذا التقلص من جراء نمو الصناعة والتجارة الداخلية والخارجية، وتحول الاستثمار السريع من الرعي وتربية الماشية إلى الزراعة والصناعة والخدمات، "كما ساهمت الأيديولوجيات التي عمدت الدولة إلى إدراجها والتي تحل محل الأيديولوجيات القرابية بالتدرج، وهي تقوم على التركيز على الفرد بوصفه وحدة للتفاعل الاجتماعي، كما سعت على تحويل القيم الجماعية إلى قيم فردية، كما تركز أيضاً على ربط الأفراد بوحدات سياسية واسعة هي الأمة (راج درواش، 2005 : ص136) وبهذه السياسة تمكنت الدولة من إقناع الناس بأن هذه الروابط الاجتماعية أساسها هو المواطن، وبهذا إخراج الفرد من الدائرة القرابية المغلقة إلى وحدة واسعة مفتوحة وهي وحدة الوطن والمواطنة.

وقد أصبحت شبكة العلاقات القرابية أضيق مما كانت عليه في المجتمع الجزائري التقليدي وخاصة في الأوساط الحضرية، إلا أنها مازالت قوية ووثيقة، ونجد في واقعنا تأثير الروح القرابية في الممارسات اليومية للأفراد والجماعات، كالانتخابات والتوظيف أو الحصول على امتيازات وخدمات في مختلف المؤسسات الحكومية والمستشفيات دون أن ننسى، التواصل المستمر مع الأقارب خاصة الولدين.

إن هذا التغير دفع إلى العديد من الباحثين إلى استخلاص نتيجة هامة فيما يخص التغير القرابي على مستوى الوطن العربي وهو "أن اتجاه التغير قد حول الأسرة الممتدة إلى نمط الأسرة النووية، ولكنه لم يحولها إلى نمط العزلة التامة، فلا زالت الأسرة العربية النووية على علاقة بالنسق القرابي" (عبد القادر لقصير، 1999 : ص187) وبالرغم من أن الروابط القرابية في مجتمع متغير تستمر بالمجتمعات العربية ولكن هذا ليس بنفس الشكل الذي كانت عليه (علياء شكري، 2000 : ص170) فعزلة الأسرة النووية من شبكتها القرابية تزداد بشكل كبير في ظل التغير الاجتماعي السريع وفي ظل ازدياد الحراك الاجتماعي والجغرافي وانتشاره، لكن سرعان ما تتكون وبشكل تلقائي في شبكات قرابية جديدة انطلقت من النمط الممتد ثم النووي وبعد الممتد يتغير إلى نووي فهكذا (بومخلوف

محمد، 2004 : ص 26). هذا في بنائها أما بالنسبة لطبيعة العلاقات بينها فنجدها في ذلك التواصل خلال المناسبات الهامة في حياة الأسرة كالأعياد الدينية وأعياد الميلاد والمناسبات، والأفراح... الخ.

وفي حقيقة الأمر عند تتبع نمط الأسرة والبناء الاجتماعي نلاحظ أن النظام الاجتماعي الأكثر شيوعا هو نظام القرابة حتى في المجتمع الحضري، فهو نظام يحدد نمط العلاقات الاجتماعية في التعاون والتضامن والعصبية، أما من حيث نمط الأسرة في الجزائر حسب "محمد بومخلوف" (2004)، فنجد أن نمط الأسرة النووية منتشرا حتى في الأوساط الريفية في ظل سيادة نظام القرابة، فنجد الانفصال المبكر للأسر الفرعية عندما يتم تأسيس الأسرة عن طريق الزواج، كما نجد أيضا الأسرة الممتدة، وتعرف بالعائلات الكبيرة وهذا النمط نجده حتى في الأوساط الحضرية خاصة بالنسبة للأسر التي تقم في المساكن التقليدية في الضواحي والأطراف أو في بنايات واسعة من نمط البناء الفردي الناتق ذو التوسع الأفقي أو العمودي.

إن نمط الأسرة النووية في ظل نظام القرابة هو السائد في العديد من المجتمعات العربية والجزائرية منها، أما نمط الأسرة الممتدة فهو يمثل فترة أو مرحلة من عمر الأسرة تطول وتقتصر حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعائلة الكبيرة (الممتدة)، وهي خاضعة في النهاية إلى حتمية الانقسام والانفصال والتفرع حسب محمد بومخلوف (2004)، والشئ الذي يبقى ويستمر هو نظام القرابة والعلاقات القرابية الذي له أسس وقواعد وأصول وأعراف، بينما نظام الامتداد والانقسام ليست له هذه القواعد سوى قاعدة التعاون المرحلي خاصة إذا كانت الأسرة الممتدة من النوع الأفقي مثل الإخوة، أما إذا كانت من النوع الرأسى المتمثلة في الأسرة الأم والأسر الفرعية للأبناء في استمرار أبنائهم المتزوجين فقد تدخل في نظام البر بالوالدين، أو رغبة الآباء في استمرار أبنائهم المتزوجين معهم بدافع المحافظة على قوة الأسرة وتماسكها وحماية أعضائها أو الدوافع الأخرى وهذا النمط نجده في الآونة الأخيرة يتزايد في الأوساط الحضرية وخاصة المدن الكبرى وهذا راجع للزيادة الديموغرافية وكذا للظروف المادية الصعبة وخاصة أزمة السكن.

إن المسافة المكانية لا تلغى العلاقات القرابية غير أنها تؤثر فيها وتقلل من درجتها مع مرور الوقت إلا أنه تنشأ قرابة فرعية وتتجدد، فالقرابة هي نظام متجدد باستمرار ومتطور فهو يفقد بعض العناصر من جهة لكنه يكسب من جهة ثانية عناصر أخرى، وهذا النظام يؤدي دور كبير الأهمية في الحياة الاجتماعية لأفراده ويلاحظ هذا من خلال المناسبات أو في حالة تعرض أحد أفراد الجماعة القرابية بمكروه...الخ.

وكل صور هذا التضامن راجعة للبعد الديني الذي تحمله القرابة كون الدين الإسلامي شدد على صلة القرى والتي تدخل ضمن العبادات ولقد حددها في صلة الرحم، وإيتاء ذي القرى والإحسان إليهم، وحدد درجاتهم، وبهذا نجد أن التمسك بهذا النظام بالمجتمعات العربية والإسلامية كافة هو التمسك بالدين (محمد بوخولوف، 2004: ص 28)

### 3. العلاقات القرابية بالأوساط الحضرية الجزائرية في ظل التغير: - العلاقات القرابية للعائلة الحضرية:

إن العلاقات القرابية هي مجموعة روابط اجتماعية يعترف بها المجتمع تربط في النسق العائلي العالمي، إذ تشارك فيه جميع المجتمعات البشرية التي عرفتها الإنسانية (علياء شكري، 1988: ص 59)، والروابط القرابية تقسم إلى ثلاثة أنماط أساسية هي:

- الرباط البيولوجي: يعنى العلاقة الدموية القائمة بين الآباء والأبناء والأجداد.
- رباط الزواج.
- الرباط الذي يعترف به اجتماعيا الذي يأتي عن طريق التبني (Segalen Martine, 1981: P69)

وبالاعتماد على قاعدة النسب يمكن أن نحدد العلاقة القرابية التي تربط الشخص بعائلته، فأنحدر الابن من نسب أبيه يسمى النسب الأبوي، وأنحدر الابن من نسب أمه يسمى النسب الأموي، وأنحدر الابن من نسب أبيه وأمّه في آن واحد يطلق عليه النسب المشترك، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن الأب هو محور القرابة منذ نشأت الحياة الإنسانية، وتكون العلاقات القرابية قوية ومتأسكة في ظل العائلة التقليدية حيث على جميع أفراد العائلة الممتدة أن يعيشوا في بيت واحد وكل فرد من أفراد العائلة

يعرف أقرباءه جانب أبيه وأمه ويقدم المساعدات ويدافع عنهم ويقف إلى جانبهم سواء كانوا على خطأ أو صواب، كما أن الجماعات القرابية تحبذ السكن في منطقة جغرافية واحدة وأن تكون البيوت ملاصقة ومحاورة بعضها للبعض الآخر، وهذا يساعد على التكاتف والتعاون فيما بينهم لإنجاز أعمالهم وكذلك لضمان الحماية والأمان.

كانت العلاقات القرابية للعائلة الحضرية في النصف الأول من القرن العشرين قوية ومتأسكة ومبنية على انحدار النسب إذ كانت العلاقات القرابية بين الأب وعائلته الأصلية وبين الأم وعائلتها الأصلية تتقدم على العلاقة العائلية الداخلية التي تربط الزوج بزوجه أو تربط الزوج بأبنائه أو تربط الزوجة بأبنائها أو بناتها (الوردي على، ب ت : ص 271) وفي النصف الثاني من القرن العشرين نجد أن العلاقات القرابية قد اضمحلت لأسباب كثيرة منها البعد الجغرافي للسكن بين سكن العائلة النووية وسكن أقربائها، مع عامل تحول العائلة التاريخي من عائلة ممتدة إلى عائلة نووية تعيش في بيت مستقل بعيدا عن بيت أو بيوت الأقارب، ومنه تعرضت العلاقات القرابية وضمحلت في الأوساط الحضرية لتصبح العائلة النووية مستقلة اقتصاديا واجتماعيا عن الأقارب وخاصة في المدن الكبرى، ومن خلال ما سبق يمكن عرض أهم أنماط علاقات القرابة للعائلة الحضرية من خلال ثلاثة محاور:

### 1-1- العلاقة بين الأبوين والأبناء في العائلة الحضرية:

إن تحديد قرابة الأشخاص يحمل في طياته واجبات وحقوق اجتماعية مختلفة، ولهذا التحديد أهمية كبرى في المجتمعات التقليدية عنها في المجتمعات الحضرية، فالعلاقة بين الأبوين والأبناء في العائلة التقليدية علاقة قوية ومتأسكة نظرا لممارسة الآباء والأبناء مهنة مشتركة، فالابن يمارس مهنة أبيه ويعيش الظروف والملابسات والمشكلات نفسها التي يعيشها الأب ومنه يصبح المستوى الثقافي للابن يتشابه مع الذي يتمتع به الأب، وبهذا تصبح أفكار ومبادئ ومعتقدات وقيم ومقاييس ومصالح الابن هي التي يحملها الأب ما يخلق تقارب كبير بين الابن والأب ويكون علاقة حميمة وطيدة بينهم. (ثابت ناصر، 1983 : ص 102) ولا تبنى هذه العلاقة على الغريزة والاعتماد فقط بل على أسس اجتماعية حضارية، أيضا

فالأبوة يمكن أن تكون بيولوجية أو اجتماعية فقط ففي المجتمعات العربية نجد أن هذه العلاقات يغلب عليها الطابع التسلسلي في العائلات التقليدية، فالأب يفرض إرادته على ابنه والابن ملزم على الطاعة، والابن يتعرض للتوبيخ والمقاطعة والطرده من البيت والابن يطعم والده لأنه يعده المثل الأعلى له فهو يتقمص شخصيته ويطيعه، خاصة إذا كان يعيله في حياته، ونفس الشيء ينطبق في علاقة البنت بالأب والأم في ذلك النمط من العائلة (بن بعطوش أحمد عبد الحكيم، 2012 : ص75).

والسلطة المعروفة لا تمارس عند كل المجتمعات وهي تختلف بين سلطة قوية في المجتمعات، كما كان في المجتمعات الرومانية، وبين عدم وجود سلطة على الإطلاق، كما يوجد نوع من العلاقات القوية بين الابن والأم أو بين البنت والأب في بعض المجتمعات خاصة الحضرية منها (رياض محمد، 1974 : ص575)، والسلطة الأبوية الديكتاتورية تزداد في الأسرة التقليدية وتنخفض في الأسرة النووية الحضرية، كما الإناث أكثر تعرضا لهذه السلطة من الذكور (حطب زهير، وعباس مكي، ب ت : ص122)

إن العلاقة بين الأبوين والأبناء في العائلة الحضرية بالمجتمعات المتقدمة قد تغيرت لاسيما بعد انتشار التصنيع والتحضر وشيوع الأفكار الحديثة والتعليم، فأصبحت العلاقة مبنية على أسس ديمقراطية ولكنها في الوقت نفسه، والضعف الذي يصيب العلاقات الإنسانية راجع للاختلاف الأعمال التي يمارسها الجيلان، فالأب يمارس مهنة تختلف عن مهنة الابن، فضلا عن الاستقلال المادي الذي يتمتع به الابن، والمستويات الثقافية والميول والقيم والاتجاهات والمقاييس للجيلين تختلف عن بعضها البعض لأن طبيعة الحياة التي عاشها الأب تختلف عن طبيعة الحياة التي يحياها الابن في الوقت الحاضر (بن بعطوش أحمد عبد الكريم، 2012: ص75)

ليس هناك شك في وجود اختلافات بين الأسرة الممتدة والأسرة النووية في تأثيرها على طبيعة العلاقة بين أبنائها الذين يعيشون في ظلها، فالأسر الكبيرة سواء في الريف أو الحضر يكون التركيز فيها على الجماعة وليس على الفرد، بينما يحدث العكس في الأسر النووية حيث يحضن الابن بكل أنواع العناية (حسنين الخولي سناء، 2011 : ص245) ما

يبين وجود فروق بين النمطين للأسر بالنسبة لعلاقة الآباء بأبنائهم سواء في أسلوب التربية والضبط، أو حرية اختيار العمل أو حتى بالنسبة لاختيار شريك الزواج للأبناء والتي ترتبط بأسلوب السلطة داخل نمط أسري، بمعنى أن عدد أفراد في الجماعة يؤثر على تفاعل وسلوكيات الأعضاء فيها فالأسر الحضرية تختلف بطبيعتها عن الأسرة الريفية في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها.

والدين الإسلامي يضع لكل من طرفي العلاقة سواء أكانوا آباء أو أبناء واجبات ومسؤوليات وصلاحيات تتناسب ودوره في العائلة، فجعل الأب مسؤولاً عن النفقة على أبنائه أو التكفل بكل احتياجاتهم ماداموا صغارا لم يبلغوا الحلم ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره، أي لم يحمه على العقوق بسوء عمله » (طلس عبد الله هشام، 1986: ص43)، كما يتكفل الآباء بأبنائهم حتى بعد بلوغهم إذ كانوا عاجزين عن النفقة لسبب كالمريض والعجز والدراسة لتستمر العلاقة بينهم وتتوثق الصلة ومبدأ التكافل بينهما، فالرابطة المعاشية هي رابطة لها أبعاد مادية وأخلاقية مؤثرة في بناء العائلة والمجتمع، وبهذا يصبح الأب مسؤولاً عن تربية أبنائه من حضانة ونفقة وخدمة، والأم مسؤولة عن رعايتهم وتربيتهم تربية صالحة ودوره هو المرعى والمعلم والموجه، كما يحقق الوالدين الرعاية النفسية والحب والحنان الأبوي لذلك نجد أن الدين الإسلامي يؤكد ويشدد على مسؤولية الآباء التربوية ويشدد على حسن التربية والتوجيه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَغْضُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)﴾ (سورة التحريم، الآية 06)

ولكن وفي ذات الوقت أضحى العلاقة بين الآباء والأبناء أكثر ديمقراطية، وأدت إلى أن يكون تدخل الآباء في شأن تكوين الأبناء للعلاقات الخارجية أقل بكثير كما كانت عليه في الأسر التقليدية التسلطية أو الأسر الريفية، واتساع الحياة في المجتمع الحضري أدى إلى اتساع علاقات الأبناء وزاد في التزامهم سواء مع الأفراد أو المؤسسات، ولكن مع كل ذلك فإن هذه العلاقة لا تخلو من أنواع الصراع بين جيلى الآباء والأبناء ولكن يجب أن لا يصل إلى درجة التي تؤثر على تماسك العائلة على تحقيق أهدافها المنشودة وقد يكون الخلل في العلاقة بين الآباء والأبناء سببا من أسباب تفكك العائلة.

## 2-1- العلاقة بين الزوج أو الأب وعائلته الأصلية:

نلاحظ في الوقت الحاضر بأن العلاقة التي تربط الأب بعائلته الأصلية بالوسط الحضري أقل فضعفت عما تعرفه الأسرة في المناطق الريفية ولقد حلت محلها العلاقة التي تربط الزوج بزوجته، إذ أن هذه العلاقة أصبحت أقوى من علاقة الزوج بعائلته الأصلية أو الممتدة وذلك للأسباب التالية:

- البعد المكاني بين سكن الأب وعائلته النووية وبين سكن الأقارب.
- صلابة وتماسك العلاقة الاجتماعية بين الزوج وزوجته بسبب المساواة قد عززت العلاقة الإنسانية بين الزوج وزوجته، وهذا في ظل التجديدات التكنولوجية الدائمة أين أصبح للبناء القرابي في هذه الأواسط مفهوم آخر يتماشى وفقا للتغيرات التي طرأت على هذا المجتمع من جراء التحديث ولقد تعرض "لويس ورث Louis Wirth" من خلال مقاله الشهير بعنوان "الحضرية كأسلوب للحياة" التي نشرت سنة 1938 إلى أن "نمو المدينة وتنوعها يؤديان إلى إضعاف العلاقات الاجتماعية بين سكانها" (Eyves Grafmeyer et Isaac, 1998 : PP257-258) وهذا ما يفسر ضعف العلاقات القرابية والأسرية في المجتمع الحضري.

- التشابه في الخبرة والتجارب بين الزوج والزوجة ساعد على توطيد العلاقة بينهما، حيث أن التشابه في المستويات الثقافية والعلمية وحتى في نوعية المهن التي يزاولانها، كما أن عمل الزوجة خارج البيت وكسب موارد العيش جعل الزوج يقوم بمساعدة زوجته بأداء بعض الأعمال المنزلية، والعلاقة بين الزوج وعائلته الأصلية قد تعرضت إلى الضعف والاضمحلال بالمدينة وهذا عائد لعدة أسباب كالفروق والاختلافات على المستوى الثقافي والعلمي كذلك قلة الزيارات أو انعدامها بين الزوج وعائلته الأصلية وذلك للتباعد المكاني في السكن وتعدد الحياة الحضرية وزيادة مطالبها.

وعلى الرغم من ذلك فإن أغلب الدراسات حول العائلة يؤكدون أن علاقات العائلة النووية العربية والجزائرية منها مع الأقارب من الدرجة الأولى أي عائلات التوجيه خاصة الوالدين هي علاقة قوية ومتواصلة بينما العلاقات مع الأقارب الآخرين قد أصابها الضعف،

ونتيجة لذلك تميل سناء الخولى إلى الإشارة للعائلة النووية العربية بمصطلح العائلة النووية غير منعزلة (سناء الخولى، 1974 : ص 207). والاعتقاد الذي يرى أنه في حالة وجود مشكلة في العائلة النووية أو عند الأقارب، فإن المشكلة لا تحل من طرف العائلة بل إلى الدولة بمختلف مؤسساتها الخدمانية في التدخل بشؤون العائلة وهذه المساعدات التي تقدم للعائلات بعد ضعفها كالرعاية لكبار السن وكذلك الأطفال ومختلف الخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى ولكن هذا الواقع هو أكثر انطباقا ووضوحا في المجتمعات الأوروبية والدول الصناعية المتقدمة ولا نجد لها إلا على نطاق ضيق جدا في المجتمع العربي وكذلك الجزائري، وذلك بسبب الموروث الاجتماعي والقيم والعادات والتقاليد التي جاء الدين الإسلامي معززا لها فيما يخص العلاقة الإنسانية بين الآباء والأبناء، والآباء يحظون بمكانة سامية لدى الأبناء مبنية على الاحترام والحب والحنان طول حياتهم، إضافة إلى ذلك تؤكد الرعاية الخاصة لهم في كبر سنهم، وهذه الظاهرة ما هي إلا انعكاس لقيم دينية وثقافية مهمة في حياة الفرد العربي لأن القرآن الكريم وفي العديد من آياته يحث على بر الوالدين كما في قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾ (سورة النساء، الآية 36).

### 3-1- العلاقة بين الزوجة أو الأم وعائلتها الأصلية:

بسبب عوامل التحضر والتطبيع والتنمية الاقتصادية والاجتماعية تعرضت العلاقة القرابية التي تربط بين الأم بعائلتها الأصلية إلى الضعف نوعا ما مثلما تعرضت العلاقة بين الأب وأقاربه كما سبق عرضه، وفي ظل هذه الأوضاع أصبحت العلاقة بين الزوجين تتقدم على العلاقة بين الأم وأقاربها وهذا الضعف في العلاقة يعود لعدة عوامل كاختلاف المستويات الثقافية والعلمية والمهنية بين الأم ووالدتها وهذا التفاوت بينهما قد يكون سببا في ضعف العلاقة بينهما، كما يعد التباعد بين سكن الزوجة وسكن أقاربها من العوامل المؤثرة على طبيعة الزيارات وتقديم المساعدات والهدايا بينهما، ما أدى إلى التقلص في طبيعة علاقتها القرابية. وتوسع علاقات واتصالات الزوجة في مجتمعها المحلي وبمختلف مؤسساته البيئية بسبب عملها وثقافتها ومستواها الاجتماعي ما أثر سلبا في مجرى العلاقة التي تربطها مع أقاربها.

وبالرغم من هذه الأسباب التي عرضناها تبقى العلاقة بين أفراد الأسرة النووية بأقاربها وخاصة القرابة الأولية والتي نعني بها العلاقة مع أقاربهم الأصليين وخاصة الوالدين متواصلة وثابتة رغم التغيرات وعملية التحديث التي تشهدها الأوساط الحضرية، وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية الحديثة.

إن كل من رواسب القيم والمفاهيم التقليدية لها أثر فعال على طبيعة الحياة الحضرية مما جعل أهمية القرابة تتمثل بإرث اجتماعي ثابت وعميق في هذا المجتمع ، وهذه القيم والمفاهيم تجسدت على شكل رقابة اجتماعية لازالت تعد عامل أساسي في ضبط التغير والمحافظة على استمرارية الاتصال القرابي، "فالأسرة النووية هي مستقلة شكلا فقط في الأوساط الحضرية الجزائية أما مضمونها فهي لا تملك المواصفات الفعلية التي تميز الأسرة النووية المستقلة حسب ما جاء في تعريف المنظرين لها، فهي غير حرة في الإبقاء أو عدم الإبقاء على تواصلها القرابي" (رشيد حمدوش، 2006 : ص 283). كما يعد الدين الإسلامي المدعم الأساسي لتواصل الروابط القرابية بالأوساط الحضرية لأن الدين الإسلامي لم يخص أحدا بالعناية والتكريم كما خص الوالدين ولم يثبت لأحد من الحقوق على أحد كالحقوق التي تثبتها للوالدين على أبنائهم وكما كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل جاء يسأله: "يا رسول الله من أبر؟ قال أمك، ثم من؟ قال أمك، ثم من؟ قال أمك، ثم من؟ قال أمك، ثم من؟ قال أمك، فالإسلام يطالب الأبناء بالإحسان إلى آبائهم وان صدر منها خطأ في حق الأبناء، وشدد على وجوب البر والإحسان، ولا ينتهي بر الأبناء لآبائهم في الحياة بل تستمر هذه الرابطة الوجدانية حتى بعد مماتهم. (تأليف ونشر مؤسسة البلاغ، 1999 : ص 102).

### - البنية العائلية استمرار أم تغير:

إن قضية انتقال البنية العائلية من النموذج الممتد إلى النموذج النووي هي من أكثر المواضيع إثارة للحوار والتساؤل لدى العديد من علماء الاجتماع العائلي والحضري، وأغلبهم يرون أن التغير الذي تعرض له المجتمع كان له الأثر الواضح على بناء العائلة، وهي تعتبر من أهم الوحدات القرابية التي لها دور فعال داخل بناء المجتمع.

تعد الهجرة الداخلية وخاصة منها من الريف نحو المدينة من أكثر الظواهر التي نجمت من جراء التغيرات والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية بالمجتمع الجزائري والتي كان لها الأثر البالغ والمباشر على العائلة حيث " نجد في المدينة بنية عائلية مضطربة. (Boutefnouchet(M),1985: p40)"

لكن ليست مفككة ومشتتة حسب افتراض بعض الباحثين، وكما أن نمط العائلة تغير من العائلة التقليدية الكبيرة الحجم إلى عائلة نواة صغيرة الحجم، مما قلص في وظائفها وهذا التغير على مستوى العائلة هو " تحت تأثير التغيرات الثقافية والاقتصادية المصاحبة للتصنيع والبيروقراطية ". (GuettaMaurice,1991: p425) ويقول "بوتفنوشت" أنها مشتتة جغرافيا ولكن ليست مفككة اجتماعيا، لأن التفكك يعني اختلال شديد للعائلة وبهذا يصعب اندماجها بالمجتمع وبالتالي زوالها نهائيا وهذا ما لم يحدث (Boutefnouchet(M), 1985: p40) لأن العائلة الجزائرية مازالت ذات بنية قوية رغم كل الاضطرابات التي عانت منها ونستشف هذا في كون العائلة الممتدة مازالت قائمة وبفعالية ووظائفها في الأوساط الحضرية، كما تعرف بعض المدن تجمعات قرابية وعشائرية عبر مختلف أحيائها وهذا ما بينته العديد من الدراسات الحضرية.

كما أثبتت بعض الدراسات أيضا كون نووية العائلة راجع إلى عملية التحضر، " لأن العديد من القرى تعرف تزايد في أنماط الأسر النووية" (محمد الدين عمر خيري، 1985: ص153). وهذا راجع لكون مجتمعاتنا تتماشى مع التحضر بكل مستجداته، وفي المقابل أتت بعض الدراسات بنتائج معاكسة تثبت أن التحضر السريع عكس ما كان ينتظر لم يؤدي إلى تفكيك العائلة الممتدة إلى الأسر الأحادية النواة، ولقد استنتج من خلالها أن استمرار الهجرة للأسر نحو المدن تمر عبر مراحل معينة تتناسب أكثر مع تغيرات البنيات العائلية، ففي مرحلتها الأولى تعرف نوع من التفكك في فترة الزواج حيث يغادر المتزوجين بعائلاتهم للاستقرار في المدينة وهذا ما يخلق نووية العائلات، وتليها مرحلة التكوين من جديد وهذا بعد عشرة أو خمسة عشرة سنة من الإقامة في المدينة حيث يرتفع عدد العائلات الممتدة بينما حجم العائلات النووية يبقى ثابت، ثم تأتي مرحلة الامتداد وفيها تتوسع العائلات مع الأقدمية في المدينة وتتكون عائلات نووية من جديد، وفي الأخير مرحلة الاستقرار وهذا

بعد أكثر من اثنان وعشرون سنة من الإقامة فإن العائلات تجمع عائلات نووية من جديد وهذا بزواج الأحفاد المقيمين في السكن الأبوي وما يعيد خلق أسرة ممتدة، واستخلص أن نووية العائلات هي ناتجة من سيرورة الهجرة وهذا في السنوات الأولى من الهجرة أكثر من نتائج التحضر والاندماج في المدينة وهذه الظاهرة (الأسرة النووية) تزول مع أقدمية الإقامة. (Guetta (M), 1991 : PP 587-590).

ومنه نستنتج أن دورة الحياة الحضرية للعائلات ومدة إقامتها تعد من أهم العوامل المفسرة لتغير البنيات العائلية من النمط النووي للعائلات إلى شكل عائلات ممتدة وكما يؤكد "بن عطية" "أن الأوساط الحضرية يمكن أن تعرف باحتوائها على نمط العائلات ذات هيئة نووية، ولكن البحوث أثبتت عكس ذلك وهذا بالكشف عن بنية عائلية ممتدة في هذه الأوساط. (Benatia (F), 1980 : P320) وكما يدعم هذا "بوتفنوشت" في دراسته للعائلة الجزائرية إذ بين أن "البنية الموجودة بكثرة هي العائلة الممتدة المسيطرة على البنية البسيطة ويعتبر أن العائلة الأبوية منحدر من العائلة الممتدة والتي مازالت محتفظة بآثار ووظيفة بنية العائلة الممتدة" (بوتفنوشت مصطفى، 1984 : ص 325). كذلك الخاصة بالعلاقات مع الأقارب المنتشرين في مناطق جغرافية مختلفة والمنحدرين من نفس العائلة الكبيرة والمجتمع الجزائري يعيش هذا الواقع من البنية العائلية بالأوساط الحضرية.

ويؤكد فاروق بن عطية من خلال بحثه الذي أجري في الجزائر على أن بنية العائلة بالوسط الحضري كان من الممكن أن تأخذ هيئة نووية (بنية بسيطة) متشكلة من الأم والأب والأبناء، ولكن لم يكن كذلك لأن البحوث قد سمحت بالكشف عن بنية عائلة ممتدة ومنه وجود وإصرار العائلة الممتدة بالوسط الحضري. (Ben Atia. F, 1998 : p320).

إن بنيات العائلة الجزائرية عرفت تطور كبير في الأوساط الحضرية وهي تكشف عن أشكال جديدة خاصة للتكيف الاجتماعي (MouhamedKhladi, 1991 : p69)، وهذا التطور لم يكن كافي لخلق قطيعة بين النموذج التقليدي مع النماذج الجديدة، ولقد أثار بن سالم هذه المسألة الهامة في بنيات العائلية والتغير الاجتماعي في تونس فحسب رأيه لا نستطيع تحليل البنيات العائلية في محتوى نظريات التقدم، النماذج القديمة والمخططات التقدمية، لأنه

بالنسبة إليه إذا كانت ازدواجية العائلة الممتدة والعائلة النووية هي دائما موجودة فإن العلاقات بين النموذجين قد تغيرت. (Kerlou. M et Kharoufi. M, 1994: p37)

إن العائلة الجزائرية هي عائلة متغيرة والصراع بين القديم والجديد وبين التقليدي والحديث هو قائم داخل العائلة، والتطور يتم تحت ضغط اجتماعي مزدوج بين احترام التقاليد والتطلع إلى الحضرية والعصرية والتحديث (بوتفوشست مصفى، 1984 : ص232)،

ومهذا فإن التغير الذي عرفته بنية العائلة الجزائرية قد صاحبه استمرار نمط البنية التقليدية، وهذا ما نجده بالنسبة للعائلة البسيطة الزوجية وبسبب وضعيتها الغير ومترنة في الهيكل الاجتماعي وتبقى مرتبطة بتعدد علاقاتها بالعائلة الواسعة التي تقيم معها روابط اقتصادية وثقافية واجتماعية مختلفة في منطق التعاون العائلي "فالحفاظ على دور العائلة الكبيرة كإطار شامل آمن جدير بالتدخل في كل مرة يكون ضروري. Kerlou. M et Kharoufi. M, 1994 : p37)

إن استقلالية العائلة النووية ماديا وسكنيا لا يعنى أنها لا تقوم بالالتزامات نحو العائلة الأبوية وبالتالي فالحفاظ تحت شكل أو آخر على خصائص العائلة التقليدية أمر محتوم، حيث أن السمة الحقيقية للعائلة الحضرية الجزائرية تعتبر عن التناقض بين القوات المحركة للتغير وتلك الخاصة باستمرارية الأنماط التقليدية يدل على ازدواجية العائلة أي أنها محافظة على القيم التقليدية، ومنتحة نحو الخارج ونحو العصرية والحضرية وفي نفس الوقت، وبهذا فإن العائلة الجزائرية وبالرغم من التغيرات التي عرفتها لم تتعرض إلى التفكك الاجتماعي والعائلي، فالعائلة الجزائرية تواجه عدة تناقضات واختلافات ثقافية واجتماعية واقتصادية ما أدى إلى اختلافات في البنيات والتصرفات العائلية ما جعل العائلة الجزائرية تعيش في وضعية غموض ثقافي مما خلق لديها اتجاهات وتصرفات عائلية متناقضة (Djamchmid. D et Bouraoui. S, 1986 : p59) ومنه يصبح النمط النووي هو أكثر الأنماط بروزا وانتشارا نتيجة التغيرات التي عرفها المجتمع وخصوصا الجزائري بالأوساط الحضرية، كما تشهد إلى جانبها نمط العائلة الممتدة والتي تمارس وظائفها ومختلف أدوارها كما كانت عليه في شكلها التقليدي بالأوساط الريفية، مما يدل على استمرارية نمط العائلة الممتدة في المدينة ونشوء تجمعات

قربانية. تسود بداخلها علاقات وطيدة تنسم بالتضامن والوحدة داخل هذه الأوساط الحضرية.

### - العلاقات القرابية بالوسط الحضري بين التواصل والقطيعة:

إن شبكة العلاقات الأسرية القرابية السائدة اليوم تعبر في مضمونها على التحول الكبير الذي عرفته العلاقات سواء المتواجدة داخل الأسرة أو تلك التي تربط الأسرة بأهلها، وهذا التحول يعود إلى مختلف المؤسسات الاجتماعية والتغيرات التي يعرفها المجتمع حاليا إذ يقول "دور كايم E. Durkheim" "أن الأسرة لا يمكنها أن تبقى مجتمعا مصغرا داخل المجتمع الكبير لأن المؤسسات الاجتماعية تجذبها إليها، لتصبح هي الأخرى إحدى المؤسسات الاجتماعية المكلفة بأداء وظيفتها المحددة وكل ما تتعرض له الأسرة له تأثير على تكوينها وبنيتها..." (Emile Durkheim , 1978 : p 188)

لقد عَرَفَ البناء القرابي عدة تغيرات مست بنية العائلة والوحدات القرابية المختلفة والتي انعكست على العديد من وظائفها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، حيث كانت العائلة الممتدة هي البوتقة التي استطاعت التكفل بأفرادها، وذلك بتحقيق الشروط الضرورية للحياة والمعيشة، وكما أدت دورها في سيرورة الهجرة الريفية نحو المدن بتوفير ظروف التأقلم والتكيف مع المحيط الحضري الجديد للتخفيف من حدة الاغتراب ومساعدة أفرادها بالاندماج بالوسط الحضري من أجل الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، ولقد كانت شبكة العلاقات القرابية على رأس العلاقات الاجتماعية التي ساهمت في ظهور صلات قرابية بين العمال داخل المصنع في المحيط الحضري (Colon(A), 1992 : p40).

أصبحت القرابية محل نقاش مستفيض لدى العديد من الباحثين في مجال العائلة والأسرة والعلاقات العائلية بالمجتمعات الحضرية وأغلبهم يرجع تغيرات العلاقات القرابية بهذه الأوساط إلى عامل التصنيع حيث يعد هذا الأخير سبب تفكك العائلة الممتدة ليحمل محلها نمط أسري جديد يواكب هذه التغيرات المستمرة والمتجددة مما يؤدي حتما إلى ضعف العلاقات القرابية بين أفراد هذه الوحدات.

إن المجتمع الجزائري وكغيره من المجتمعات شهد عدة تغيرات وتحولات نجم عنها عدة تأثيرات مست العائلة ووظائفها وطبيعة علاقاتها القرابية، ولقد تعرض الأستاذ "بوتفنوشت" إلى هذه الظاهرة من أجل تحليل نسق القرابة في دراسة حول « العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة»، واهتم في هذه الدراسة بالتركيز على أهم التحولات التي طرأت على البناء العائلي والاقتصادي من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة، وبين أن هذه التحولات نجد آثارها في بنية العائلة التي تعد القاعدة الأساسية التي من خلالها يتم فهم المجتمع حيث يقول " ... يصبح من المستحيل الرجوع إلى المجتمع والحديث عنه دون فهم العائلة" (Boutefnouchet(M),1985 : p19)، كما ركز في هذه الدراسة على العلاقات القرابية بين الأفراد والجماعات القرابية، وحسب نتائج البحث يرى ظهور علاقة قرابية جديدة أضيق مما كانت عليه في البنية التقليدية.

لقد أصبحت العائلة تتجه اتجاهها فرديا قائم على الاختيار الحر وذلك حسب الخصائص والميول الذاتية المتعلقة بكل عائلة على حدا، كتجاه هذه الأخيرة إلى إقامة علاقات ذات طابع معين ولأهداف معينة أخذت تنمو علاقات تفاعل خارج محيطها العائلي. وتتضح التغيرات على المستوى الداخلي للأسرة من حيث العلاقات بين أفرادها والتي أصبحت أكثر حرية وديمقراطية تقوم على التفاهم المتبادل والحوار، "بعدها كانت سلطة الأب مطلقة وكاملة ولا يشاركه فيها أحد، أصبحت الأم والأبناء يشاركونهم اتخاذ القرارات الحاسمة المتعلقة بالعائلة، وخاصة القرارات المتعلقة بزواج الأبناء واختيار قرين لهم" (جميل سعيد، 1987 :ص192) كما تغيرت طبيعة العلاقة بين الولدين والأبناء وأصبحت تتميز بنوع من المرونة والاحترام القائم بينهم حيث أن الأب يقوم ببحث أبنائه وارشادهم كصديق لهم، أما الأم فهي دائما المتابعة لخطوات أبنائها وعلاقتهم الخارجية وتشجيعهم ومساندتهم إضافة إلى الحنان والإشباع العاطفي الذي تمدد لهم منذ صغرهم، والعلاقات بين الأبناء أصبحت تقوم على الصداقة والزمالة، ولا تقوم بالتمييز بين الجنسين كما نجد في المجتمعات التقليدية، فكلاهما لهم نفس الحقوق والامتيازات للدراسة والخروج للعمل من أجل ضمان الاستقلال الاقتصادي لكليهما، وبها يضمن لنفسه مكانة اجتماعية مرموقة، ومنه تصبح الأسرة الحديثة تتميز بنوع من الافرادية والمصلحة الذاتية مما انعكس

نوعا ما على طبيعة العلاقات الأسرية القرابية التي بدورها تأثرت بهذه القيم الجديدة من جراء التحضر والتمدن اللذان أعطى للحياة الحضرية طابعا مخالفا عن الحياة الريفية بمختلف تعاملاتها وعلاقاتها التقليدية. ولكن هذه التغيرات التي عرفتها الوحدة العائلية على المستوى الداخلى لها، لم تؤثر سلبيا على علاقاتها وروابطها بأقاربها، حيث مازالت محافظة عليها وبقوة وبصورة مختلفة تتوافق مع الأوضاع الحديثة للمجتمع، حيث أن البحوث والدراسات أثبتت بأن العائلة بالمجتمعات العربية والجزائرية منها مازالت علاقاتها القرابية متواصلة وبأشكال وأساليب مختلفة، ومظاهر التواصل بين الأقارب تتمثل خصوصا في تبادل الزيارات الذي يعد من أهم مؤشرات التواصل القرابي والغرض منه هو ضمان الأمان المعنوي والمادي في مختلف الظروف، كما يعد الاجتماع أثناء المناسبات الدينية والاجتماعية، المختلفة خير دليل على تماسك العائلة الجزائرية بعلاقاتها الوطيدة مع أقاربها القريبين منهم أو البعدين مما يولد نوع من مشاعر المحبة والحنان بينهم ويزيد في تضامنهم، ومما يعبر عن مدى تماسك الأسرة بأهلها وأقاربها رغم كل الاضطرابات والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المستمرة من جراء الهجرة الريفية نحو المدن والتحضر والتصنيع التي يشهدها المجتمع المعاصر.

## خاتمة:

لقد كان هدفنا من هذه المداخلة هو إلقاء الضوء على موضوع القرابة وواقعها داخل المجتمع في ظل التغيرات التي طرأت على البناء القرابي ومختلف علاقاته خصوصا في الأوساط الحضرية، تكتسى دراسة القرابة في العائلة أهمية كبرى لكون الأسرة تعد من المؤسسات الاجتماعية التي تربط الفرد بعائلته وأقاربه ونظرا لعلاقة العائلة والقرابة الوطيدة بالفرد والمجتمع، والتي تتجسد في الوظائف الجوهرية التي يقدمانها للمجتمع الكبير حيث تعتبر القرابة من النظم الاجتماعية التي تقوم بالوظائف الهامة له، والتي من أشكالها تبادل الخدمات والزيارات وكذلك تقديم المساعدات إلى غيرها من الأشكال، مما يجعلها تحتل مكانة ذات أهمية بالغة في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية على حد سواء.

## قائمة المراجع:

### • المراجع باللغة العربية:

- 1- أبو زيد أحمد (2011). البناء الاجتماعي. مدخل لدراسة المجتمع. الجزء 2. الكويت: دار المعرفة الجامعية.
- 2- أنطوني غدنز (2005). علم الاجتماع. ترجمة فايز الصباغ. الطبعة 4. بيروت: دراسات الوحدة العربية بيروت.
- 3- بن أمودة محمد (1987). الاثروبولوجيا البنوية أو حق الاختلاف. الطبعة 1. صفاقص، تونس: دار محمد علي الحامي.
- 4- بن يعقوب أحمد عبد الحكيم (2012). تحول العلاقات الأسرية في مجال الدور والسلطة داخل الأسرة الجزائرية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد التاسع 73-84.
- 5- بوتقنوش مصطفى (1984). العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة. ترجمة دمري أحمد. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون.
- 6- بوعلوف محمد (1999). التحضر وواقع المدن العربية، دراسات في المجتمع العربي المعاصر. تحرير خضر زكرياء. دمشق: دار الأهالي.
- 7- ثابت ناصر (1983). المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية. دراسة ميدانية على عينة من العاملات بدولة الإمارات العربية المتحدة. الكويت: منشورات ذات السلاسل.
- 8- جميل سعيد (1987). دراسات في المجتمع العربي. الإمارات العربية المتحدة: دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر. الشارقة.
- 9- حطب زهير، عباس مكي (ب ت). السلطة الأبوية والشباب. بيروت: معهد الاتماء العربي.
- 10- حمدوش رشيد (2009). مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة الامتدادية أم قطيعة؟ دراسة ميدانية بمدينة الجزائر نموذجاً توضيحياً. الجزائر: دار هومته للطباعة والنشر والتوزيع.
- 11- الخولي سناء (2010). الأسرة والحياة العائلية. الطبعة 1. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- 12- خيرى مجد الدين عمر (1985). العائلة والقرابة في المجتمع العربي. دراسة في المجتمع العربي. الطبعة الأولى. المملكة الأردنية الهاشمية: اتحاد الجامعة العربية.
- 13- درواش راجح (2005). العائلة الجزائرية وآليات تكيفها مع التغير الاجتماعي، دراسة ميدانية لعينة من ولاية الجزائر. (شمال، وسط، جنوب). رسالة دكتوراه الدولة، جامعة الجزائر.
- 14- السيف محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان (1990). التغير الاجتماعي والعلاقات القرابية - دراسة سوسيواثروبولوجية في مجتمع عينه. اصدار مهرجان الوطني للتراث والثقافة. العدد 69. الرياض: كلية الملك فهد الأمنية.
- 15- شكري علياء (1988). الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 16- شكري علياء (2000). دراسات في علم السكان. القاهرة: زهرة الشرق للنشر والتوزيع.

- 17- طلّس عبد الله هشام(1986). القرابة وصلة الرحم. دمشق: أوتوستراد المرة للنشر.
- 18- لتصير عبد القادر(1999). الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري. بيروت: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.
- 19- محجوب محمد عبد(1985). أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة والسلسلة السوسولوجية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 20- النوري قيس(2001). الأنثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعملة. الطبعة الأولى. الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
- 21- الهروي الهادي(2013). الأسرة و المرأة و القيم تساؤلات سوسولوجية في قضايا المرأة المغرب إفريقيا الشرق للنشر و الطباعة.
- 22- الوردي علي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. الطبعة 1. مطبعة العاني. بغداد. ب ت.

### • المراجع باللغة الأجنبية:

- 23- Benatia (F) (1980): **Alger Agrégat ou cite. l'intégration citadine à Alger.** SNED. Alger.
- 24- Boutefnouchet (m). (1985). **Système et changement social enalgerie.**opu. Alger.
- 25- Colon(A) (1992). **L'école de chicago.**PUF . Paris.
- 26- DJAMChid B et Bouraoui S(1986): **Le Défi Destradition Familles musulmans et modarnité.** Paris Publiseid
- 27- GRAFMEYER (Y) (1998). Isaac (j) (présentation): **L'école de Chicago : Naissance de L'écologie Urbaine .** Aubier . paris.
- 28- Guetta. (M) (1991). **Urbanisation et structures familiales.** Revue française de sociologie .
- 29- KERIOU.M et KHROUFI.M. (1994). **Moude Arabe : Magghreb-Machrek. familles. valeurs et changements sociaux.** n°144,la documentaétion française.
- 30- Mouhamed-khelladi.(1991). **Migrants et structures familiales.** Revue Française de sociologie.
- 31- Prothro (Edwin Terry) and Diab (lutfyNadjib). (1974). **Changing family patterns in the Arab East.** Beirut. American university of Beirut.
- 32- Segalen (M). (1981). **Sociologie de la famille.** Armand Colin Edition,Paris.

## التنظيم الاجتماعي للأسرة الجزائرية - بين الوظائف المتغيرة وملامح التغير -

د.أحمد عبد الحكيم بن بطوش - جامعة باتنة 1 - الجزائر

### Résumé :

*A partir de la règle sociale qui confirme que la famille algérienne réalise son équilibre à travers l'intégration des rôles de leurs membres et l'organisation de ces différentes fonctions, donc, elle assure sa continuité. La question s'applique à la famille algérienne qui était indépendante, elle comptait sur la production et accomplissait de multiples fonctions sociales comme: la socialisation, donner le statut et fournir l'orientation religieuse, le divertissement, la compassion, l'amour et la protection. Mais la famille algérienne s'est détournée et a répondu à un changement graduel de ces fonctions et le transfert de certains d'entre eux, aux établissements dehors de la famille, en raison de l'apparition des villes, l'épanouissement du champ de la vie urbaine, la migration de la campagne à la ville, surtout pendant les années quatre- vingt dix (la décennie noire), et la diffusion de l'enseignement par l'application de la politique de l'éducation qui porte le slogan de l'obligation et la gratuité de l'enseignement et aussi l'entrée de la femme dans le domaine du travail. Ainsi que les disparités économiques et d'autres changements.*

### الملخص :

انطلاقاً من القاعدة الاجتماعية التي تؤكد بان الأسرة تحقق توازنها بتكامل أدوار أعضائها وتنظيم مختلف وظائفها وبالتالي تضمن استمراريتها، والمسألة تنطبق على الأسرة الجزائرية التي كانت في زمن قريب مكنتية بذاتها وتعتمد على الطابع الإنتاجي وكانت تهض بوظائف اجتماعية متعددة كالتنشئة الاجتماعية ومنح المكانة والتوجيه الديني والترفيه والتعاطف والمحبة والحماية، إلا أن الأسرة الجزائرية انساقت واستجابت في نفس الوقت لتغير تدريجي لهذه الوظائف وانتقال بعضها إلى مؤسسات ومنظمات خارج نطاق الأسرة، بفعل نشأة المدن وانتشار مجال الحياة الحضرية والهجرة من الريف إلى المدينة خاصة في سنوات التسعينات (العشرية السوداء) وانتشار التعليم بفعل تطبيق السياسة الوطنية للتعليم التي تحمل شعار إجبارية ومجانية التعليم، وكذا دخول المرأة إلى ميدان العمل إضافة إلى التباين الاقتصادي وتغيرات أخرى.

## أولا- التنظيم الاجتماعي للأسرة الجزائرية الحديثة:

الأسرة الجزائرية المعاصرة فقد تعرضت لتأثيرات السياسة الاستعمارية الفرنسية وللمتطلبات التنموية الحديثة التي خاضتها الجزائر بعد الاستقلال جعلتها تعيد هيكلة بنيتها الاجتماعية حسب ما تمليه الظروف الجديدة للمجتمع الجزائري، فقد مست هذه الهيكلة مستويين في البناء العائلي، يتعلق المستوى الأول بالعلاقات الاجتماعية وما نجم عنها من تحول في دوائر القرابة، بينما يتعلق المستوى الثاني بالنقطة الاجتماعية لاستراتيجيات الزواج. إن هذه الهيكلة ما هي إلا تعبير عن تغير سوسيوثقافي في البناء الأسري الذي استجاب للأسباب التاريخية وللمتطلبات التنموية. ولعل أهم مطلب تنموي أُكسب تأثير واضح في هذا البناء هو عملية التحضر، التي أفرزت أنماط معيشية جديدة في الحياة الأسرية، وما انتشر الفردانية والاستقلال المادي في الأسري إلا دليل قاطع على زوال روح التضامن ضمن البنية التقليدية، وفي المقابل ظهرت الشخصية القاعدية للفرد الجزائري المشبعة بروح المواطنة من حيث أنه فاعل اقتصادي ضمن السيرورة التنموية وهذا ما تميزت به البنية الجديدة للأسرة الجزائرية. فالتغير الحاصل على المستوى الاجتماعي خلق ازدواجية الأدوار على مستوى البنية الأسرية، فالابن البالغ له دور في أسرته ودور في عمله وهذا ما يميزه عن والده بعمل مرموق ومستوى تعليمي لائق وبموقف سياسي. كما استجابت البنت، الفتاة، المرأة لشروط التنمية، فالشعور بروح المواطنة وممارستها لحقوقها جعل وضعيتها الاجتماعية في البناء تتغير، وسمحت لها بإدلاء آراءها واتخاذ مبادرات وتسيير حياتها بنفسها وهذا بدون ما يكون هناك تعارض مع أسرتها<sup>1</sup>.

فهذا التحول في البنية الأسرية أحدثته مكانة الأفراد في المجتمع التي منحت للأسرة هيكلة جديدة، فالترقية الاجتماعية والنجاح الاقتصادي الذي يناله الفرد يتعدى تأثيره في الأسرة، وهذا عكس ما كانت تتصف به بنيتها التقليدية، حيث كان العيش والكيان الشخصي من الأسرة وعن طريقها، لأجلها، لا سيما وأن الأرض كانت من خلال هذه البنية تحقق التضامن العائلي والإنتاج الاقتصادي.

وحسب الدراسات السوسولوجية التي تناولت خصائص الأسرة الجزائرية، فإنها أكدت أن هذه الأخيرة ما زالت تحافظ على بعض القيم الخاصة بالبنية التقليدية بسياقها الريفي والحضري، كاحترام الأب والتشبث بالأصول، ممارسة التعاون الأسري وروح الأسرة الكبيرة، في حين تجد هناك ضياع بعض الخصائص مثل انقسام الإرث، تماسك الاقتصاد العائلي، روح الجماعوية (Communautarisme) والزامية الفصل بين الجنسين<sup>2</sup>.

وَحاليا أصبحت بنية الأسرة الجزائرية غير مستقرة ولقد تحولت وانفجرت إلى عدة أشكال، وذلك راجع لما عرفه المجتمع الجزائري من تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية، كان لها أثر كبير في العائلة الجزائرية التي لم تطع بطابع التحولات السريعة التي حدثت في الهياكل السياسية والاقتصادية وخاصة التصنيع السريع، بل أن تطور الأسرة يسير سيرا بطيئا جدا لا يمكن حسابه إلا على مر الأجيال ومن هذا التغير ظهرت عدة نماذج للبنية الأسرية، وهذا ما يؤكد أن بنية الأسرة الجزائرية ما زالت في المرحلة الانتقالية وبالتالي يمكن دراسة بنيتها وفق سيرورة ثانية وهي إعادة الهيكلة من جديد، ولعل أهم مثال يوضح سيرورة التفكيك وإعادة التركيب في العائلة الأبوية هي الظروف الأمنية وتعديل بنية الاقتصاد الجزائري، ونقص وصعوبة الحصول على السكن لسنوات هي أسباب أعادت تشغيل ميكانيزمات التماسك الأسري من جديد .

وبمرور الأزمنة تطور المجتمع وظهرت إلى الوجود الأسرة الحديثة أو الأسرة الزوجية، ويتكون هذا النوع من الأسر من الأب والأم والأطفال، والسلطة في هذه الحالة غير محددة تبعا للأدوار الحديثة المنقسمة بينهم نتيجة للتعاون الذي يحدث بين الأب والأم بعدما كانت هذه الأخيرة لا سلطة لها وكانت مسؤولياتها محدودة في العمل داخل البيت وتربية الأطفال ورعاية أفراد الأسرة بما فيها الأقرباء والكبار، أما دورها في الأسرة الحديثة فقد تغير، حيث أصبحت تمارس كل نشاطات الأسرة داخل البيت وخارجه.

حيث يتفق الجميع على أن تحديد أولويات الأبوين هو خط فاصل ما بين الأداء العادي والأداء المتميز، وليس هناك اخت-لاف في وجهات النظر حول أهمية هذه الفكرة

من حيث المبدأ لدى غالبية أفراد مجتمعاتنا، إلا أن عالم التطبيق وميدان السلوك يشهد تباينا ملحوظا في كيفية تطبيق هذه الأولويات ومراعاتها عمليا<sup>3</sup>.

وبالرغم من تحول الأسرة الجزائرية من الطابع التقليدي إلى الطابع العصري والحديث إلا أن تماسكها وتشابكها بروابط القرابة والتضامن العائلي لازال لم يتغير وبقي مثلما كان عليه في الكثير من الجوانب.

لكن التغيرات التي طرأت على الأسرة الجزائرية ليست على مستوى واتجاه واحد وإنما تختلف من قطر إلى قطر ومن منطقة إلى أخرى، ومع هذا فإن الأسرة تشابه من حيث أصولها وتكوينها؛ إذ تستمد ثقافتها من التراث العربي الإسلامي، ولذلك نجد سمات مشتركة بين الأسرة في الجزائر العاصمة وفي الأوراس وفي الهضاب وفي الصحراء أو غيرها من مناطق القطر الجزائري، وتعد الأسرة النووية هي الشكل السائد في هذا المجتمع، بينما يتضاءل عدد الأسر الممتدة كلما اتجهنا من الريف إلى المدينة، والنسب كما أسلفنا الذكر هو عن طريق الأب، والعلاقة فيها حتى وقت قريب لازالت في كثير من المناطق تتميز بالعصبية القبلية، والتي أخذت تضعف شيئا فشيئا، في حين تغيرت أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية، حيث أصبحت مؤسسات أخرى خارج نطاق الأسرة تقوم بجزء منها، "وتغيرت اتجاهات الشباب نحو عدد كبير من القضايا داخل الأسرة وخاصة ما تعلق بعادات وتقاليد الزواج وتكاليفه، فضلا عن تغير السلطة الأبوية وانحصارها، إذ أصبح للمرأة نصيب في المشاركة في القرارات الأسرية، بل حتى المشاركة السياسية وخروجها للعمل...<sup>4</sup> كل ذلك لم يأت على سبيل الصدفة وإنما لأسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وغيرها.

وبالرغم من أن معظم المؤشرات التي جاءت في العديد من الدراسات والتي أشارت إلى أن الأسرة الجزائرية قد تغيرت بنائيا ووظيفيا تحت ظروف التحضر والتصنيع وغيرها إلا أن الأسرة الجزائرية النووية لا تزال مرتبطة عاطفيا واقتصاديا واجتماعيا بالأسرة الأصلية وإن استقلت عنها في السكن، وبذلك يصعب أن نطلق على الأسرة الجزائرية النووية الجديدة، أسرة نووية مستقلة كل الاستقلال، كما هو موجود في المجتمعات المتقدمة "لكن ونتيجة

للصراع الخطير الذي تعرضت له الأسرة الجزائرية وتزداد تعرضاً له يوماً بعد يوم، والمتمثل في صراع القيم، والذي بدأ يتسع مجاله مع التطورات التقنية ووسائل الإعلام والاتصال، فإن الأسرة الجزائرية متجهة اليوم للعيش في أزمات حقيقية على مستوى الصراع القيمي مقابل تدني نوعية التعليم وازدياد متطلبات الحياة اليومية مع ضعف القدرات المادية على تلبيتها، فضلاً عما ينتظر المرأة من تعقيدات وأدوار جديدة سواء داخل مجال الأسرة أو خارجه<sup>5</sup> حيث لعبت العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية دوراً واضحاً في تغيير النسق والبناء العائلي في الجزائر، خاصة وأن الأسرة الجزائرية هي في حالة تحول مستمر من أسرة ممتدة إلى أسرة نوية وذلك لضرورة إيفاضها الواقع المعاش وتفرضها أيضاً تطور الظروف المادية والتكنولوجية المعقدة التي لا تتلاءم مع طبيعتها، بل تتفق وتتلاءم مع طبيعة الأسرة النووية.

إن نسبة النمو الحضري في المجتمع الجزائري بمقارنته إلى سنوات الاستعمار هو الآن في تزايد مستمر، إذ بلغت في سنة 1886: 8 %، 1906: 10 %، 1926: 13 %، 1936: 16 %، 1956: 21 %، 1977: 41 %، وكل هذا جاء بفضل سياسة التوازن الجهوي الذي تبنته القيادة الجزائرية عام 1966.<sup>6</sup>

وتفسير هذه الظاهرة أي سرعة التحضر راجع للظروف المعيشية المتوفرة في الوسط الحضري، من توفير للمراكز التعليمية والتربوية، ومراكز مختلف الخدمات، كما أن الانخفاض التدريجي الذي طرأ على حجم الأسرة الجزائرية خاصة خلال الفترة الممتدة من 1966 إلى يومنا هذا حسب الدراسات السوسولوجية يرجع إلى:<sup>7</sup>

1- التغيير الإرادي أحياناً واللاإرادي أحياناً أخرى للعائلة الجزائرية من الممتدة إلى النووية، مما دفع هذه الأخيرة إلى عدم إعطاء المجال إلى الأقارب بالسكن أو الإقامة معها في بيت واحد، وهذا يعني أن الأسرة الجزائرية النووية قد استقلت عن أقاربها في مضار السكن المعيشي. وحسب نتائج البحوث السوسولوجية ترتفع نسبة الأسر النووية كلما قلت أزمة السكن في المجتمع الجزائري.

2- رغبة الأسرة الجزائرية في تطبيق طرق تحديد وتنظيم النسل، رغبة منها في تحديد عدد الأطفال، وذلك تبعا للظروف الاجتماعية والاقتصادية، وأيضا نتيجة للوعي الاجتماعي والثقافي الذي عرفته المرأة الجزائرية خاصة.

3- قلة نسبة تعدد الزوجات في المجتمع الجزائري، وشيوع النظام الأحادي للزواج الذي لعب دورا لا يستهان به في التقليل من حجم الأسرة وتغيير تركيبها السوسولوجي.

كما أن أهم الفوارق بين الأسرة النووية والأسرة الممتدة، بمعنى الفوارق بين الأسرة الجزائرية الحديثة المتطورة والأسرة الجزائرية التقليدية الممتدة، هي أن الأسرة النووية: "هي أسرة صغيرة الحجم تتكون على العموم وفي معظم الحالات من الزوج والزوجة والأطفال الذين لا يتجاوز عددهم عموما أربعة أو خمسة، أما الأسرة الممتدة فهي أسرة كبيرة الحجم، حيث أنها تتكون من الزوج والزوجة والأطفال الذين يتجاوز عددهم في مجمل الحالات 8 أو 12 طفلا، وضاف إلى ذلك الأقارب الذين يسكنون مع الأسرة الأصلية في بيت واحد"<sup>8</sup>.

ويخيم الجو الديمقراطي على الأسرة النووية وذلك لعدة اعتبارات، منها تساوي منزلة الزوج مع منزلة الزوجة، وذلك بفضل المستوى الثقافي العلمي الذي تحصلت عليه المرأة في هذه السنوات، إذ تحسنت وضعيتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية على الوضعية التي كانت عليها، بينما يسود الجو الديكتاتوري على الأسرة الممتدة، إذ أن الأب يحتل منزلة اجتماعية أعلى بكثير من منزلة الأم، وغالبا ما ينفرد في اتخاذ القرارات والإجراءات اتجاه شؤون الأسرة والأولاد، ومما يزيد في ديمقراطية الأسرة النووية عدم تعرض الزوج ولا حتى الزوجة إلى القيود التي تفرضها عليهما سلطة الأقارب، كسلطة الجد أو الأخ الأكبر أو العم أو الخال...، هذه السلطة كانت تقرر في كثير من الأحيان مصير ومستقبل الأسرة الممتدة سابقا، كما أن الزوجة في الأسرة النووية لا تحكم من قبل والده زوجها ولا تخضع لإرادتها، كما كانت عليه في الأسرة الممتدة سابقا، وأن علاقة الزوج مع زوجته أقوى بكثير وعلى درجة كبيرة من الصلابة والمتانة من علاقة الزوج بزوجته في الأسرة الممتدة.

وهذا ما يجعل الأسرة النووية تتعرض إلى فقدان الطابع المميز لبعض العادات والتقاليد والقيم التي كانت تلعب الدور الأساسي في وحدة وتماسك الأسرة الممتدة.

"ومن التغيرات التي طرأت على الأسرة الجزائرية التقليدية نتيجة لظهور مظاهر التحضر والعصرنة والتحولت الاقتصادية الكبرى، حيث أنه بدأ أبناء الأسرة الممتدة في القيام ببناء مساكنهم مستقلين بذلك عن بيوتهم الأصلية، وهذا مما أدى بالضرورة على انخفاض الأجيال الذين يعيشون في الوحدة السكنية من ثلاثة أجيال إلى جيلين أو جيل واحد في بعض الأحيان".<sup>9</sup>

وفي ظل هذه التحولات يجب على الأسرة الجزائرية التصدي والتعامل مع هذه التحولات، محاولة منها استيعاب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية... الخ، كما انه على الأسرة الجزائرية الحديثة أن تعمل جاهدة على تطبيق وظائفها على أحسن وجه، وذلك عملا على استقرارها وسلامتها وبالتالي استقرار المجتمع ككل.

## ثانيا- الخصائص السوسولوجية للأسرة الجزائرية الحديثة:

### 1. التحول نحو نمط الأسرة النووية:

تتأثر الأسرة في المدينة بشكل عام بمختلف التغيرات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية التي تشهدها المدينة، وفي ظل التبدلات والتغيرات التي طالت المجتمعات الحضرية المعاصرة، حيث أصبحت الأسرة الحضرية تأخذ النمط النووي، الذي يتكون عادة من الزوج والزوجة وأبنائهم.

وقد صاحب هذا التحول تغير وظائفها مما جعلها تتمتع بالاستقلالية المالية والوظيفية فتغيرت من حيث:

- الشكل.

- الحجم.

- الوظائف.

- التنظيم الداخلي.

- التخطيط والاتفاق العائليين.

- أنماط الاستهلاك وانتشار النسق التكنولوجي.

- نمط العلاقات الاجتماعية والمهنية، ومحدودية نطاق شبكة علاقاتها القرابية.

## 2. الفردانية:

إنّ التحول الذي طرأ على الحياة الحضرية بكل أبعادها وتجلياتها الاجتماعية والاقتصادية، جعل النسق القيمي والثقافي للمنظومة الاجتماعية يتغير نحو الانقسامية والتجزئية، وكل ذلك جعل من الفرد الحضري يتمتع بنزعة فردانية، لأنه أصبح يبحث دائماً عن الاستقلالية في توجيه علاقاته الاجتماعية، فظهرت أشكال جديدة من السلوكيات والأنماط الحياتية الحضرية، حيث تغير نمط الأسرة كما أشرنا سابقاً نحو الفردانية، أو ما يعرف بالجمعية الفردية المنظمة، مما جعل الفرد مضطر تحت تأثير الضغوط الحياتية في المدينة، إلى تكوين أنواع جديدة من الالتزامات، من شأنها أن تؤثر على شكل الأسرة ووظائفها فيغلب الطابع الفردي الاستقلالي، في مختلف مجالات المشاركة الاجتماعية الحضرية.

## 3. سيادة العلاقات الثانوية وانتشار العلاقات الطوعية:

يرى علماء الاجتماع بأن الظواهر المنتشرة في مجتمع المدينة يرتبط بها الكثير من الظواهر الأخرى. لعل أهمها سيادة العلاقات الثانوية، والتي تنسم هي كذلك بالسطحية والانقسامية.

وفي هذا السياق نجد ابن خلدون من السابقين الذين اهتموا بدراسة العلاقات الاجتماعية، واختلاف نسق القيم داخل المجال الحضري، وذلك عند تعرضه لمعالجة المدن والظواهر المرتبطة بها، بحيث يرى بأن المجتمعات الحضرية قد عبرت مرحلة البداوة، وانتقلت إلى مرحلة التحضر، وبعدها كان شغلها الشاغل هو الحصول على الضروريات أصبحت تبحث عن الكماليات، وتتفنن في أعمالها وخاصة في الميدان الصناعي والعلمي، فانتسعت

شبكة علاقات أفرادها حيث أصبحت متشابكة ومتداخلة، لأن الفرد البدوي يعيش في مجتمع صغير وعلاقاته محدودة، بينما يعيش الفرد في المدينة في مجتمع واسع النطاق، كثير العدد له مشاكله ووظائفه الكثيرة والمتنوعة في جميع الميادين، كما أنّ الحياة الحضرية نفسها لدليل على تطور أشكال الحياة وتقدمها في جميع الميادين الاجتماعية، السياسية والعلمية والصناعية والاقتصادية والعمرانية، ولذلك تصبح أعمال الفرد الحضري معقدة ومركبة تركيبة علاقاته الواسعة.

وبالتالي أصبحت العلاقات الاجتماعية الجديدة (البديلة) وسائل ضرورية لتحقيق الأهداف الشخصية، والتي تتصف عموماً بالرشد والعقلانية وأكثر بعداً عن العاطفية والانفعالية. كما أنّها تشكل في سياق انضمام الفرد واندماجه في الحياة المهنية، أو الثقافية أو الاجتماعية بصفة عامة. ومع تزايد حجم المجتمع الحضري وزيادة كثافته السكانية وارتفاع معدلات الحراك الاجتماعي، واللاتجانس والتغير أصبح هذا الأخير يتصف بمجتمع الروابط الطوعية والجماعات الاختيارية، سواء على مستوى المهنة كما أشرنا سابقاً أو الهوية أو على مستوى الموطن الأصلي، أو الديانة أو على مستوى السن أو الجنس، في كل الأحوال يجد الفرد الحضري نفسه دائماً في البحث عن علاقات اجتماعية جديدة تتماشى مع ظروفه ومتطلباته الحياتية الحضرية المتجددة.

وقد خلص ويرث (Wirth) إلى أنّ ما يميز حياة المدينة ضعف الروابط القرابية والحيرة وتضاؤلها، ونتيجة لذلك تظهر المنافسة. وميكانيزمات الضبط الرسمي لتحل محل روابط التضامن والعلاقات الأولية القرابية التي كانت سائدة من قبل، ويمكن تفسير ذلك إلى التطور الصناعي وتوسع شبكة الأنشطة التجارية في المدينة، وسرعة استيعاب سكانها للمفاهيم، والقيم الثقافية والاجتماعية السائدة، وبذلك أصيبت الروابط والعلاقات التقليدية (القرابية) بالتمزق والتصدع وحلت محلها علاقات اجتماعية خارجية تقوم على مبدأ المصلحة المشتركة والاعتمادية المتبادلة.

## 4. ضعف شبكة العلاقات القرابية:

إنّ النظام القرابي في المجتمع التقليدي يتولى كل المهام الاقتصادية والاجتماعية للفرد، مما يساهم في اعتماد هذا الأخير عليه، نظرا لما يوفره له من الاطمئنان النفسي والتكافل الاجتماعي، بالإضافة إلى كونه مصدر النفوذ والسلطة الاجتماعية، فتتحدد مكانته في جماعته القرابية.

في نفس السياق تؤكد - لوسي مير - مفهومين انتشر استعمالها في أمريكا في مجال نمط العلاقات الاجتماعية في الجماعات القرابية وهما المكانة والدور، ويؤكد الكثير من الباحثين أن الإنسان قد شغل عدة مكانات قد تكون كلية وإما مرتفعة أو منخفضة نسبيا مقارنة مع غيره من أعضاء المجتمع، وهي تحدد نمط العلاقات التي قد شغلها مع المجتمع الذي يتعامل معه وينتظم داخل أطره القيمية والمعيارية والقانونية.<sup>10</sup>

وإن أهم ما يميز حياة المدن هو الانفصال المجالي والحراك التنقلي في الوسط الحضري، الذي ينتج بدوره أدوار وعلاقات جدلية، والتي تخضع لمعايير الضبط الاجتماعي، والذي يشمل جميع درجات التفاعل الاجتماعي في المجتمع الحضري، حيث يهدف عامة إلى حمل الأفراد على القيام بأدوارهم وفقا لتوقعات الجماعات الحضرية التي ينتمي إليها، مما جعل الفرد الحضري يفقد الحاجة إلى العلاقات الأولية القرابية، ويميل إلى الاستقلالية المجالية وحتى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بصفة عامة.

## 5. ضعف علاقات الجيرة:

يرى "بارك" Parc "أحد مؤسسي مدرسة شيكاغو أن جماعات الجوار في البيئة الحضرية، فقدت ما كان لها من مغزى في الأشكال البسيطة والتقليدية في المجتمع.

أي أن الحياة الحضرية في تصور "بارك" أضعفت العلاقات الوطيدة بين الأفراد، التي كانت سائدة في الجماعات الأولية، وقضت على النظام الأخلاقي الذي كان يدعمها ويظهر ذلك خلال الإطاحة بالروابط المحلية، والتأكيد على علاقات الاستقلالية بين الجيران.

كما يؤكد ويرتقائلا "إذا رجعنا إلى المدينة نجد أن مصطلح الجوار يكاد يحمل معنى واحد وهو التقارب الفيزيقي في معظم الأحيان، لأن طبيعة العلاقات الحضرية التي تتكسي صبغة الشخصية والسطحية في الأحياء المأهولة، راجع أساسا إلى خصوصية الحياة الحضرية والتي تفرض هذا النوع من العلاقات"<sup>11</sup>.

وفي دراسات ويرث عن وصف الجيرة في المجتمع الحضري، قارن هذا الأخير بين الجوار في الريف والمدينة، حيث أكد أنّ الأفراد في الريف يتقاسمون خصوصيات حياتهم، أين يخضع الفرد لسلطة الجماعة على حساب رغباته الفردية، والجوار أو التضامن الجوّاري التقليدي يكون بدون مقابل ولا تفكير حيث اتسمت هذه العلاقات بالتعاون، الحماية، المودة، الإخلاص، التفاعل.

أما في المدينة، فالعلاقات الجوّارية مبنية أيضا على أساس المساواة، لكن بدون مسؤولية في محل الإقامة أو المشاركة في الحياة الجماعية، فليس من الضروري أن يلتقي الجيران كل يوم، وهناك حتى من لا يعرف جاره فالمجاورة عموما مبنية على التقارب الفيزيقي المكاني وهي غير كافية لشعور الأفراد بإحساس الجيرة.

وهناك من يرى أنه من الممكن أن تأخذ شكل الجماعة الأولية عند الضرورة الوظيفية، كالأزمات أو أثناء المشكلات والحاجات المحلية المشتركة، أو أثناء بحث الأفراد عن علاقات بديلة نتيجة ابتعادهم عن علاقات القرابة أو الزمالة في العمل، فإنهم أمام خيارين إما إقامة أو توطيد علاقات الجيرة أو الانصراف تماما عن الدخول في العلاقات مع الآخرين، ولتفسير ذلك هناك عدد من الاعتبارات:

- إن مسؤوليات مواجهة الحاجات والمشكلات المحلية للمجاورة تلقى في المدن والمراكز الحضرية الكبرى، على عاتق تنظيمات أخرى تعلو المستوى التنظيمي للمجاورة، كما أنّ ولاء ساكن الحضر لجماعات سلالية أو دينية أو طبقية أو إيديولوجية والتي قد تمتد لتستوعب المدينة بأسرها أمر من شأنه أن يفتت تلك الوحدة التقليدية لجماعات الجيرة في اهتمامها بمسائل أكثر محلية.

- إن الجوار المكاني للأقارب وزملاء العمل، أمر غير متوفر أو متاح غالبا في المدن الكبرى إلا لمجرد الصدفة، حيث تلعب قوى السوق والمنافسة في مجال الاسكان، دورا واضحا في تشتت هذه الجماعات فيزيقيا، ومن ثم لا تجد علاقات الجوار ما يدعمها من علاقات أخرى كالقراية أو السلالة.
- إن من أيسر الأمور بالنسبة لسكان الحضر أن يجد ما يجعله غير مرتبط بالضرورة بجماعات الجيرة، حيث يتيح تعدد جماعة المصلحة والروابط الثانوية وتنوعها في البيئة الحضرية، فرصة أوسع للتفاعل ولتدعيم الروابط الوثيقة بالآخرين خارج الحدود المحلية للمجاورة، لذلك فإن الافتقار الواضح للروابط المحلية بين الأفراد، من شأنه أن يقضي على الطابع الأولي والشخصي لعلاقات جماعات الجيرة في مجتمع المدينة.

#### 6. أقول المفهوم التقليدي لجماعات الأصدقاء:

اتفق علماء الاجتماع أن جماعات الأصدقاء، تتميز بنمط العلاقات الاجتماعية الأكثر تعقيدا من علاقات القرابة وعلاقات الزمالة والجوار، فالفرد له كل الاختيارات المستقلة عن جماعات العمل والقرابة والجيرة في تحديد جماعات أصدقائه، ولقد استوعبت النظرية الحضرية عددا من المواقف المتباينة لعلاقات الصداقة في المدينة، بحيث هناك من يؤكد زوال علاقات المودة الحالية من المصلحة والمنفعة الذاتية، كما أن الفرد الحضري رغم ما يقوم بينه وبين الآخرين من معاملات واحتكاك مستمر وغير منقطع، إلا أنه نادرا ما يتفاعل معهم على مستوى شخصي ليجد نفسه في النهاية وحيدا بلا أصدقاء.

وفي الجانب المقابل هناك من يرى، أن جماعات الأصدقاء في المدينة شأنها شأن الجماعات الأولية الأخرى، بل ربما تسودها علاقات المحبة والروابط الشخصية، لأنها تنبثق عن ثقافات فرعية متميزة ومتجانسة، ولأن فرصة الاختيار في مجالها أكثر اتساعا ووفرة.

إضافة إلى ذلك هناك من يعتبر الصداقات التي تنشأ بين ساكني المدينة لها دور بالنسبة للدعم المادي والمعنوي المتبادل بينهم، غير أن ذلك لا يعني أن الصداقة في المدينة لم تتأثر بالحضرية، حيث تختلف طبيعة وأشكال الصداقات في الحضر عنه في الريف، خاصة بعدما انتشرت شبكات التواصل الاجتماعي والمنتديات الالكترونية ووسائل

الإعلام الجديد في المجال الحضري، وأتاحت فرص كثيرة لتكوين جماعات الأصدقاء، فالملحوظ أنّ جماعة الأصدقاء في المجتمع الحضري أكثر تشتتا واتساعا من الناحية الجغرافية والمجالية، كما أن تغير مفهوم محلية المجتمع الحضري وفقدانه لارتباطه بالقيم والمعايير والنظم الاجتماعية المتجانسة، أتاح الفرصة لتغير مفهوم الصداقات والتي تجاوزت حدود الجوار المكاني أو القرابي، وهذا يعني أن السياق الاجتماعي والعاطفي الذي تنمو فيه العلاقات الاجتماعية، أو تدعيمها تكون أكثر اتساعا وتنوعا في المناطق الحضرية، ومن ثم فمن المتوقع أن تعكس جماعة الأصدقاء هذا التنوع بدرجة ملحوظة.

### 7. التنقل والحراك الاجتماعي:

إنّ ما يميّز به البناء الاجتماعي الحضري من تقسيم دقيق للعمل وتعدد النشاطات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصناعية، وزيادة الطلب على الخدمات، جعل الفرد الحضري في حالة منافسة على المكانة لتحقيق متطلبات الحياة الحضرية، كما أنّ طبيعة الحياة تتطلب قدرا كبيرا من التنقل الجغرافي للأشخاص والسلع والخدمات وحتى الأفكار. وبالتالي فهي تشجع باستمرار على تحقيق قدر أكبر من التنقل والحراك الاجتماعي.

### 8. خروج المرأة للعمل:

إن تحرر علاقات الجماعات القرابية وتعدد النظم الاجتماعية والاقتصادية في المدينة، جعل للمرأة موقع مميّز داخل البناء الأسري الحضري، وهذا موازاة مع سياسات الإنماء الاجتماعي والاقتصادي في المدينة، وما تفرضه هذه الأخيرة من متطلبات وتعدد حاجات الأسرة، إضافة إلى ارتفاع مستويات تعليم المرأة ومشاركتها في الحياة العملية والسياسية.

كما أن خروج المرأة للعمل أدى إلى حدوث تغيرات بنائية معتبرة في الأسرة الحضرية لاسيما تلك المتعلقة بالإنجاب، معايير الاختيار الزواج، الإنفاق، إدارة شؤون البيت مشاركة مع زوجها، المشاركة في تربية الأبناء. فأصبح الزوج مطالب بتقسيم المسؤوليات المنزلية ومساعدة المرأة في أدائها للمهام الأسرية، فكما يرى الباحثون في مجال الدراسات الحضرية، أن الاستقلالية الاقتصادية للمرأة في المدينة، جعلها تختار أنسب الأعمال التي

تقوم بها، باحترام رغبتها واختيارها الأسلوب الأمثل في تربية أبنائها، ورعاية شؤون منزلها إلى جانب إدارة وقتها وتنظيمه وإدارة ميزانية الإنفاق الأسري.

### 9. العزل المكاني:

يتميز مجتمع المدينة بالدينامية واللاتجانس، الأمر الذي قد يؤدي إلى عزل واضح ومتميز للجماعات والأنشطة والوظائف، حيث نجد أنّ مركز المدينة يشمل معظم الوظائف ذات الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع الحضري، مما يجعل القيمة الإيجابية لهذه المنطقة باهظة الثمن. إن التنظيم المكاني الذي يتصف عموماً بالعزل، جعل البناء الأيكولوجي للمجتمع الحضري يتحكم في تنقلات وحركة السكان، ويتيح لنا تفسير ديناميكية الحراك الثقلي وطبيعة مجتمع المدينة، خاصة أنّ سكان أي مدينة يميلون إلى صنع طابع اجتماعي وثقافي واقتصادي خاص بهم ويميزهم عن باقي الحضريين في مدن أخرى.

### 10. توفر الخدمات وظهور الثقافة الترويجية:

تمتاز المدينة بتوفر الكثير من المؤسسات الاجتماعية والعلمية والتعليمية كالمستشفيات والجامعات والمعاهد والمصارف التجارية، كما تنتشر في المدينة المرافق العامة والمسارح والفنادق والنوادي الرياضية والثقافية، مما يجعلها فضاءاً للترويج وقضاء وقت الفراغ، إضافة أنّ الفرد الحضري يتمتع بثقافة واسعة نظراً لاهتمامه بالتعليم، وكثرة المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الثقافية التي تولي اهتماماً خاصاً بالجوانب التعليمية والثقافية والاجتماعية والترفيهية والترفيهية في البيئة المدنية.

### 11. الفوارق الاجتماعية:

تظهر الفوارق الاجتماعية بشكل واضح في أنماط الإقامة ومستويات الدخل، الأمر الذي يجعل المدينة تنقسم إيكولوجياً إلى أحياء راقية وأخرى شعبية وأخرى عشوائية ولكل فئة أنماط معيشية معينة.

## 12. الحراك الاقتصادي وتنوع النشاطات التجارية والصناعية:

إنّ الحياة الحضرية في المدينة ترتبط بالصناعة والمبادلات التجارية، فمفهوم الحضرية اليوم أصبح يتناسب طرديا مع ثلاثية الصناعة والتجارة والوسائل التكنولوجية، لظهور المعرفة التنظيمية المعقدة كمظهر أساسي في الحياة الحضرية، وهي متغيرات وعوامل رئيسية أدت إلى تنوع أنماط الاستهلاك وظهور الحاجات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتجددة، التي يزيد عنها الطلب باستمرار في مجتمع المدينة. ويحدث الحراك الاقتصادي في المدينة تغيرات مورفولوجية وايكولوجية وتنظيمية قد تأخذ الأبعاد الآتية:

- تركز الأنشطة التجارية والصناعية في مركز المدينة، بحيث نجد إحدى المدن تغلب عليها صناعات معينة بينما أخرى تهتم بصناعات مغايرة، وتصبح المنطقة التي تحتوي هذا النشاط منطقة مركزية لها تأثير في الحراك التنقلي للسكان كما أشرنا سابقا.

- تهتم المجتمعات الحضرية المعاصرة بعامل التنظيم لما له من أهمية بالغة في كل مستويات النظام الاقتصادي الحضري، ومن المفترض أن يعمل هذا التنظيم بشكل دقيق حتى يحقق المتطلبات الحضرية في المدينة.

- إنّ التوسع في الإنتاج الاقتصادي الحضري يؤدي إلى زيادة معدلات الحراك الجغرافي أو الفيزيقي من منطقة إلى أخرى أو من حي إلى آخر، ومن مجتمع حضري إلى مجتمع حضري.

- يترتب مما سبق وجود علاقة وثيقة بين الإنتاج الصناعي واستخدامات التكنولوجيا، الأمر الذي تستدعي ضرورة وجود برامج تدريبية للقوى العاملة وتأهيلها، لما طرأ على المجتمع الحضري من تخصص وظيفي وظهور المنظومة التكنو-اجتماعية، خاصة في سياق التحول نحو اقتصاد السوق وعولمة سوق العمل، حيث اقتحم النسق التكنولوجي أشكال التدريب والتأهيل المهني، والكفاية الإنتاجية والأمن الصناعي والرعاية الاجتماعية.

### 13. كبر حجم المجتمع وكثرة التجمعات الحضرية:

يتسم المجتمع الحضري بكبر الحجم، والكثافة السكانية العالية نتيجة عمليات التحضر وارتفاع معدلات الهجرة إلى المدينة، لما لها من خاصية الجذب إضافة إلى كثرة التجمعات الحضرية، واكتظاظها بالمباني والمؤسسات وتأخذ غالبا شكل الزيادة الرأسية والأفقية.

### 14. تنوع المهن التجارية والإدارية:

تعتبر المهن الرئيسية لسكان المدن هي الأعمال الإدارية والتجارية والصناعية، كما يشير الاقتصاد الموازي عدد من الأنشطة الهامشية في بعض أحيائها خاصة الشعبية منها، كما تفرض المدينة على السكان التقسيم المفرط للعمل والتنوع الشديد في النسق المهني، خاصة في مجالات الطب والهندسة والقانون والمحاسبة والإدارة.

### 15. انتشار النسق التكنولوجي والتعليمي:

إن ارتفاع مستويات التعليم في الأسرة الحضرية يؤدي إلى زيادة درجة مشاركة الأفراد في الحياة الحضرية والاستعداد لمطالباتها، وذلك بتعدد أنماط هذه المشاركة في معايير الإنجاز، الانتظام والامثال للسلوكات الحضرية وأنشطة المنظمات المجتمعية، فضلا أن للتعليم مردود عملي مباشر للتعليم على المستوى الفردي والجماعي، والمتمثل في كفاءة اليد العاملة المتخصصة. فالتعليم وسيلة فعالة وأساسية لتهيئة الفرد وتزويده بأساليب العضوية الفاعلة في الحياة الحضرية، التي تقوم على الأهداف المشتركة والاعتمادية المتبادلة.

كما أن تعدد استخدامات التكنولوجيا في المدينة أحدث تحولات في هياكل الاقتصاديات والصناعات وأسواق العمل، حيث أن الزيادة السريعة في تنامي المعرفة العلمية والاكتشافات التكنولوجية ترفع احتمالية النمو الاقتصادي الحضري، وهذا بدوره يفرض على التعليم ضرورة مقابلة في طلب الاقتصاديات المتنامية. إضافة إلى أنه يضمن للفرد الحضري التدريب والتكوين في مجال الأدوات والأجهزة التكنولوجية، ومراكز المعلومات وأساليب تشغيلها واستعمالها ونظم إدارتها وسياستها وأهدافها.

كما أن انتشار النسق التكنولوجي في المدينة لم يقتصر على الوحدات التنظيمية والمؤسسات، وإنما تعداه إلى الاستخدامات اليومية في المنازل والمدارس والشوارع، خاصة تلك المتعلقة بشبكات التواصل الاجتماعي والمدونات الالكترونية التي ارتبطت بأحدث أجهزة التكنولوجيا في المجتمع الحضري.

### 16. إدارة الوقت:

في الواقع تعرف الحياة في المدينة ضغطا وتشاحنا كبيرا في أداء المهام والوظائف وتعدد الأنشطة، وكثرة الحركة والتنقلات الفردية والجماعية، إضافة إلى أن كل مؤسساتها تخضع لتنظيم زمني يطبق على جميع المشتغلين في نفس القطاع أو المجال، كل ذلك يجعل الأفراد يدركون قيمة الوقت وأهميته في أداء حاجاتهم ووظائفهم، فيخضعونه للتخطيط والبرمجة المناسبة لنمط حياتهم.

### 17. تنوع أنماط الاستهلاك:

تخضع أنماط الاستهلاك في المدينة للمعايير الثقافية واختلاف الديانات وتنوع المستويات التكنولوجية وأنماط استخداماتها، إضافة إلى تأثير الإعلام باختلاف مصادره ومضامينه والتي تعتمد على التأثير واستثارة الغرائز وتنشيط دوافع المستهلك، إضافة إلى تعدد وتنوع السلع المعروضة والأفكار المروجة وارتفاع مستوى الدخل الفردي، كل ذلك من شأنه أن يزيد في تعدد حاجات الفرد الحضري وتنوع ثقافته الاستهلاكية عكس الحياة الريفية التي تعتمد أنماطا استهلاكية عامة ومشاركة.

### ثالثا-حراك النسق القيمي وتغير بنية السلطة داخل الاسرة الجزائرية الحديثة:

إن العلاقة بينالنسق العام للقيم والأسرة هي مسألة جوهرية في تحديد مجال النمط البنائي للأسرة فيحالي الثبات والتغير، معتبرا أن نسق القيم يلعب دوره في درجة التحضر الكيفي لامتشكه هذه القيم من ضوابط وقيود على التأثيرات الصادرة عن التحضر وخاصة في تلكالمجتمعات التي تلعب فيها القيم دوراً بارزاً في تشكيل حياة الناس في معظم جوانبها ومختلف مكوناتها كالمجتمعات العربية.

وتمتاز القيم الأساسية في المجتمع بقدر من الرسوخ والاستقرار، ورغم مرونتها في بعض المجتمعات إلا أنها تبقى على قدرٍ من الاستقرار والثبات للقيم العامة عند معظم المجتمعات، أما عن علاقة الأسرة بهذا النسق القيمي فإن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الصغرى المسؤولة عن زرع هذا القيم في أفرادها وهي عملية تناسب طبيعة الأسرة، ويحدث التفاعل بين الأسرة النووية ونسق القيم من خلال تلك المعايير ومستويات السلوك التي يحددها نسق القيم كسلوك مرغوب فيه و يشكل الدين جزءاً هاماً فيها مما يجعل الأسترقبل بها وتقوم بتنشئة أطفالها عليه، وإذا كان للأسرة إسهام في المجتمع إلزامها لأفرادها قياً معينة فإنها ، وبالقدر الذي تسلك منه الأسرة وفق نسق القيم تصبح الأسرة بذلك قاعدة أو أساسا متشابهة بفعل اشتراك أفرادها في المعايير القيمية نفسها فإن لم يتحقق هذا التطابق فإن الأسرة تأخذ طابعاً مختلفاً حيث تظهر محاولات للتعديل من تلك القيم.

أما في الجزائر فأكدت عدد من البحوث والدراسات منها "المسح الجزائري حول صحة الأسرة لسنة 2002"<sup>12</sup> على تحول في الأسرة الجزائرية من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية -" المكونة من أبوين وابن أو عدة أبناء غير متزوجين- حيث أن هذه الأسرة أصبحت تشكل أكثر من 60% من مجموع الأسر الجزائرية"<sup>13</sup> إن هذا التحول يعود إلى أسباب اقتصادية واجتماعية بالأساس، حيث أصبحت صعوبة العيش ومتطلبات الحياة المتزايدة تفرض على الشباب أن يعيش مع زوجته وحدهما في منزل بعيدين عن عائلتهما من أجل مواجهة التكاليف والمصاريف والابتعاد عن التدخل في أمورهما الخاصة. وهذا التحول وغيره في بنية الأسرة أدى بدوره إلى انعكاسات سلبية على مجمل وظائف الأسرة ونشاطاتها ومن بينها وظيفة التنشئة الاجتماعية، إذ نتج عن الانتقال من الريف إلى المدينة والحراك المادي والاجتماعي تحول جذري في علاقات الأسرة وأدوارها ووظائفها وبنائها، فعلاقتها أصبحت محدودة ورقابتها على أفرادها أضحى ضعيفة، وأدوارها تغيرت لمجابهة متطلبات الحياة الصعبة (غياب كلا الوالدين عن المنزل في نفس الوقت من أجل العمل). لقد كانت التنشئة الاجتماعية محصورة في عدد محدود من المؤسسات التربوية والاجتماعية كالأسرة وجماعة الحي والمسجد والجيران والمدرسة، بحيث تتساند تلك المؤسسات وتتآزر وتتكامل فيما بينها لتحقيق تنشئة متوازنة وسلمية وخالية من التناقضات والمضاعفات السلبية للفرد .

لكن مع تطور المجتمعات وبسبب التحولات الاجتماعية التي حملتها العولمة، وبسبب هجرة الأُسَر من البادية إلى المدينة لأسباب اقتصادية واجتماعية.. تعددت وسائط التنشئة الاجتماعية لتشمل إضافة إلى ما هو موجود في الماضي، التلفزيون، والسينما والقنوات الفضائية والانترنت... التي تتعارض فيما بينها لما تقدمه من رسائل وتعمل دون تنسيق لتأني التنشئة الاجتماعية مشوشة وتؤدي إلى الارتباك والاضطراب والازدواجية في شخصية الفرد، هذه التحولات المجتمعية والأسرية انعكست سلبا على التنشئة الاجتماعية وذلك من خلال اقتحام بعض القيم الدخيلة على المجتمع الجزائري والتي أتت إليه من طرف وسائل الإعلام والمسلسلات المكسيكية والتركية، وأضحى الأسرة تعاني بسبب الرغبة في التقليد واتباع تلك الأنماط الاجتماعية والسلوكية على مستوى اللباس والقيم ومختلف أشكال الحياة.

كأن المتغيرات السوسيواقتصادية والسوسيوثقافية والتكنولوجية، كان لها الدور الحاسم في هذا التحول في بنية الأسرة الجزائرية حيث انعكس ذلك على تمثلات وقناعات الأفراد إلى الميل نحو الاستقلالية وتكوين بيت مستقل، مما أفرز لنا هذه الأسرة النووية الصغيرة، وبالتالي هذه التحولات أدت إلى اضطرابات أسرية انعكست سلبا على التنشئة الاجتماعية وتتجسد تلك الاضطرابات أولا في علاقة الوالدين ببعضها البعض ومنها: الخلافات، الزواج غير الموفق، عدم التكافؤ بينهما اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، الانفصال أو الطلاق أو الهجر أو الزواج الثاني، التضارب في الاهتمامات، الغياب الطويل عن البيت وبخاصة غياب الزوجين في العمل، تبعات العمل التي تحملها الأم إلى بينها(تعب تعصب...الخ). هذا الواقع الجديد للحياة الأسرية إضافة إلى تدني مستواها الاقتصادي والثقافي وانحراف معايير الأسرة الاجتماعية وعدم الاستقرار والتنقل المستمر سعيا وراء لقمة العيش... كلها أسهمت في تقليص دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية وأصبحت تشكل تهديدا لها. وهذا لا يعني أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد هذه النواة الناشئة وباقي أفراد العائلة قد تغيرت كليا، فمازالت هذه العلاقات محتفظة ببعض من قيمها الاجتماعية السابقة.

من جهة أخرى يظهر أن تحولا كبيرا قد طرأ على علاقة السلطة داخل الأسرة، فإذا كانت هذه السلطة في الماضي متمركزة (في يد الأب أو الجد أو من له شخصية قوية داخل العائلة) فإنه في الوقت الحاضر أصبحت سلطة الأب في منافسة قوية للمؤسسات أخرى ومن ذلك سلطة وسائل الإعلام والتعليم وتحول القيم الاجتماعية، فاليوم لم يعد هناك هذا الأب المسيطر والمهيم والذي يمتلك القدرة على تسيير الأسرة والتحكم فيها بشكل مطلق، ولم يعد يلعب نفس دوره السابق اعتادا على التوجيه والتربية والتنشئة والنصيحة، كما أن حضوره لم يعد مكثفا وواضحا كما كان في السابق، بالنظر إلى غيابه أو انشغالاته أو هجرته، وبالتالي فإن سلطته داخل الأسرة لم تعد ترتبط بذلك الراسل الرمزي، أي الأب باعتباره نموذج الاحترام والوقار والطاعة، يستمد شرعيته من القاعدة الاجتماعية (ينبغي أن يكون مطاعا)، كما يستمد شرعيته من المرجعية الدينية، لكن في الظروف الراهنة لم تعد المرجعية اجتماعية أو دينية فقط، بل أصبحت هناك مرجعية اقتصادية، بمعنى أن من يمتلك نفوذا ماليا داخل الأسرة يمكن أن يصبح ذو سلطة، حتى أن الأب أضحي مجرد ممون للأسرة والمسؤول فقط على حاجياتها ومتطلباتها المالية، و بالتالي بدأ يفقد جزء هام من وظيفته التربوية والاجتماعية<sup>14</sup> ونظرا لخروج المرأة للعمل ومساهمتها في التدبير المالي لميزانية الأسرة- تحولت السلطة إلى سلطات موزعة بين أفراد الأسرة مما أفضى إلى نوع من الاستقلالية، سواء في اختيارات الأبناء وتوجهاتهم الدراسية أو في ارتباطهم بشريك حياتهم وغير ذلك من المظاهر البارزة في التحول في النسق القيمي للأسرة الجزائرية، وبارتباطها مع تراجع سلطة الأب، وفي ضوء هذه التحديات التي أصبحت تواجه الأسرة الجزائرية ومن خلالها المجتمع أصبحت العديد من الظواهر متفشية بشكل خطير، ومنها بالخصوص تعاطي المخدرات التي تعد من أهم المشكلات التي تسبب خطرا كبيرا يهدد أمن المجتمع لما يترتب عليها من أضرار بالغة ينعكس أثرها على الفرد والمجتمع، فالأسرة التي يغيب فيها دور البيت وفقدان السلطة الأبوية بفقدان الأبوين أو أحدهما بالموت أو السجن أو المرض أو الطلاق أو حتى في حالة حضورهما وتخليها عن دورها في تربية الطفل، كثيرا ما يؤدي إلى نتائج سيئة تهيء للانحراف والإدمان والتشرد (حالة: أطفال الفقر، أطفال الشوارع، خادمت البيوت، أطفال جانحين، أطفال عاملين...).

هذا النقص الملاحظ في المراقبة والتوجيه ستعوضه مجموعات الرفاق كأحد وسائل التنشئة الاجتماعية حيث أصبحت الأسرة عاجزة عن تحديد طبيعة رفقة أفرادها نظرا لقدرة أبنائها على التحرر من رقابتها، هذا الضعف في قدرة الأسرة على الضبط الاجتماعي يجعل من جماعة الرفاق خاصة (صحبة السوء) خطرا على الطفولة والشباب خصوصا في سن المراهقة وفي غياب مراقبة مستمرة ويقظة. إن التراجع الذي تعرفه اليوم المؤسسة الأسرية والمنافسة التي تحد من دورها التربوي الطبيعي أمام المؤسسة الإعلامية يفتح المجال للعديد من الإشكالات التي تواجه التنشئة الاجتماعية السليمة وتطرح على المجتمع الجزائري الراهن بجدة والتي تفرض من جهة ثانية ضرورة وضعها موضع التفكير والتحقيق.

### الخاتمة:

مما سبق يتبين أن هناك تغيرات وظيفية واضحة في بناء الأدوار والعلاقات الداخلية للأسرة الجزائرية نظرا لتعدد العوامل التي تؤثر في تشكيل هذا البناء، فضلا عن تباين تأثير هذه العوامل وفقا للخصائص الاجتماعية والثقافية للأسرة، ويتفق هذا مع ما سبق الإشارة إليه من أن الأدوار والمكانة داخل الأسرة الجزائرية تتشكل من خلال مجموعة من العناصر من بينها: القيم الناتجة عن ضغط الثقافة وما تحويه من تعريفات للجنس والسن والدين والطبقة ودرجة التعليم، كما تتحدد تلك القيم بطريقة تنشئة كل من الزوجين وإيصال تلك القيمة أو المحتوى الثقافي إليه.

## المراجع والهوامش:

- 1مصطفى بوتفوشت: العائلة الجزائرية التطور والخصائص، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984، ص ص:223-224.
  - 2نفس المرجع ص:218.
  - 3مريم عبد الله النعيمي: الملكة الأسرية، دار ابن حزم، بيروت، 2005، ص 72.
  - 4السعيد عواشيرية: الأسرة الجزائرية إلى أين، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، جامعة باتنة، الجزائر، جوان 2005، ص 119.
  - 5السعيد عواشيرية: نفس المرجع، ص 128.
  - 6مصطفى بوتفوشت: العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، مرجع سابق، ص 229.
  - 7محسن عقون: تغيير العائلة الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 17، جامعة قسنطينة، الجزائر، جوان 2002، ص 129.
- SZAHIA OUADAH: Baise de la fécondité en Algérie: Transition de développement ou transition de crise?**, Thèse pour doctorat, démographie économique, Paris, France, 2004,P351.
- 9محسن عقون: تغيير بناء العائلة الجزائرية، مرجع سابق، ص 130.
  - 10محمودحسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص 67 .
  - 11محمد الجوهري، ظاهرة التحضر بين الادانة والتمجيد، الطبعة الثالثة، دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري، دار الكتاب للنوزيع، 1979، ص 81.
  - 12المسح الجزائري حول صحة الاسرة، الديوان الوطني للإحصائيات، الجزائر، 2004، ص 23.
  - 13نفس المرجع، ص 24.
  - 14حمد مومن، الأسرة المغربية بين تحديات العولمة وتحولات المجتمع، مجلة علامات، كلية الآداب والعلوم الانسانية – القنيطرة- المغرب، 2012، ص 48.

## الفردانية والتماسك الذاتي داخل الأسرة الجزائرية

- دراسة نقدية -

د. بوجمعة كوسة - جامعة سطيف 2 - الجزائر

### Résumé :

*Les experts des études à venir envisagent que la race et la civilisation humaines vont atteindre deux points uniques au future proche: le point unique technologique et le point unique humain qui sera le substitut de la vie sociale et économique actuelle. Si la désintégration de la famille a pour origine l'apparition de l'individualité, la nouvelle tendance qui a touché le rôle de la famille est le résultat des changements technologiques et ce qu'ils ont provoqué au niveau des valeurs. Ainsi que cette prévention est issue des rassemblements temporaires tels les lieux de travail, cependant, nous connaissons le prolongement de ce phénomène et son épanouissement dans les familles d'une manière plus claire dans la dernière décennie.*

### الملخص :

يتوقع خبراء الدراسات المستقبلية أن يصل العرق البشري والحضارة الإنسانية إلى نقطتين آحاديتين في المستقبل القريب: النقطة الآحادية التكنولوجية، والنقطة الآحادية البشرية التي ستكون بديلا للحياة الاجتماعية والاقتصادية الحالية. فإذا كانت حالة التفكك الأسري مردها بالأساس إلى بزوغ الفردانية، فإن التوجه الجديد الذي مس الدور الأسري صنعته التغيرات التكنولوجية وافرازاتها القيمة. كما أن هذا التنبؤ مستنبط من التجمعات المؤقتة كأماكن العمل، إلا أننا نشهد تمدد الظاهرة وانتشارها داخل الأسر بصفة أكثر وضوحا في العقد الأخير.

## مقدمة:

إذا كان هذا الموضوع يستحق الدراسة من عدة زوايا (اقتصادية، سوسولوجية، نفسية، ثقافية...) فإننا نخصه بالدراسة من زاوية سوسيو تنظيمية، من خلال تسليط الضوء بالدراسة والنقد على النقاط التالية:

- الأسرة وتطورها عبر التاريخ.
- الثورة الصناعية ونمو الفردانية.
- الاحتياجات الأسرية والحاجة إلى العمل.
- التجمعات الصناعية وانهيار منظومة الأدوار التقليدية للأسرة.
- الأدوار التقليدية والحالية للأسرة الجزائرية.
- الأسننة والتماك الذاتي داخل الأسرة الجزائرية.

ففي العقد الأخير من القرن الماضي؛ كثيرا ما كنا نقرأ مقالات تخص حالات التفكك التي وصلت إليها الأسر الغربية نتيجة تغير الأدوار والفردانية، والتكنولوجيا وعوامل أخرى، وكنا نعتقد أن أسرنا أكثر حصانة من الأسر الغربية نظرا لعدة عوامل منها ما هو ثقافي ومنها ما تعلق بالنسق الاجتماعي والجنسدي، ومنها ما تعلق بالتخلف التكنولوجي لمجتمعاتنا مقارنة بالمجتمعات الغربية.

إلا أن تسارع الأحداث في المجتمعات المتخلفة ككل والمجتمعات العربية والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص والتغيرات الحاصلة في العقدين الأخيرين من القرن الواحد والعشرين، خاصة مع امتلاك الجميع لوسائل الإعلام الجديد، أظهر عدم صدق اعتقادنا، فما لبثت عدوى التفكك الأسري والمجتمعي أن انتقلت إلينا بسرعة البرق، فإذا كان للغرب الآلية القانونية والعلمية والتنموية الكفيلة بالتحكم بعدم انفلات الأمور، فإننا حتما لا نمتلك تلك الآليات الوضعية الدفاعية، مع افتقادنا لما كنا نمتلكه من آليات التصحيح الذاتي والمجتمعي التي زالت وللأبد.

## 1- الأسرة وتطورها عبر التاريخ (قراءة مقارنة):

شهدت الحضارات المختلفة أنماطاً من الأسر. وثمة ما يعرف بنمط الأسرة البدائية، وهو نمط لا يحكمهم نموذج واحد محدد، فقد عرف النماذج الطوطمية والتعددية والواحدية والأمومية والأبوية، لكن يرجح معظم الانثروبولوجيين الآخذين بنظريات التطور أن النمط البدائي للأسرة كان أموياً وطوطمياً.

وقد كان للعرب قبل الإسلام وللرومان واليونان القدماء نمطاً من التنظيم الأسري يدعى «العصبة»، يأخذ نموذج الأسرة الأبوية الموسعة التي يكون فيها لعميد الأسرة سلطان مطلق على زوجاته وأبنائه وأعضاء أسرته الآخرين منعبيد وموالي وغيرهم. ومع أن القرابة الدموية من جهة الذكور هي أساس اللحمة الأسرية فإن لنظام الادعاء والخلع شأناً كبيراً في بناء الأسرة. تؤلف هذه الأسرة جماعة مكتفية ذاتياً وهي الوحدة الرئيسة للعمل والإنتاج والاستهلاك في المجتمع.

أما الأسرة العربية الإسلامية التقليدية فهي أسرة موسعة تقوم على القرابة الدموية والنسب الأبوي والسلطة الأبوية، وهي أسرة واحدة في الغالب وقد تكون تعددية من جهة الزوجات، يرث فيها الذكور والإناث أبويهم بأنصبة مختلفة.

وتعد الأسرة الصينية التقليدية نموذجاً للأسرة الممتدة، فهي أسرة أبوية النسب، والسلطة تضم ثلاثة أجيال أو أربعة، تنتقل الملكية فيها من الأب لإبنائه الذكور من دون الإناث بعد وفاته، فيقتسمونها بالتساوي ويختص كل منهم بنصيبه. وهي أسرة واحدة الزواج، لكن الزوج يقتني ما يشاء من المحظيات.

وينظر إلى الأسرة الهندية التقليدية على أنها نموذج جيد للأسرة المشتركة، فالملكية فيها مشتركة بين الأبناء المتزوجين وهي أسرة واحدة وأبوية.

وللسلافيين في أوربة الشرقية نمط حضاري متميز يسمونه «زُدروكا» أي الأخوة، وهي أسرة موسعة واحدة الزواج ذات سلطة أبوية تنتقل فيها رئاسة الأسرة بعد الأب إلى الابن الأكبر.

تشترك معظم الأنماط الحضارية التقليدية الأنفة الذكر - ماعدا الأسرة البدائية - بكون الأسرة فيها أبوية، موسعة، كبيرة الحجم، ذات قرابة دموية تركز على الجانب الأبوي، شديدة التماسك، تولى الأطفال الأهمية القصوى، وتنقل فيها الملكية (أو الميراث) بصورة عمودية أي تنتقل من الأسلاف إلى الأخلاف.

أما الأنماط الحضارية الحديثة المعاصرة للأسرة فتتبع الشكل النووي بصفة عامة، وتنأى بالأسرة عن استبدادية سلطة الفرد، وتحد من تسلط أحد الجنسين أو هيمنة الكبار على الصغار، وتشجع الحجم الصغير للأسرة والعدد القليل من المواليد فيها، وتمضى الملكية فيها في مسار أفقي منتقلة من أسرتي أهلالزوجين إلى الأسرة الجديدة.

ويتصف النمط الغربي الغالب اليوم في أوربة وشمالى أمريكا، فضلاً عن الخصائص السابقة بكون الأسرة واحدة، تعاقدية، ثنائية خط القرابة، تركز على القرابة الزوجية، وضعيفة الصلات بالقرابة التي هي أبعد. ويتصف النمط الأمريكي اللاتيني المعاصر بغلبة أسرة الزواج العرفي، أي أنها تحررت من القوانين، وتقلص فيها دور الأب، وتراجعت مسؤولياته، وتحملت الأم مسؤولية عظمى في تربية الأطفال.

أما الأسرة العربية المعاصرة، فهي تتجه إلى أن تصبح أسرة نووية مع احتفاظها بتماك أعضاءها وروابطها القوية بالقرابة الدموية والزوجية. غير أن هذه الروابط أخذت تضعف مع الأقرباء أو الأنساب الأبعدين وتزداد قوة مع الأدينينهم ولاسيما أعضاء أسرتي الزوجين الأصليين، ولكنها لم تتوقف عن إعلاء منزلة الزواج وإيلاء أهمية كبيرة للأطفال ومنح الرئاسة للرجال؛ وان سمحت للنساء بالعمل خارج المنزل والمشاركة بالنشاطات الاجتماعية المختلفة. وقد لا تكون هذه الخصال انتقالية أو مرحلية وعابرة، كما يرى من يسلم بحتمية انتصار النمط الأوربي الغربي، فقد ظلت الأسرة اليابانية محتفظة بخصائصها القومية الأساسية على الرغم من افتتاح اليابان الحضاري على الغرب، ومضاهاتها له في مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي.

ولا توجد حتى اليوم نظرية علمية شاملة تصف بدقة تطور الأسرة أو تقدم تفسيراً له، مع أن محاولات كثيرة جرت انصرف قسم كبير منها إلى التكهن حول أصل الأسرة ودراسة

انتقالها من نمط إلى آخر، ولاسيما الانتقال من الأسرة الممتدة المشاهدة في المجتمعات الزراعية والريفية إلى الأسرة النووية المشاهدة في المجتمعات الصناعية الحديثة. وتكفي هنا الإشارة إلى بعض القضايا الأساسية.

ما من شك في أن تغيرات جوهرية ألمت بالأسرة على مدى التاريخ. وقد تدعى هذه التغيرات تطوراً مادامت تضي نحو تعزيز قدرة الإنسان على التكيف مع واقعه، وتسليماً بتغيرات أخرى في هذا السبيل. ومع أن الأسرة سلكت في تطورها مسارات عدة لا مساراً واحداً حتمياً، فإن اتجاهها عاماً واحداً يكاد ينظمها جميعاً تُحدّد معالمه كما يلي: إذا استبعدت حال القطيع الفوضوي الابتدائي للبشرية التي سلمت بها بعض النظريات، مع افتقارها إلى البيئنة التاريخية المناسبة والحجة المنطقية السليمة، كان اتجاه التطور هو الانتقال من الأسرة الأموية إلى الأسرة الأبوية، والتحول من أسرة الزواج الجماعي إلى أسرة الزواج التعددي (التيمرت بمرحلتى تعدد الأزواج ثم تعدد الزوجات) فأسرة الزواج الواحدي. وثمة اتجاهات أخرى تمثلت بالانتقال من الأسرة الموسعة إلى الأسرة النووية، ومن الأسرة المبنية على الروابط الدموية إلى الأسرة التي تركز على الروابط الزوجية، ومن الأسرة ذات الشرعية العرفية إلى الأسرة ذات الشرعية القانونية، إضافة إلى تغيرات الوحدة المعيشية التي ذُكرت آنفاً.

تصور بعض النظريات الأسرة بأنها تسير في تطورها نحو تناقص وظائفها وتراجع أهميتها، ولكن هذا الاتجاه في البحث يتجاهل سمة أساسية من سمات التطور هي ازدياد تعقيد الحياة الاجتماعية وتمييز وحداتها. وفي ضوء هذا الملمح التطوري فإن الأسرة كانت عند المستويات الدنيا من التطور مندمجة في غيرها من الوحدات الاجتماعية، فالأسرة والتنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (حتى المجتمع نفسه) كانت كياناً واحداً غير متمييز، ثم قادها السير في معارج التطور (الذي جاء استجابة لحاجات فرضها التفاعل مع الشروط المحيطية المختلفة) إلى التمايز في وحدات مستقلة (لكنها مترابطة) تؤدي وظائفها بفاعلية أكبر من ذي قبل. وقد رافق اتجاه التمايز المتزايد ازدياد عدد الولاءات أو الاتماءات الاجتماعية للفرد ثم كثرة الأدوار المسندة إليه. ويكون للتعقيد والتمايز المتزايدين وقعها الكبير في الأسرة ومواجهه من مشكلات. ولما كانت الأسرة من أقدم الوحدات

الاجتماعية، أو ربما كانت أصل كل تنظيم اجتماعي آخر والوعاء الحاوي للتنظيمات الأخرى، فقد بدت عملية التمايز الآنفه الذكر كأنها انسلاخ الوحدات الاجتماعية عن الأسرة، أين ما حسبته تلك النظريات تقلصاً لوظائف الأسرة وتراجعاً لدورها لم يكن غيرتوقفها عن قيامها بوظائف سواها وتوقف سواها عن القيام بوظائفها الأساسية.

أما العوامل المسؤولة عن تطور الأسرة فنكمن في تفاعلها مع محيطها الإنساني الأبعاد الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية. لكن أسلوب تفاعلها، أي أسلوب تأثرها بالمحيط وتأثيرها فيه، يختلف باختلاف الزمان والمرحلة التاريخية، فلم تبقى للعوامل الاقتصادية الأهمية نفسها التي كانت لها في مراحل التطور السابقة، أي إن أهميتها تتناقص، في حين يزداد دور العوامل الاجتماعية والحضارية. ويعد هذا أحد مظاهر التطور لأنه يعين التحرر المتزايد للإنسان من التبعية للشروط الضرورية ومنها العوامل الطبيعية والاقتصادية.

وتعزو الاتجاهات العالمية المعاصرة تطور الأسرة وما وصلت إليه إلى جملة عوامل أهمها: النهضة الصناعية والثورة الحضرية، والنقلة السكانية (ولاسيما توازن الخصب والوفيات عند مستوى منخفض)، والحراك الجغرافي النشط للعمل، وتقسيم العمل المتنامي، والتطور الاجتماعي الذي يتجلى في تحسن التعليم ومشاركة المرأة في العمل والنشاطات العامة خارج المنزل، ونمو خدمات الرفاهية الاجتماعية، والتغير السياسي الممثل بالدور المتعاظم للدولة وجهازها الإداري، والاتجاه نحو الديمقراطية والمشاركة الجماهيرية في الحكم، وإشاعة الحريات العامة، ونمو النزعة الفردية، والتحرر النسائي، وانتشار القيم الحديثة وتحديد النسل، علاوة على التقدم العلمي والتقني السريع وتأثيره النامي داخل المنزل وخارجه.<sup>1</sup>

## 2- الثورة الصناعية ونمو الفردانية:

لقد تحكمت الإيديولوجية الدينية في حياة المجتمعات والأسر لقرون طويلة، ويقدر ما خدم ذلك التماكك الاجتماعي والأسري للمجتمعات من منطلق وحدة الاعتقاد والمال، يقدر ما أزيحت الإيديولوجيات الأخرى من فرض نفسها كعوامل مهمة في المعادلة

الاجتماعية والأسرية، وبأبى العامل العلمى بما يحتويه من قوانين ومسلمات ومناهج كأحد العوامل التى فرضت نفسها على الساحة الأوروبية ثم على الساحة العالمية كوروث إنسانى مشترك بإمكانه تصحيح عديد المبادئ والمعتقدات الخاطئة للشعوب. ولم يكن الأمر سهلا ولا هينا لإنضاج الاعتقاد بأهمية العلم، فلطالما مارس رجال الدين سطوتهم فى أوروبا المسيحية أو البلاد العربية المسلمة واعتبرت العلوم الوضعية ضربا من السحر الزندقة تارة ومن العلوم التى تدخل صاحبها الردة والكفر تارة أخرى، لكن الثورة الفكرية التى حدثت فى أوروبا بدييات القرن الخامس عشر مهدت لتغيير اعتقاد بعض المجتمعات الأوروبية، وليس العربية نحو أهمية العلم لفرض الهيمنة العسكرية ومن ثمة تركز الاعتقاد أكثر بأهمية العلم لفرض الهيمنة الاقتصادية ثم الثقافية، فالتجاري الأوروبى الذى كان يحتكر التجارة الداخلية والخارجية وبعد تعاظم ثروته نتيجة اكتساحه أسواق المستعمرات والطلب المتزايد على المنتجات الأوروبية، لم يجد بدا لتلبية ذلك إلا من خلال إيمانه بأن العلم و الاختراع هو الحل، فكان التعاقد مع العلماء المخترعين، التاجر بأمواله والمخترع بأفكاره فتزاور المال بالاختراع فكانت الثورة الصناعية، وحسب العارفين لم يكن المال ليحقق ثورة صناعية بدون علم ولم يكن العلم لينجح بدون دعم مالى، وكانت النتيجة نهضة فكرية وصناعية حققت نقلة نوعية على جميع المستويات، ليتعمق الاعتقاد لدى المجتمع الأوروبى أن العلم هو أنجع السبل لتحقيق التطور. فنشأت الصناعات والتجمعات السكانية الكبيرة المجاورة للمصانع، وتكونت المجتمعات الصناعية التى كانت نتيجة الصناعة وخدمة للصناعة.

وما لبث الأمر أن أفرزت الظاهرة الصناعية عدة مشاكل وأزمات وظواهر اجتماعية، سواء داخل المؤسسات الصناعية أو داخل المدن الصناعية، فالاغتراب والهجرة وتفاوت الأجور والصراعات، والاحتجاجات والجرمة وعلاقات العمل السلبية، كلها أمور عجلت بظهور الفردانية التى تعنى مسؤولية الشخص عن نفسه فقط، سواء فى العمل أو العيش أو السكن... لتختزل فى المقولة المشهورة: "كل واحد لنفسه ورب للجميع" *chacun pour soi, dieu pour tous*. لقد ارتبطت الفردانية بالتوجه المادى للأفراد، ارتبطت بتعقيدات الحياة الاجتماعية التى فرضتها الثورة الصناعية، ارتبطت بالأوضاع المزرية للكثير من الفئات الاجتماعية، كل ذلك دفع بأن يكون كل واحد مسؤولا

عن نفسه حتى يكون قادرا على تحمل الأعباء المرتبطة به كشخص، على أن لا يتحمل هموم وأعباء الآخرين. ولا يختلف الأمر إذا مشينا مع التيار الآخر الذي يربط ظهور الفردانية بالحرية الفكرية وبالنظام الرأسمالي والذي من أهم مبادئه " دعه يعمل يعه يبر " بمعنى حرية الممارسة الاقتصادية على المستوى الفردي، لأن مصلحة المجتمع تتحقق حينما تتحقق مصلحة الأفراد.

### 3- الاحتياجات الأسرية والحاجة إلى العمل:

حاجات الإنسان متعددة ومختلفة منها ما هو بيولوجي ومنها ما هو اجتماعي ونفسي، منها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي، هذه الحاجات في تطور مستمر تتميز في مجموعها بتنوعها وقابليتها للزيادة المستمرة. وبقدر ما ينجح مجتمع معين في إشباع عدد معين من الحاجات بقدر ما يوجد حاجات جديدة غير مشبعة. فالحاجة هي شعور بالحرمان يلح على الفرد مما يدفعه إلى القيام بما يساعد على القضاء على هذا الشعور ومن ثم يمكن إشباع الحاجة.

وتتميز الحاجات بقابليتها للإشباع. فاستخدام الموارد المناسبة يؤدي تدريجيا إلى زوال الشعور بالحرمان أي يؤدي إلى إشباع الحاجة، وتعتبر هذه الخاصية للحاجات من الأسس الأولية التي يقوم عليها العمل، ويترتب عنها ظاهرة هامة جدا ما يعرف بظاهرة تناقص المنفعة الحدية، ومعنى قابلية الحاجة للإشباع هو أن استخدام الموارد المناسبة يؤدي إلى تناقص الشعور بالحرمان وعلى ذلك فإن المنفعة التي يحققها الفرد تتناقص تدريجيا مع زيادة الوحدات المستخدمة من المورد المناسب لإشباع الحاجة. فالحاجات الإنسانية على النحو المتقدم هي المحرك الأساسي للنشاط الاقتصادي<sup>2</sup>، ولم يعد الإنسان يبحث عن تحقيق الحاجات الأولية فحسب، بل إن الكثير من الحاجات أصبحت تفرض نفسها كحاجات ضرورية تتماشى مع المتغيرات التكنولوجية والحياتية، فوسائل الاتصال المواصلات كالسيارة ووسائل الاتصال كالهاتف أصبحت ضرورة ملحة، ليس للفرد فحسب بل لجميع أفراد الأسرة، وهو الأمر الذي يحتاج إلى مزيد من المال لتلبية تلك الحاجات، فيجد الشخص رب العائلة نفسه مدفوعا للبحث عن مصادر أخرى للدخل، وهي أمور دفعت بخروج

المرأة للعمل أملا في مساعدة الزوج في تلبية حاجيات الأسرة المتزايدة، وبعد ذلك بدأ الدفع بالأبناء للعمل لتلبية حاجياتهم، أو خروجهم للعمل بإرادة منهم لتلبية حاجياتهم التي ربما عجز الأب عن تلبيةها، ومن هنا زاد اعتماد الفرد على نفسه بدل الاعتماد على فرد واحد هو في الغالب الأب الذي أصبح عاجزا عن تلبية كل متطلبات الأسرة.

#### 4- التجمعات الصناعية وانهيار منظومة الأدوار التقليدية للأسرة:

إن الطرح التاريخي لتشكيل المجتمعات الصناعية الذي ارتبط بالثورة الصناعية، والذي كان من الأسباب المباشرة لبروز الفردانية، لم يقتصر على أوروبا فحسب، فجزائر الاستقلال وخلال العقد الثاني منه، شهدت تشكل تجمعات سكنية كبرى هيأت الظروف لنشأة مدن صناعية كبرى على غرار مدينة سطيف وسكيكدة وأرزيو وورقة... والتي كانت في السابق مدن صغيرة مقارنة بمدن لها تاريخ حضاري مثل قسنطينة وبسكرة وبجاية، فتلك المدن نشأت وتعددت بجوار المصانع الكبرى التي شيدتها الدولة الجزائرية بداية سبعينيات القرن الماضي، بتركيبة سكنية كانت مزيج بين العديد من سكان الجزائر (القبائل، الصحراء، الحضنة، الأوراس...) أين وفرت لهم جميع متطلبات الحياة المدنية، من مرافق عامة وسكن ونقل، فانتقلت الكثير من الأسر للعيش بمفردها بعد أن كانت ولوقت قريب تعيش في شكل أسر ممتدة (عائلة)، من جد وجدة وأعمام، حيث يمارس الجد سلطته القيادية في تدير شؤون الأسرة ماديا واجتماعية وتربويا دون أن يكون لأحد حق الامتناع أو الاحتجاج ولا حتى الانسحاب، فكانت الأسرة في شكلها التقليدي (الممتد) تمارس سلطة الضبط على جميع أفرادها ذكورا واناثا، كبارا وصغارا، عزابا أو متزوجين، هذا مع تميز الطابع الريفي للمجتمع الجزائري قبل وبعد الاستقلال، بمعنى أن الاقتصاد كان ذو طابع إقطاعي معاشي، كما أن العمل كان لم يخرج عن نطاق الفلاحة والزراعة وغالبا ما يكون بدون أجر لاعتبارات ترتبط أن الأفراد كانوا يعملون في أرضهم التي غالبا ما يقاتنون من محاصيلها في تلبية حاجياتهم. إلا أن توفر فرصة العمل في المصنع مع تهيئة الظروف للسكن الفردي مهد لانشقاق الأسرة الممتدة، حيث التحق الأبناء رفقة زوجاتهم وأولادهم للعمل في المصانع، وبذلك بدأت الأسرة النووية في التشكل شيئا فشيئا. لقد هيأت الظروف السياسية والاقتصادية كل سبل الاستقرار في التجمعات الجديدة

ولو بشكل مؤقت، حيث كان أجر الأب العامل كافيا لتلبية حاجيات أولاده البسيطة بساطة المجتمع الجزائري كافة في تلك الحقبة، إلا أن الأمور لم تدم طويلا، وأصبحت تلك التجمعات السكانية الكبيرة غير المتجانسة من حيث التركيبة السكانية بمثابة قبلة موقوتة، انفجرت في شكل ظواهر اجتماعية خطيرة كالجريمة والسرقة والاعتداءات... وقد ساهم في كل ذلك وصول البلد إلى الأزمة الاقتصادية بداية 1986 أين انخفضت أسعار البترول لتصل إلى 04 دولارات للبرميل، وهو ما جعل كل المشاكل تطفو على السطح دفعة واحدة. إلا أن تجاوز الأزمة بفعل انتعاش أسعار البترول أفرز تبعات من نوع آخر أهمها الافتتاح الاقتصادي وتبنى نظام اقتصاد السوق، وهو ما جعل الجزائر وأفراد المجتمع يتفاعلون مع المجتمعات الأخرى اقتصاديا وثقافيا، وبدأ تدفق البضائع والسلع التي لم تكن نعرفها ولا نسمع بها، وكان للإعلام دورا كبيرا في الترويج لذلك، وبذلك زادت حاجيات الأفراد لإشباع رغباتهم من تلك السلع، الأمر الذي زاد من الحاجة للعمل بحثا عن أموال لتلبية الحاجات، ليصل المجتمع الجزائري إلى النقطة التي وصل إليها المجتمعات الأخرى، فالكل يجب أن يعمل لتلبية حاجياته، وهي نوع من الفردانية العرجاء، كون مفهوم وفكرة العمل وفلسفته وقيمه لم تنضج بالمعنى الصحيح لمسيرة التقدم والنهضة للأمم، بقدر ما ارتبطت فقط بتلبية الحاجات الكالية ذات الطابع الاستهلاكي.

## 5- الأدوار التقليدية والحالية للأسرة الجزائرية:

### 5-1- تقاذف الدور التربوي بين الأسرة والمدرسة:

لم تعد الأسر تتعهد تربية أبنائها على آداب السلوك الاجتماعي والبيئي السوي، سواء تعلق الأمر في الاتصال بالآخرين توقير الكبير واحترام الصغير أو تعلق الأمر بنظافة المحيط وتشجيع المبادرة... والدفع بهذا التعهد والدور للمدرسة التي عليها القيام بهذه الأدوار، وهي أدوار تربوية بالأساس مرتبطة بالتنشئة ومرتبطة بالتنمية البشرية. غير أن الكل أصبح يدرك أن المعلم في المدرسة لم يعد مربيا كما كان في السابق، وهو دور نبيل كان يكمل الدور التربوي للوالدين ويدعمه أو يقويه أو يصححه وفق إطار مرجعي ثقافي وديني واجتماعي متفق عليه بطريقة ضمنية وعفوية، فكان المعلم بمثابة الأب الثاني للتلميذ والمعلمة بمثابة الأم

أيضا له، خاصة وأن ساعات التدريس كانت تشمل على أكثر من خمس ساعات يوميا على مدار ستة أيام كاملة وهي مدة كافية لأن يتعايش التلميذ مع الطفل كأسرة ثانية ليتلقى آداب تربية إضافية. إلا أن متغيرات القرن الواحد والعشرين، والمكاسب التي حققتها النقابات التربوية خاصة ما تعلق منها بتقليص الحجم الساعي للتدريس وتقليص أيام العمل من ستة أيام إلى خمسة أيام، وانسحاب المعلم من الدور التربوي واقتصراره على الدور التعليمي التقليدي لاعتبارات مادية وأخرى اجتماعية تصب أغلبها في كثرة الأعباء الاجتماعية لدى المدرسين، والنتيجة أن الأسرة تركت الدور التربوي للمعلم اعتقادا منها أنه لا يزال مربيا، هروبا من تحمل الدور التربوي باعتباره عبء إضافي، والمدرسة تركت أيضا الدور التربوي باعتباره أنه دور الأسرة وليس دور المدرسة واعتباره عبء إضافي يجب تركه، فالكل أصبح يبحث عن تخفيف الأعباء الاجتماعية بما فيها الدور التربوي. كما أن فاقده الشيء لا يعطيه، فلا يمكن أن يصلح فعلا ترويا من أب أو معلم وهما يفتقدان القيام بالسلوك الصحيح على المستوى الشخصي فما بالك أن يجعل من نفسه نموذجا لغيره، وهو ما يجب أن يكون باعتبار أن الفعل التربوي يكون بطريقة التقليد تارة ويكون بطريقة المحاكاة والنموذج تارة أخرى. بل أصبحت بعض السلوكيات السلبية التي يقوم بها المعلم في المدرسة أو رب الأسرة تتناقض مع ما يجب أن يكون، فقد يرمى الأب القمامة في الشارع أو يعتدي على مساحات خضراء، أو معلم يحرص على تجنب العنف في المناقشات والمؤتمرات ويمارسه مع التلاميذ ومع أولاده أو يتلفظ بألفاظ بذيئة والأمثلة كثيرة وعديدة وصلت إلى ممارسات غير أخلاقية لدرجة الاستنفار العام خوفا من شنود بعض الأولياء أو بعض المدرسين.

## 2-5-تغيرات شملت أنماط اللعب:

كثيرا هي الألعاب التي كنا نلعبها ونحن صغارا، منها ما ارتبط بالذكور ومنها ما ارتبط بالإناث، ومنها الألعاب التي تشمل الجنسين وتلعب اختلاطا بين الجنسين سواء داخل المدرسة أو خارجها، هي ألعاب هادفة أحيانا، وتربوية أحيانا أخرى، وأخرى لا معنى لها سوى الجري والاختباء... وما هو ملاحظ أن ألعاب الأمس لم تكن مستوحاة من أفلام التلفزيون الذي لم يكن له وجود في الكثير من البيوت، وحتى وجوده كان مرتبطا بفترات

البث القليلة التي لا تتعدى سويقات فقط في اليوم، لكن الانفجار الإعلامي الأخير، أين أصبحت القنوات لا تتوقف عن البث، قنوات مختصة في أفلام الأكشن، وأخرى في أفلام الرعب، وأخرى في الأفلام الرومنسية، وأخرى في الأشرطة الوثائقية، وأخرى متخصصة في أغاني الأطفال، وأخرى في الرسوم المتحركة، وما يجمع كل هذه القنوات هو البحث عن إبقاء المشاهد جالسا أمامها أطول مدة من الوقت، وما يقع من ذلك في تأثيرها على قيم المتفرج، بشكل مقصود أو غير مقصود.

إن المتتبع لمختلف ألعاب الأطفال داخل وخارج البيت يجدها متسمة بالعنف الجسدي، سواء تعلق الأمر بالمبارزة أو الرشق بالأحذية أو الحجارة، وهي ليست ألعاب بقدر ما هي مجموعة سلوكيات عنيفة ممزوجة بالمرح تارة والصدمات تارة أخرى، وكثيرا ما تنتهي بإصابات أو عراكات غير محمودة العواقب، يتدخل فيها الكبار دفاعا عن أكبادهم بطرق عنيفة أيضا.

فإذا كان اللعب هو متنفس الطفل، ورابط تواصل اجتماعي مع أترابه في صف الدراسة أو الحى... فقد أصبح في العقدين الأخيرين مجلبة للبلاء وللإصابات الخطيرة، ناهيك عن رفقة السوء وما ينجر عنها.

وما أركز عليه في هذا العنصر هو تغير نمط اللعب، لقد شدني حقا ملاحظة طابع العنف لدى الأطفال عند لعبهم سواء في محيط المدرسة خلال فترات الدخول والخروج من الدراسة، أو في الشارع بصفة عامة، وهي ظواهر اجتماعية لم تكن موجودة إلا بدرجة قليلة للغاية قبل عقدين من الزمن، فكيف يمكن تفسير ذلك من جهة؟ وما هي العوامل التي ساهمت في انتشار العنف لدى الأطفال حتى في اللعب من جهة ثانية؟

فبقدر ما ساهمت وسائل الاتصال المرئية في انتشار ظاهرة العنف عند الأطفال عن طريق عرض مشاهد العنف في الأفلام العادية وأفلام الرسوم المتحركة، بقدر ما يمكن تفسير سلوك الطفل بأنه سلوك يحاكي سلوك الوالدين، ولا شك أن الكثير من الآباء يمارسون العنف اتجاه أولادهم واتجاه زوجاتهم واتجاه الآخرين، ويزداد الأمر تعقيدا حينما نربط ذلك بتعدد ظروف الحياة ومتطلباتها وانشغالها، فلم يعد الأب يراقب سلوك أبنائه

ويحرص على ذلك كل الحرص، سواء داخل البيت من خلال ما يعرض عليهم من أفلام، أو خارج البيت من خلال احتكاكهم وتواصلهم بالآخرين.

### 3-5- تغيرات شملت أنماط الأكل:

تزيد نسبة السمنة في المجتمع الجزائري حسب المختصين عن 30% وعند فئة الأطفال ما يزيد عن 15% حسب البروفيسور "زكية عراضة" رئيسة مصلحة طب الأطفال بمستشفى بارني بالعاصمة، وهي نسب لم تكن مرتفعة لهذا الحد في الماضي، وإنما زادت بصورة مذهلة ومفاجئة فقط في العقدين الأخيرين، وهو ما دفع المختصين بدق ناقوس الخطر، على اعتبار أن هذه الظاهرة هي أيضا عالمية وبمعدلات مختلفة لكنها تشترك في درجة الخطورة، ويرجع المختصين ذلك في المقام الأول إلى تبدل نمط التغذية وقلة الحركة عند الأطفال، خاصة وأنهم يمضون أوقات طويلة جالسين إما في مقاعد الدراسة أو أمام التليفزيون<sup>3</sup>.

كما أن ظاهرة خروج المرأة للعمل، شتت الدور التقليدي لهذه الأخيرة، أين كان دور المرأة الأساسي يقتصر على خدمتها ورعاية شؤون زوجها وأولادها، والقيام على كل ما يتعلق بأكلهم وملبسهم وتنشئتهم... وفعلا لم يكن هناك أي تقصير في تأدية هذا الدور، فكبر الأطفال وصاروا رجالا، وكبرت الفتيات وصرن نساء وأمهات، فكانت التكفل على أكمل وجه رغم ثقل ذلك الدور لما يكفله من مهام عديدة حتى وان تراءى لنا أن الحمل بسيط، لكن من خلال المقارنة؛ وفي زمن خرجت فيه المرأة للعمل وما نتج عن ذلك من تغيرات اجتماعية وأسرية هائلة ندرك أهمية الدور الذي كانت تلعبه المرأة في البيت. ونسلط الضوء هنا على حرص المرأة الأم على إطعام أولادها بطعام يتم طهيها بيديها في كل وقت من أوقات الوجبة الغذائية، حتى وان كان قليلا أو فقيرا من حيث التنوع الذي نراه على موائد العائلات في الوقت الحالي، وما لذلك من تفسيرات تصب في معظمها على القدرة على التحكم في زمام الأمور والرضا بما هو قليل، وفوق كل ذلك سعادة وجو من التلاحم الأسري.

بمخرج المرأة للعمل، أصبحت غير قادرة على توفير وجبة ساخنة لنفسها تطبخها بيديها، وان تسنى لها الأمر فليس دائما بل نادرا، ويزداد الأمر تعقيدا بتعداد عدد الأطفال، وبعد مكان العمل عن البيت، والمرأة الأكثر حضا من هؤلاء هي التي لا تزال في علاقة ودية مع أم زوجها، حتى وإن كانت علاقة ودية مصلحية من أجل مسك الأولاد.

الأمر الآخر هو عدم التحكم من قبل الوالدين في زمام الأمور، فكثير من أطفال اليوم يرفض مشاركة الآخرين نفس الطعام، لتضطر الأم لتحضير أكثر من نوع من الطعام، سواء كطعام مجهز من قبل الأم أو يتصرف الطفل (خاصة إن كان مراهق) تصرفا آخر فيشتري طعاما من مطاعم الأكل السريع أو يأكل هناك، وهي ظاهرة تفتشت كثيرا في السنوات الأخيرة.

أمرا آخر لابد من الإشارة إليه، وهي أن مطاعم الأكل السريع بكثرة أعدادها أصبحت مليئة بكل الفئات العمرية لا سيما النساء، وهي ظاهرة حديثة لا تزال تحت الملاحظة في المجتمع الجزائري، لكن النتائج بدأت تظهر سريعا، وهي مشكلة السممنة، التي ارتبطت بتبدل الأدوار الأسرية والجنسانية من جهة، وارتبطت بفردانية الأشخاص الذين أصبحوا يأكلون متى وأيضا شاءوا من جهة أخرى، وهو أمر لم يكن مسموحا به من قبل الأسرة، فالكل يأكل على طاولة واحدة، وهو ما يؤشر على تبدلات سلبية حصلت وحاصلة في المناخ الأسري للأسرة الجزائرية.

#### 4-5-تغيرات شملت تفضية أوقات الفراغ:

رغم أن التغطية الخاصة بالانترنت لم تصل إلى المعدلات العالمية ولا حتى مقارنة بالدول الشقيقة كالمغرب وتونس، إلا أن وسائل الإعلام الجديد بدت الوسيلة الأكثر رواجاً في الآونة الأخيرة بين الفئات الشبابية، بل وأصبح الفايسبوك يستهوي الكثير من الناس لولوج العالم الافتراضي وتكوين صداقات حقيقية تارة وكاذبة ومزيفة في كثير منها، وحسب الكثير من الدراسات فقد أصبح الوقت المستغرق في الانترنت عامة وفي الفايسبوك خاصة يستهلك جل وقت الفراغ عند المشتغلين على النت، بل أكثر من ذلك أن الكثير يستغل أوقات العمل في المحادثات عبر الفايسبوك، في ظاهرة مرضية تتم عن حالة من

الإدمان تجاوزت تمضية وقت الفراغ للهيمنة على الوقت كله. وهو ما جعل الكثير من المختصين يهتمون بالظاهرة ويسلطون الضوء عليها عبر الدراسات والأبحاث والمكتبيات. ويتجلى دور الأسرة هنا في إهمالها للدور الرقابى المنوط بها، فلا أحد ينكر دور الإعلام الجديد في قدرته على إدارة المعرفة باعتباره مصدر لها، لكن لا أحد ينكر المخاطر المنجلية في الإدمان برمجيات هذا الإعلام الجديد التي ثبت أيضا ومن خلال دراسات ووقائع أنه هدم علاقات وزوجية وهدم أسر، وجلب الكثير من المتاعب، وجزء من المسؤولية يتحمله الوالدين، لتقصيرهما ليس في ربط البيت بالإنترنت، ولكن في مراقبة الأبناء لما يستعملونه من تطبيقات وبرامج قد تصبح بلاء عليهم في أي وقت من الأوقات.

ومن المتاعب التي يجنيها الأولياء وتتأثر بها العلاقات الأسرية هي الرفقة السوء، كون الكثير من الأبناء ذكورا واناثا قد يصاحبون رفاقا سيئين، ويمضون أوقاتا في أماكن بعيدة عن رقابة الوالدين، ولعل جريمة القتل التي هزت مدينة باتنة قبل عيد الأضحى، حينما قتل الأب ابنه بسبب التحاقه المتأخر الدائم بالبيت.

## 6- الأنسنة والتماكك الذاتي داخل الأسرة الجزائرية:

قد ينظر الكثيرون إلى أن الأنسنة وما فوق الأنسنة Transhumanist نظرة تشاؤمية كونها محطمة للعلاقات الإنسانية والأسرية والعقائدية والقيمية، كما قد ينظر المتفائلون والمؤمنون فذكاء الإنسان نظرة مغايرة تماما، تؤمن بما هو حاصل نتاج التقدم التكنولوجى باعتباره واقعا فرض نفسه، وسيؤدى إلى تغيرات أخرى هامة تغير مجرى الحياة إلى الأبد، ولعل التلقيح الاصطناعى إحدى نتاج الأنسنة، فبعدها دقت الكثير من المنظمات العالمية ناقوس الخطر حول الدور المغيب للأب أواخر القرن العشرين واكتفائه بالدور البيولوجى، أين أصبحت الأسر الغربية ثنائية تتكون من أم وأبناء بدل من الأسرة الثلاثية (أب، أم، أبناء)<sup>4</sup> سواء كانت معلومة النسب أو غير معلومة النسب، أصبح الأمر أكثر رهبة حينما مكنت التكنولوجيا للأفراد رجالا ونساء بالحصول على أبناء دون الارتباط في علاقات زوجية ولا حتى جنسية، فالمرأة تستطيع الحصول على ولد عن طريق الزرع المباشر في الرحم، والأب يستطيع كراء رحم امرأة متى شاء خاصة في الدول

التي تسمح تشريعاتها بذلك (أغلبها دولا متخلفة)<sup>5</sup>، ولم يكن الأمر مفاجئا حينما باركت أغلب الدول الغربية الزواج المثلى بين الإناث مع بعضهن والذكور مع بعضهم، في ظاهرة تبدو للوهلة الأولى أنها حالة من التفسخ والانسلاخ، لكن الواقع والتيارات الفكرية تدفع لفرض نماذج معينة من التفكير من الإنسانية من الأسر... عن طريق آليات أكثر قوة وفعالية، فالهندسة الوراثية استعمال العقارات الصيدلانية للأعصاب، العقاقير المحفزة، المعالجة بالخلايا الجذعية، المعالجة الجينية... كلها أمور تهدف للوصول إلى تحويل ذواتنا من الداخل على ما كانت عليه لتصبح أكثر قدرة وتحمل وذكاء، وتحويل علاقاتنا بالآخرين سواء بالسيطرة عن طريق الحروب بوسائل أكثر تطورا أو عن طريق الاحتواء، أو بالحديث بمنطق المصير المشترك للإنسانية وحقوق الإنسان... وبالتالي سنتحدث عن حالات التفكك الأسري الحاصلة اليوم، على اعتبارها زمن يرمز إلى العفة والتماك مقارنة بأوقات لاحقة لأجيال لاحقة.

### الخاتمة:

تدعونا التحديات الراهنة خاصة ما تعلق منها بوسائل الاتصال الجديد الحرص أكثر على تربية أبنائنا، لكن ما تم طرحه من أفكار في تحول أفراد المجتمع نحو المادية والفردانية أفرز نتاجا اجتماعيا آخر، أين كبر ذلك النشء الذي لم يحضى بالرعاية وهو النشء الذي يقوم بممارسات شنعاء يندى لها الجبين، ولا يمكن المواجهة عبر شريحة قليلة من الناس التي وعت حجم التحدي الأسري مقارنة بالكثيرين الذين لم ولن يعوا ذلك.

## المراجع والهوامش:

<sup>1</sup>: <http://www.forum.ok-eg.com/new.php?print=1&id=18431> يوم 2016/10/30 على الساعة 22:00.

2: حازم الببلاوي، أصول الاقتصاد السياسي، منشأة المعارف، 1996، ص ص 35-43

3: ص بورويلا، ضحايا الوجبات السريعة، 15% من أطفال الجزائر يعانون السمنة، جريدة الخبر، عدد 2423 ليوم 2016/10/23

4: كريستين نصار، الأبوة المصادرة، سمة العالم المعاصر، في مجلة " العربي " عدد 498، ماي 2000، ص 30.

5: برادر ر النبي وآخرون، حالة الانسان الآلة، ترجمة: حسن الشريف، المنظمة العربية للترجمة، 2013.



## بناء القوة في الأسرة العربية المعاصرة وأثره على توزيع الأدوار والمكانة داخلها

د.سهى حمزاوي - جامعة خنشلة - الجزائر

### Abstract :

*The family is socially defined pattern of roles, functions and standings like any other patterns of society. Where building strength varies from one community to another depending on the degree of urbanization*

*The success or failure of the family as a marital unit greatly on the distribution of strength because it's the main engine for various types of activities and social interactions inside and outside. So the strength is owned by every Member of the family especially the couple in taking fateful decisions in the family life a guide and a clear reflection of the strength or weakness of the role exercised by everyone.*

### الملخص :

تشكل الأسرة نسقا اجتماعيا محددًا من الأدوار والمكانات والوظائف، شأنها في ذلك شأن أي نسق آخر من أنساق المجتمع، حيث يختلف بناء القوة فيها من مجتمع إلى آخر باختلاف درجة التحضر.

ويتوقف نجاح الأسرة أو فشلها كوحدة زواجية إلى حد كبير على توزيع القوة فيها، لأنها المحرك الرئيس لشتى أنواع النشاطات والتفاعلات الاجتماعية داخلها وخارجها. لذا تعتبر القوة التي يملكها كل عضو من أعضاء الأسرة خاصة الزوجين في اتخاذ القرارات المصيرية في حياة الأسرة، دليلا وانعكاسا واضحا لقوة أو ضعف الدور الذي يمارسه كل فرد فيها.

## مقدمة:

تعد الأسرة أصغر نسق من أنساق المجتمع، وتتألف من شخصيات متفاعلة ومتعاونة تارة، ومنصاعة تارة أخرى، حيث يحتل كل فرد فيها مكانة معينة، ويقوم بدور محدد تتطلبه مقتضيات التفاعل والتنظيم داخلها.

والأسرة نسق اجتماعي محدد الأدوار والمكانات والوظائف، شأنها في ذلك شأن أي نسق آخر من أنساق المجتمع. ويختلف بناء القوة فيها من مجتمع لآخر، وفي المجتمع الواحد نفسه حسب طبيعة قطاعاته الاجتماعية، وتتشابه بناءات القوة في الأسرة بتشابه القطاعات الاجتماعية، فبناء القوة في أسر المجتمعات الريفية تتشابه مع بعضها أكثر من تشابهها مع بناء القوة في الأسر الحضرية.

وفي ظل ما يشهده العالم من تغيرات على كافة الأصعدة، أدت عوامل التحديث إلى ازدياد موارد الإناث في المجتمعات العربية المعاصرة، مما أدى إلى حصول النساء العربيات على التعليم وعلى أعمال يحصلن منها على دخل خاص بهن. وبالتالي أصبح بمقدور العديد من الزوجات العربيات الإسهام بنصيب في الاتفاق على أسرهن إلى جانب الزوج. فالقيم والتقاليد القديمة التي كانت تنظر نظرة سلبية لدور المرأة تغيرت نتيجة لعوامل التحديث فعملت على خلق توزيع جديد للأدوار داخل الأسرة.

كما عملت عوامل التحديث في المجتمع العربي المعاصر على ضعف التقسيم التقليدي للعمل داخل الأسرة، ولم يعد من المحذور على الأزواج القيام بالأعمال المنزلية إذا كانت لديهم رغبة في ذلك.

ويتوقف فهم بناء القوة في النسق الأسري على التعرف على هذا البناء من خلال قياسه عن طريق دراسة الأفعال والسلوكيات والمواقف التي نختبر من خلالها درجة قوة الفرد في النسق الأسري. ويكشف عن مسألة قيامه على المساواة أو التسلط والتفرد في يد الزوجين.

ومن أجل الإلمام بهذا البناء في الأسرة، وكيف يؤثر على توزيع الأدوار والمكانات للأفراد داخلها، يجدر بنا الإلمام بعناصر هذه القوة، من أجل فهم طبيعتها وآثارها على أفراد

الأسرة وسلوكهم من جهة، وطبيعة الأدوار وتميزها من جهة ثانية. وعليه نصل الى طرح التساؤل الرئيس التالي:

كيف يؤثر بناء القوة في النسق الأسري المعاصر على توزيع أدوار الأفراد ومكائهم؟ وكذا اتخاذهم لقراراتهم المصيرية؟

إن الإجابة على التساؤل السابق تقتضي منا مناقشة العناصر التالية:

## أولا- مفاهيم أساسية:

### 1. الأسرة:

تعد الأسرة جماعة اجتماعية دائمة، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس وخبرات الحياة الاجتماعية.

كما تعد الأسرة الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، لأننا نبدأ فيها حياتنا الأولى ونعود عليها. وتعرف الأسرة على أنها " تجمع اجتماعي قانوني لأفراد اتحدوا بروابط الزواج والقرابة، أو بروابط التبني، وهم في الغالب يشاركون بعضهم البعض في منزل واحد، ويتفاعلون تفاعلا متبادلا طبقا لأدوار اجتماعية محددة تحديدا دقيقا، وتدعمها ثقافة عامة<sup>1</sup> "

ويعترف عالم الاجتماع بوجاردس الأسرة على أنها: " جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم، وواحد أو أكثر من الأطفال يتبادلون الحب، ويتقاسمون المسؤولية، ومهمتها تربية الأطفال، وتوجيههم، وضبطهم، ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية.<sup>2</sup> "

تأسيسا على ما سبق يمكن اعتبار الأسرة بمثابة البناء الاجتماعي الذي يتكون من أدوار اجتماعية مرتبة على أساس النوع، والمكانة، يكون أساسها دور كل من الزوج والزوجة اللذان يشتركان في مختلف النشاطات الاجتماعية والاقتصادية... ويقتضى استقرار الأسرة وتوازنها سيادة قيم العدالة والمساواة في تقسيم الأدوار والمسؤوليات، وكذا قيم

الاحترام والثقة المتبادلين في إطار تكاملي، ويهدف عام هو ضمان استمرار استقرار النسق الأسري الذي هو أساس استقرار المجتمع<sup>3</sup>.

## 2. البناء الأسري:

انتشر مفهوم البناء الأسري في الدراسات الانثروبولوجية والسوسولوجية الحديثة، وقد عرفه براون على أنه: "نوع من التنسيق والترتيب بين الأجزاء التي تدخل في تكوين الكل، والذي نسميه بناء، والذي بين أجزائه روابط وعلاقات معينة تؤلف عملا متماسكا متميزا"<sup>4</sup>.

## 3. القوة:

قد يتبادر إلى ذهن الكثيرين أن مفهوم القوة مفهوم بسيط وواضح، ولا يحتاج معناه لتحديد أو تعريف، كما أن الكثير من الناس يعتقدون أنهم يعرفون معنى القوة، وكيف تمارس في الأسرة، وينظرون إليها باعتبارها أمرا طبيعيا لا جدال فيه.

لكن الحقيقة غير ذلك، فرغم شيوع هذا المفهوم، وسهولة معناه الظاهري في أذهان الناس، إلا أن علماء الاجتماع لم يتوصلوا بعد إلى تعريف مقنع له نظرا لارتباطه وتداخله مع مفاهيم أخرى كالسيطرة والتأثير والنفوذ من جهة، وتنوع الاتجاهات النظرية التي تستخدمه من جهة ثانية.

ويعد ماكس فيبر M. Weber من أوائل علماء الاجتماع الذين أبدوا اهتماما خاصا بتعريف القوة، إذ ينظر إليها على أنها " احتمال قيام شخص ما داخل علاقات اجتماعية بتنفيذ رغباته رغم مقاومة الآخرين بغض النظر عن الأساس الذي يقوم عليه الاحتمال"<sup>5</sup>.

وفي موضع آخر ينظر فيبر لمسألة القوة باعتبارها قدرة الشخص أو الجماعة على تنفيذ رغباته وأهدافه وسياسته وفرض سيطرته على الآخرين.

أما دال Dhal، فيعرف القوة على أنها: " القدرة على جعل شخص آخر يقوم بعمل لم يكن يقوم به بغير ذلك. "

ويذهب بلاو Blau إلى أن القوة هي: " قدرة فرد أو جماعة من الأفراد على فرض رغبتها على الآخرين رغم معارضتهم، وذلك عن طريق الترهيب أو الردع، سواء كان ذلك في شكل منع المكافآت، أو في شكل عقاب."<sup>6</sup>

إن نظرة التعاريف السابقة لمفهوم القوة يمثّل في وجود علاقة غير متكافئة بين طرفين بحيث يفرض الطرف الأقوى رغباته وإراداته على الطرف الأضعف.

#### 4. بناء القوة:

يقصد ببناء القوة " شبكة معقدة من العلاقات التي تعبر عن عناصر السيطرة والخضوع في جماعة ما، أو مجتمع معين. وهناك من ينظر إليه باعتباره السيطرة المباشرة أو غير المباشرة التي يمارسها شخص أو جماعة، فيما يتعلق بقضية معينة، أو توزيع مصدر من مصادر النفوذ، وما يترتب عن ذلك من تأثير في الاتجاه الذي يفضله صاحب القوة.

وعلى أي حال يمكننا القول أن بناء القوة نمط يتوزع بمقتضاه النفوذ بين الأشخاص والنظم والأقطار والتنظيمات داخل المجتمع.

#### 5. الدور:

يقصد بالدور " جملة التصرفات والأفعال التي يجب على صاحب المركز أن يقوم بها والتي يفرضها موقعه"<sup>7</sup>، كما يعرف على أنه: "السلوك الذي يقوم به الفرد في المركز الاجتماعي الذي يشغله."<sup>8</sup>

ويعرفه لتون على أنه: "المجموع الكلي للأنماط الثقافية المرتبطة بمركز معين، وبذلك تتضمن الأدوار الاتجاهات والقيم والسلوك التي يضعها المجتمع لكل فرد يحتل هذا المركز، ويعتبر الدور الاجتماعي الجانب الديناميكي للمركز."<sup>9</sup>

ويرتبط الدور الاجتماعي لفرد معين بالأدوار الاجتماعية للأفراد الآخرين.

## 6. السلطة:

ينظر للسلطة على أنها: "قوة نظامية وشرعية في مجتمع معين، مرتبطة بنسق المكانة الاجتماعية وموافق عليها من جميع أعضاء المجتمع."<sup>10</sup>

وتعرف السلطة حسب ماكس فيبر على أنها القدرة على إلزام الغير بفعل ما لم يكن ليفعله من تلقاء نفسه. وتأخذ السلطة شكلين أساسيين هما الشكل الترابطي ويكون على شكل تعليمات وبرامج، والشكل التراتبي الذي يكون على شكل أوامر<sup>11</sup>.

وبهذا تكون السلطة سياق مقصود، وعلاقة اجتماعية تهدف إلى تنظيم المجتمع من أجل ضمان أفضل لسيره واستمراره.

## 7. السلطة الأبوية:

تلك السلطة التي تكون فيها العلاقات عمودية، تكون فيها إرادة الأب مطلقة، وتتجسد في العائلة إجماعاً مفروضاً يرتكز إلى العادة والإكراه، فهي قائمة على التسلسل والهيمنة الممارسة خاصة على المرأة<sup>12</sup>.

## 8. المكانة:

يشير مصطلح المكانة إلى الوضع الذي يشغله الفرد في النسق الاجتماعي، أو في المجتمع. ويتضمن " تلك التوقعات المتبادلة للسلوك بين الذين يشغلون الأوضاع المختلفة في البناء أو في النسق الاجتماعي الذي يحتله الفرد في ضوء توزيع الهيبة الاجتماعية social prestige في النسق الاجتماعي، أو توزيع الحقوق والالتزامات والقوة والسلطة في ذلك النسق أو المجتمع ككل."<sup>13</sup>

ويعرفها دينكن ميشال بأنها تمثل مجمل العلاقات المساواتية والتسلسلية لأحد الأفراد مع سائر المجموعة، وهي بذلك جملة من الموارد الواقعية أو الكامنة التي تسمح امتلاكها من قبل فاعل معين بتفسير أدوارها.<sup>14</sup>

## ثانيا- التغيرات التي طرأت على المكانة وتوزيع الأدوار في الأسرة المعاصرة:

عرفت الأسرة المعاصرة تغير اجتماعي واضح للسلطة الممارسة على المرأة داخل الأسرة، وقد تمثل هذا التغير في تقلص ظاهرة التمييز بين الجنسين من جهة، وتقلص سلطة الرجل على المرأة بمفهوم الهيمنة والتسلط من جهة ثانية، بالإضافة إلى إعادة توزيع الأدوار بين الزوجين داخل الأسرة.

كما تجسدت مظاهر التغير التي طرأت على الأسرة المعاصرة في السلطة الأبوية التي أصبحت أكثر تحديدا، وفي المرأة ومكانتها في المجتمع بعد أن أخذت حقتها في العمل بشكل واسع ومنظم.

ولم تعد السلطة في الأسرة المعاصرة تلك الظاهرة القائمة على الهيمنة والتسلط كما كانت لدى الأسرة التقليدية، بل أصبحت قائمة أكثر على قيم الحوار والتشاور في اتخاذ مختلف القرارات، كما أن المرأة أصبحت تتمتع بجرية أكبر داخل الأسرة انعكس تدريجيا على تبادلها لمختلف الأدوار مع الزوج.<sup>15</sup>

وقد أثبتت العديد من الدراسات أن أشكال السلطة الأسرية مرتبطة بتغيرات مهمة كالمهنة والدخل والتعليم، فالأب الذي يحتل وضعاً مهنياً جيداً، ويتميز بمسؤولية كبيرة في العمل، ينعكس ذلك على مكانته في الأسرة، بينما تتحول السلطة في بعض الأحيان إلى الزوجة في حالة انخفاض المستوى المهني للزوج.

وتتحدد مختلف مظاهر التغيرات السابقة فيما يلي:

### 1. تقسيم العمل وتوزيع الأدوار في الأسرة العربية المعاصرة:

يتفق أغلب الباحثين على أن الأسرة العربية تتصف ببنيتها الهرمية الجنسية التي يحتل فيها الأب قمة السلطة، وعلى أساس ذلك يوزع العمل والنفوذ والمكانة والقوة فيها.<sup>16</sup>

ويتأثر تقسيم العمل في وقتنا الراهن بجملة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفتها الأسرة. كما يدور تقسيم العمل- في المجتمع الصناعي المتقدم حول توزيع المهن والأعمال، وما يرتبط بها من تفاوت وتفاضل في الأدوار الاجتماعية. فالمكانات الاجتماعية

الناجمة عن التخصص وتقسيم العمل، لا ترتبط بالخصائص الطبيعية للفرد، بقدر ما ترتبط بقدراته الخاصة، وندرة التخصص ومؤهلاته الموضوعية.

ويتأثر تقسيم العمل داخل الأسرة بشكل عام بطبيعة تقسيم العمل السائد في المجتمع، وبالأطر الثقافية السائدة فيه، وبطبيعة ونوع الأسرة نفسها، حيث توصف طبيعة الأسرة العربية إجمالاً ببنيته الهرمية الجنسية والعمرية، فالأب فيها هو الذي يقف على رأس الهرم السلطوي، ويكون تقسيم العمل والنفوذ والمكانة والقوة على هذا الأساس (الجنس).

كما أن احتلال الرجل مركز القوة والسلطة والمسؤولية في الأسرة، ما هو إلا نتيجة لانقسام المجتمع العربي إلى عالمين عالم الرجل والمرأة. ومهما يكن، يمنح تقسيم العمل وطبيعته في المجتمع العربي، وفي داخل الأسرة العربية الأب القوة الرئيسة، ويجعله يحتل مركز السلطة والمسؤولية، ويتمتع أيضاً بمكانة خاصة، فهو وحده الذي له الحق بإسداء النصائح والأوامر والتهديدات والإرشادات، بينما يتوجه بقية الأفراد بالاستجابة والطاعة والاحترام والتقدير.

إن احتلال الأب لهذه المكانة في الأسرة العربية غالباً ما يبرر باسم مصلحة العائلة، وباسم ثقافة المجتمع وتقاليدته التي تعطيها حق هذا الامتياز، كما تبرر أيضاً باسم المعيل الذي أكتسب معرفة تفوق معرفة بقية أفراد العائلة بحكم سنه وكفاحه في العمل.

وفي وقتنا الراهن، وبحكم التحولات التي عرفتها الأسرة المعاصرة في مختلف المجالات، تأثر النسق الأسري تأثراً ملحوظاً، مما انعكس على توزيع الأدوار بين الأفراد، حيث أدى التصنيع إلى اتجاه الكثير من الشباب والشابات إلى العمل في الصناعات المختلفة، وبذلك أصبحت الفتاة تعمل وتكسب مثل أبيها تماماً، وتحصل على وظيفة أعلى من وظيفته، وتكسب أكثر مما يكسب. ولم يعد الأب العائل الوحيد للأسرة، وترتب عن ذلك ارتفاع المركز الاجتماعي للمرأة.

وبالنسبة لإعادة توزيع الأدوار، فقد بينت الدراسات والأبحاث أن هناك شكل جديد في توزيع الأدوار بين الزوجين فرضته مختلف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فلم يعد تقسيم العمل مثل السابق مبنى على أساس نوع الجنس، حيث يتكفل الرجل بمختلف الأدوار الأسرية خارج البيت، بينما يقتصر دور المرأة على العمل في محيط البيت

مثل الاعتناء بأفراد الأسرة، وبالشؤون الداخلية للبيت، فإنه في الأسرة المعاصرة أصبح هناك نوع من التبادل والتداخل في الأدوار، حيث توسعت أدوار الزوج لتشمل المشاركة في الأعمال المنزلية، ومراقبة ومتابعة نشاطات الأطفال داخل الأسرة. وبالمقابل اكتسبت المرأة أدواراً أخرى كانت حكراً على الرجل، ويتعلق الأمر بمتابعة النشاطات الترفيهية إلى جانب العمل خارج البيت.<sup>17</sup>

كما عرفت الأسرة المعاصرة تغيرات بارزة تمثلت في إعادة توزيع المهام بين المرأة والرجل، حيث نجد تبادل للمهام والأدوار بين كلا الطرفين عبر مشاركة في الأدوار المخصصة لكل منهما، إلا أن التغيير البارز هو ما تمارسه المرأة داخل الأسرة من عنصر تابع إلى عنصر مشارك أو مستقل.<sup>18</sup>

وعليه نصل إلى أن الأدوار الجديدة التي اكتسبها كل من الزوج والزوجة نتيجة للتغيير الحاصل تشير إلى أن هناك إعادة توزيع للأدوار مقارنة بالأسرة التقليدية.

## 2. بناء القوة وتغيير دور المرأة ومكاتها في الأسرة المعاصرة:

إن فهم الفرد لدوره الاجتماعي، وقيامه به قياماً سليماً يعتمد على فهمه للأدوار الاجتماعية الأخرى التي يقوم بها أفراد المجتمع الآخرون، فقيام الزوجة بدورها يكتمل عندما تعرف دور الزوج أيضاً، وتفهمه على أساس اجتماعي سليم. وقيام الأبناء بدورهم أيضاً يعتمد على فهم دور الوالدين، ومعنى هذا أن معرفة الإنسان بدوره تتحدد بمعرفة الدور المكمل له.

إن دخول المرأة سوق العمل يعتبر عاملاً مهماً في تغيير البنية العائلية. ويرجع الكثير من هذا التغيير إلى مجموعة من الدوافع الرئيسة منها غلاء المعيشة، ولوازم الحياة الضرورية. إذ عملت المرأة على مشاركة الرجل في تحمل أعباء الحياة والمصاريف الخاصة بالأسرة، مما رفع من قيمتها حيث أصبحت تشارك في القرارات، وفي تسيير الشؤون المنزلية، أي أصبح للمرأة مكانة أكبر، وسلطة أكثر، داخل أسرتها مقارنة بما كانت عليه في الماضي، حيث لم يكن لرأيها أية أهمية، بل لا تجرأ حتى على التصريح به أو الاعتراض عن موقف أو قرار اتخذته زوجها.

كما عمل التعليم على إبراز التغير في مكانة المرأة، حيث أدى إلى ظهور قيم جديدة، وتراجع بعض القيم التقليدية، فالتعليم أتاح فرصة أمام الفتاة للخروج بدورها لطلب العلم والعمل في آن واحد، إذ يلاحظ في الفترة الأخيرة من التغير تحول وضع المرأة، إذ انجرت عنه جملة واضحة من القيم خاصة منها المتعلقة بالزواج، واختيار الزوج المناسب.<sup>19</sup>

كما أن المرأة بعد أن دخلت مجال التعليم والعمل أخذت كثيرا من سيطرة الأب، وصارت المرأة المثقفة والمتعلمة، وتعمل بجانب الرجل، وتسهم في إعالة الأسرة. حيث نجد أن الوظائف التي تقدمها الأسرة لأفرادها من عاطفة وحنان للأبناء، والدور الاجتماعي الذي يتمثل بالإنجاب الشرعي للأطفال وحمايتهم اجتماعيا، والدور الاقتصادي من تأمين حاجيات الأفراد الأساسية منها والكماليات، عدا عن الاستقرار النفسي، والذهني. كل هذه الأدوار أصبحت تمارس من قبل المرأة إلى جانب الرجل؛ إذا ما قلنا أنها قد تتفرد في المسؤولية عبر اتخاذ القرارات الحازمة تجاه الأسرة، ومن خلال ثقة الرجل الذي قد منحها للمرأة عبر ما أثبتت من خلال ذلك رجاحة العقل، والقدرة على تحمل المسؤولية.<sup>20</sup>

وعلى الرغم مما تم طرحه سابقا، فإنه ينبغي عدم المبالغة في إظهار بروز دور المرأة ليحتل الصدارة في المجتمع الجزائري، أو القول بأن هذا المجتمع تخلى كلية عن طابعه الذكوري. بل بقيت مكانة الرجل محترمة، لكنه ليس الوحيد الذي يستطيع تلبية حاجات الأسرة، وليس أيضا الوحيد الذي يملك السلطة على الأسرة، بل المرأة تحتل نفس المكانة التي يحتلها الرجل، وقد أكدت الدراسات الجزائرية مساواة المرأة مع الرجل في الحقوق السياسية، ومبدأ المساواة المتعلقة بالانتخابات، ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في شروط الدخول للعمل. وأن الخطاب الرسمي يعتبر المرأة بأنها النصف الآخر للمجتمع وشريكا كاملا للرجل في الحقوق المكتسبة.<sup>21</sup>

ومهذا الصدد يؤكد "مصطفى بوتفوشيت" بأن المرأة لا تسقط مكانتها الخاصة من مسؤولياتها ومشاركتها في العمل الإنتاجي، بل من كونها أما أو ابنة أو أختا، فهي مثل الأرض رمزا للخصب تعطي أكثر بكثير مما تأخذ، ويصبح لهذه المرأة التي أفنت حياتها في

خدمة صالح العائلة الأبوية جزء من سلطة الأب، والتي يعطيها إياها. وأنها تحظى باحترام وتقدير كبيرين داخل البناء العائلي نظرا لما تتمتع به من مسؤولية<sup>22</sup>.

### 3. بناء القوة وتغير دور الأبناء ومكانتهم:

يرتبط دور الأبناء ومكانتهم في الأسر إلى حد كبير بنمط ومكانة الزوجة فيها، ومع ذلك هناك فرق بين أدوار ومكانات الأبناء الذكور، وتلك التي تحتلها الإناث. ففي السابق ارتبط الابن الأكبر بأبيه من أجل تعلم مهنته. فوجد الآباء في أبنائهم امتدادا لذواتهم، وتواصلوا لمهنتهم، ومع تطور مناحى الحياة المختلفة، وتقسيم الأسر الممتدة إلى وحدات صغيرة، وتعلم المرأة، أدى إلى تبادل الأدوار واقتسام السلطة بينها، الأمر الذي ألقى إلى حد ما أفضلية الذكور على الإناث في الأسرة النووية. كما أن تعليم الأبناء في الجامعات، هيا لهم اكتساب خبرات جديدة خارج الأسرة، مما أوجد الظروف التي أسهمت في إتاحة لهم فرصة المشاركة في القرارات المصيرية التي تخصهم والمتعلقة بمصيرهم الدراسي والمهني.

### ثالثا-السلطة وصراع الأدوار في الأسرة العربية المعاصرة:

إن الفرد داخل الأسرة يحتاج يوميا إلى وجود السلطة في حياته، فهناك مواقف تستدعي من الأب أن يقف موقفا حازما وقويا، لأن الأب بالنسبة لأبنائه يمثل السلطة الأبوية، وعدم وجود السلطة يؤدي إلى عدم الطمأنينة.

وقد سبق وأن أشرنا أن السلطة كانت سلطة الرجل، وسلطة قراره في الأسرة التقليدية، أما المرأة فكانت تعتبر عنصرا ثانويا في الأسرة حيث أنّ التمثيل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يرجع للأب، أمّا مكانة المرأة فتعتبر دونية تتحسن أو تسوء مع مراحل الأسرة الحياتية. وأن أغلبية النساء يواصلن وجودهن في بيوتهن ويقمن بخدمة الأطفال والزوج، بينما يبقى الأزواج على الساحة العمومية.<sup>23</sup>

إن تحليل الصراعات المختلفة التي تشهدها الأسرة المعاصرة يكشف على أن غالبيتها ينجم عن ضغوطات العصر، وضغوطات العمل. ناهيك عن عدم توافق توقعات الدور مع

أداء هذا الدور. فالتباين بين أداء الدور وتوقعاته هي أكثر العوامل المسؤولة عن الصراع الذي نشهده الآن.

ومن أشكال الصراعات التي تعرفها الأسرة المعاصرة، تلك التي يمر بها الزوج المعاصر والمرأة المعاصرة. فكثيرا ما يعاني الأزواج في الوقت الحاضر من صراع يكمن في رغبتهم بالاستمرار بأداء أدوارهم السلطوية التقليدية القديمة من جهة، ورغبتهم في تغيير هذه الأدوار لتتناسب مع توقعات الدور الجديد الذي يفرضها عليهم التغير الثقافي والاجتماعي من جهة ثانية، إذ تتطلب منهم هذه الأدوار الجديدة المساواة فيما بينهم وبين أزواجهم والحد من سلطتهم السابقة.

وتعد الصراعات التي تتعرض لها الزوجة في الوقت الحاضر، من أقوى الصراعات بين أفراد الأسرة المرتبطة ببناء القوة فيها. وتعود أسبابها إلى كثرة المشاكل والضغوطات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي تتعرض لها والتي تجعل من دورها أكثر تعقيدا. إذ عليها أن تقوم بعدة أدوار بعضها متداخل مع الآخر، وبعضها متضارب معه الأمر الذي يسبب لها صراعا مستمرا، إذ يتوقع الزوج منها أن تكون زوجة مسؤولة عن كل شؤون المنزل. ويتوقع صاحب العمل منها أن تكون مسؤولة عن عملها، وغيرها من المهام التي يتوقع المجتمع أن تقوم بها.

#### رابعا- بناء القوة واتخاذ القرارات في النسق الأسري:

إن نجاح الأسرة أو فشلها كوحدة زواجية يتوقف إلى حد كبير على توزيع القوة فيها باعتبارها المحرك الرئيس لشتى أنواع النشاطات والتفاعلات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، كما يتوقف نجاحها في بعض الأحيان على التوافق في المرجعية التي يتم اتخاذها أساسا لمراجعة الخلافات والحكم على التصرفات. لهذا تعتبر القوة التي يملكها كل عضو من أعضاء الأسرة وخاصة الزوجين دليلا دقيقا، وانعكاسا واضحا لقوة أو ضعف الدور الذي يمارسه كل فرد فيها. كما أنها تؤثر تأثيرا قويا في طبيعة الاتصال بين الأفراد وتحدد نوع العلاقات الاجتماعية التي تسود بينهم.

وتظهر هذه القوة واضحة في قدرة كل عضو في الأسرة وبخاصة الزوج والزوجة على اتخاذ القرارات التي تؤثر في حياة الأسرة.

وقد أثبتت الدراسات أن هناك متغيرين يؤثران في صناعة قرار المرأة يتعلق الأول منها بمصادر القوة التي تملكها المرأة بشكل عام، والثاني يتصل بالأطر الثقافية السائدة في المجتمع، والتي تحدد دورها كمرأة.

وقد توصلت هذه الدراسات كذلك إلى أن قوة المرأة في صنع القرار في أسرتها، تتأثر كثيرا بمكانتها الاجتماعية، ودرجة استقلالها المادية، ومستوى تعليمها، ونوع المهنة أو العمل الذي تقوم به، ومدى ما يدر من مردود مادي على الأسرة، كما توصلت كذلك إلى وجود علاقة بين قوة المرأة في صنع القرار، وبين المكانة الاجتماعية والاقتصادية لأسرتها قبل الزواج، وتبين أن قوة المرأة لا تظهر بالدرجة نفسها خلال المراحل المختلفة لحياتها، وإنما تتغير بتغير مراحل دورة حياتها. فهي قبل الزواج تكون أقل تأثيرا في اتخاذ القرارات، وبعد الزواج تكون أقوى نسبيا.<sup>24</sup>

### قوة المرأة والأنماط الثقافية:

إن فهم طبيعة ما تتمتع به المرأة من سلطة وقوة داخل أسرتها وخارجها، يتوجب علينا تحليل هذه القوة في ضوء التوجهات والأطر الثقافية للمجتمع.

وتظهر أهمية هذه الأطر الثقافية في تحليل ديناميات صناعة القرار في الأسرة عندما نكتشف أن هناك اختلافا بين المعايير التي تحدد أدوار الذكور والإناث في المجتمع، ومكانة كل منها. وبين المواقف الفعلية للحياة اليومية التي تؤدي فيها المرأة أدوارا قد تختلف كثيرا عما هو محدد من الناحية الثقافية.<sup>25</sup>

وعلى أي حال تحدد المعايير الاجتماعية والأنماط الثقافية لأي مجتمع ما، والمشتقة أصلا من طبيعة نظامه الاقتصادي والاجتماعي الشخص الذي بيده السلطة أو القوة داخل الأسرة.

ومادامت الأنظمة والمعايير الاجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، وتختلف أيضا داخل المجتمع الواحد الذي يضم أنماطا معيشية متباينة فمن الطبيعي أن نجد تباينا واضحا في تدرج السلطة.

### خاتمة:

إن التغيير الاجتماعي والثقافي الذي تتعرض له الأسرة المعاصرة، يتطلب مرونة وتداخلا في الأدوار أكثر مما كان عليه في السابق، وتعتمد مدى هذه المرونة أو التغيير على شكل الأسرة نووية أو ممتدة، وعلى العمل ونوع الأسرة حضرية أو ريفية، وعلى درجة تعليم الزوجين وثقافتهم، إضافة إلى تغير أطر المجتمع الثقافية لتستوعب التغيير وتتماشى معه.

وقد بينت مناقشة القضايا السابقة أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للمرأة انخفضت نسبة التمييز والهيمنة والتسلط ضدها، وبالمقابل تزداد حريتها واستقلاليتها فتظهر عملية تبادل الأدوار بينها وبين زوجها.

كما بينت النتائج أن بناء القوة في الأسرة وتدرج هرم السلطة داخلها أثر بشكل واضح على طبيعة أدوار أفرادها حيث ظهر تبادل للأدوار الوظيفية بين الزوجين كما أسلفنا الذكر، بحيث أصبح الزوج يشارك المرأة في بعض الأعمال المنزلية، كما ظهر من جهة ثانية صراع بدى جليا في أدوار المرأة المتعددة بحيث أصبحت مطالبة بتحقيق أكبر قدر ممكن من هذه الأدوار.

وبالنسبة لمؤشر اتخاذ القرارات، تبين لنا أن المرأة في الأسرة المعاصرة تحررت نوعا من سلطة الرجل بحكم عوامل عدة أبرزها مستواها التعليمي وولوجها عالم الشغل، وتقلدها للمسؤولية، وعليه أصبح للمرأة حيز يسمح لها باتخاذ القرار في الأمور الحسيرة التي تخصها أو تخص أفراد أسرتها على العموم. ويبقى المحك الأول في تحديد المسألة هو وعي الرجل وإدراكه لانعكاسات التحولات التي فرضتها العولمة في جميع المجالات.

وبهذا نتوصل إلى أن أوضاع القوة أو السلطة بين الزوجين وتوزيعها بينهما تشكل عنصرا هاما في بناء الأسرة واتخاذ القرارات فيها، وذلك لأن بعد القوة هو في الحقيقة انعكاس لثقافة المجتمع، ولتوزيعه للأدوار بين أفرادها.

## الهوامش والمراجع :

- 1: السيد رشاد غنيم وآخرون: سوسيولوجيا الأسرة-دراسات نظرية وتطبيقية- مطبعة البحيرة، الإسكندرية، ط2، 2008، ص20
- 2: بلقاسم الحاج: المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 11.
- 3: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
- 4: نخبة من المتخصصين: علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق، مصر، 2009، ص 100.
- 5: المرجع السابق، ص 149.
- 6: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 7: عبد الله ابراهيم: علم الاجتماع (السوسيولوجيا)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006، ص112
- 8: بلال حمدي عراي، أمل حمدي دكالك: علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، 2005، ص 135
- 9: المرجع السابق، ص 132.
- 10: نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، مرجع سابق، ص 187.
- 11: بلقاسم الحاج: المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 13.
- 12: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
- 13: نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، مرجع سابق، ص 173.
- 14: بلقاسم الحاج: المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 13
- 15: بلقاسم الحاج، المرأة ومظاهر تغير النظام الأبوي في الأسرة الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص 122.

- 16: نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، مرجع سابق، ص 170.
- 17: بلقاسم الحاج، مرجع سبق ذكره، صص 122-123.
- 18: فدى المصري: التحولات لدى الأسرة العربية المعاصرة. الحوار المتمدن، 2008، أنظر الموقع الإلكتروني: <http://www.ahewar.org/>، تاريخ زيارة الموقع: 2016/10/23.
- 19: رشيد بومعالي: واقع التغيرات الأسرية للأسر الريفية المهاجرة في الجزائر، دراسات وأبحاث اجتماعية، 2011، أنظر الموقع: <https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady->، تاريخ زيارة الموقع: 2016/09/15.
- 20: فدى المصري: التحولات لدى الاسرة العربية المعاصرة، الحوار المتمدن، مرجع سابق، أنظر الموقع الإلكتروني: <http://www.ahewar.org/>، تاريخ زيارة الموقع: 2016/10/23.
- 21: دريد فضيحة: مظاهر التغير القيمي في الأسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 8، جامعة سطيف، 2008. ملف Pdf غير مرقم.
- 22: المرجع نفسه.
- 23: دريد فضيحة: مظاهر التغير القيمي في الأسرة الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 8، جامعة سطيف، 2008. ملف pdf غير مرقم.
- 24: نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، مرجع سابق، ص 162.
- 25: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## أثر الفضاء السكني على التغير الاجتماعي للعلاقات الأسرية داخل المجتمع الجزائري (دراسة تحليلية وفق نظرية إدوارد هول Edward T. Hall المعاصرة)

الباحثة: صبة دلولة - جامعة بسكرة - الجزائر

### Abstract :

The social change is the most topics that take the attention of modern sociology at the time of technology. And their concentrated on the study of the difference, in systems of social structure of individual. The family is the first cell of this structure, they are also affected by the material and immaterial factors, including architectural factor that takes the form of residential space. The home container which contains functional areas (room, kitchen) On the other hand, contains the vital areas of family and daily life practices in it.

From this point, by virtue of our specialty and we would like to know the correlation between the physical factor (building) and the social factor, where we are trying in this paper is to high light the most important spatial organization of the analgesic properties and its effect on changing the family link. And this depending on the choice of different housing styles according to the evolution of the city of Biskra, and in a second stage, we apply the Hall in an innovative way to re-drafting of architecture and social model, aim to study of social distances patterns of family member inside the house.

This way, we use in vestigative techniques as a questionnaire. After access to the results of the study, we propose some general recommendations and urban scientific guidance. According to this perspective is asked the following question: What is the impact of the residential space for social change and family relations on Algerian society?

Keywords: Model Edward Hall- housina - relations hips family- social change-social interaction.

### الملخص :

يشكل التغير الاجتماعي إحدى المواضيع التي شغلت اهتمام علماء الحقل الاجتماعي، وتركيزهم على دراسة مظاهر التباين والاختلاف في نظم البناء الاجتماعي للأفراد في ظل تنامي الاستخدام المفرط للتكنولوجيا. وبما أن الأسرة هي الخلية الأولى لهذا البناء، فإنها هي الأخرى تتأثر بالعوامل المادية واللامادية، ومن بينها العامل المعماري الذي يتخذ شكل الفضاء السكني، والذي يعد الوعاء الذي يحوي مجالاتها الوظيفية (مطبخ، غرفة) من جهة. ومن جهة أخرى يحوي مجالاتها الحيوية التي يتم فيها ممارسة الحياة اليومية والاجتماعية للفرد والأسرة ككل.

ومن هذا المنطلق، يحكم تخصصنا- نود معرفة العلاقة التبادلية بين العامل الفيزيائي (المبنى) والعامل الاجتماعي (الأسرة). أين نحاول في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على أهم خصائص التنظيم الفراغي للمسكن وتأثيره على تغيير الرابطة الأسرية. وهذا بالاعتماد على اختيار أنماط سكنية مختلفة وفقا لتطور مدينة بسكرة، وفي مرحلة ثانية نقوم بتطبيق نموذج هول بطريقة مبتكرة لإعادة صياغة البنية المعمارية والاجتماعية، بغية دراسة أنماط المسافات الاجتماعية لأفراد الأسرة داخل المنزل. وهذا بالاعتماد على طريقة التحقيق الميداني وتطبيق تقنيات المقابلة، الملاحظة بالمشاركة والاستشارة. وبعد الوصول لنتائج الدراسة نقترح بعض توصيات العامة وتوجيهات المعمارية العلمية. وفق هذا المنظور يتم طرح التساؤل التالي: ما هو أثر الفضاء السكني على التغير الاجتماعي للعلاقات الأسرية داخل المجتمع الجزائري وفق منظور إدوارد هول؟

الكلمات المفتاحية: نموذج إدوارد هول- مسكن - علاقات الأسرية- التغير الاجتماعي- التفاعل الأسري.

## مقدمة:

تواجه المجتمعات العربية عامة والجزائر على وجه التحديد أكثر من مشكلة داخلية وخارجية، تدفع بالإنسان إلى ردود أفعال تجاه هذا الواقع، والتي تظهر في تصورات وأهدافه وعلاقته بالآخرين. وهذا ما نلاحظه على وجه الخصوص في التغير الاجتماعي الذي يعد أداة تحول في العلاقات الاجتماعية وفي البناء الاجتماعي دون تحديد اتجاه أو تقويم له.<sup>1</sup> والذي يشهد ديناميكية سريعة ومستمرة مع تزايد استخدام وسائل التكنولوجيا الحالية.

تنوع المكان من أهم المؤثرات على تطور الحركة الاجتماعية للإنسان ولاسيما أول فضاء يلجأ إليه للشعور بالأمان ألا وهو ملجأ كمصطلح أولى والذي آل إلى أن يكون منزل يشخص احتياجاته المعنوية والمادية لخلق الحركة والسكون في آن واحد. يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: "والله جعل لكم من بيوتكم سكناً"<sup>2</sup> فامتن الله سبحانه وتعالى على عباده السكن وما يحمله من معاني ودلالات مادية ونفسية حددت مهمة الإنسان الأساسية في إعمار الأرض، فأنعم عليه بالبيتكمكان للراحة والاستقرار والسكينة وبناء الأسرة.

تعد الأسرة النواة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي وبناء الحياة الإسلامية، الأسرة هي أساس المجتمع، في ظلال الأسرة يتربى الفرد الصالح وتنمو المشاعر الصالحة، مشاعر الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة ويتعلم الناس التعاون على الخير وعلى البر في ظل الأسرة.<sup>3</sup> وهي أهم مؤشر يبرز من خلاله هذا التغير الاجتماعي ومن مظاهره التغير في البنية الشكلية لأسرة من خلال الانتقال من نمط الأسرة المركبة (المعقدة) إلى البسيطة، وكذا تبادل الأدوار والوظائف والعلاقات الأسرية. نستنتج ان المسكن أخذ منحى الأسرة فكما تغيرت خصائص الاجتماعية للأسرة تغيرت معها مواصفات المنزل والانتقال السريع من النموذج التقليدي إلى النموذج الحديث.

## أولاً: لمحة عن مقارنة علم النفس الاجتماعي الفضائي:

نتعرض في دراستنا إلى العلاقة بين الإنسان والبيئة الفيزيائية، التي تندرج ضمن مواضيع علم النفس الاجتماعي الفضائي، والذي يهتم بالآثار النفسية والاجتماعية للتصميمات

الهندسية للمساكن والمباني والأحياء والمدن والتغيرات البيئية، لمحاولة تطويعها لصالح الإنسان والتكيف معها<sup>4</sup>. وتدرس أبعاد المكان وتأثيره على سلوك واتجاهات الفرد نحو الآخرين في البيئة الفيزيائية. فالاتجاهات الحديثة أكدت دور المكان في تشكيل التفاعل وفي إضفاء صبغة ديناميكية معينة للعلاقات الاجتماعية.

بناء على ذلك فالعلاقة الحاصلة بين المسكن والأسرة كانت منطلق لبعض الدراسات والأبحاث المتعددة كل في مجال تخصصه. فلقد اعتبر الأنثروبولوجي (1979 Amos Rapoport) أن الشكل والتوجيه وتوقع المبنى والفتحات من أهم أساسيات لتحقيق الحاجيات اليومية للأسرة، منها ماكنة المرأة والخصوصية والعلاقات الاجتماعية<sup>5</sup> كما يرى في سياق الموضوع، أن الأسرة و هيكلتها تتحكم في شكل المبنى ففي القبائل (Kabylie) كل منزل يحمي الأسرة أولية (famille conjugale) وتجمع مجموعة من المنازل حول فناء مشترك تحمي عائلة (la famille elargie) وتنتج هذه المجموعة القرية، فهنا يمكن القول أن المسكن والأسرة هما النواتان الأوليتان ونموها وتطورها يبني مجتمع حضري (المجتمع المدينة) والذي ينتقل من علاقات بسيطة واضحة إلى علاقات معقدة.

المسكن هو مجال ذو حدين، أولاهما الفضاء الداخلي يأخذ طابع خاص أين يقضى فيها الفرد معظم وقته والحد الثاني عام الذي يمثل الفضاء الخارجي للمسكن فيمكن القول أن الإنسان يتخذ سلوكيات ودوافع معينة اتجاه هذين البعدين كما نستنتج أن هناك علاقة تبادلية بين المسكن والأسرة يتأثر ويؤثرما يدعم الاتجاه القائل بأن المبنى يبدأ متأثراً بفكر وفلسفة مصممه ثم تتحول إلى مؤثر في العلاقات الإنسانية التي تدور بداخله إما سلباً أو إيجاباً لهذا وجد التوجه الذي يرمي إلى إعادة الجانب الاجتماعي في عمارتنا المعاصرة لان السلوك المكاني شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي الناتج عن حياة الفرد في البيئة من حوله<sup>6</sup>.

ثانياً: دراسات نقدية لتأثير تصميم المسكن على الخصائص النفسية والاجتماعية للأسرة:

نستخلص مما سبق أن كل فضاء فيزيائي ينفرد بجملة من الخصائص المعمارية، السوسيو نفسية تعكس الخصائص الاجتماعية من أول بناء أُسري وصولاً إلى تكوين المجتمع.

نذكر في ورقتنا البحثية بعض الدراسات التي انتهجها الباحثون في هذا المجال والتي تشير إلى تطور طرق دراستها فمنهم من اهتم بمعرفة تفاعل الفضاء المنزلي والفرد، ومنهم من تعدى إلى الفضاء الخارجي العام ومدى تفاعله مع المجتمع.

### 1. تأثير الفضاء الداخلي (الفضاء المنزلي) :

تؤكد بعض الدراسات أن مواصفات التصميم الداخلي لمسكن تلعب دورا حيويا في التأثير على خصائصه الاجتماعية والنفسية لدى أفراد الأسرة من ذلك (قوة الروابط الأسرية بين الأفراد، الخصوصية وشعور بالانتماء... وغيرها) والتي تمثل دعامة لنشأة المجتمع واستقراره. فقد توصل شومباردولو (1975) إلى أن العلاقة بين الآباء والأبناء تصبح متوترة والآباء يتعصبون من أبنائهم باستمرار، عندما يقل مؤشر المساحة السكنية عن (8-10) متر مربع<sup>7</sup>. في حين كان ملكية المسكن دورا في تحقيق الذات والشعور بالهوية الشخصية لبروغس، فرشتور و سدالا (1987). أما اليزيتا ستون سيليسكو (1992) أكدت في دراستها عن إعادة تحديد وبناء الفضاءات المنزلية من وجهة نظر الطفل، على أن غرفة الاستقبال التي وصفها بالفضاء المقدس تعتبر الهوية والمكانة من خلال تأثيها بأحدث الأفرشة والستائر ولا تستعمل إلا في المناسبات<sup>8</sup>.

كما توصلت رجاء طيارة مكي (1995) وفق مقارنة نفسية اجتماعية للمجال السكني إلى أن الأفراد يعبرون عن هويتهم وكذا عن صراعاتهم الداخلية من خلال استخدام سلوكيات معمارية داخل مساكنهم، مما أدى إلى بروز عناصر معمارية جديدة منها إلغاء وسط الدار من مسكن التقليدي واستبداله بالشرفة والسطح في المسكن الحديث<sup>9</sup>. كما درست عشور سهام (2001) العلاقة بين التكثيف الداخلي للمسكن وعلاقته بالزواج الأبناء، فبينت أن معظم العائلات من أفراد الدراسة أجرت ممارسات تعديله للفضاء السكني الجديد مما أدى إلى تغيير الكلي لتصميم الهندسي الأولي للمسكن.

بالإضافة إلى أن الفضاء المنزلي له دور في تكوين شخصية الفرد منذ نشأته في الوسط الأسري وهذا ما قامت فريدة جيتلي 2011 بدراسة حول العلاقة بين تأثير الفضاء المنزلي للتلميذ والتحصيل الدراسي. أين طبقت العينة على مجموعة من التلاميذ بطريقة عشوائية،

واستخدام الاستبيان كأداة بحثية للوصول إلى النتائج منها: درجة الأهمية القصوى للفضاءات الهندسية التي يعيش عليها التلاميذ المرحلة الابتدائية (الفضاء المنزلي-الغرفة الخاصة)، لما لها من تأثير على التحصيل المدرسي<sup>10</sup>. ووجدت سليمان جميلة أن هناك علاقة ارتباطية بين أبعاد الفضاء المنزلي وأبعاد كل من الرضا عن الحياة وتقدير الذات لدى ربات البيوت<sup>11</sup>.

## 2. تأثير الفضاء الخارجي للمسكن :

يأخذ الفضاء الخارجي (العام) شكل الجملة الفراغية لمجموعة من السكنات والذي بدوره له تأثير على مستوى أكبر العلاقات الاجتماعية بين الأسر (علاقة الجوار، التفاعل الاجتماعي، السلوكيات الاجتماعية...). فوجدت بوضيف فاطمة (2004) أن النموذج المعماري السائد هو المرأة العاكسة لساكنيه ولطبيعة العلاقة الجوارية بين السكان. وأكدت الباحثة رانية محمد على طه (2010) في دراستها عن التأثير المتبادل بين البيئة العمرانية الفيزيائية للمساكن والخصائص الاجتماعية والسلوكية للسكان لحالة بلدة قديمة بنابلس، وبينت أن استمرارية تغير ملامح المدن القديمة يؤدي الى محو الهوية الثقافية الاجتماعية والتأثير على مدى ترابط وانتماء لها...<sup>12</sup> كما أبرزت بكار ربيعة (1999) الطرق التي يستعملها المهاجرين لامتلاك الفضاء السكني أين يمثل الجانب الداخلي في المسكن مكان ملجأ وحماية، أما مجال خارجي فهو مجال الصراع والتناقضات.

هذه الدراسات ركزت على العلاقات الجوارية بين السكان ومدى انتمائهم إلى بيئتهم وطرق استغلال وامتلاك المكان، على عكس بعض الدراسات التي صبّت اهتمامها على الجانب النفسي والصحة النفسية بالدرجة الأولى من خلال البناء الشخصي وإبراز الذات والهوية للفرد. إلا أن هذا لا يكفي لتحديد عوامل هذا التغير الاجتماعي، فهناك عوامل تنبع من الأصل أي الاحتياج الأول لتكوين الأسرة والاستقرار وما يتبعهم من تفاعل أسري وتواصل بين أفراد الأسرة الذي يعد معيار لتماسك وصلاح الأسرة وعلاقات تبادلية ممتدة لتحديد أدوار مختلفة لكل فرد.

### ثالثا: التفاعل الاجتماعي والاتصال الأسري:

إذن الأسرة والمسكن متغيرين أساسيين وبمفهوم أكبر المجتمع والمدينة، كل هذا أنتج تفاعلات إنسانية بتعدد امتداداتها وأفكارها التي تربط بين أفراد الأسرة الواحدة أو الجماعات. ففي دراسة لدلاسي أحمد (2015): لمناقشة التفاعل الأسري الحديث داخل المدن الحضرية الجديدة استنادا إلى تحليل نوعي تبين له أن هناك عدم توازن اجتماعي حضري بين الحياة الحضرية والتفاعل بين الأفراد نتيجة عوامل موضوعية مرتبطة بالمدينة كجمال حضري وبين الأفراد باعتبارهم كيان اجتماعي وثقافي تؤثر على السلوكات والممارسات الاجتماعية.<sup>13</sup> كما أن التحولات الاجتماعية المعاصرة لها أثر كبير على عملية الاتصال الأسري من بينها التنشئة الاجتماعية التي تلقاها الآباء ويجاولون غرسها في الأبناء، فمعروف على المجتمع الجزائري أنه مجتمع سادته السلطة الأبوية لفترة من الزمن مما أثر على عملية الاتصال الأسري من تعنيف للأبناء وسيادة ثقافة اللاحوار وعدم قبول آراء الصغار وازدراءهم في أحيان كثيرة، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية التي أدت بخروج المرأة لعالم الشغل واهمالها لجانب كبير من مسؤولياتها وقيام وسائل أخرى بهذه المسؤوليات، إلى جانب وسائل الاتصال وتكنولوجيات الحديثة التي غزت الأسر وفترت الدفء العائلي، بحيث أصبح الطفل أو الأبناء يقضون ساعات أمام أجهزة الكمبيوتر أو التلفاز عوض الحوار ومناقشة المواضيع مع أوليائهم. لكل هذه الظروف والعوامل تتحمل الأسرة والأم بشكل خاص الانتقادات اللاذعة بسبب فقدان الاتصال الأسري.<sup>14</sup> فالإتصال الأسري هو تلك العلاقة التي تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء بما تحده الأسرة، ويقصد به أيضا طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة ومن تلك العلاقة التي تقع بين الزوجة والزوج وبين الأبناء والآباء وبين الأبناء أنفسهم<sup>15</sup>. كما أنه اتحاد مجموعة من الأشخاص بروابط الدم الزواجي والتبني، إذ يتواصلون ويتفاعلون مع بعضهم البعض بأدوارهم الاجتماعي<sup>16</sup>.

أصبح الدارسون لحياة الأسرة لا يهتمون كثيرا بنسبة احتلال الغرفة من طرف عدد معين من الأفراد، بل يميلون إلى الدراسات النوعية التي تهتم بمقدار التفاعل، ونوع العلاقات المتبادلة بين الأشخاص في مكان معين ويختلف حجم التفاعل ونوع العلاقات

المتبادلة إلى حد كبير بإضافة عضو جديد إلى أفراد الأسر، وقد تناول إميل دوركايم هذه الحقيقة الأساسية في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي" عندما أشار إلى أن كل زيادة في عدد الاتصالات تضعف فرص الاحتكاك وتبادل العلاقات بين الأشخاص حيث يستدعي ما ينشأ من مشكلات ضرورة التكيف، إذ تتطلب الحياة تحقيق الانسجام مع القواعد والتعليمات فهذه العبارة تؤكد بوضوح الأهمية الحيوية للأبعاد المتسعة للتفاعل الاجتماعي<sup>17</sup>. فإنا نرى ما مدى هذا التفاعل الأسري في الفضاء المنزلي؟ للإجابة عن هذا السؤال اتجهنا نظرية معاصرة للتعمق في هذا الموضوع.

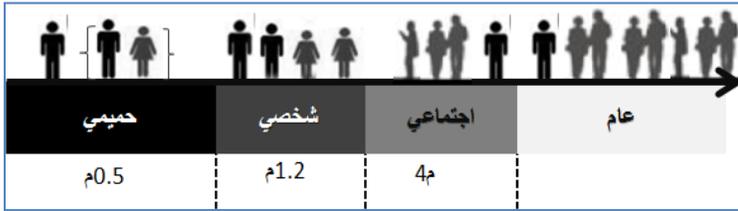
### 1. منهجية إدوارد هول Edward T. Hall المعاصرة:

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تنفرد بتناول موضوع الربط بين العلاقات الفراغية داخل المسكن (البعد المكاني) وتقديم تأثيرها على الرابط الأسري (نموذج مهارات الاتصال بين الأشخاص) هذا لما خلفته الثورة التكنولوجية من عطب في علاقات الأسرية وتفككها، وانتقينا نظرية إدوارد هول Edward T. Hall<sup>18</sup> المعاصرة للاستدلال بها في بحثنا، أين أشار الأنثروبولوجي إدوارد هول في كتابه "اللغة الصامتة": "إن ما يقوم به الناس يكون في غالب الأحيان أكثر أهمية مما يقولون" وأن "تفاعل الفرد مع بيئته هو علامة للحياة و العكس دليل على الموت"<sup>19</sup>. وأنماط التفاعل بدأت من أبسط أشكال الحياة وأصبحت معقدة على نحو متزايد في جميع نطاق النشوء والتطور... وفي نفس سياق الموضوع أكد على أن "الزمان والمكان هي أبعاد لخلق التفاعل. تمثل اكتساب المعرفة والتعليم واللعب والدفاع أيضا أشكال محددة من التفاعل"<sup>20</sup>

كما أنه تحدث في كتابه "La dimension cachée" عن البعد المكاني في العلاقات لأهميته في التواصل فقال " خلال وجودنا نتعلم حرفيا آلاف العلامات المكانية التي تأخذ كل واحدة منها معنى خاصا في سياق خاص<sup>21</sup>" كما تحدث عن ماهية الفضاء المناسب لنشاطات الإنسان، و لتحقيق هذه الغاية، حدد أربع فئات من المسافات الاجتماعية بين الأشخاص (الحميمة والشخصية والاجتماعية والعامية)، كما هو موضح في التمثيل (01)، وأعطى أهمية للمسافة الشخصية بقوله: "إنها الكرة الصغيرة الواقية أو الفقاعة التي ينشئها

منذ نشأته ليخلق حوله عازل عن الآخرين"، كما اعتبرها المنطقة التي تحيط بالفرد وملكا له من الناحية النفسية. وتمثل هذه المساحة قيمة خاصة لأغلب الأشخاص بل ينتابهم الشعور بعدم الارتياح أو الغضب أو التوتر حال التعدي على هذه المساحة<sup>22</sup>. كما عرفها أيضا جون كوزا (J.Cousin) على أن الفضاء الشخصي والفضاء الهندسي ليس متطابقان فلكل

منا له فضاء خاص وهذا الأخير يتطور امتدادا لأنفسنا وأحجام الفقاعة تتغير حسب التكيف مع مساحة مغلقة من حولنا<sup>23</sup>



رسم بياني 1: تمثيل لنموذج إدوارد هول للمسافات الاجتماعية. المصدر: الباحثة 2015.

في الأخير نعرض دراستنا البحثية في مشكلة الفضاء السكني في الجزائر من خلال التطرق إلى التغير السكني الحاصل وما آلت إليه النماذج السكنية الحالية من تدهور واضح في نوعيتها، والمشاكل الناجمة عن البيئة الداخلية للمنزل بشكل عام. ورغم ذلك ما زالت المدن الجزائرية الحالية تحتفظ بالسمات العمرانية للنسيج القديم منذ حقبة زمنية طويلة مروا بحقبة استعمارية، وما بعد استقلال والبرامج المتعددة، مما يدفعنا إلى التساؤل إلى أي مدى يمكن لنمط المسكن في كل حقبة وما يميزه من تصميم أن ينعكس على التغير الاجتماعي الحاصل وهل المنازل القديمة تنعكس إيجابا على التغير الاجتماعي للأسر الجزائرية من خلال نوعية وتدرج فضاءاتها وطريقة تصميمها وتوزيعها الفراغي.

على أساس ما سبقت الإشارة إليه من تجارب بحثية، جاء التفكير في قضية محورية تربط بين قيم العلاقات الاجتماعية الأسرية والبعد الفراغ المعماري للفضاء السكني، مما استدعانا إلى طرح عدة تساؤلات:

1. ما هي الفضاءات الداخلية التي ساعدت على التفاعل بين أفراد الأسرة؟
2. ما مظاهر العلاقة بين الفراغ المعماري والروابط الاجتماعية الأسرية وما مدى تأثيرها؟
3. ما هو المكان الذي يحتله الشخص و حدوده للفضاء الشخصي داخل المنزل ؟
4. ما مقدار تنوع المسافات الاجتماعية بين أفراد الأسرة داخل المنزل؟

#### رابعا : الهدف من الدراسة :

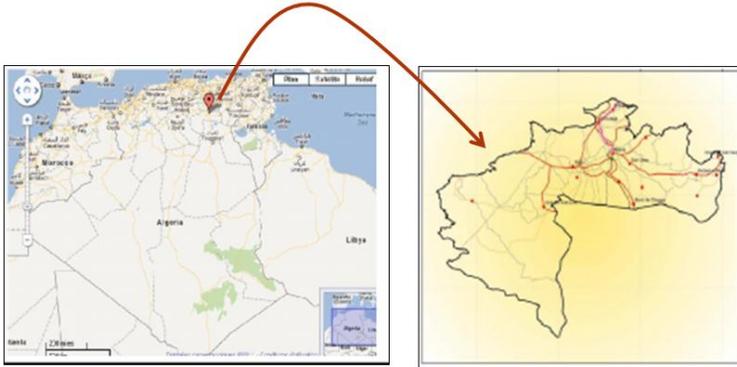
الخروج بسات مشتركة للأنماط المختلفة والفراغات المشتركة للمساكن التي تعزز من قوة الرابط والتفاعل الأسري وذلك لما تعكسه إيجابا على التغيير الاجتماعي.

#### خامسا: منهجية ووسائل الدراسة:

اتبعنا المنهج التحليلي لتحليل أبعاد المشكلة المرتبطة بشكل أساسي بالواقع الحالي لخصائص الفراغات الداخلية لأنماط مختلفة من السكنات بنيت في فترات مختلفة بمدينة بسكرة وعلاقتها بخصائص الأسر الاجتماعية (الفضاء الأسري) وكذا باستخدام مؤشرات التي تحدث عنها Hall في مفهوم المكان كلفة تواصلية غير لفظية من حيث الحدودية والقرب والتنظيم والاتجاه والمسافة، سنسير نحن أيضا على نفس هذا المنوال. وللحصول على المعلومات الحقيقية المستقاة من ميدان الدراسة، استعنا بأداة الاستبيان لقياس النواحي المختلفة للمشكلة على عينة عشوائية متنوعة من السكنات لـ 120 شخص وفقا لمراحل تاريخية لتطور المسكن في مدينة بسكرة. والسبب الذي أدى بنا إلى اختيار حقب مختلفة للمساكن هو التأثر بقول مالك بن نبي "أن الطبيعة توجد النوع. ولكن التاريخ يصنع المجتمع"<sup>24</sup>. فهو يرى ان المجتمع التاريخي يتنوع من حيث طريقة نشأته وشكل بنائه<sup>25</sup>. وقمنا بمحاكاة المعطيات برنامج<sup>26</sup> "Sphinx Plus5 version 5.1.0.3".

#### سادسا: ميدان الدراسة: دراسة حالة مدينة بسكرة / الجزائر:

قبل الانطلاق في دراسة ساحات مدينة بسكرة، نتعرف على المدينة من النواحي المناخية والاجتماعية وطبيعة النسيج الحضري منذ نشأته إلى يومنا هذا.



الشكل (2) حدود مدينة بسكرة

الشكل(01)موقع الجغرافي لمدينة بسكرة في الجزائر

المصدر: [Http://www.Nouara\\_Algerie.com](http://www.Nouara_Algerie.com).

### موقع ومعطيات عامة:

تقع مدينة بسكرة جنوب شرق الجزائر، بمنطقة منخفضة، +88 م على سطح الأرض؛ وعلى خط عرض 34.48 شمالا وخط طولي 5.44 شرقا. بمساحة جغرافية تقدر بـ: 21671 كلم<sup>2</sup>.

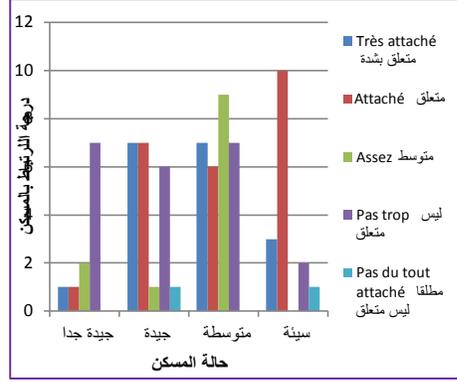
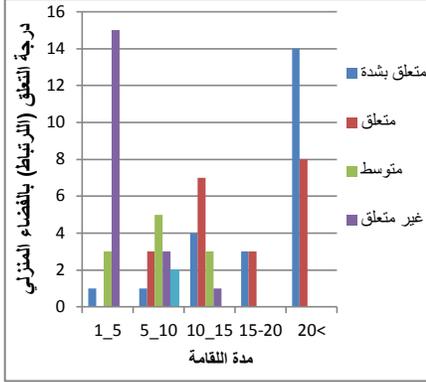
تقع مدينة بسكرة بمنطقة شبه صحراوية مما منحها مناخ خاص. كما أن لها فصل صيف حار جدا تصل متوسط درجة الحرارة إلى 43.5° برطوبة نسبية 12%. فصل الشتاء بارد تنخفض درجة الحرارة إلى 4° مئوية بمتوسط الرطوبة النسبية 89%. التساقط نادر جدا، لا تتجاوز 31 يوم في السنة بكمية إجمالية تصل 200 مم. يجدر بالذكر أن المنطقة تشهد تهاطل قوي ينتج عنه كوارث. أما فيما يخص عدد سكان مدينة بسكرة فتصل إلى 222249 نسمة، حسب إحصاء سنة 2007.

جدول 1: يوضح تعداد السكان لمدينة بسكرة عبر مختلف السنوات.<sup>27</sup>

السنة	1966	1977	1987	1998	2004	2006	2007
عدد نسمة	59561	93800	128924	172341	201325	216398	222249

## سابعاً: الدراسة والتحليل:

- نتائج دراسة وتحليل الاستبيان الخاص بسكان مدينة بسكرة:
1. علاقة بين مدة الإقامة وحالة المسكن وشدة التعلق بالمسكن:



رسم بياني 2: (أ) يمثل علاقة حالة المسكن وشدة التعلق (الارتباط) بالمسكن. (ب) علاقة مدة الإقامة وشدة التعلق (الارتباط) بالمسكن. المصدر: الباحثة 2016.

بالرغم من أن المسكن ليس في وضعية جيدة ولا يحقق كل الأبعاد النفسية والوظيفية أو حتى الجمالية إلا أن هناك ارتباط بالمسكن وهذا يعود إلى عشق المكان وهذا ما تؤكدتها نتائج الرسم البياني (ب). يتضح أن الفئة التي تعرف تعلقا بالمكان هي الأشخاص التي مدة إقامتهم طويلة تزيد عن 20 سنة، التي تترك أثر من ناحية سيكولوجية واجتماعية وتعزز فيهم عشق المكان. التعلق بالمسكن ينتج عنه تعلق أفراد الأسرة فيما بينهم والميل للمحافظة على هذا القرب، للحصول على الطمأنينة والأمن اللذان يحتاجهما، خاصة بين الأم وأبنائها فهي من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية. فالارتباط يدل على وجود علاقات متبادلة بين الفضاء المنزلي والفرد، في بداية حياة الفرد في هذا المسكن يبحث عن العوامل التي تساعده على الاستقرار فيجد نفسه يميل إلى التعلق بفضائه عندما يكتشفه، فالتعلق يتطور ويتسع مع مراحل تطور وتجدد المسكن حسب سلوك الفرد اتجاهه.

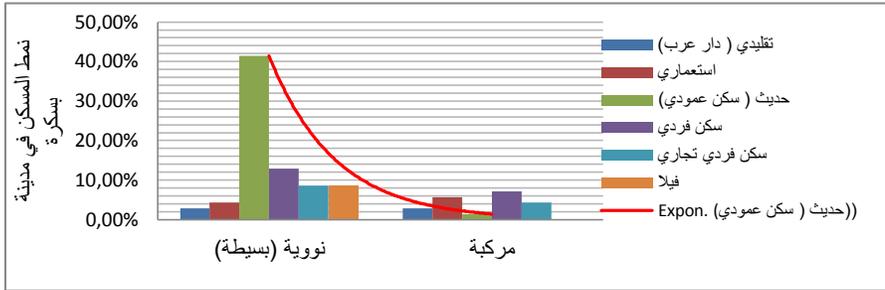
## 2. علاقة بين عدد الغرف وعدد الأفراد داخل المنزل:



رسمياني 3: علاقة بين عدد الغرف وعدد أفراد داخل المنزل، المصدر. الباحثة 2016.

من خلال الجدول يتضح لنا أن معدل أشغال الغرف متوسطة خاصة في نمط سكن عمودي حديث، حيث نجد 4-6 أفراد في منزل ذو 3 غرف للمسكن. أي معدل 1,33% للغرفة. هذا المؤشر يدل على حالة متوسطة للاكتظاظ السكني، كما يدل على أن أغلب العائلات متوسطة الحجم.

## 3. نتائج الارتباط بين نوع المسكن ونوع الأسرة:

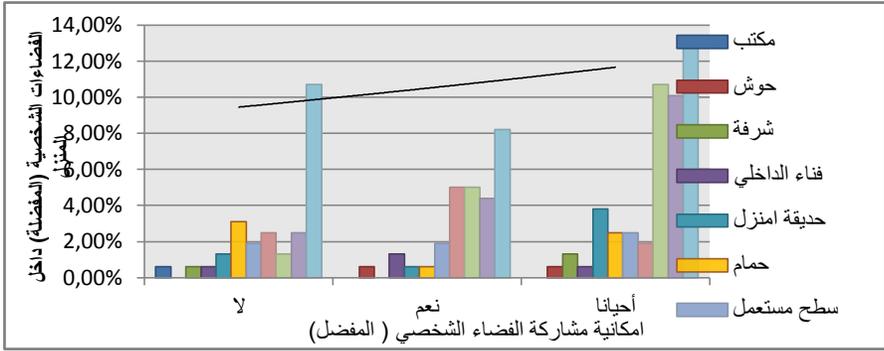


رسم بياني 4: علاقة بين مؤشر نوع السكن ونوعية الأسرة. مصدر الباحثة 2016.

بينت نتائج الدراسة الميدانية أن مختلف الأنماط السكنية في الغالب تقطنها الأسر البسيطة بنسبة 78,6%، خاصة في سكنات ذات نمط البناء العمودي الحديث بنسبة 41,4%، أما فيما يخص سكنات تقليدية تتنوع بين الأسر البسيطة والمركبة بالتساوي بنسبة 2,9%. في حين نمط السكن الاستعماري يغلب عليه الأسر المركبة بنسبة 5,7%.

يعود هذا التغير رغبة لتكوين أسر بسيطة والخروج من الأسر الكبيرة والرغبة في امتلاك مسكن فردي. وهذا بفعل التغير الاجتماعي الذي شهده المجتمع الجزائري الذي تحول من أسر ممتدة مركبة إلى أسر نووية، وهذا ما تلائم مع نمطية الاسكان ونوعيته المتمثلة في المسكن العمودي، الا أنه رغم ديناميكية هذا التغير فمازالت بعض الأسر تحافظ على بناءها الاجتماعي الممتد المركب.

#### 4. نتائج الارتباط بين المكان المفضل (الشخصي) ومشاركته والنشاطات التي تمارس فيه:



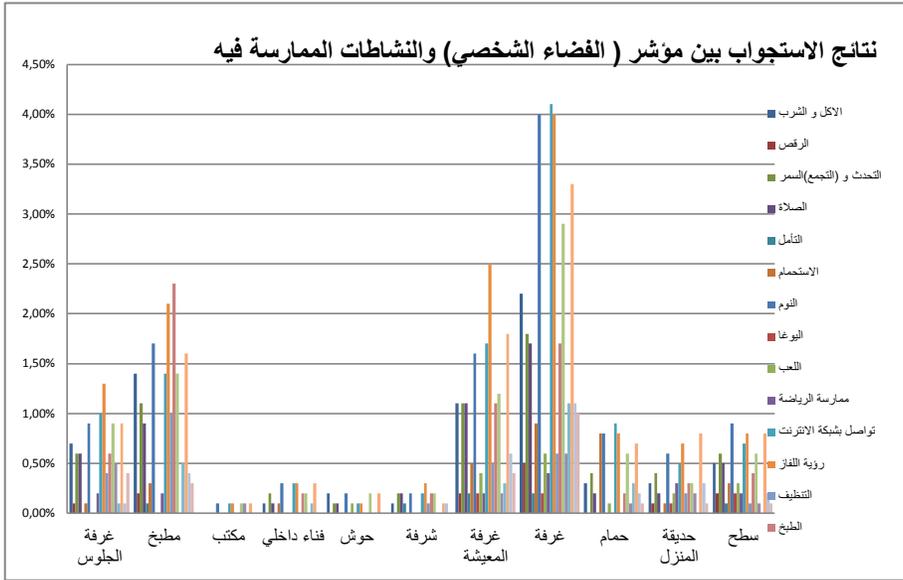
رسم بياني 5: يوضح قابلية مشاركة المكان المفضل (الشخصي). مصدر الباحثة 2016.

يبين الرسم البياني (01)، أن الغرفة تحتل المكان الأبرز كفضاء شخصي مستعمل ومفضل لدى غالبية الفئة المدروسة والتي مثلت نسبة 12,32%، باعتبارها مركز الأنشطة الأساسية التي تحقق للفرد ذاته. حيث نجد أن الغرفة تتنوع في درجة مشاركة وتقاسمها بين الأفراد، فمنهم من عبروا بالرفض بنسبة 10,7% (non)، ومنهم من عبروا بإمكانية المشاركة أحيانا بنسبة 13,2%.

تليها المطبخ وغرفة المعيشة كثاني مكان مفضل لدى أفراد الأسرة، فقد عبروا عن إمكانية مشاركة أفراد الأسرة في استغلالها أحيانا (parfois). باعتبارها فضاء مكمل للنشاطات الأخرى (التجمع، الأكل، الطبخ... الخ). إذن درجة الاشتراك بين أفراد الأسرة تتغير على حسب النشاطات التي يرغب فيها كل فرد من أفراد الأسر في فضاءهم الشخصي.

أين نجد أن الغرفة تستحوذ على نسبة كبيرة من النشاطات، أبرزها التواصل عن طريق الشبكة العنكبوتية 4,1%، يليها مباشرة مشاهدة التلفاز والنوم بنسبة 4%.

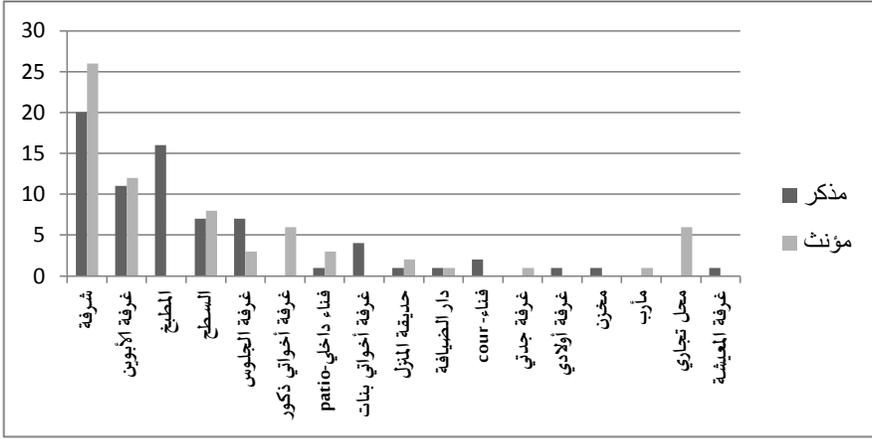
فلاحظ أن معظم هاته النشاطات فردية مما تسبب العزلة داخل المنزل وعدم وجود رابط التواصل الأسري. عكس المطبخ وغرفة المعيشة التي تحتوي على نشاطات زيادة على سابقتها كالتحدث والسمر (التجمع)، الأكل والشرب، التنظيف، التي تحتاج إلى المشاركة وتخلق تضامنا اجتماعيا ورابط من روابط التواصل الاجتماعي والأسري. كما يوضح الرسم البياني التالي:



رسم بياني 6 : علاقة بين الفضاء السكني والنشاطات الممارسة فيه، المصدر: الباحثة، 2016.

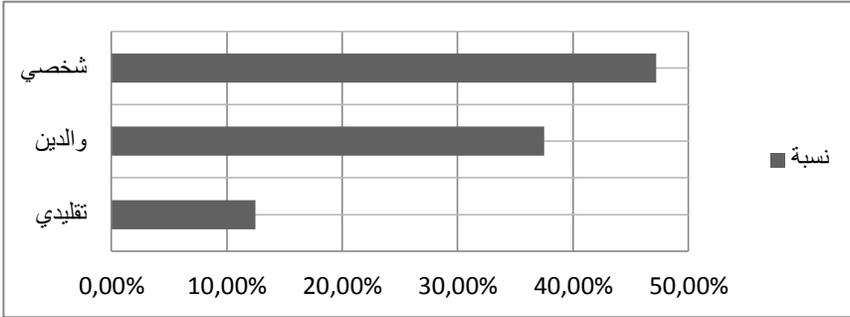
##### 5. نتائج علاقة بين مؤشر نوع الجنس والفضاءات التي لا يفضلون التردد عليها:

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة اختيار الشرفة كفضاء غير مرغوب فيه خاصة من فئة مؤنثة تحتل المرتبة الأولى، وهذا للانزعاج من استخدامه لغياب الحرمة، تليها غرفة الوالدين كفضاء خصوصي، حميمي خاص بالوالدين فقط.



رسم بياني 7: نتائج علاقة بين مؤشر نوع الجنس والفضاءات التي لا يفضلون تردد عليها المصدر: الباحثة، 2016.

## 6. نتائج طريقة الزواج :



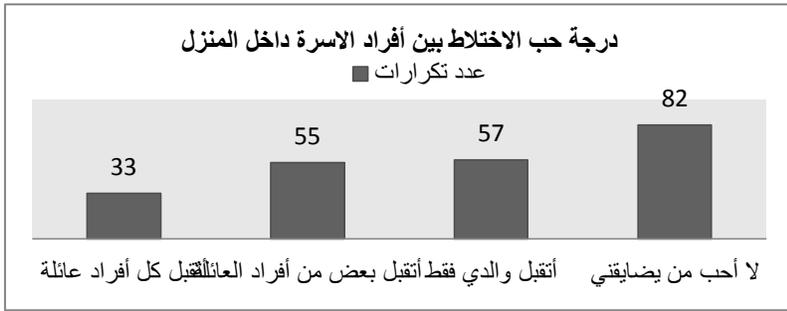
رسم بياني 8: طريقة الزواج، المصدر: الباحثة، 2016.

نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة اختيار الزوج للزوجة هي شخصية، حيث معظم العينات أقرت بان الأبناء هم من لهم اختيار شريكهم وبرغبة منهم وهذا نظرا للتغيير الاجتماعي والأسري الذي له علاقة بالمجتمع الجزائري خاصة في طريقة الزواج باعتبار تحول السلطة الأبوية المطلقة إلى سلطة أكثر مرونة واستقلالية بالنسبة لأبنائهم (حرية اختيار

الزوجة، استقلالية المسكن، استقلالية في الدخل...) وهذا بنسبة 47,2% مقابل 37,5% من طرف الوالدين وهذا خاصة بالنسبة للفئة العمرية التي تجاوزت 40 سنة. فتغير الوظائف والأدوار الأسرة غير من العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة (الآباء- الأبناء)، كلما تعقد المجتمع كلما اتجه مؤشر الاختيار الزواج إلى الأسلوب الشخصي.

وهذا بنسبة 47,2% مقابل 37,5% من طرف الوالدين وهذا خاصة بالنسبة للفئة العمرية التي تجاوزت 40 سنة. فتغير الوظائف والأدوار الأسرية غير من العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة (الآباء- الأبناء)، كلما تعقد المجتمع كلما اتجه مؤشر الاختيار الزواج إلى الأسلوب الشخصي.

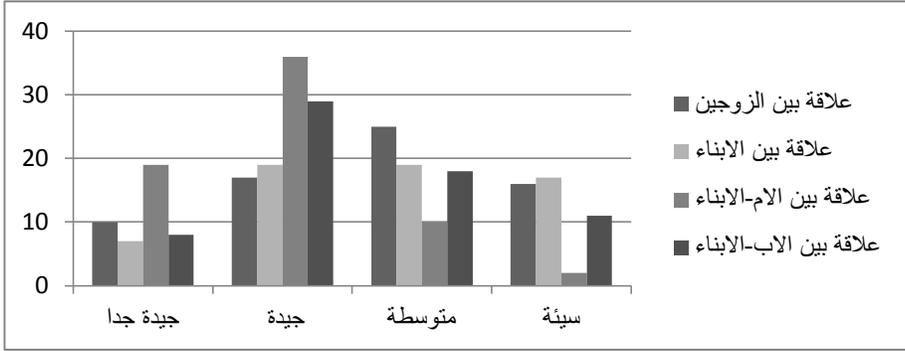
7. درجة حب الاختلاط بين أفراد الأسرة داخل المنزل ( le degree de la sociabilité):



رسم بياني 9: درجة حب الاختلاط بين أفراد الأسرة داخل المنزل le degré de la sociabilité. المصدر: الباحثة، 2016.

بينت نتائج الدراسة الميدانية، أن أغلب المستجوبين لا يحبون من يضايقتهم بعدد (82)، وهذا راجع إلى ضيق المسكن ومحاولاة التمتع بالنسبة للشخص بخصوصيته وراحته بعيدا عن كل مظاهر الاكتظاظ والقلق. تليها عدد (55-57) يتقبلوا فقط أولياءهم أو بعض من أي أفراد عائلتهم. مما يدل على وجود مسافات اجتماعية مختلفة داخل نفس المنزل.

## 8. علاقة بين أفراد الأسرة:



رسم بياني10: علاقة بين أفراد الأسرة، المصدر: الباحثة، 2016.

نلاحظ من خلال الرسم البياني أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة هي على العموم علاقات متوسطة. وتتفاوت درجتها من فئة إلى أخرى حيث: نجدها جيدة بين (الوالدين والأبناء)، وهذا راجع إلى الارتباط الحميمي بينهم وجدية العلاقة معهم، بينما نجدها متوسطة بين (الزوجين) و(الأبناء) وهذا طبعاً راجع لخصوصية العلاقة الطبيعية بينهم القائمة على التوتر والقلق الطبيعي لديهم.

9. مستوى الرضى وفق نموذج إدوارد هول Edward T. Hall:

الاسئلة		ما مستوى الرضى من المتغيرات التالية	اوافق بشدة	اوافق	لا اوافق	امتنع
العلامات المكائبة التي تؤثر على العملية التواصلية	الحدودية Territorialité	إحساس بالضيق والازعاج عند مشاركة نفس الغرفة	21	25	13	1
		تتزعج الأم من مشاركتها في المطبخ	19	11	30	0
		الضيق في مساحة المنزل	27	13	20	0
		أميل إلى العزلة في غرفتي	1	33	26	0
		يتقاسم افراد أسرتي الغرفة بالرضا و الحب	10	24	25	1
	الترتيب Ordre	هل والدك يمتلك المقدار الأكبر من الحب بين أفراد أسرتك	20	14	24	0
		هل والدك يمتلك المقدار الأكبر من الاحترام بين أفراد أسرتك	10	30	23	7
		هل والدك يمتلك المقدار الأكبر من القرب بين أفراد أسرتك	25	15	20	0
		هل تتزعج من تصرفات و سلوكيات والديك تجاهك	10	25	25	0
	التنظيم Organisation	حاجة الى الخصوصية	21	33	0	6
		انا راض بتقسيم المنزل	10	21	29	0
		تستغل الفضاءات الداخلية وفق نظام محدد	6	22	30	2
		غياب الخلافات والمشاكل بين الابناء على استغلال فضاء المنزلي	10	11	35	4
	المسافة	حاجة تحقيق الرغبات وتحقيق الذات	22	28	10	0
		تتأثر العلاقات الأسرية بالعلاقات الفراغية	32	21	7	0
		يحرص افراد اسرتي على التجمع في غرفة المعيشة	23	16	21	0
		انا قريب من والدي أو أبنائي	16	14	24	6
		أشعر بالراحة عند تحث مع أسرتي وانكم باحترام	22	32	6	0
	الأفضية Préférence	العتف والشجار يستدعي إلى العزلة	7	22	28	3
		ارتاد الفناء الداخلي أو الحوش في المناسبات	1	17	16	26
		أفضل غرفتي	32	22	4	2
		هل تحب الفضاءات الداخلية للمنزل	6	26	28	0
	الارتداد Fréquentation	اهمال الاسرة الفضاء الخاص بالمشروع الدينية داخل المنزل	2	14	37	7
		تحديد أوقات التناور والنقاش بين الأطفال والوالدين	0	24	32	4
		مجال اللهو و اللعب كافي للعب في كل وقت	5	12	43	0
		استغل غرفة المعيشة و مشاهدة التلفاز ، الراحة والاجتماع	18	33	9	0

جدول 2 : مستوى الرضى وفق نموذج إدوارد هول Edward T. Hall، المصدر: الباحثة، 2016.

## أثر الفضاءات الداخلية للمسكن في الجزائر على التغير الاجتماعي للعلاقات الأسرية داخل المجتمع الجزائري وفق مؤشرات إدوارد هول :

- **الحدودية:** نلاحظ من خلال مقياس الرضا أن غالبية أفراد الأسرة يوافقون على ميلهم إلى العزلة في غرفهم، كما أنهم يحسون بالضيق عند مشاركتهم لنفس الغرفة؛ فالحدودية تسمح بتحديد الفضاء الشخصي فيحس الفرد بأن له سلطة ولو جزئية داخل المنزل، مما ينتابهم شعور بعدم الارتياح والقلق عند مشاركتهم لهذا الفضاء كما أوضحه Hall.

إلا أن هذه الحدودية قد تتسع مساحتها وهذا ما نلاحظه في حالة المطبخ، أين الأغلبية وافقوا على أن الأم تحب من يشاركها في المطبخ، فالساح بدخول هذه مساحة مؤشر لتطور العلاقات بين أفراد الأسرة، والأم مصدر سلطة داخل المنزل، فهي العامل الأول في تطوير العلاقات الأسرية رغم تغير وظيفتها كأم وربة بيت، فأضحت تتقاسم الأب دور سلطة، مما زاد من حدة تفكك الرابط الأسري، فالأم تحمل في معانيها الإحساس المرهف والضعف، فلا يمكن للمرأة أن تتقمص دور الرجل.

- **الجوار والقرب:** بالرغم من اختلاف المسافات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة داخل المنزل التي توحى بالانفصال والانعزال بين أفراد الأسرة، إلا أنها مازالت تهدف إلى تحقيق التقارب بينها وهذا ما يلاحظ من خلال مظاهر التعلق التي تظهر في مختلف مراحل حياة التي تربط أفراد الأسرة داخل الفضاء المنزلي.

- **الترتيب:** يختلف ترتيب الأفراد داخل الأسرة من فرد لآخر ومن أسرة إلى الأخرى، للتغير الحاصل في الأدوار ونمط العيش، وتقاسم السلطة بين الأبوين وقد تتعدى إلى الأبناء أحيانا. كما أن العلاقات الوظيفية والوضعيات بين (أنوثة / ذكورة) عامل في كيفية التقسيم في الفضاء (الفضاء الذكوري والفضاء الأنثوي) الذي يحقق الخصوصية والترتيب والنظم.

- **غرفة الاستقبال:** نادرا ما تستخدم في الحياة اليومية لأفراد الأسرة، يعتبرونها كفضاء عام داخل المسكن، خاص بالضيوف.

- غرفة المعيشة: تتلخص فيه جميع التفاعلات بين الأسرة ونشاطات اليومية، فهي العالم الذي يمثل الحياة الاجتماعية، فهو فضاء اللقاء والتجمع الأسري.
- المطبخ: هو الفضاء اليومي الذي يلبي الاحتياجات الأساسية للأفراد.
- غرفة النوم: هي الفضاء الشخصي (الحميمي)، وحجم هذا الفضاء يؤثر على المستخدم، كلما كان واسع، كلما أحس الشخص بامتلاك وحرية المكان.
- المسافة:

- ✓ حميمة: تظهر في الفضاءات الداخلية للمنزل التالية: غرفة الزوجين، غرفة الأبناء والأطفال.
- ✓ شخصية: غرفة الأبناء، خاصة الذكور منهم.
- ✓ اجتماعية: غرفة الجلوس، غرفة المعيشة، مطبخ، حوش، السطح، فضاءات للتعاور والردشة = حوارات جماعية.
- ✓ عامة: المحلات التجارية للمسكن، الشرفة، غرفة الضيوف، وتستغل في أوقات محددة، منطقة مخصصة للغرباء، أو الأقارب.

### خلاصة :

بينت النتائج أن المسكن له أثر كبير في تفكك الرابط الأسري، وهذا نتيجة التغير في نموذج المساكن التي أضحت كمية أكثر منها نوعية. فالبرامج السكنية ذات الطابع المستورد أثرت سلبا على الأسر الجزائرية ومعظم الدول بصفة عامة، وهذا لما تحمله من عناصر تصميمية لا تتماشى مع طبيعة وثقافة العائلات الجزائرية.

إلا أن كل أسرة كفضاء أول للتفاعل الاجتماعي للفرد تحاول أن تتأقلم مع هذا التغير بطريقة الخاصة في اكتساب وتقمص الأدوار للاندماج والتكيف من الناحية الاجتماعية، ومن ناحية أخرى في كيفية التعامل مع مسكنها والتكيف مع خصوصياتها، مما شوه الصورة المعمارية والنسيج العمراني وأعطى له طابعا فوضوي وغير متناسق (التلوث). ومن هذا المنطلق لابد من تكاثف الجهود بين مختلف الجهات وإشراك أصحاب السكنات في عمليات التخطيط وتصميم

السكنات. من هنا يتضح لنا أن الفضاء السكنى هو بنية فيزيائية اجتماعية لا يمكن دراسة إحدى الجانبين بشكل منفصل عن الآخر فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر.

## المراجع والهوامش:

- 1جودة بني جابر(2004): علم النفس الاجتماعي، ط1، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ص 156.
- 2القران الكرم (برواية ورش عن نافع) (2000):. سورة النحل الآية رقم 80، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- 3ماهر حامد الحولي (2008)، العلاقات الأسرية: المعالجات الشرعية والحقوقية والتزوية للمشاكل الأسرية، جامعة غزة، فلسطين.
- 4رانية محمد على طه (2010): "بالتأثير المتبادل بين الواقع العمراني للمساكن و الهوية الثقافية الاجتماعية للسكان لحالة بلدة قديمة بناهلس، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين. ص14.
- 5 Amos Rapoport, (1979) : pour une anthropologie de la maison , Edit :Dunod,Paris. Page 58-88.
- 6العمر و المومني، مضر ومحمد (2000): "جغرافية المشكلات الاجتماعية" دار الكندي للنشر و التوزيع ، إريد .
- 7Chambart de Lauwe.P.H (1975) : Famille et habitation : CNRS, Paris.
- 8ميدني شايب ذراع (2016): "محاضرات علم النفس الاجتماعي الفضائي، لطلبة هندسة معمارية، سنة ثالثة".جامعة محمد خيضر ، بسكرة .
- 9سليمان جيلة (2011): "دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي"، دار هومة للنشر و التوزيع (الجزائر). ص285-285.
- 10ميدني شايب ذراع (2015) : "مدخل العلماء إلى سيكولوجية و سوسيولوجية الفضاء"، دار المجدد.
- 11سليمان جيلة ، المرجع السابق ، ص 189 .
- 12رانية محمد على طه ، المرجع السابق.ص7.
- 13رانية محمد على طه ، المرجع السابق.ص7.
- 14دلالسيامحمد(2015): "التفاعل الأسري الحديث داخل المدن الحضرية الجديدة"، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، عدد خاص : تحولات المدينة الصحراوية تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي و الممارسات الحضرية.ص191-196.
- 15شليغم غنية و حامي فضيلة (2013) : الاتصال الأسري و الواقع الاجتماعي المعاصر. الملتقى الوطني الثاني حول : الاتصال وجوده الحياة في الأسرة ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة .
- 16صالح محمد علي أبو جادو (2004)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار البصرة للنشر ، عمان، ط4، ص 218.
- 17عبد القادر القصير (1999)، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، ص 201.

1818 أنثروبولوجي أمريكي ولد سنة 1914م، اهتم بدراسة بعض قبائل الهنود الحمر، درس في عدة جامعات أمريكية، سير جزء من برنامج تكوين السفراء الأمريكيين في واشنطن، له عدة مؤلفات أشهرها "اللغة الصامتة" 1959م و "البعد المحجوب" 1966م و "خارج الثقافة" 1976م.

1919 مصطفى الخشاب (1966): **الاجتماع العائلي**، الدار التومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص. 50

20 Hall Edward Twitchell, (1984) : "**languesilecieux**", Éditions du Seuil. p 19.

21 Hall Edward Twitchell, (1984) p 26.

22 Hall Edward Twitchell, (1971) : "**la dimension cachée**", Éditions du Seuil. p 150.

23 Cousin J. (1980) : "**T'espace vivant**". Edition Moniteur, Paris. Page 30-29.

24 Sabba Deloula (2015) : "**la qualité des espaces publics dans les campus universitaires, cas d'étude université de Biskra**". Mémoire de magistère.

25 مالك بن نبي (1986): **ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية**، ط 3، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، ص 16 حديث في البناء الجديد. ترجمة عبد الصبور شاهين. ص 16

26 لمزيد من المعلومات : e-mail : [contact@lesphnix.eu](mailto:contact@lesphnix.eu) Web : <http://lesphnix.eu>

27 إحصاء تعداد السكاني لسنة: 2007 / D.P.A.T

## Les enfants face à la migration de leur mère et le double rôle du père

Dr : Massika LANANE- Université de Béjaia, Algérie

### Résumé :

Si les débats théoriques sur l'immigration et les recherches traditionnelles ont été largement développés, la migration de la main d'œuvre féminine constitue un thème de recherche qui vise principalement à décrire les grandes caractéristiques de cette féminisation de l'immigration, de ce fait des nouveaux champs d'observation s'ouvrent. Les recherches ont sous-estimé l'activité économique des femmes et leur participation dans le marché du travail, soit formel ou informel et son impact sur la vie familiale du couple. La migration féminine demeure alors une préoccupation récente. Les flux migratoires comportent de plus en plus de femmes qui sont touchées par les difficultés économiques. L'espoir d'une vie meilleure qu'elles ne peuvent avoir dans leur pays d'origine, a causé notamment du poids des traditions, décident de se lancer dans l'aventure, surtout que la plupart d'entre elles sont hautement qualifiées et mères avec un ou plusieurs enfants. De ce fait la migration féminine est devenue un phénomène visible dans cet espace, la femme immigré au même titre que l'homme, et l'étude de la migration de la main d'œuvre féminine suppose d'analyser l'interaction entre deux champs : les causes de ces flux migratoires et l'intégration des femmes travailleuses ? A travers cette contribution, on essaiera de comprendre et d'analyser la situation des enfants des mères émigrées face à ce choc culturel : absence de la mère et le double rôle du père. Notre enquête s'est effectuée auprès de 20 femmes qui ont laissé leurs wilayas natales ou résident leurs époux et enfants, et venues à la wilaya de Béjaia pour exercer le métier d'enseignantes universitaires.

### المخلص :

إذا كانت المناقشات النظرية حول الهجرة والأبحاث التقليدية قد تم تطويرها على نطاق واسع، فهجرة النساء العاملات هي موضوع البحث الذي يهدف في المقام الأول إلى وصف الخصائص الرئيسية لتأثير الهجرة، وبالتالي فتح مجالات جديدة لدراسة الهجرة. وقد جاءت البحوث مستهينة بالنشاط الاقتصادي للمرأة ومشاركتها في سوق العمل، الرسمي وغير الرسمي

وتبقى هجرة النساء مصدر قلق في الآونة الأخيرة. وتحتوي موجات الهجرة المزيد والمزيد من النساء اللاتي يتعرضن لصعوبات اقتصادية كبيرة. أملا في حياة أفضل لا يمكن أن تجدنها في بلدهن الأصلي، ورغم ثقل كاهلهن بالتقاليد، قررن الشروع في مغامرة، خاصة وأن معظمهن ذوات مؤهلات جامعية عالية.

لذلك أصبحت الهجرة النسائية ظاهرة واضحة في مجال التنقلات البشرية، هاجرت المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل، ودراسة هجرة العاملات ويعتمد على تحليل أسباب هذه الهجرة وعوامل اندماج هذه العاملات في المجتمع المستقبل؟

من خلال هذه المساهمة، نحاول فهم وتحليل وضع أطفال الأمهات المهاجرات الذين يواجهون صدمة ثقافية: من جهة غياب الأم والدور المزدوج الذي يلعبه الأب من جهة أخرى. حيث قمنا بدراسة ميدانية تعتمد على المنهج الكيفي حيث أجرينا مقابلات مع 20 امرأة قد تركن ولاياتهن أين يقيم أزواجهن وأطفالهن، وجئن إلى ولاية بجاية لممارسة مهنة أساتذة الجامعات.

## **Introduction :**

Alors que les recherches sur les migrations se sont considérablement développées au cours des vingt dernières années, la mobilité féminine reste mal connue. La migration féminine n'est ni récente, ni marginale, pourtant elle n'a été prise en compte que tardivement par la littérature sur les migrations. Cet écart reflète les politiques d'intégration qui ne tiennent que rarement compte du genre. «Les femmes représentent aujourd'hui près de la moitié des migrants internationaux dans le monde entier, c'est-à-dire près de 95 millions »(1). Pendant longtemps, la migration économique considérée comme un phénomène masculin a coopéré à camoufler la présence des femmes. De plus, l'intérêt récent qu'on porte aux migrantes s'est accompagné d'une sensation qui les aperçoit comme passives, simples accompagnatrices des hommes. Dès lors, les aspects qui les concernent, les obstacles qu'elles rencontrent dans le pays d'accueil, leurs besoins sont peu pris en compte. « Par ailleurs, la reconnaissance des femmes migrantes en tant que travailleuses, en tant que personnes indépendantes qui ont besoin d'un revenu pour vivre et faire vivre leurs proches se heurte à cette vision stéréotypée dominante »(2). Mais qui sont ces femmes, et d'où viennent-elles ? Est-ce que la mobilité des femmes diffère de celle des hommes ? Quelle est la place réservée dans les théories des migrations aux enjeux associés aux relations de genre ? Quelles sont les conséquences sur leurs familles ? Quelle conception ont les enfants et les problèmes de la mère absente ? Dans cette étude nous avons humblement essayer de répondre à ces questions qui restent jusque-là la préoccupation de toute chercheuse.

## ***Méthodologie adoptée :***

L'étude que nous présentons ici est le résultat d'une enquête qualitative engagée à Bejaïa, une ville située au nord-centre-est Algérien. Dans un premier temps une enquête a été menée auprès de vingt femmes migrantes algériennes venues un peu près de partout du territoire national. Un chiffre qui s'est multiplié par trois tout au long ma présence dans la ville citée (douze ans). De plus, être une constantinoise qui travaille comme une enseignante universitaire à Bejaia, fait de moi une exogène de travail ce qui m'a permis de cheminer avec certaines migrantes et de vivre leurs conditions. À partir de là, des entretiens de deux heures ont été menés avec ces femmes « aventurières », comme l'on a coutume de les appeler(3), nous ont permis de suivre avec une attention particulière leur processus d'insertion dans les différents lieux de migration. A travers ces interviews semi-directifs elles ont pu nous raconter leur histoire personnelle de leur expérience à Bejaïa. Les grandes lignes de l'entretien portaient sur leurs perceptions de l'avenir et les problèmes avec leurs enfants (4). Ces interviews ont été menées avec de multiples catégories socio professionnelles.

## ***Changement de rôle de deux parents***

Traditionnellement le rôle attribué au père est associé à une conception sociale qui diffère d'une société à une autre : « à l'homme, le monde extérieur et la fonction économique ; à la femme le foyer et la fonction affective. Il est également lié à un modèle de structure familiale construite pour durer »(5).

Or le couple a changé. Les femmes ont envahi le monde du travail et les pères ont acquis un nouveau rôle : c'est d'être auprès de leurs jeunes enfants, non seulement dans leur scolarisation, mais aussi dans leur vie

quotidienne, les repas, les bains... (6) « La structure familiale a éclaté pour faire place à une mosaïque de structures différentes (monoparentale, familles recomposées...) » (7). Finalement, l'image des liens au sein de la famille a changé ! Lorsque la femme refuse que son rôle soit réduit uniquement à la maternité. Les hommes à leurs tours renoncent au principe de la puissance paternelle. « Ils sont prêts à se reconnaître sensibles, affectueux envers leurs jeunes enfants, sans que cela porte atteinte à leur identité masculine » (8).

Dans l'esprit de l'enfant, le père est celui qui l'amène à prendre connaissance et conscience du monde qui l'entoure. C'est en s'opposant aux désirs de l'enfant que le père offrira une nouvelle image de lui, qui vient alors renforcer la triangulation père, mère, enfant (9). Mais l'image de fascination que l'enfant intègre peut être mise en cause au cours de l'absence de la mère. Amina adolescente de 13 ans « mon papa est le plus beau, le plus fort », mais je vais garder son image comme mon prince charmant, le voir faire le ménage et préparer les repas à la place de maman l'a rabaisé à mes yeux » (10)

Dès son jeune âge, l'enfant attribue au père les prohibitions, les interdits, les obligations, les ordres. « Le père guide l'orientation sexuelle des enfants qui se définit par opposition au parent du sexe opposé et par identification au parent du même sexe. L'identification du garçon au père se fait directement, le père étant à la fois un modèle et un rival par rapport à la mère. Chez la fille, la fonction paternelle consiste à faire découvrir le rôle complémentaire de la mère, celui de femme et à participer à l'acquisition d'un modèle de féminité » (11)

Le père contribue à la formation de la personnalité de l'enfant, en lui inculquant à être affectivement autonome de l'emprise de sa mère.

A travers les sorties entre hommes, regarder un match ensemble et la manière de s'asseoir. Cela peut apaiser la douleur de l'absence de la mère et le rendre anodin !

Les absences de la mère pour des raisons professionnelles, mènent à sa perte de son rôle et à sa marginalisation au sein de sa famille. « Ça fait la troisième année que maman oublie mon anniversaire elle est tout le temps absente ». En cas d'absence, l'enfant présente un excès de sentimentalisme des pleurs. Si la maman est possessive, l'enfant se sent tout le temps persécuté et obéissant devant les ordres de sa mère. Alors, une fois loin, il se sent délivré, il s'oppose et ne suit pas les consignes de son père, et s'exprime de façon impulsive. Dans ces situations-là, l'enfant se met en colère et conteste souvent l'autorité de son père et recherche à tout prix la satisfaction de ses désirs.

Le papa, conscient de l'importance de son rôle de père, prend, la relève de sa femme pour assumer nombre de tâches quotidiennes. C'était donc désormais « avec Papa que l'enfant s'habillait le matin et prenait son petit déjeuner; à la sortie du bureau, le père allait rechercher sa fille à l'école et ensemble ils rejoignaient le nid familial » (13).

### *Les changements dans la vie de l'enfant.*

« Ce que l'enfant veut, ce dont il a besoin, c'est de pouvoir continuer à être un enfant avec son papa et sa maman, d'être assuré de leur présence et de leur amour » (14). Quand la maman est absente, des sentiments d'insécurité apparaissent chez l'enfant. Cedernier, se demande souvent sur les véritables raisons de l'absence de sa mère ? Est-ce par besoin « maman dit qu'elle s'absente pour trois jours pour aller travailler est ce qu'on vraiment besoin de plus d'argent ? » [Ali, 12ans]. Sera-t-elle capable de faire ses tâches coutumières après deux voyages par semaine ? « Qui va

m'emmener aux séances de karaté quand papa travaille très tard ? » [Ali, 12ans].

De plus si le papa tombe malade qui va venir le chercher à la crèche ou l'école ? Sera-t-il gardé par ses grands-parents, ses tantes ou peut-être même par la voisine ? Ne plus voir sa mère d'une manière continue crée un bouleversement psychologique depuis quelque temps l'enfant « ressent qu'il y a une énorme différence entre ce qu'on lui dit, d'une part, et ce qu'il observe, ce qu'il sait et ce qu'il ressent d'autre part » (15). Une chose est sûre et il le sait, c'est que sa maman ne sera plus la même, elle ne cuisinera plus de la même manière et ne trouvera plus le temps pour regarder la télévision avec lui comme avant.

Dans ce climat d'incompréhension l'enfant développe des convictions fictives qui peuvent le troubler. S'il voit sa maman préparer sa valise chaque semaine pour aller à son travail, il tout de suite penser que c'est de sa faute, qu'il a fait quelque chose de mal, en contrepartie et pour le punir, on va le laisser seul, on va s'arrêter de l'aimer. L'absence de la mère influence le comportement du père : il a moins de patience et s'énerve facilement. Avec les absences fréquentes et parfois prolongées accroîtront les peurs de l'enfant et sentiments d'abandon. Mais comment dire à un enfant de trois ans ou à un autre de douze ans, que maman va souvent s'absenter et que papa va s'occuper de lui (16).

### ***Double mal-être.***

Pour Emile Durkheim, « l'intégration est au fondement de toute société. Toute société intègre ses membres ou devrait le faire. Par le biais de la famille, de l'école, des professions, sont transmis des valeurs, des modèles de comportements et des normes. En cas de crise de ces instances de socialisation s'installent l'anomie et le délitement du lien social. Insérer

de nouveaux venus dans la société n'est qu'un cas particulier d'un processus d'ensemble ». (17)

La dimension socio-économique de l'intégration renvoie à la situation sociale de l'individu, à son niveau de vie, ses revenus, ses possibilités de logement ou l'exercice d'un emploi. La femme immigrée est le plus souvent considérée comme illégitime, mais plus encore, quand elle perd son emploi. Une bonne insertion socio-économique participe au processus d'intégration (18). Une fois installée, l'immigrée, qui, en général, ne souhaite pas rompre avec son foyer sa culture d'origine (façon de célébrer les fêtes, la langue, les rituels...), peut souhaiter jouer un rôle par rapport à sa région d'origine. Ceci peut prendre des formes diverses et variées qui vont des visites hebdomadaires jusqu'à envisager son propre retour (19).

Les premiers temps de leurs arrivées, les femmes migrantes sont confrontées à d'énormes difficultés d'ordre psychologique, linguistique et social, suivies par un sentiment de rejet de la part de la société d'accueil.

Ce dernier associé à leur ignorance de la langue et traditions Kabyles s'apaise au fil des années de migration « à mon arrivée je ne comprenais pas le Kabyle, j'étais obligée d'utiliser le Français pour communiquer, parce que dès que je parlais en Arabe les gens (certains) ne répondaient pas à mes questions.»

Leur position sur le marché du travail dépend de leur capacité à parler ou pas la langue de la région d'accueil. "Si elles se trouvent en insécurité linguistique, la première étape sera très souvent de travailler dans une enclave ethnique." (20) Pour les femmes venues seules, elles sont obligées de faire face au problème de logement qui ne facilite pas leur adaptation au sein de la société Kabyle, « Primo, le loyer est très cher surtout au centre-ville, dans les alentours, on est chassée de la maison à partir du 30 Juin,

secundo on ne loue pas à une femme ! Pas n'importe laquelle mais, elle est seule ! » [Nora médecin, 43 ans, venue d'Alger, il y'a six ans]. Cela est expliqué par le fait de changement continu de résidence par les femmes depuis leurs arrivées. « Moi-même j'ai résidé dans sept habitations différentes pendant huit ans » [Massika, enseignante universitaire]

De l'autre côté, et en revenant chez elle, la femme immigrée est confrontée aux questionnements de son mari si elle est en retard « à chaque fois je rentre chez moi en retard je me prépare à une engueulade et même des fois à des coups » [Leila, entrepreneure] , et ceux de ses enfants si elle oublie de leurs ramener des cadeaux comme une compensation de son absence. C'est une situation délicate pour la mère qui souffre aussi l'éloignement de son mari et de ses enfants. Nonseulement, elle doit à la fois faire face à ses propres sentiments, mais aussi se montrer apte à comprendre ceux des membres de sa famille (21).

### ***Comment combler les manques de leur absence ?***

Selon les psychologues du développement de l'enfant, quand la mère rentre chez elle, après une courte ou une longue absence, elle doit prévoir un sac avec des jouets et des bonbons et elle doit penser à diverses activités qui pourront compenser le manque. Quand elle parle avec son enfant au téléphone et lorsque ce dernier pleure au bout du fil. « A notre sens cela est une bonne chose, car cela lui permet d'exprimer le fait que le parent lui manque et il sera rassuré que le parent l'entende »(23) Avec une voix douce, la maman rassure son enfant en lui disant qu'elle viendra le plutôt que possible.

Dans le contexte, et pour reconforter l'enfant, la maman doit garder ou préserver les mêmes habitudes comme l'habitude de lire une histoire à son enfant tous les soirs avant d'aller au lit, pour ne pas perturber le

sommeil de son enfant , la mère ne doit pas briser ce rituel .« La mère peut, au préalable, enregistrer plusieurs histoires sur une cassette audio; l'enfant pourra ainsi entendre sa voix et suivre l'histoire sur le livre, accompagné par un autre adulte »(24) Cela permet également d'engager le dialogue au sujet du travail de la maman et de répondre à ses interrogations du jour. Avant le coucher, téléphoner à l'enfant pour lui dire bonne nuit et lui lire une courte histoire au téléphone ; ainsi le rituel est quelque peu modifié mais conservé. Pour combler les manques ou les choses que l'on ne peut plus faire, nous proposons donc de transformer ces habitudes par d'autres activités qui peuvent être équivalentes, pour autant qu'elles soient vues sous un autre angle.

En outre l'existence d'un sentiment de culpabilité des mères absentes qui se reflète sous la forme de symptômes somatiques: comme grossir, maigrir, mal de tête, mal de dos, et un sentiment interminable de fatigue.(25)

Sachant que le salaire est la récompense après les efforts physiques et moraux, il reste incapable à refléter la souffrance que la femme endure exilée loin de sa famille.

Tout travail qui comporte des tâches de responsabilités, d'exigences et de contraintes peut engendrer une fatigue intense qui mène l'individu à un état d'épuisement de dépression ou au suicide.

Pour garder la tête haute en face le déni de son mari et la culpabilité envers ses enfants les femmes absentes se trouvent dans une situation de challenge qui nécessite plus de travail et plus de courage. Alors, elles requièrent de nouvelles compétences et une initiative dans l'exécution de leurs taches, et gèrent en permanence des relations et des interactions avec leurs étudiants et leurs collègues, ainsi qu'avec l'administration et la

hiérarchie. Elles sont donc confrontées régulièrement à des situations conflictuelles qui sont inévitablement un impact sur leur bien-être. Autrement dit, les difficultés dans l'exercice de leurs professions, et les diverses responsabilités et pression auxquelles elles sont soumises, favorise l'apparition du syndrome d'épuisement professionnel.

### ***Conclusion :***

La migration à Bejaïa s'inscrit dans un contexte de crise identitaire. Cette ville, hier et aujourd'hui la région d'émigration est devenue aussi une région d'immigration suite à un renforcement de ses possibilités d'accueil. Ainsi, à la migration traditionnelle des hommes est venue s'insérer celle des femmes qui fait de ces dernières des actrices à part entière, passant ainsi du statut de femmes migrantes passives à celui de migrantes actives. (26).

Cette migration, provoquée par le manque d'emploi dans la région d'origine, concerne avant tout des parents jeunes, menaçant l'équilibre des familles, provoquant maintes fois son éclatement. Les enfants séparés de leurs parents souffrent souvent de problèmes émotionnels et affectifs, voire d'abus de la part de membres de l'entourage. Leur parcours scolaire est perturbé, et un certain nombre d'entre eux sombrent dans la délinquance. L'absence des parents est clairement une cause d'échec scolaire et de comportements négatifs, souligne également (27)

## Références Bibliographiques

1. VAUSE Sophie (2006), **Genre et migrations internationalssud-nord**.une synthèse de la littérature, FNUAP, p. 1
2. 2MIMICHE, H., H. Yambéné, et al. 2005. **La féminisation des migrations clandestines en Afrique noire. Tanger.**
3. 3Berriane J., (2009), **Studierendeausdemsaharischen Afrika in Marokko. Motive, Alltag und Zukunftspläne einer Bildungsmigration.** Weiss D., Wippel S. (Ed.): Diskussionspapiere, Berlin.
4. 4Benoit Elsa « **Le rôle du père** », (dont cette page comporte des extraits) <http://perso.club-internet.fr/aflande/psycho/defaillancepere.htm>
5. 5Le CAMUS Jean « **Le vrai rôle du père** », psychologue professeur de la faculté, éd. Odile Jacob 2000. HEFEZ Serge « **Quand la famille s'emmêle** » de Ed. Hachette Littératures, 2004, 309 p.
6. HEFEZ Serge, **Le jouet comme objet de socialisation dans la transmission des rôles stéréotypiques de genre** », in Filles – garçons, socialisation différenciée? PUG, Grenoble, 2006
7. BATTAGLIOLA Françoise, **Histoire du travail des femmes, La Découverte**, Collection Repères, Paris, 2004
8. BAXTER J., « **The joys and justice of house work** », in *Sociology*, vol. 34, n°4, 2000, p. 620.
9. BEAGAN Brenda, CHAPMAN Gwen E., D'Sylva Andrea, RAEWYN BASSETT B., **It's Just Easier for Me to Do It'**: Rationalizing the Family Division of Foodwork, in *Sociology*, 2008 42: 653
10. LIVELY Kathryn J. CARR STEELMAN Lala, POWELL Brian, « **Equity, Emotion, and Household Division of Labor** », in *Social Psychology Quarterly*, 2010
11. MOSCONI, Nicole et al., **Égalité des sexes en éducation et en formation**, Paris, PUF, 1998.
12. PERIVIER Hélène, « **Emploi des femmes et charges familiales** » Repenser le congé parental en France à la lumière des expériences étrangères, in *Revue de l'OFCE*, 2004/3 no 90, p. 261-341.
13. ZARCA Bernard, « **La division du travail domestique, poids du passé et tensions au sein du couple** », in *Economie et Statistiques*, n°228 – janvier 1990
14. THOMPSON Linda, « **Family work, women's sense of fairness** », in *Journal of Family Issues*, June 1991 vol. 12 no. 2 181-196
15. THOMPSON Linda, « **Family work, women's sense of fairness** », in *Journal of Family Issues*, June 1991 vol. 12 no. 2 181-196
16. SCHWEITZER Sylvie, **Les femmes ont toujours travaillé. Une histoire du travail des femmes aux XIXe et XXe siècles**, éd. Odile Jacob, Paris, 2002

17. Berriane J., (2009), **Studierende aus dem subsaharischen Afrika in Marokko. Motive, Alltag und Zukunftspläne einer Bildungsmigration.** Weiss D., Wippel S. (Ed.): Diskussionspapiere, Berlin.
18. OUALI Nouria, « **Politique migratoire et femmes migrantes en Belgique** », in Mohamed Charef (coordinateur), *Les migrations au féminin*, Agadir, Ed. Sud Contact, 2002, 61-83, 2002.
19. PLAT Didier (2003), **Mobilités quotidiennes en Afrique Subsaharienne, mémoire d'Habilitation à diriger des recherches, présenté et soutenu le 18 avril, sous la direction de Xavier GODARD**, université Lumière Lyon 2.
20. ZLOTNIK Hania (2003) **The global dimensions of female migration**, Migration Information Source, <http://www.migrationinformation.org/Feature/display.cfm?ID=109>
21. LIVELY Kathryn J. CARR STEELMAN Lala, POWELL Brian, « **Equity, Emotion, and Household Division of Labor** », in *Social Psychology Quarterly*, 2010
22. MOSCONI, Nicole et al., **Égalité des sexes en éducation et en formation**, Paris, PUF, 1998.
23. Benoit Elsa « **Le rôle du père** », (dont cette page comporte des extraits) <http://perso.club-internet.fr/aflande/psycho/defaillancepere.htm>  
Le CAMUS Jean « Le vrai rôle du père », psychologue professeur de la faculté, éd. Odile Jacob 2000.
24. HEFEZ Serge « **Quand la famille s'emmêle** » de Ed. Hachette Littératures, 2004, p.309
25. TALL, SERIGNE Mansour. 2002. « **Les migrations internationales sénégalaises d'hier à demain** » in Momar-Coumba, Diop (ss. dir.), *La Société sénégalaise entre le local et le global*. Paris, Karthala.
26. BERSSET Jacques « **L'absence des parents, "une vraie bombe à retardement"** » Reportage in agence Apic, Bolivie: « L'émigration massive provoque la désintégration des familles », 14.12.2010.





Université Mohamed Khider Biskra - Algérie-

Faculté des Sciences Humaines et Sociales



ISSN 2507-7473



# Revue du Changement Social

*Périodique internationale à comité de lecture*

*Publiée par le laboratoire du changement social et de  
relations publique en Algérie*

*Université de Biskra*



**- Numéro 02 -**

Février 2017